وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر " بسكرة"

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

المَنهَجُ اللُّغَوِيّ في الجَامِع لأَحْكَام القُرْآن لِلقُرْطُبِي

دِرَاسَةُ (الأَصْوَات- القِرَاءَات- اللَّهَجَات)

مشروع مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة: زينب مزاري

إشراف الأستاذ الدكتور: محمّد خان

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
عمار شلواي	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
محمد خان	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
بوبكر حسيني	أستاذ	جامعة ورقلة	عضوا مناقشا
عبد الكريم حاقة	أستاذ. مح .أ	جامعة الوادي	عضوا مناقشا
أحمد مداس	أستاذ	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

العام الجامعي:

1440/ 1439 هـ

2019/2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر و عـــــرفان

الشكر لله أولا وآخرا على فضله وكرمه وتوفيقه .

في هذا المقام أرفع أسمى العبارات وأجمل الكلمات لأشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور : " محمد خان" على كل ما تفضل به عليّ من نصح وإرشاد، فقد تتبع هذا العمل جادّا صابرا، وإنه على كثرة ما لديه من التزامات، لم يدَّخر جهدا ليرى هذا العمل النور، فله مني كل الشكر والتقدير والعرفان.

واعترافا بالجميل، أشكر الشيخ الدكتور " أبا فهد محمد سحيم " في دولة قطر، على توجيهاته ونصائحه التي كانت عونا لي على تخطي صعوبات البحث و خاصة في مجال القراءات.

و الشكر موصول للدكتور الكريم " عبد القادر رحيم" على تفضله وبذله وقته الثمين في التصحيح اللغوي للرسالة.

الإهـــــداء

ـ إلى أمي الغالية التي عشقت العلم وهي صغيرة، يأخذها جَدُّها لداره في سيدي خالد التي جعلها لتحفيظ القرآن، فتجلس الصغيرة على الباب تتسمع قراءات القناديز وتتشبع روحها بالقرآن الكريم، وتكبر أمي وكنت أراها لا تحلو لها الحياة ولا تطيب إلا أن تسمع لكلام الله ولحديث النبي ﷺ .

ـ إلى روح والدي الحبيب الذي كان يوصيني بالعلم ويحثني عليه وهو يغمرني بعطفه ويغدق عليّ بماله ولقد قضيت عُمرا في جامعة الأمير في قسنطينة أُشبِع شغفي في طلب العلم زاهدة فيما سواه.

ـ إلى زوجي موسى الذي كان لي خير رفيق، ومما زاد لي في حلاوة حياتي معه حبه للعربية. فإنه لما وجدني قد هجرت رسالتي، حوّل اهتمامه من الاقتصاد إلى علوم اللغة ليعيدني إلى البحث، فكان ما أراد.

- إلى أولادي، جمال حياتي وقرة عيني؛ محمد وعمر ومريم .

إليهم جميعا أهدي هذا العمل.

مقـــدمة

بسم الله الذي أنزل الكتاب وجعله على سبعة أحرف، فكثرت قراءاته، وتيسرت تلاوته. فله الحمد والشكر على ذلك، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ سيد الأولين والآخرين وأفصح العرب أجمعين؛ نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فإنه على الرغم من وفرة كتب التفاسير وكثرة المفسرين، فإن كتاب "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، يعد من أجلّها لغزارة مادته، وسهولة أسلوبه، ففيه جُهد عالم جِهبِذ؛ مُتَأَنٍ في عرض مسائله وبيان أحكامه، وتسلسل أفكاره ومواضيعه.

وضعهُ القرطبي على نظام يشمل كل الكتاب ممّا جعل له دقة علمية تنبئُ على اطلاع واسع وفهم عميق لمسائل القرآن، فقد نسج هذا التفسير ببديهة حاضرة، فهو لا يكرر النصوص ولا يعيد الشروح، وهو ينسب كلّ ما يذكر من اقتباس أو قول إلى صاحبه، فالأمانة العلمية سمة بارزة في كل ما كتب، وبذلك صار من جمهرة العلماء المتميزين.

لقد ولجت هذا السفر وأنا متشوقة إلى معرفة أسراره وسبر أغواره، فوجدته علما غزيرا وسيلا منهمرا من الكنوز النادرة. فكلما وقفت على كنز، لاح لي كنز آخر . فأنا أتنقل من كنز إلى كنز أجمعها مكتفية ببريقها وجمالها؛ وتلك هي نصوص البحث ومادته التي بنته. ولذلك لا أدعي أنني استوعبت كل ما قرأت أو أنني محّصت كل ما دوّنت، وإنما هو شيء من مخالطة الكبار.

وقد وُسم البحث بـ:« **المنهج اللغوي في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دراسة (الأصوات- القراءات- اللهجات)**» وإني من خلال هذا البحث أحاول أن أبرز منهج القرطبي اللغوي في تفسيره، ببيان مجال الأصوات التي تساعد على فهم تنوع القراءات القرآنية،و التي من خلالها توضح لنا اللهجات العربية التي نزل القرآن بها.

فالبحث إجابة عن تساؤلات تعلق بعضها ببعض؛ ما هي المظاهر الصوتية التي برزت في تفسير القرطبي؟ و لماذا كان تفسير القرطبي مصدرا للقراءات القرآنية ؟ وما هي اللهجات العربية التي دعّم بها آراءه اللغوية في تعليله للقراءات ؟

إن القرطبي قد جعل لتفسيره خطة ممنهجة لدراسة الآيات آية آية ؛ فهو يبدأ بالجانب اللغوي، يشرح ألفاظ الآية شرحا لغويا ويبين المعاني اللغوية التي تدور عليها اللفظة، ويبين وجوه الإعراب، ويذكر ما قاله البصريون وما قاله الكوفيون، وما ورد من قراءات لتلك الآية، ثم يبين – في الغالب- رأيه في القراءة و يتناول مواضيع شتى تتصل بالآية إن كانت عقدية فيشرحها شرحا مستوفيا فيها الأقوال والآراء. ويبين صواب ما ذهب إليه العلماء منتصرا إلى أهل السنة والجماعة، ويبين العقائد الأخرى، وما قالته فيما تعتقده مفندا آراءها مبطلا ما ذهبت إليه بأسلوب فذ وحجة قاطعة ودراية قد أحاطت بالخصم. وإن كانت فقهية ، عرض لآراء المذاهب الفقهية مذهبا مذهبا ،لا ينتصر للمالكية ـ على مالكيته ـ ولكنه يعرضها بنَفَس العالم العارف المحايد حتى يكشف الآراء ويظهرها والمذاهب الفقهية لا تتعارض ولكنها تتنوع وتنوعها كثرة وتوسعة رحمة بالأمة . إن الجامع موغل في الدراسة؛ عميق متشعب المواضيع.

وأما الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، فهي رغبتي في البحث في علم القراءات وشغفي باللهجات العربية التي نزل بها القرآن الكريم، و المكانة اللغوية لتفسير القرطبي؛ فهو مصدر للقراءات واللهجات، وكذا محاولة الغوص في العلوم الكثيرة في مجالات متنوعة تناولها القرطبي في جامعه،للاستزادة منها.

إن أهمية الموضوع تأتي من خصوصيات الجامع، لما يحمله من علوم مازالت بكرا و مجالا خصبا للبحث والدراسة. وكذلك للطرح العلمي الحر المتجرد من التعصب؛ فالقرطبي في تفسيره لا يعتد بنفسه فيذكر ما يراه هو فقط- إلا في حالات الخلاف العميق بين المذاهب والمدارس فيطرح ما يراه ويعتقده - وإنما يعرض لأقوال وأراء العلماء فيشرح ويبين ويحلل ويقارن، فمسائله درُس ثري فهو يحيط بها دراسة ودراية وذكرا لأقوال العلماء، وهذا جانب يسر البحث عليَّ كثيرا .

ولإنجاز هذا البحث وتتبع جزئياته في هذا التفسير المستفيض، حددت بمعية الأستاذ المشرف " الأستاذ الدكتور محمد خان" أبعاد الموضوع البحثية و قد تم حصرها في ثلاثة جوانب لا أحيد عنها ما استطعت، وهي الجانب الصوتي، والقرائي، واللهجي.

وإنّ أول ما قمت به هو تحقيق النصوص، ثم اعتمدت المنهج الوصفي الذي يحمل القارئ إلى الجامع بكل موضوعية وأمانة علمية؛ إذ أني لا أزعم أني أحلل أو أقارن أو أدرس- بل أقف بكل تواضع بين يدي الجامع، تلميذة صغيرة لما وجدته في ثناياه من علم غزير وبسط عميق لكل مواضيعه في سهولة ويسر؛ حيث أني جمعت النصوص وبوبتها وعرضتها في سياق الإشكالية المعتمدة، ثم بينت طريقته ومنهجه في دراسة الآيات من حيث الأصوات والقراءات و اللهجات.وقد استعنت بالمنهج التاريخي في التوثيق لحياة القرطبي.

فالجامع اسم على مسمى؛ إنه درة نادرة، مادته غزيرة. فيه أناة وتؤدة، فهو تفَاعُلٌ مع القرآن وبيانٌ لمعانيه. وقد صدره بمقدمة مقدمته عظيمة، وّضح فيها وبيّن منهجه وشرطه في الكتاب.

لقد أمَّت تفسيرَ الجامع جموعٌ غفيرة من الدارسين، لِغنى مادّته وشموله على علوم جمّة . فإنه لا يتخطاه دارس قراءات ولا نحو ولا فقه ولا عقيدة . وممن اعتمد عليه أغلب من جاء بعده.

والحديث عن طبعات الكتاب يطول، وقد فصّل فيه مُحَقِّقُوهُ، لأن الطبعات كثيرة؛ فهو تفسير مطلوب فقد كانت دور النشر تتسابق إلى طبعه والعمل على تحقيقه، ولطول مادته فقد اختصره سراج الدين عمر بن علي الشافعي سنة 804هـ، واختصره توفيق الحكيم الأديب المعاصر وسماه مختارات تفسير القرطبي سنة 1977 واختصره عرفان حسونة في أربعة مجلدات سماه (مختار تفسير القرطبي).

وإن أول ما وقع بين يديّ واستفدت منه من الكتب التي دارت حول تفسير القرطبي، كتب ثلاثة: - القرطبي ومنهجه في التفسير لمحمود زلط. وله فضل السبق فكل من كتب حول القرطبي يعود إليه.

- القرطبي المفسر ـ سيرة ومنهج، ليوسف الفرت.
- و الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، لمشهور حسن محمود سليمان.

وقد وجدت سيلا من الدراسات الكثيرة حول الجامع وفي بعض جوانب بحثي، منها ما استطعت الوصول إليه بسهولة ويسر، ومنها ما لم أستطع الوصول إليه، أذكر منها:

- أثر المعنى في توجيه الشاهد النحوي في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، لعبدالله محمد فرج الله، جامعة اليرموك، عام 1991 م.

-القرطبي نحويًا من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن، رسالة دكتوراه، لفاطمة المحرش، جامعة محمد الأول، كلية الآداب.

-الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، لسيدي عبد القادر بن محمد محمود الطفيل، ليبيا – طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، عام 1997 م.

- المعنى والإعراب في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، محمد سعد محمد السيد.

- الدخيل في تفسير القرطبي، تحقيق ودراسة من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة الكهف، رسالة دكتوراه، لأحمد الشحات أحمد موسى، جامعة الأزهر.

-الاتجاه البياني في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، رسالة ماجستير للطالب /محمد رضا الحسن، الجامعة الأردنية، عام 2003 م.

- منهج القرطبي في القراءات وأثرها في تفسيره، جمال عبد الله أبو سحلوب، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية غزة كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن .

-اللهجات العربية في تفسير القرطبي، رسالة دكتوراه، للطالبة /عفاف عمر عبد الله العتيق، كلية الآداب للبنات، الدمام، قسم اللغة العربية، 1424 هـ.

-منهج الإمام القرطبي في التفسير وعلوم القرآن من خلال سورتي البقرة وآل عمران، رسالة ماجستير، للطالب /حمزة ماجد عباطرة، الجامعة الأردنية، 2005 م.

-القرطبي المفسر الموسوعي. حمد بن ناصر الدخيل .

- القرطبي : حياته و آثاره العلمية و منهجه في التفسير . مفتاح السنوسي بلعم.

- تفسير القرطبي : تحقيق ودراسة في المصادر التفسيرية. رشاد أحمد يوسف.

- القضايا النحوية في تفسير القرطبي . كاظم إبراهيم كاظم .
- الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي. عبد العال سالم مكرم.
-من أسرار الإعجاز في القرآن عند الإمام القرطبي. عبد الفتاح محمد سلامة.
-من المفسرين في عصر الحروب الصليبية : القرطبي . أحمد أحمد بدوي.
-الاشتقاق اللغوي من خلال كتاب الجامع لأحكام القرآن. زينهم مرسي بدوي.

-القرطبي المفسر الموسوعي، حمد بن ناصر الدخيل.

-الدرس اللغوي في تفسير القرطبي :من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة آل عمران، رسالة دكتوراه، لعلي زكريا علي الجوخي، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، عام 1997م.

ولقد قسمت هذه الرسالة إلى تمهيد وثلاثة أبواب، بدأتها بمقدمة، وأنهيتها بخاتمة.

يتناول التمهيد حياة القرطبي وشيوخه وتلاميذه وكتابه ومنهجه.

والباب الأول بينت فيه الجانب الصوتي وفيه ثلاثة فصول هي: الهمز، والإدغام والإبدال.

أما الباب الثاني فقد جعلته للقراءات مركزة على منهج القرطبي في عرضها و توجيهها، وفيه ثلاثة فصول؛ الفصل الأول: قضايا القراءات في مقدمة الجامع لأحكام القرآن، والفصل الثاني: منهج القرطبي في عرض القراءات والحكم عليها، والفصل الثالث: توجيه القرطبي للقراءات القرآنية.

أمّا الباب الثالث فيدرس اللهجات العربية التي جاءت في الجامع، وقد ضمّ ثلاثة فصول؛ فكان الفصل الأول: اللهجات الأكثر ورودا في الجامع، والفصل الثاني: اللهجات الأقل ورودا في الجامع. وأخيرا الفصل الثالث: لغة القرآن الكريم.

وأنهيت البحث بخاتمة بسطت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وبالنسبة للصعوبات التي واجهتني فهي كثيرة وإن أبرزها أنه استقر في نفسي أنني عاجزة على دراسة هذا الموضوع لعظم قدره وجلال شأنه وبخاصة الجانب المتعلق بالقراءات القرآنية .

وفي الأخير أقول: إن من حق العالم على المتعلم أن يشكر فضله وينوه بقدره، وقد نلت شرفا عظيما إذ أشرف على رسالتي أستاذي الأستاذ الدكتور محمد خان، فله كل الشكر على كل ما تفضل به عليّ بدءا باختيار الموضوع، وإن طالت معاناتي مع هذا البحث، ولكنه المجال الذي تحبه نفسي وتهواه روحي؛ البحث في مجال التفسير. وإنه لما ادْلَهَمَّت عليَّ الخطوبُ وانشغلت، تركت البحث. فرفض مني أستاذي هذا الترك. وصار يسألني عن العمل لا يمل ولا يسأم حتى أعادني إليه بقوة نصائحه وتواضعه الجم، ففتح الله لي ما استغلق من مواضيع البحث، ويسر لي سبحانه ما استُصعب فلله الحمد والشكر. واللهم احفظ شيخي الأستاذ الدكتور المشرف محمد خان ومتعه بدوام الصحة والعافية.

وأسأل الله العلي القدير أن يوفقني ويرشدني إلى الصواب.

والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

القرطـبي وتفســـــيره

المبحث الأول: حياة القرطبي

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته وأخلاقه وصفاته

المطلب الثاني: شيوخه في الأندلس

المطلب الثالث: هجرته إلى مصر وشيوخه فيها

المطلب الرابع: فضله وعلمه

المطلب الخامس: تلاميذه و مؤلفاته ووفاته

المبحث الثاني: تفسيره

المطلب الأول: عنوان التفسير وسبب تأليفه.

المطلب الثاني: منهج القرطبي في التفسير

المطلب الثالث: تدريسه وحفظه

المطلب الرابع: مصادره

المطلب الخامس: طرائق نقله من المصادر.

المبحث الأول: حياة القرطبي

ما من دارس لقضية من قضايا الجامع إلا وتعرض لحياة القرطبي، فيجوب الباحث فيما سنحت به الكتابة نقلا عمن تكلموا عن الإمام أو ما ذكره القرطبي في معرض جامعه أو في أحد كتبه المطبوعة.

ولذلك الحديث عن حياة القرطبي مادته قليلة وشحيحة، فهي مكرورة بذاتها عند كل من تعرض للقرطبي. وكان من أوائل من درس القرطبي، "محمود زلط" ولذلك فله السبق في الإلمام بحياة القرطبي وكل من جاء بعده ناقل عنه، فقد كان حديثه عن حياة القرطبي جامعا.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته وأخلاقه وصفاته

اسمه ونسبه:

جاء اسمه كاملا في كتابه "التذكرة في أحوال" الموتى قال: « يقول العبد الفقير إلى ربه المتنصل من ذنبه الراجي رحمة ربه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي».[1]

فهو من بين القلة الذين عرفوا أنهم من" الخزرج " فهو عريق النسب، كريم الحسب.

---

[1] القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ص3.

وابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: علي عمر، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423هـ/ 2003 م، ص 287.

والسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت 911هـ)، طبقات المفسرين العشرين، تح: علي محمد عمر مكتبة وهبة - القاهرة، ط1، 1396، ص 92.

و المقري (أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/ 1968م، ج2، ص 210.

و مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم) (ت 1360هـ) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1424 هـ - 2003 م،ج1، ص 282.

و البغدادي (إسماعيل باشا)، هدية العارفين، استانبول، 1955م، ج2، ص 129.

و الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ،ط15، ج2002،5 م،ص 322.

و حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى، بيروت، ج1، ص 383

-نشأته:

إن نشأة القرطبي قد سكت عنها التاريخ، فلم نظفر منه بشيء، والمعلوم أن قرطبة في هذا العصر قد سادها الاضطراب؛ وامتد إليها الخراب، بعد أن كانت عروس المعرفة، ودرة الثقافة، مشعل الحضارة تحولت في عصر القرطبي إلى نزاع لا ينتهي، واضطراب لا يتوقف، وقتال لا ينقطع [2].

لا تشير المصادر التاريخية إلى السنة التي ولد فيها القرطبي و لكن ذهب الدارسون إلى أن نشأة هذا العالم كانت في عصر الموحدين بقرطبة، وظل يعيش بها حتى سقطت سنة 633 هـ، إن نشأته الأولى كانت في الأندلس التي انتشرت فيها المدارس والمكتبات العلمية. لقد كانت وحدها موطن العلم في أوروبا زمنا طويلا حتى أصبحت قرطبة مدة ثلاثة قرون أكثر مدن العالم القديم نورا. لكثرة عنايتهم بالعلم والعلماء. [3] في هذا الجو العامر بالعلم ودور المعرفة نشأ القرطبي وترعرع.

إن القرطبي قد أقبل منذ صغره على العلوم الدينية والعربية إقبال المحب لها المشغوف بها فأعطته من نفسها ما استحق به ذكر الخالدين، ولذلك نجده في سائر كتبه نسيجا وحده في كل مسألة يعرضها، ونلحظ درايته الفائقة في مختلف العلوم التي يتناولها بالبيان حتى كأنه تخصص فيها وصرف وقته كله في دراسة قضاياها، نجده كذلك في الفقه وأصوله وفي اللغة وغرائبها وفي النحو وأبوابه، وفي علوم القرآن والقراءات وهو كذلك في الحديث النبوي، وعلم الرجال.

إن من وصل إلى هذا التميز في العطاء والتأليف متميز منذ البداية في الأخذ والتلقي.

يدل على ذلك وفرة علمه وكثرة استشهاداته ودقة ملاحظاته، فإن الذي يجلس للجامع يجد علما متدفقا صافيا.

---

[2] عبد العال سالم مكرم، الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي، تح: ودراسة، عالم الكتب، 1418هـ- 1998م، ط1،

[3] كرد (محمد علي)، الإسلام والحضارة العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م، ط3، ج1، ص 260.

و القرطبي لم يطب له المقام بقرطبة لما حصل فيها، وهو يخبر بذلك في كتابه التفسير، قال: «فقد لبسنا العدو في ديارنا. واستولى على أنفسنا وأموالنا مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضا واستباحة بعضنا أموال بعض. نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» [4].

فالقرطبي عاصر الحرب على قرطبة ودمارها ولذلك هو يصف حادثة أليمة عندما تناول تفسير الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (آل عمران: 169)، قال القرطبي:

« العدو إذا صبح قوما في منزلهم ولم يعلموا به فقتل منهم، فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك أو حكم سائر الموتى؟ وهذه مسألة نزلت عندنا بقرطبة -أعادها الله- :أغار العدو –قصمه الله- صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وست مائة والناس في أجرانهم على غفلة فقتل وأسر وكان من جملة من قتل والدي رحمه الله» [5].

وذكر في موضع آخر من تفسير سورة الإسراء. ما يدل على ما لاقاه من العدو من المصائب والمتاعب قال الله تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ (الإسراء: 45).

قال القرطبي:« وقد اتفق لي ببلادنا بالأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا. وذلك أني هربت أمام العدو و انحزت إلى ناحية عنه. فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان. و أنا في فضاء من الأرض قاعد ليس يسترني عنهما شيء. و أنا أقرأ سورة يس و غير ذلك من القرآن فعبرا

---

[4] القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر-ت 671)، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ج8، ص415 .

[5] الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 412.

علي ثم رجعا من حيث جاءا، و أحدهما يقول للآخر هذا دِينُه، يعنون شيطانا. و أعمى الله ﷻ أبصارهم فلم يروني، و الحمد لله حمدا كثيرا على ذلك» [6].

إن هذه الحرب أدت إلى خروج القرطبي من الأندلس قاصدا القاهرة وهي تلك المدينة التي استقر بها حتى لقي ربه سنة 671هـ ومن الحقائق المعروفة في بيئة الصعيد في القرن السابع الهجري أن التشيع كان منتشرا بها فاحتاج الفقهاء والعلماء في الدولة الأيوبية إلى مجهودات كبيرة حتى يخفف بها مذهب الشيعة وفند القرطبي التشيع و بينه ونقده بعلم راسخ، وكلما عرضت قضية تأخذه إلى التشيع إلا وفتح الباب على مصرعيه يرد عن الشيعة زعمهم وضلالهم [7]، و إن أكبر قضية في التشيع فرقت الأمة قضية الإمامة والتي غالى فيها الشيعة كثيرا، يقول الشهرستاني: «ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان» [8].

ولذلك فالجامع يزخر بمناظرات غنية عنيفة تهز التشيع وتجتثه من أصوله.

أخلاقه وصفاته:

اتفق الذين أرخوا للقرطبي أنه كان: « من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف» [9]، وعبر عنه الداودي بأنه كان طارحا التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية.

ومن كتب القرطبي تتجلّى شخصيته، فكان الرجل ذا همة عالية وأخلاق سامية وحوار سام وتواضع جمٍ، ولكنه لا يحمل الناس على ما حمَّل به نفسه.

وإذا كان بعض المتصوفة قد فهم أن التمتع بالطيبات ينافي الزهد فإن القرطبي قد هاجم هذا الرأي في تفسيره ولم يرتض هذا المسلك فقال في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ

---

[6] الجامع لأحكام القرآن،ج 13، ص 94.

[7] الفرت يوسف عبد الرحمن ، القرطبي المفسر سيرة ومنهج، دار القلم الكويت ط1، 1402ه/1982م، ص46.

[8] الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548)، الملل و النحل، مؤسسة الحلبي، بيروت، ج1، ص22.

[9] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص287.

أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿ (المائدة: 87). قال علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها رد على غلاة المتزهدين، وعلى أهل البطالة من المتصوفين، إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه وحاد عن تحقيقه.

إن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه وعمل به رسول الله ﷺ. وسنه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون إذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ. فإذا كان كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان- إذا قدر على لباس ذلك من حله، وآثر أكل الخشن من الطعام، وتَرَكَ اللَّحْم وغيْره حَذِرا من عارض الحَاجة إلى النِّساء...

ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الرديئة، لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببا لطاعته). [10] وإنّه لا أحد ينكر ما كان عليه أهل الأندلس من أناقة لاعتنائهم بأنفسهم، قال المقري: «وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون، وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم ومنهم من لا يكون عنده ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها» [11].

لقد ألف الإمام القرطبي كتابيه" قمع الحرص بالزهد والقناعة"، و" التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة"، ولا بد أن هذا هو حاله في الحياة أنه كان زاهدا معتدلا .

لقد اتفق المؤرخون على الثناء الحسن على القرطبي وقد تظهر جليا تلك الصفات الحميدة فيه من خلال ما ألف؛ فلسانه عف وعبارته رقراقة ومناظرته حسنة هادئة، ولا يتأتى ذلك إلا لعالم عارف ورع، يتأنى ويتروى في ردوده، ولذلك حواره فيه علم راسخ وأخلاق سامية.

[10] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 119.
[11] المقري، نفح الطيب، ج1، ص 104.

لم يتعصب القرطبي لمذهب مالك [12] فيرجحه إن ضعفت حجته ولكنه يرجح غيره من المذاهب إذا رأى الحق بجانبه على المذهب المالكي، ويعلن معارضته له. كما لم يلتو القرطبي في عرض حجة الخصم أو يأتي بها مبتورة مهلهلة، بل كان يعرضها بدقة وأمانة، و يضفي عليها من الشرح والتوضيح ما يبينها [13].

لقد ساق القصبي أمثلة فقهية كثيرة عن مخالفة القرطبي لمذهب الإمام مالك وانتصاره لغيره من المذاهب إذا قويت الحجة عند غير مالك [14].

المطلب الثاني: شيوخه في الأندلس

شيوخه في الأندلس:

لم تذكر كتب التراجم شيوخ القرطبي وإنما أشارت إلى بعضهم، فقد ذكر الداودي أربعة وذكر صاحب نفح الطيب والديباج المذهب بعضا منهم ولكنهم كلهم متفقون أن هناك أكثر من هذا العدد الذي ذكروه. جاء في طبقات المفسرين (وغيرهم)[15]، وجاء في نص نفح الطيب (وغيرهما)[16]، وجاء في طبقات المفسرين للسيوطي (وعدة) [17].

لقد ذكر القرطبي في حادثة موت أبيه بعضا من شيوخه، و ذلك في المسألة الخامسة. [18] من تفسير قوله تعالى:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (آل عمران: 169).

---

[12] الإمام مالك هو أبو عبد الله مالك بن أنس [بن مالك] بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غميان ابن عمرو بن ذي أصبح الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام. أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبي نعيم، وسمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر، رضي الله عنهما، وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي .وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين للهجرة، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة ، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج4، ص 39.

[13] القصبي (محمود زلط)، القرطبي ومنهجه في التفسير، دار الأنصار، القاهرة، 1399هـ/1979م، ص 344.

[14] المرجع نفسه ص 344.

[15] الداودي، طبقات المفسرين،ج 2، ص66.

[16] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 110.

[17] السيوطي، طبقات المفسرين، ص92.

[18] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 412- 413.

قال القرطبي: « العدو إذا صبح قوما في منزلهم. ولم يعلموا به فقتل منهم، فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك أو حكم سائر الموتى؟ وهذه مسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله: أغار العدو - قصمه الله- صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وست مئة والناس في أجرانهم (وهو موضع تجفيف التّمر) على غفلة فقتل وأسر، وكان من جملة من قتل والدي رحمه الله، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بابن أبي حجة فقال غسّله وصلِّ عليه. فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفين، ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي فقال: إن حكمه حلم القتلى في المعترك، ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء فقالوا: غسله وكفنه، وصل عليه، ففعلت. ثم بعد ذلك وقفت على المسألة في "التبصرة" لأبي الحسن اللخمي وغيرها، ولو كان ذلك قبل ذلك ما غسلته، وكنت دفنته بدمه في ثيابه».

وعلى هذا يتبين أن القرطبي كان يذكر أسماء شيوخه الذين تلقى منهم العلم في قرطبة ؛ الذين كان لهم الفضل في بناء شخصيته، وإن على رأسهم الشيخ :

1- ابن أبي حجة: (ت 643هـ، 1245م):

ذكره القرطبي في مواضع كثيرة من تفسيره، وهو الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد القيسي المعروف بابن أبي حجة « فاضل من أهل قرطبة، تصدر لإقراء القرآن وتعليم العربية وانتقل إلى إشبيلية وأسره الروم في البحر، فامتحن بالتعذيب وتوفي على إثر ذلك» [19]، وهو من شيوخ القرطبي المبرزين يقول عنه في التذكرة: « وسمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوي المقرئ أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابن أبي حجة يقول غير مرة... » [20]، فمن خلال وصفه له فقد أخذ عنه الحديث والنحو والقراءات، قال المراكشي: « تلا بالسبع في بلده على أبي جعفر بن أبي حجة» [21].

---

[19] الزركلي، الإعلام، ج1، ص 219.

[20] القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص 754.

[21] المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت 703 هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققة وعلق عليه: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012 م، ج2، ص 585.

(وُلِّيَ القضاء والخطابة باشبيلية، صنف تسديد اللسان في النحو، والجمع بين الصحيحين مات مأسورا سنة 643هـ) [22].

وهو أول شيخ سأله القرطبي في غسل والده والصلاة عليه يوم قتل، وهذا يدل على عظم منزلته وعلمه عند الإمام القرطبي ولذا نجده يستشهد به كثيرا في مصنفاته، وينقل من كتب شيخه [23].

ومن مؤلفاته:

تسديد اللسان لذكر أنواع البيان.

تفهيم القلوب آيات علام الغيوب.

مختصر التبصرة في القراءات.

مختصر الصحيحين.

2- ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الأشعري ت 632هـ 1235م:

وهو أبو سليمان ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري من أهل قرطبة وآخر قضاتها ولي قضاءها بعد أبي القاسم بن بقي من قبل الأمير محمد بن هود، وقد كان استوطنها قبل ذلك. وأخذ على أشياخها، واكتسب هنالك مالا وعقارا، وكان رجلا صالحا، عدلا في أحكامه وكانت له مشاركة في علم الحديث ولم يزل أبو سليمان قاضيا بقرطبة إلى أن استولت الروم عليها وذلك يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال من عام 633هـ فتحول إلى اشبيلية، و بها توفي إثر انتقاله إليها، ويقال إنه ما هاله عظيم الرزء في مفارقة المال والوطن عند الحاجة إليه، مع سن الشاخة ولا بلغ لديه من ذلك مبلغ الرزء فيما تلف له من كتبه، رحمه الله تعالى [24].

---

[22] ابن الجزري، طبقات القراء، تح: برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، 1932م، ج1، ص 136.

[23] الزركلي، الأعلام، ج1، ص210.

[24] النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، (دط)، 1400هـ، ص 118.

وهذا شأن أهل العلم، تفارقهم الدنيا كلها بما فيها من أهل ومال وولد، ولا يأبهون لذلك ولا يحزنون قدر حزنهم على ضياع علمهم الذي أفنوا أعمارهم من أجل تحصيله، فإنه لا شيء أحب إلى العالم من علمه ولا أعز عليه من كتبه. وهذا هو حال شيخ القرطبي ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الأشعري فما اشد ما لحق به، تضيع بلاده ويضيع ماله ويضيع علمه...وا أسفي عليه.

وهو الشيخ الثاني الذي سأله القرطبي عن تغسيل والده وهو الذي أجابه بما اقتنع به فيما بعد القرطبي « ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي فقال: إن حكمه حكم القتلى في المعترك» [25]، ولاشك أن القرطبي يُكْبِر شيخه ربيع لما عَلِمه فيما بعد أن أباه شهيد .

وكأني اسمعه يقول: ليتني اكتفيت بقول شيخي ربيع، ودفنت أبي بثيابه ودمه شهيدا.

3- أبو عامر يحي بن عامر بن أحمد بن ربيع* الأشعري (533هـ/639هـ):

ذكره القرطبي عند تفسير قوله تعالى:﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ (البقرة: 245). ولما نزلت هذه الآية بادر أبو الدحداح إلى التصدق بماله ابتغاء ثواب ربه.

«أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام المحدث القاضي أبو عامر يحي بن عامر بن أحمد بن ربيع الأشعري نسبا ومذهبا بقرطبة- أعادها الله- في ربيع الآخر عام ثمانية وعشرين وستمائة قراءة مني عليه... » [26].

جاء في الديباج « العالم الجليل المحدث الحافظ، واحد عصره، وفريد دهره، وكان رحمه الله تعالى عالما من أعلام الأندلس ناصرا للسنة، رادعا لأهل الأهواء، متكلما، دقيق النظر، سديد البحث، سهل المناظرة شديد التواضع، كثير الإنصاف مع هيبة ووقار، ولي قضاء الجماعة بقرطبة ثم بغرناطة وأقرأ بغرناطة لأكابر علمائها؛ الحديث والأصلين...» [27].

---

[25] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 413.
[26] الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص 220.
[27] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 353.

فقد كان إماما في علم الكلام وأصول الفقه [28]، وما دامت هذه أخلاق شيخه فلابد أن القرطبي أفاد من هذا النبع الذي يتدفق علما وأخلاقا. وهكذا حال العلم، فإنه لا يؤخذ إلا بحشمة، التي هي سياسة العلم، فمن لم تكن له أخلاق لا يثمر علمه وإن كثر. إنّ العالم المتواضع الوقور علمه ينفع بإذن الله وإن قلّ، فالعلوم الشرعية مقرونة بحسن الخلق. ويكفي القرطبي فخرا أن تتلمذ على يد عالم جليل هذا قدره .

4- أبو الحسن علي بن قطرال (ت 651هـ، 1253م):

هو الشيخ الأخير الذي سأله القرطبي في قضية تغسيل والده « ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء، فقالوا: غسِّله وكفِّنه، وصلِّ عليه، ففعلت» [29].

وأبو الحسن علي بن قطرال هو القاضي العلامة القدوة أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري القرطبي المالكي ولد سنة ثلاث وستين وخمس مئة- سمع أبا القاسم ابن الشراط وأبا العباس بن مضاء وأخذ عنه أصول الفقه، وأبا خالد بن رفاعة وأبا الحسن بن كوثر، وابن الفخار، وعبد الحق بن بونة، لقيه بالمنكب، وأخذ قراءة نافع [30] والنحو عن أبي جعفر بن يحي.

«وسمع بسبتة من أبي محمد بن عبيد الله، وأجاز له أبو بكر بن الجد والكبار وولي قضاء أبذة -وهي بليدة بالأندلس- من كورة جيان وهي دار اليعمريين من أهلها- فأسره العدو لما أخذوها في سنة تسع وست مائة، ثم تخلص، وولي قضاء شاطبة، ثم شريش، ثم قضاء قرطبة ثم أعيد إلى قضاء شاطبة ... ثم سبتة، ثم قضاء فاس- وكان من رجال الكمال علما وعملا، يشارك في عدة فنون ويمتاز

---

[28] القصبي، القرطبي ومنهجه في التفسير، ص16.

[29] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 413.

[30] نافع المقرئ أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، المقرئ المدني أحد القراء السبعة؛ كان إمام أهل المدينة ، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، رضوان الله عليهم، قال ابن أبي أويس، قال لي مالك رضي الله عنه: قرأت على نافع، وكان قرأ على أبي ميمونة مولى أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، وكان له راويان: ورش، وقنبل. وتوفي نافع سنة تسع وخمسين، بالمدينة، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ج5، ص368-369.

بالبلاغة، وأرخ موته بمراكش في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وست مائة، عاش ثمانيا وثمانين سنة وهو أحد الأعلام في زمانه» [31].

عندما يتربى القرطبي بين يدي عالم يشهد له الذين ترجموا له بأنه كان من رجال الكمال وهذه كلمة قل ما قيلت في وصف عالم، فلا عجب أن تجد القرطبي بحرا لا تكدره الدلاء من وفرة علمه ونبل أخلاقه.

« إن القرطبي تتلمذ على هؤلاء الشيوخ الذين مر ذكرهم بقرطبة (وإلى جانب ذلك تتلمذ على ما أنتجته قرائح العلماء من مؤلفات في العلوم الدينية وعلوم اللغة والنحو والتاريخ والأدب)» [32].

وهاهو ذا القرطبي تدفع به الحرب إلى البحث عن مكان آمن يجد فيه ما يريد من علم وعلماء، ولن يجد أفضل من مصر.

المطلب الثالث: هجرته إلى مصر وشيوخه فيها

-هجرته إلى مصر:

من عادة القرطبي في تفسيره وفي التذكرة أن يؤرخ للحوادث التي وقعت له كحادثة وفاة أبيه مثلا- ولكنه لم يخبر عن تاريخ فراره إلى مصر، وقد تساءل بعضهم [33] عن هذا التاريخ: متى قدم القرطبي إلى مصر ؟

إن البلاء الذي أصاب الأندلس، والمصائب التي لحقت بقرطبة واضطهاد العدو للقرطبي كل ذلك دفعه إلى النجاة بنفسه والخروج إلى مصر، وقد ذكر القرطبي قصة تعقب العدو له عند

---

[31] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، ج4، ص 190 .

[32] القصبي (محمود زلط)، القرطبي ومنهجه في التفسير، ص17.

[33] المرجع نفسه، ص 18.

تفسيره[34] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ (الإسراء: 45).

قال أبيّ بن كعب[35] رضي الله عنه في هذه الآية: كان النبي ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات، الآية التي في (الكهف:57) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، والآية التي في (النحل:108) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾، والآية التي في (الجاثية: 23) ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾، فكان النبي ﷺ إذا قرأهن يستتر من المشركين.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: لما نزلت سورة (تبت يدا أبي لهب) أقبلت أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تهجو النبي ﷺ، والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك قال رسول الله ﷺ: " إنها لن تراني" وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء، 45) فوقفتْ على أبي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله ﷺ.

---

[34] الجامع لأحكام القرآن، ج 13، ص 93.

[35] أُبيّ بن كعب السيد القارى، رضى الله عنه هو أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار،.ثبت فى صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس، أن رسول الله - ﷺ - قرأ على أُبيّ ابن كعب سورة: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}، وقال: "أمرني الله عز وجل أن أقرأ عليك"، وهى منقبة عظيمة لأُبيّ لم يشاركه فيها أحد من الناس. عن الواقدي: أول من كتب لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة أُبيّ بن كعب، توفى أُبيّ، رضى الله عنه، بالمدينة ودفن بها، قيل: سنة ثلاثين فى خلافة عثمان، النووي. تهذيب الأسماء واللغات، النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص 109.

فقالت: يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا وربِّ هذا البيت ما هجاك قال فولت وهي تقول: قد علمت قريش أنى ابنة سيدها. وفي رواية فقال أبو بكر يا رسول الله أما رأتك؟ قال: «لا، ما زال ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت» [36].

قال القرطبي: قلت: ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا وذلك أني هربت أمام العدو وانحزت إلى ناحية عنه. فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض قاعد ليس يسترني عنهما شيء وأنا أقرأ سورة يس وغير ذلك من القرآن فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا: واحدهما يقول للآخر هذا ديبله، يعنون شيطانا. وأعمى الله ﷻ أبصارهم فلم يروني والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك [37].

إلا أن هذا النص لا يحمل تأريخا لخروج القرطبي من الأندلس ولكن« إن أغلب الحصون التي تقع حول قرطبة استولى النصارى عليها، وذلك ليسهل عليهم إسقاط قرطبة، فلعل هذا الحصن قد سقط مع هذه الحصون في سنة 632 هـ أو قبل ذلك بقليل... وعندما سقطت قرطبة في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شوال سنة 633هـ . غادر أهلها مدينتهم العزيزة بقلوب تفيض حزنا وألما».[38] ولعله خرج إلى مصر في هذا التاريخ قهرا. كان دخوله أولا إلى مدينة الإسكندرية وقد سمع من بعض شيوخها قال مثلا عن ابن رواج:« أنبأناه... بمسجده بثغر الإسكندرية حماه الله» [39] وسافر إلى الفيوم وله فيها مصاحبة مع العالم الجليل القرافي شهاب الدين، قال الصفدي: «ترافق القرطبي المفسر والشيخ شهاب الدين القرافي في السفر إلى الفيوم وكل منهما شيخ فنه في عصره» [40].

---

[36] أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهاني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 - 1990.وأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، دلائل النبوة، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1 - 1408 هـ - 1988 م،ج 2، ص195.

[37] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 94.

[38] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط2، 1377هـ.

[39] القرطبي، التذكرة، ص (138- 589).

[40] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى : دار إحياء التراث، بيروت عام النشر:1420هـ- 2000م، ج2، ص 87.

قدم إليها القرطبي واستقر بها مدة من الزمن وكان ذلك سنة 647هـ [41]، وأخذ فيها من الشيخ أبي علي الحسن بن محمد البكري، فقرأ عليه، كما صرح بذلك فقال رحمه الله: «قرأت على الشيخ الإمام المحدث الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة قبالة المنصورة من الديار المصرية» [42]، وقد استقر في الصعيد المصري بمنية بني خصيب: التي ارتبطت بالقرطبي ل توفي بها. ودفن بها، وله فيها مسجد وضريح.

وصف ياقوت هذه المدينة وسماها (منية أبي الخصيب) وقال: « مدينة كبيرة حسنة، كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى. قد أنشأ فيها (أبو اللمطي) أحد الرؤساء جامعا حسنا» [43] لم يصرح القرطبي لماذا استقر في الصعيد المصري؛ (منية أبي الخصيب)، ولعله وجد فيها مأربه وهو الهدوء والبعد عن كل ما يشغله عن التأليف فلعله كتب ما كتب في الصعيد المصري. وربما استقر بالمنية لحبه الشديد لشيخه(ابن الجميزي) المتوفي سنة649هـ، فإنه روى عنه وسمع منه بهذه المدينة)[44] إننا لا نملك الحقيقة الكاملة لتفسير أفعال القرطبي وهذه أمور تاريخية لا يصلح فيها الافتراضات والتكهن ونقول: (لعلّ) و(ربما) فالرجل كان عالما ؛ همه العلم وخدمة كتاب الله عزوجل وقد أخرجته الحرب من موطنه الذي كان يعج بالعلماء ــ وقرطبة مدينة المدائن في زمنها ــ واتجه إلى مصر وكانت مصر كذلك موطن العلم والعلماء ولابد أنه وجد ضالته في المكان الذي فيه استقر، وإن مؤلفاته لخير دليل على توفيق الله له في اختيار المدينة.

---

[41] القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى، ص 428.

[42] الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 119،

[43] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1371هـ، ج5، ص 218.

[44] مشهور حسن محمود سلمان، الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، دار القلم، دمشق، ص 38.

– **شيوخه في مصر:**

1- **" أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم المالكي القرطبي**[45]"(578هـ- 656هـ):

ولد بقرطبة وسمع الكثير هناك ثم قدم الإسكندرية فأقام بها وتتلمذ على شيوخها، وبعد أن استوى عوده تولى تدريس الحديث والفقه، فطار صيته. وانتفع الناس به. وكان عارفا باللغة.

وهو أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي وكان هذا الشيخ من أعيان فقهاء المالكية.

وقد ولد أبو العباس بقرطبة ورحل مع أبيه من الأندلس في سن الصغر، فسمع كثيرا بمكة والمدينة والقدس وغيرها من البلاد وسمع الحديث من مشايخ العرب... ثم نزل الإسكندرية فاستوطنها ودرس بها. وكان يشار إليه بالبلاغة والعلم والتقدم في علم الحديث والفضل التام، وكان بارعا في الفقه والعربية واخذ عنه الناس من أهل المشرق والمغرب، وانتفعوا بكتبه. [46]وله على كتاب (صحيح مسلم) شرح أحسن وأجاد سماه " المفهم في شرح مسلم ".[47](طبع "المفهم" بتحقيق: محيي الدين مستو وجماعة، وصدر عن دار ابن كثير في سبعة مجلدات، سنة 1420هـ.

-وطبع في دار الكتاب المصري بتحقيق الحسني أبو الفرجة في ثلاثة مجلدات.

تبدأ عناية الإمام القرطبي -رحمه الله- بصحيح مسلم من قرطبة، فيرويه قراءةً وسماعاً وإجازةً، عن شيخين كبيرين من شيوخ قرطبة، ثم رواه في مصر عن الشيخ المأمني راوي صحيح مسلم في مصر وكأنه حرص أن يرتبط اسمه منذ شبابه بهذا الكتاب العظيم من كتب السنّة المشرّفة، فصنع له تلخيصاً متميّزاً وضبط ألفاظه بالرواية السماعية، ثم شرح مشكلاته بما رواه عن مشايخه، وبما فتح الله عليه من الفهم والإدراك الذاتي.

---

[45] ينظر: مشهور حسن سلمان، مخطوطاته ومكان وجودها، ص 77.

[46] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 68، 70.

[47] ذكره مشهور في هامشه، ص 71.

وقد وضع الإمام القرطبي لنفسه في تلخيصه لصحيح مسلم منهجاً نوضّحه بما يلي:

- اختصار الأسانيد، والاكتفاء بذكر الصحابي، وأحياناً التابعي.

-لم يحذف مقدمة الإمام مسلم لصحيحه، بل اختصرها كذلك.

-حذف المكرّر من الأحاديث، وذكرها في موضع واحد حسب موضوعها.

- ترجمة الأبواب بعناوين وافية دقيقة. وعن تبويبه يقول بعض المشايخ بأنّ تبويب القرطبي في شرحه لتلخيص صحيح مسلم، وفي تلخيصه لصحيح مسلم؛ أجود من تبويب النووي، فإنه لخص صحيح مسلم في كتاب جرّد الأحاديث من الأسانيد وبوب عليها تبويباً جيداً بديعاً وشرح هذا التلخيص وفي بعض الأحيان نجد أن القرطبي -رحمه الله- يتأثر أحياناً بتبويب الإمام أبي نعيم في "مستنخرجه" فقد وجد أثناء المطالعة أن القرطبي يأخذ أحياناً التبويب لأبي نعيم في "المستخرج" فيضعه عنواناً لذلك الباب الذي يبوِّب عليه أو الذي يبوِّب به. انظر "مناهج المحدثين" للشيخ د.سعد الحميّد.

-اختياره للحديث وفق أتمّ الروايات وأكملها، ثم إيراد بعض الروايات إن كان فيها زيادة في المعنى.

- اتّباعه لترتيب الإمام مسلم، ولم يُخالف إلا في نقل بعض الأحاديث من أماكنها، وإيرادها في المكان الأكثر ملاءمة مع موضوعها، وقد نقل كتاب الجهاد من مكانه في الصحيح، ووضعه بعد كتاب الحجّ، إظهاراً لأهميّته.)[48] هذا ما يتعلق بمنهجه.

وأما عن مكانته فقد امتدحه المقري، فقال: « وهو من أجل الكتب، ويكفيه شرفا اعتماد الإمام النووي رحمه الله في كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة »[49]، واختصر صحيحي البخاري ومسلم. إن عالما بهذه المكانة وبهذا الوصف أن يكون قد اختصر الصحيحين وشرح صحيح مسلم، لهو جدير أن تكون كتبه من أشهر الكتب ولكن أين هم المحققون والعلماء العارفون بالحديث ليخرجوا هذه الكنوز إلى محبي السنة وطلاب الحديث؟

---

[48] التعريف بالكتب الإسلامية ومناهجها وطرق تأليفها@islamicbooks0، تاريخ الزيارة 2018/10/19على الساعة 10و30 صباحا.

[49] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 165.

وقد ذكر القرطبي أبا العباس في مواضع كثيرة من كتابه التذكرة [50]. «وذكره الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي في شيوخه وحدث عنه» [51].

«ولكن لم تُشر التراجم إلى أنه تَتَلمذ على غير أبي العباس، وحين ذكر القرطبي شقيق أبي العباس وصفه بـ"صاحبنا " ولعله لم يكن من فحول العلم» [52]. « وقد ظهر أثر الشيخ - وهو المقدم في علم الحديث- في عناية القرطبي بالأحاديث النبوية وتخريجها وشرح غريبها وحل مشكلها وضبط مشتبهها» [53]. وإن تعليقات القرطبي على الأحاديث النبوية في تفسيره تبين ظلوعه في علم الحديث ولكن كتبه في الحديث لم تشتهر اشتهار تفسيره .

2- أبو محمد بن رواج[54] (ت 648هـ- 1250م):

وهو الشيخ رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي ابن فتوح بن أبي الحسن القرشي بن رواج الإسكندراني المالكي، وهو من كبار محدثي الإسكندرية وكان فقيها فطنا دينا متواضعا صحيح السماع انقطع بموته شيء كثير وكانت وفاته في الثامن من عشر من ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة عن أربع وتسعين سنة.

وقد تلقى كثيرون عنه علوم الحديث، وكان القرطبي أحد تلامذته النجباء في هذا المجال- حتى قال المراكشي: إنه أكثر الرواية عن ابن رواج.

وقد تتلمذ القرطبي على ابن رواج في الإسكندرية ويؤكد ذلك ما جاء في كتاب "التذكار في أفضل الأذكار" قال: « أنبأنا الشيخ المسن الراوية الحاج أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الذي عُرف بابن رواج بمسجده بثغر الإسكندرية حماها الله» [55]. وقد كان القرطبي ملازما

---

[50] القرطبي، التذكرة، ص، 50، 187، 532، 533.

[51] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 69.

[52] مشهور، الإمام القرطبي، ص 73.

[53] المرجع نفسه، ص 74.

[54] المراكشي، الذيل والتكملة، ج 2، ص585.

[55] القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، ص 66، 92، 101. نقلا عن القصبي (محمود زلط).

لشيخه ابن رواج مدة غير قصيرة من الزمن وقرأ عليه جملة من الكتب. كما صرح بذلك في أكثر من موطن في كتابه" التذكرة " [56]. فهاهو ذا الشيخ يجوب مصر شابا حيث العلم والعلماء، فتلقيه على ابن رواج كان في الاسكندرية إنه لم يكتف بمنية بني الخصيب.

3- أبو محمد عبد المعطي بن أبي الثناء اللخمي(ت 638 هـ، 1241م):

هو عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي بن عبد الخالق أبو محمد بن أبي الثناء الإسكندري ثم المكي الفقيه الصوفي.

ذكره المراكشي في شيوخ القرطبي فقال: « ورحل إلى المشرق وروى هناك عن.... وأبو محمد عبد المعطي بن محمد بن عبد المعطي اللخمي الإسكندراني» [57].

وسمع القرطبي بعض إملاءات شيخه هذا منها شرحه لرسالة القشيري واستفاد منها في تفسيره فهو ينقل منها، فيقول: « وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي في" شرح الرسالة" له للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات بأنهم رأوا الخضر عليه السلام ولقوه» [58].

لا شك أن القرطبي قد تأثر بهذا الشيخ في زهده ولزمه لأنه مالكي.

4- الحسن بن محمد البكري (ت 656هـ- 1258م)

هو المحدث العالم المصنف صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن عمروك القرشي التميمي النيسابوري ثم الدمشقي، تلقى العلم على أيدي علماء مكة ودمشق، ورحل إلى مصر، ومات بها سنة 656هـ [59].

---

[56] القرطبي، التذكرة، ص 229، 316، 422.
[57] المراكشي، الذيل والتكملة،ج 2، ص 585.
[58] الجامع لأحكام القرآن، ج 13، ص 362.
[59] الزركلي، الأعلام، ج2، ص 232.

وقد ذكره المقري[60] والداودي[61] وابن فرحون[62] في شيوخ القرطبي.

لقد استقر في مصر مهد العلم وقبته ومنتهاه. وما اختياره لها إلا لعلمه أنها أم كل علم وفن ولابد أنه سيجد في هذه الحاضرة من العلماء الكثر الذين يأخذ عنهم ويستفيد منهم .

هؤلاء هم العلماء الأفاضل الذين جلس القرطبي بين أيديهم في مصر يتسمع علمهم ويأخذ منهم ولا شك أنه بهذا السماع قد جمع بين علم الأندلسيين وعلم المصريين فنتج عن ذلك أعمال علمية خالدة وعلى رأسها الجامع.

المطلب الرابع: فضله وعلمه

يقول عنه ابن فرحون: «كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف»[63]. ويقول المقري: «وكان مطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية[...] كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها" تفسير القرآن" مليح إلى الغاية »[64]. وإن من يطلع على التفسير يعلم علم اليقين فضل الرجل وعلمه.

وحسبنا أن نجد من بين الذين أشادوا بتفسيره أوأفادوا منه علماء أجلاء مثل ابن تيمية، وابن خلدون، وابن كثير[65]، والسيوطي والبدر العيني والشوكاني»[66].

---

[60] المقري، نفح الطيب، ج 2، ص409.

[61] السيوطي، طبقات المفسرين، ج 2، ص66.

[62] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 318.

[63] الديباج المذهب، ص 287.

[64] نفح الطيب، ج2، ص210.

[65] ابن كثير هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الشافعي. ولد سنة سبعمائة للهجرة. مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم وفضائل القرآن و في السنة وعلومها. "توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق، بن كثير (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999، م1، ص17.

[66] ابن خلدون، المقدمة، ص، 284، و ابن كثير، التفسير، ج1، ص 7، والسيوطي،الإتقان، ج1، ص 50، البدر العيني، طبع الأزهري وعمدة القارئ، ج2، ص 292،والشوكاني، فتح القدير، ج1، ص ز- وص 23- و409.

وقد أشاد ابن تيمية بهذا التفسير حين سئل عن أيّ تفسير أقرب إلى الكتاب والسنة قال بعد أن ذكر تفسير الزمخشري[67]، وتفسير القرطبي خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة وأبعد عن البدع[68]. فهو بتعبيرنا جامعة كثيرة التخصصات .

المطلب الخامس: تلاميذه و مؤلفاته ووفاته

- **تلاميذه:** ما من عالم من علماء المسلمين إلا ويُذكر له التلاميذ، الذين عنه تلقوا علمه ونشروه في الآفاق، ولذلك عرفت المذاهب الفقهية الأربعة وشاعت لأنه كان لأصحابها تلاميذ وأتباع، ولم تشع مذاهب ولم تعرف في العالم الإسلامي مثل مذهب اللّيث بن سعد المصري الذي لم يقم أصحابه بمذهبه قال الشافعي: لم يرزق الأصحاب إلا أن قوله يوافق قول مالك أو قول الثوري لا يخطئهما، فاندرج مذهبه تحت مذهبهما» [69]، والقرطبي عالم اعتكف للتفسير ولم تكن له حلقة في المساجد مثلا ولذلك « تكاد تجمع كتب التراجم على إغفال تلاميذ القرطبي ويذكر السيوطي أن ابن القرطبي شهاب الدين أحمد روي عن ولده بالإجازة» [70].

ولا نتصور أن عالما كالقرطبي الذي أنتج هذا الإنتاج العلمي الهائل أن لا يكون له تلاميذ يتلقون عنه فضلا على أن النواحي العلمية في العصر الذي عاش فيه كانت تعتمد على الدروس والمحاورات وما إلى ذلك. وأن منية بني خصيب البلد الذي استقر به القرطبي كانت موئلا للعلم والعلماء .....

---

[67] الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، فإنه كان نحوياً فاضلاً، وأخذ عن أبي مضر، وصنف كتباً حسنة، منها كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل، وكتاب الفائق في غريب الحديث، وكتاب المفرد والمؤلف في النحو، وكتاب المفصل في النحو. ولد سنة سبع وستين وأربعمائة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري كمال الدين (ت 577هـ)، الأنباري،نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1405 هـ - 1985 م، ص292.

[68] محمد السيد الجلنيد، حقائق التفسير الجامع لأحكام القرآن، لتفسير الإمام ابن تيمية، ط1، 1398هـ- 1978، نشر دار الأنصار، بمصر، ج1، ص 89.

[69] المغراوي أبو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر و النبلاء للكتاب، مراكش، المغرب، ط1، ج7، ص87.

[70] السيوطي، طبقات المفسرين، ص 92.

إذ كان الناس يجتمعون في مسجدها الجامع (على شاطئ النيل) لقراءة القرآن وتلقي العلم وقد طار ذكر هذا المسجد حتى أمه العلماء. ومن ذلك أن أبا مروان الباجي سمع بهذا الجامع فأراد الصلاة به فسافر إلى منية بني خصيب ودخل مسجدها الجامع فإذا فيه جماعة اجتمعوا لقراءة العلم، فصلى به الظهر والعصر والمغرب. ولما هم بالانصراف تعرضه بعض أولئك الحاضرين، وقد سألوا عنه فأخبروا به فاقبلوا إليه مسلمين عليه، وراغبين في مبيته عندهم [71].

وقد أعجبني قول أحد الباحثين[72]:« إن من تلاميذ الإمام القرطبي؛ كل من بذل عناية، أو وجه جهدا في خدمة تفسيره " الجامع لأحكام القرآن" أو خدمة أي مؤلف من تآليفه سواء أكان ذلك باختصار أم بالنسخ، أو بأي دراسة.

***مؤلفـاتـــه:**

-الكتب المطبوعة:

- الجامع وسيأتي بيانه.

-التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة :

يقول في مقدمة كتابه:

فإني رأيت أن أكتب كتابا وجيزا يكون تذكرة لنفسي وعملا صالحا بعد موتي في ذكر الموت وأحوال الموتى وذكر الحشر والنشر، والجنة والنار والفتن والأشراط نقلته من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأئمة، حسب ما رأيته رويته وسترى ذلك منسوبا مبينا إن شاء الله تعالى وسميته: (كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) [73].

---

[71] المراكشي، الذيل والتكملة، ج5، ص692.

[72] الفرت يوسف عبد الرحمن ،القرطبي المفسر سيرة ومنهج ، ص 99.

[73] القرطبي، مقدمة التذكرة، دار الحديث القاهرة، تح: عصام الدين الصبابطي، ص 3 .

وطبع الكتاب لأول مرة بتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا في القاهرة عن مكتبة الكليات الأزهرية في جزئين في مجلد واحد [74].

(وقد اختصره أحمد بن محمد بن على نور الدين الحسين الشافعي السحيمي الأزهري المتوفي سنة 1187هـ، وسماه(التذكرة الفاخرة في أحوال الآخرة)

وقد اختصره الإمام عبد الوهاب الشعراني وسماه مختصرة تذكرة الإمام القرطبي المسمى (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وقد اختصره بمصر سنة 908هـ.

وقد ذكر السبب الذي من أجله اختصره قال: « وهذا الكتاب اختصر فيه كتاب التذكرة... إني أحذف منه ما لا يذكّر بالموت والحساب من غريب ألفاظ وإعراب، فإن كتب الرقائق لا ينبغي أن يكون فيها شيء من ذلك، وكثيرا ما يكون القارئ يقرأ في كتب الرقائق والناس متأثرون، فيحضر نحوى فيقول، هذه الكلمة معطوفة على أيّ شيء؟ فيحصل اللغط فيزول الخشوع والحزن لوقته ويذهب بالاعتبار، فهذا كان سبب اختصاري للكتاب» [75]. وهو كتاب جيد مليء بالقصص والعبر .

- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام.

وهو كتاب في شكل سؤال وجوابفإنه قد وجد كتابا يتعرض فيه صاحبه النصراني للمسلمين فرد عليه بهذا المؤلف ؛ يقول القرطبي: (فقد وقفت وفقك الله على كتاب، كتب بِهِ بعض المنتحلين لدين الْملَّة النَّصْرَانِيَّة . سَمَّاهُ "كتاب تثليث الوحدانية" بعث بِهِ من طليطلة أَعَادَهَا الله إِلَى مَدِينَة قرطبة حرسها الله متعرضا فِيهِ لدين الْمُسلمين نائلا فِيهِ من عِصَابَة الْحق الْمُوَحِّدين سَائِلًا عَمَّا لَا يعنيه ومتكلما بِمَا لَا يدريه فأمعنت النّظر فِيهِ فَإِذا بالمتكلم يهرف بِمَا لَا يعرف وينطق بِمَا لَا يُحَقّق) [76] ثم قال القرطبي: «فاستخرت الله تَعَالَى فِي جَوَابه على تَخْلِيط مَعَانِيه وتثبيج خطابه بعد أَن أَقُول لَهُ

---

[74] مشهور، الإمام القرطبي، ص 129.

[75] الفرت يوسف عبد الرحمن ، القرطبي المفسر، ص 86- 87.

[76] القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت 671هـ)، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تح: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة، (دت)، (د ط)، ص 43.

اعْلَم يَا هَذَا إِن الْبُغَاة بأرضنا لَا تستنسر والتمييز عندنَا بَين الْفضة والقصة متيسر وَهَا أَنا إِن شَاءَ الله تَعَالَى أجاوبك على مَا كتبت حرفا حرفا وَأبين فَسَاده الَّذِي لَا يكَاد يخفى، وَمن أعظم مَا ظهر عَلَيْهِم من الْفَاسِد فصرفوا لذَلِك عَن التَّوْفِيق والرشاد إنكارهم مَا يدل على نبوة نَبينَا من المعجزات وواضح الدلالات وَقد قاربت الضرورات حَتَّى أَنْكَرُوا مَا جَاءَ فِي كتبهمْ من الْإِعْلَام على نبوته وَإِيجَاب إتباع شَرِيعَته فَلَقَد كانو يجدونه مَكْتُوبًا عِنْدهم ويعرفونه كَمَا يعْرفُونَ أَبْنَاءَهُم وسأذكر إِن شَاءَ الله تَعَالَى مَا وَقع فِي أَنَاجِيلهمْ من وَصفه وصحيح نَعته» [77].

في «الأقانيم أَسمَاء أَفعَال

فِي حِكَايَة كَلَام السَّائِل وَالْجَوَاب عَنهُ

قَالَ السَّائِل:

الْآن وَجب على أَن أَسأَلك فِي أَمر التَّثْلِيث عَن خلق الله لجَمِيع مَا خلق إِن كَانَ خلقهمْ بقدرة وَعلم وَإِرَادَة أم خلقهمْ بِغَيْر هَذَا فَإِذا اضطرتك الْمَسْأَلَة إِلَى القَوْل بهَا فإنى أَسأَلك إِن كَانَت أَسمَاء لذاته أَو أَسمَاء لأفعاله فَإِن قلت هِيَ أَسمَاء لذاته فقد نقضت وجعلتها أَسمَاء للذات وَوَقعت فِيمَا أنْكرت من الْجِسْم وَإِن قلت من أَسمَاء أَفعاله الَّتِي مِنْهَا سمى قَادر عَالم مُرِيد فَهُوَ التَّثْلِيث الَّذِي أمرنَا بِهِ.

الْجَواب عَنهُ:

سَأَلت يَا هَذَا الْمِقْدَام بعد إعجام واستبهام هَل خلق الله تَعَالَى الْخلق بقدرة وَعلم وَإِرَادَة أم بغيرهم وَهَذَا السُّؤَال كَانَ يَنْبَغِي لَك أَلا تسْأَل عَنهُ حَتَّى تفرغ من معرفَة الْمَرَاتِب الَّتِي قبله وَذَلِكَ أَنَّك لَا تصل إِلَى مَا سَأَلت عَنهُ حَتَّى تعرف معنى الْخلق وَهل الْعَالم مَخْلُوق وَإِن كَانَ مخلوقا فَهَل يحْتَاج إِلَى خَالق أم لَا فَإِذا بلغت إِلَى هُنَا وَقطعت هَذِه المفاوز الَّتِي لَا تقطع بالمنى وَلَا يتَخَلَّص مِنْهَا بالهويني وَلَا يكْتَفي فِي تَحْصِيل الْعلم بذلك بالتقليد بل بِالنّظرِ الشَّديد والبرهان العتيد» [78].

---

[77] المصدر السابق، ص44.

[78] المصدر نفسه، ص57.

و أورد القرطبي النصوص من أناجيلهم المثبتة لنبوة خاتم النبيين محمد ﷺ قال «وَفِي الصُّحُف المنسوبة للإثنى عشر نَبيا:

أَن الله سيتجلى من الْقبْلَة وَتظهر كلمة الْقُدس من جبال فاران ظهورا أبديا ويحمد الله على ذَلِك فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض وَكلمَة أَحْمد تملأ الأَرْض.

وَفِي صحف حزقيال النَّبِي الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ يَقُول عَن الله بعد مَا ذكر معاصي بني إِسْرَائِيل وشبههم بكرمة غذاها وَقَالَ لم تلبث تِلْكَ الكرمة أَن قلعت بالسخطة وَرمى بهَا على الأَرْض وأحرقت السمائم حرهَا فَعِنْدَ ذَلِك غرس غرس فِي البدو وَفِي الأَرْض الْمُهْملَة العطشى وَخرجت من أَغْصَانهَا الفاضلة نَار أَكلت تِلْكَ حَتَّى لم يُوجد فِيهَا عصن قوي وَلَا قضيب

اعْتبر أَيهَا الْعَاقِل هَذَا الْمثل على جِهَة الْإِنْصَاف يجانبك الْخَطَأ والزلل فَإِن الكرمة مثل لدين الْمَسِيح ورسالته وَذَلِكَ أَن مقَامه كَانَ فِي قومه زَمَانا يَسِيرا وَرَفعه الله عَن أَتبَاع يسيرين أحد عشر على مَا زَعَمُوا ثمَّ أتباعهم على شرعهم الْمُسْتَقيم يَسِيرُونَ

ثمَّ بعد ذَلِك بِنَحْوِ الْأَرْبَعين سنة إعتراهم التبديل الْكثير والتغيير الْعَظِيم حَتَّى أحرقت ديار الْكفْر تِلْكَ الكرمة فَلَمَّا لم يبْق مِنْهُم إِلَّا بقايا قَلِيل عَددهمْ وخفى موضعهم بعث الله نبيه فِي أَرض البدو الَّتِي هِيَ أَرض إِسْمَاعِيل ومنشأه وَوَصفه لَهَا بالعطشى تَصْرِيح بوصفها فَإِنَّهُ صحراء وَكَونهَا مُهْملَة إِنَّمَا هُوَ من النُّبُوَّة فَإِنَّهُ لم يكن بهَا نَبِي من عهد إِسْمَاعِيل إِلَى عهد مُحَمَّد ﷺ ثمَّ أَنه شبه مَا نصر بِهِ النَّبِي عَلَيْهِ وَالسَّلَام من الْحَرْب والرعب بالنَّار الَّتِي تَأْتِي على كل شَيْء فَكَذَلِك دين نَبينَا مُحَمَّد ﷺ أظهره الله بِالْحجَّةِ وَالسيف على الدّين كُله وَلَو كره الْمُشْركُونَ» [79] وقد سار في الجزء الأخير من الكتاب يُدلل على نبوة محمد ﷺ من أناجيلهم وذكر مسائل كثيرة متعلقة ببعثته ومعجزاته ﷺ.

[79] المصدر السابق، ص276

الكتب غير المطبوعة:

– قمع الحرص بالزهد والقناعة، وردِّ ذُلِّ السؤال بالكتب والشفاعة.

وهو كتاب غير مطبوع ويوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم (21174 ب) أولها بعد الديباجة:" هذه مسألة منقولة من كتاب " قمع[80] الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة".

وقد قال ابن فرحون عن هذا الكتاب:" لم أقف على تأليف أحسن عنه في بابه".

« (ولقد ذكر "كارل بروكلمان أنه يوجد من هذا الكتاب نسخة خطية" ببرلين" تحت رقم 8787 ونسخة بمكتبة(الفاتح) باستطبول برقم 6737) »[81].

- التذكار في أفضل الأذكار:

وهو كتاب مطبوع ومشهور، يقول في مقدمته:« فرأيت أن أكتب في ذلك كتابا وجيزا يحتوي على فضل القرآن وقارئه ومستمعه والعامل به وحرمته وحرمة القرآن وكيفية تلاوته والبكاء عنده...وكان المقصد الأول تخريج أربعين حديثا عن النبي ﷺ...قلت: ولكنه من أجلها بادر طلاب الخير الراغبين في اكتساب الأجر إلى تخريجها فرأيت من سبق من أئمتنا العلماء والسادة الفضلاء رضوان الله عليهم قد خرجوا من ذلك كثيرا في العبادات وفضل الجهاد، فاستخرت الله سبحانه في ذلك وسألته التيسير على ذلك فيسر لي تخريج أربعين بابا في فضل كتابه العزيز وقارئه ومستمعه والعامل به وسميته كتاب التذكار في أفضل الأذكار»[82].

---

[80] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 287.

[81] الفرت يوسف عبد الرحمن، القرطبي المفسر، ص 88.

[82] القرطبي، التذكار فى أفضل الأذكار، نقلا عن: القصبي (محمود زلط).

- **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى:**

ذكره المقري قال: « وله الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» [83]، وقد أحال عليه القرطبي في تفسيره قال: « وقد بيناها في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» [84]، وقال في التذكار:

« وقد زدنا بيانا في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» [85].

- **شرح التقصي:**

ومنه نسخة بمكتبة القرويين بفاس [86] تحت رقم 523 وهو أرجوزة [87] جمع فيها أسماء النبي ﷺ " وذكر بروكلمان للقرطبي عدة مؤلفات أخرى: ومنها رسالة في ألقاب الحديث وبين أنها توجد بمكتبة الجزائر" برقم 377"[88].

قال ابن فرحون: « وله تآليف وتعاليق مفيدة غير هذه» [89].

- **المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس:**

ذكره القرطبي رحمه الله في تفسيره للآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ (البقرة: 3).

---

[83] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 211، وابن فرحون، الديباج، ج2، ص 287.
[84] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص 238.
[85] القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، ص 15.
[86] الفرت عبد الرحمن، القرطبي المفسر، ص90.
[87] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 287.
[88] الفرت، المرجع السابق، ص90.
[89] في الديباج المذهب، ص288.

ذكره في المسألة السابقة شرح قال: « وقد بيناه في كتاب المقتبس» [90] وذكره عند تفسيره للآية: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ (البقرة: 203).

ذكره في المسألة الثامنة من تفسيرها، قال:" وقد ذكرناه في«المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس» [91]- اللمع اللؤلئية في شرح العشرينات النبوية.

وقد ذكره القرطبي عند تفسيره الآية: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ (الإسراء: 44).

قال القرطبي: « وقد آتينا على جملة منها في اللمع اللؤلئية في شرح العشرينات النبوية للفارابي رحمه الله» [92].

- منهج العباد ومحجة السالكين الزهاد:

ذكره عند تفسير« قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ (ص: 44)، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من كتاب" منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد» [93].

---

[90] الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص 267.
[91] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 374.
[92] الجامع لأحكام القرآن، ج 13، ص 91.
[93] الجامع لأحكام القرآن،ج18، ص 222.

لقد ذكرت في التراجم أن القرطبي: « أوقاته معمورة ما بين توجه وعباده وتصنيف. وله تآليف وتعاليق مفيدة غير هذه» [94]، أن هذه المؤلفات لتنم عن غزارة علم وفطنة وقارة وحفظ واسع وولوع كبير بالتأليف خدمة لهذا الدين وعملا صالحا مستقبلا يتركه بعد موته. فإنه يستفتح كتبه بأنه يريد رضا الله من خلال ما يكتب« فإني رأيت أن أكتب كتابا وجيزا تذكرة لنفسي وعملا صالحا بعد موتي» [95].

وقال:« وعملته تذكرة لنفسي وذخيرة ليوم رمسي وعملا صالحا بعد موتي» [96].

قال الله تعالى:﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة: 13)، وقال رسول الله ﷺ: « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [97].

لقد أراد القرطبي أن لا ينقطع عمله ولذلك كان يسابق الزمن لكي يؤلف ما ينفع هذه الأمة.

- وفاتـــه:

توفي رحمه الله بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى بمصر ليلة الإثنين التاسع من شوال سنة إحدى وسبعين وست مئة ودفن بها.

---

[94] ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص 288.

[95] القرطبي، التذكرة، ص 3.

[96] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص8.

[97] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، (1421 هـ - 2001 م) رقم 8844، ج 14، ص 638. و أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت 255هـ)، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، تح: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر (بيروت)، ط1، (1434هـ - 2013م)، ص199 رقم595. و محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ)، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1418 هـ - 1997 م، ص 45، رقم29/38.

المبحث الثاني: تفـسيـــره

المطلب الأول: عنوان التفسير وسبب التأليف

-عنوان التفسير

«الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآيِ الفرقان، إن التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والصرف. وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من العلوم، والتفسير هو أعظم العلوم وأجلها قاطبة، وذلك لأن الله ﷻ أنزل القرآن ليكون منهج حياة» [98].

ولذلك تسابق العلماء والعارفون في مجال تفسيره كل على قدر علمه وفنه واختصاصه.

– سبب تأليفه:

قال القرطبي:« فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض. ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض رأيت أن اشتغل به مدى عمري واستفرغ فيه منتي، بأن أكتب تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير واللغات والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيها ومبينا ما أشكل منها بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف» [99].

وقد حوى تفسيره علوما كثيرة فهو موسوعة علمية متنوعة. من فقه وعقيدة ولغات ونحو وصرف وقراءات، وتاريخ زيادة على علمه الغزير في مجال الحديث النبوي الشريف فهو لا يذكر

---

[98] القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر-ت 671)، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م،ج1، ص5 .

[99] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 7.

الحديث إلا وقد علم درجة صحته وطريق سنده ومكان تواجده، وقد تساءل كثير من الذين ترجموا للإمام كيف لا يكون له تلاميذ؟ والحقيقة أن الهدف الذي ذكره الإمام كفيل بأن يجيب عن السؤال.

انقطع الإمام عن الناس وفرغ وقته لعمل هذا التفسير الضخم قال القرطبي: « رأيت أن أشتغل به مدى عمري واستفرغ فيه منتي... وعملته تذكرة لنفسي وذخيرة ليوم ومسي وعملا صالحا بعد موتي»[100] فمن هذا النص نلحظ أن الرجل قد انقطع انقطاعا تاما لتأليف هذا الكتاب الضخم الغني الزاخر بالعلوم والمعارف.

« وقد مدح هذا التفسير غير واحد من العلماء الثقات وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها»[101]، قال ابن فرحون:« وفي تاريخ الكتبي في حقه ما نصه، كان شيخا فاضلا وله تصنيف مفيدة اطلاعه ووفور علمه منها" تفسير القرآن" مليح إلى الغاية... فإن الذهبي قال في تاريخ الإسلام... له تصنيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله... وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان» [102].

وقال الصفدي: « وقد سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسير عظيم في بابه» [103].

وقال السيوطي: « محمد بن أحمد... مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان» [104].

قال الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون:« وعلى الجملة فإن القرطبي رحمه الله في تفسير هذا حر في بحثه- نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله ملم بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه وتكلم فيه» [105].

---

[100] الجامع لأحكام القرآن،ج1، ص 8.
[101] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 317.
[102] المقري، نفح الطيب، ص 211.
[103] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 2، ص 87.
[104] السيوطي، طبقات المفسرين، ص 92.
[105] الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص 464.

«وواضح ابن خلدون في مقدمته أن تفسير القرطبي له شهرة عريضة بالشرق[106]، وإذا كان تفسير القرطبي له تلك المكانة والشهرة فلا عجب أن يتأثر المفسرون الذين جاءوا بعده، فينتفعوا به ويفيدوا منه. ومن أشهر هؤلاء الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير المتوفي سنة 774هـ»[107].

«ومن المفسرين الذين تأثروا بالقرطبي: الشوكاني: وهو القاضي العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت 1350هـ قلقة أفاد منه ونقل عنه»[108].

فكتاب هذا شأنه وهذه قيمته حري بأن تتناوله أقلام الباحثين والمحققين، ولا سيما أنه من أهم التفاسير فلا تكاد تخلو منه مكتبة عالم أو متعلم.

المطلب الثاني: منهج القرطبي في التفسير

لقد بين القرطبي في أول تفسيره المنهج الذي رسمه والطريقة التي اتبعها وقد جعل لمصنفه شرطا وهدفا واضحين.

قال القرطبي: « فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي انتقل بالسنة والفرض ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض رأيت أن اشتغل به مدى عمري واستفرغ فيه منتي، بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير واللغات والإعراب والقراءات. والرد على أهل الزيغ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيها ومبينا ما أشكل منها بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف. وعملته تذكرة لنفسي وذخيرة ليوم رمسي وعملا صالحا بعد موتي، وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها، فإن يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله. وكثيرا ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهما لا يعرف من أخرجه إلا من أطّلع على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرا لا يعرف

---

[106] ابن خلدون، المقدمة، ص ر.

[107] القصبي (محمود زلط)، القرطبي ومنهجه في التفسير، ص 418.

[108] المرجع نفسه، ص 423.

الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام والثقات المشاهير من علماء الإسلام، ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب، واضرب في كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لابد منه، ولا غنى عنه للتبين، واعتضت من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد، مسائل يتبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل... هكذا إلى آخر الكتاب» [109].

استفتح المؤلف كتابه بمقدمة طويلة النفس ذكر فيها، جملة من المواضيع المتغلغلة بعلوم القرآن:

فضائل القرآن وكيفية تلاوته وما يلزم. قارئ القرآن ومن له الحق في التفسير، وذكر الأحرف السبعة.

وتحدث عن هيأة القرآن من ترتيب سوره وآياته ونقطه وشكله و وتحزيبه وإعجازه ثم تحدث عن الاستعاذة والبسملة.

ولتفسير سورة الفاتحة جعل لذلك أربعة أبواب وهي:

الباب الأول :في فضائلها وأسمائها وفيه سبع مسائل.

الباب الثاني : في نزولها وأحكامها، وفيه عشرون مسألة .

الباب الثالث: في التأمين وفيه ثماني مسائل.

الباب الرابع: فيما تضمنه الفاتحة من المعاني والقراءات والإعراب.وفضل الحامدين، وفيه ست وثلاثون مسألة .

[109] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 9.

وقد اتبع هذه الطريقة في كامل تفسيره فهو يجعل لتفسير السورة منهجا منظما يكاد يتفق له في كل القرآن الكريم. إذ يفسر السورة آية آية، ويجعل لكل آية مسائلها التي سيتحدث فيها والغالب على هذه المسائل.

- ذكر فضل السورة

- ذكر سبب النزول

- تفسير الآية بما ورد فيها من آثار.

- ذكر ما يتعلق بألفاظ الآية من معنى واشتقاق وتصريف وإعلال وإعراب مع إيراد أقوال أئمة اللغة مستشهدا على ذلك بأشعار العرب وأقوالهم.

- ذكر الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية مع إيراد اختلافات الأئمة وذكر أدلتهم.

- ذكر وجوه القراءات المتواترة منها وغيرها يستطرد أحيانا ويخرج إلى ما لا صلة له بالتفسير [110].

وقد تقيد بشرطه الذي وضعه فلم يخرج عليه فالإمام ينسب الأقوال إلى أصحابهاويذكر مضان الأقوال . وقد اعتمد في تفسيره هذا على الحديث الشريف فسرد في هذا السفر ما يزيد على 6500 حديث، وهذا عدد غير يسير وهو يتكلم عن الحديث بالضعف تارة من قبل نفسه وتارة عن غيره وقد سكت عن أحاديث كثيرة واهية ،أما الإسرائيليات فإنه لم يكثر الإمام من ذكر الإسرائيليات وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه [111].

وإن الملاحظة البارزة في تناوله للسورة آيةآية هي؛ تلك الهمة العالية التي يلج بها دراسته فكأنه الآن فقط سيبدأ، فهو يشحذ كل طاقاته ليظهر في الآية كل ما أعد لها بأسلوبه الفذ الرصين.

---

[110] الجامع لأحكام القرآن، مقدمة، تح: طبعة دار الكتاب العربي، ج1، ص 13- 14 .

[111] الجامع لأحكام القرآن، مقدمة، ج1، ص 7.

المطلب الثالث: تدريسه وحفظه

لقد أقبل العلماء على قراءة التفسير وتدريسه وأن له أثرا ملموسا في التفاسير التي بعده، مثل: "تفسير ابن كثير" و " تفسير الشوكاني" " تفسير الألوسي" و " تفسير أبي السعود" وغيرها ولم يقتصر الأمر على قراءته بل تعداه إلى تدريسه وراويته فنجد مثلا في ترجمة العلامة شهاب الدين أحمد بن يونس العيساوي(ت 1025هـ) أنه كان يروي هذا التفسير بإسناده إلى مصنفه وكان يدرسه، ويجيز صبيته به بل نجد في ترجمة الجيلالي السباعي[112] أنه قرأ" تفسير القرطبي، في صغره حفظا" [113].

المطلب الرابع: مصادره

من أسباب غناء هذا التفسير كثرة موارده التي استقى منها المصنف تفسيره، منها ما هو متداول، ومنها ما هو غير معروف، وهذا يدل على سعة إطلاعه، وتبحره في العلم، وإمامته في هذا الفن، وإن كل من يطالع هذا التفسير ليدرك ذلك.

وقد أكثر المصنف رحمه الله من النقل من تلك الموارد في جميع المسائل المتعلقة بتفسيره، غير أنه كان أكثر اعتمادا على بعض المصادر دون بعض:

فمن أهم هذه المصادر:

---

[112] الجيلالي السباعي هو الجيلالي بن أحمد بن المختار السباعي المغربي ثم المدني، ذكر صاحب " إتحاف الخل المواطي في مناقب السكياطي " شيخنا الحافظ الحجة، حافظ حديث النبي ﷺ وكوكب سمائه " قال الأوبري في كتابه المذكور: " له من الحفظ ما تحار فيه الأفكار ويلتبس بشبهة الأنكار، يحكى عته أنه قال: ما ألقته ولو مرة أذني أو عيني في مخيلتي ارتسم نحو الستة أشهر في حفيظتي. وقد حدثني القيم على سيدنا عبد الله بن عباس في الطائف قال: خرج معنا مرة عشية فسردنا عليه نحواً من ثلاثة كراريس في الحديث جمعها بعض العلماء في تحريم لبس الحرير، ثم خرجنا من الغد فسردها علينا كلها من حفظه بمجرد سماعه، قال: وكان يقرأ التفسير بين العشاءين بالمسجد النبوي، فقضينا العجب من حفظه، وكان تفسير القرطبي قرأه في صغره حفظاً. مات رحمه الله بقرية يقال لها أحكاز بالقطر المصري عام 1213(فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت 1382هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط2، 1982، ج1، ص297.

[113] محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت 1382هـ) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط2، 1982، ج1، ص297.

-المحرر الوجيز، وهو تفسير ابن عطية [114] (541هـ).

-الحاوي، وهو تفسير الماوردي [115] (450 هـ).

-تفسير أبي الليث السمرقندي [116] (345هـ).

-الوسيط، وهو تفسير الواحدي [117] (467هـ)، وأسباب النزول له أيضا.

-معاني القرآن، وإعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس[118](338هـ).

-التمهيد، والاستذكار، والكافي، والدرر في اختصار السير وغيرها، لأبي عمر ابن عبد البر[119](462هـ).

---

(114) ابن عطية عَبْد الحَقّ بن أَبِي بَكْرٍ أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ غَالِب بن عَطِيَّةَ المُحَارِبِيُّ *الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ المفسِّرِيْنَ .حَدَّثَ عَنْ: أَبِيْهِ، وَعَنِ الحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ الغَسَّانِيِّ، وَعِدَّة. وَكَانَ إِمَاماً فِي الفِقْه، وَفِي التَّفْسِيْر، وَفِي العَرَبِيَّة، قوِيَّ المشَارَكَة، توفِي سَنَة إِحْدَى وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م، ج19،ص588.

(115) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي؛ أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ببغداد، وله كتاب " الحاوي ".وله من التصانيف أخرى " تفسير القرآن الكريم " و " الأحكام السلطانية " وغير ذلك، وتوفى سنة خمسين وأربعمائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3،ص284.

(116) أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ السَّمَرْقَنْدِيُّ الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، المُحَدِّثُ، الزَّاهِدُ، أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ السَّمَرْقَنْدِيُّ الحَنَفِيُّ، صَاحبُ كِتَابِ (تنبيهِ الغَافلِينَ)، وَلَهُ كِتَابُ (الفتَاوَى) . يَرْوِي عَنْ: مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ بنِ أُنيفَ البُخَارِيِّ وَجَمَاعَةٍ. وَتَرُوجُ عَلَيْهِ الأَحَادِيثُ الموضُوعَةُ. رَوَى عَنْهُ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ.

وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص323.

(117) الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي المتوي صاحب التفاسير المشهورة؛ كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، تصانيفه منها " البسيط " في تفسير القرآن الكريم، وكذلك " الوسيط "وغيرها وكان تلميذ الثعلبي صاحب التفسير - وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه، وتوفي سنة ثمان وستين وأربعمائة، ابن خلكان ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص305.

(118) النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء، وله تصانيف عديدة منها: تفسير القرآن الكريم وكتاب إعراب القرآن، وكتاب المعاني وغير ذلك، وروى عن أبي عبد الرحمن النسائي، وأخذ النحو عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي، وأبي إسحاق الزجاج، وابن الأنباري، ونفطويه، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص100.

(119) ابن عبد البرّ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي؛ إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، روى عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وغيرهم. وقال الباجي أيضاً: أبو عمر أحفظ أهل المغرب. وألف في " الموطأ " كتباً مفيدة. منها كتاب " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " شرح فيه الموطأ وغيرها كثير. وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة، ابن خلكان ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7، ص 68.

- أحكام القرآن، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس، لأبي بكر ابن العربي المالكي[120](542هـ).

- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة[121](211هـ) .

- ومجاز القرآن لأبي عبيدة[122] (210هـ).

- المفهم لأبي العباس القرطبي[123] (252هـ).

-المدونة الكبرى، الإمام مالك ابن أنس رواية سحنون[124] (240هـ)، والمعُونة على مذهب عالم المدينة الإمام مالك بن أنس، للقاضي عبد الوهاب البغدادي[125] (422هـ).

---

[120] ابن العربي الحافظ أبو بكر ابن العربي هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور؛ لقي أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده، وصحب بها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، قال: سنة ثمان وستين وأربعمائة. وتوفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. ابن خلكان ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص298.

[121] الأخفش الأوسط البصري سعيد بن مسعدة أبو الحسن، أحد أئمة النحاة من البصريين، أخذ عن سيبويه، وهو أعلم من أخذ عنه،، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه فإنه لم يقرأ الكتاب على سيبويه أحد، ولم يقرأه سيبويه على أحد، وإنما قرئ على الأخفش بعد موت سيبويه. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1414 هـ - 1993 م، ج3، ص1374.

[122] أبو عبيدة معمر بن المثنى، التيمي بالولاء، روى عنه أبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري، وغيرهم. له الكثير من التصانيف منها " مجاز القرآن الكريم " وكتاب غريب القرآن وكتاب معاني القرآن وكتاب غريب الحديث وغيره كثير.وكانت ولادته في رجب سنة عشر ومائة، توفي سنة مئتين وثمانية، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص240.

[123] أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري المالكي القرطبي المحدث، كان من كبار الأئمة، سمع بالمغرب من جماعة، واختصر «الصحيحين»، وصنف كتاب «المفهم في شرح مختصر مسلم»، بامخرمة أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي ، الهجراني الحضرمي الشافعي (870 - 947 هـ)، **بامخرمة**، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط1، 1428 هـ- 2008 م، ج5،ص 245.

[124] العَلاَّمَةُ، أَبُو سَعِيْدٍ عَبْدُ السَّلاَمِ بنُ حَبِيْبِ بنِ حَسَّانَ بنِ هِلاَلِ بنِ عَبْدِ اللهِ التَّنُوْخِيُّ، ا المَالِكِيُّ، قَاضِي القَيْرَوَانِ، وَصَاحِبُ المُدَوَّنَةِ، وَيُلَقَّبُ: بِسَحْنُوْنَ، ارْتَحَلَ وَحَجَّ.وَسَمِعَ مِنْ: سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيْعِ بنِ الجَرَّاحِ، وَطَائِفَةٍ. لاَزَمَ: ابْنَ وَهْبٍ، وَابْنَ القَاسِمِ، حَتَّى صَارَ مِنْ نُظَرَائِهِم. وَسَادَ أَهْلَ المَغْرِبِ فِي تَحْرِيْرِ المَذْهَبِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ العِلْمِ. قال يُوْنُسَ بنِ عَبْدِ الأَعْلَى: سَحْنُوْنُ سَيِّدُ أَهْلِ المَغْرِبِ . تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَلَهُ ثَمَانُوْنَ سَنَةً، سير أعلام النبلاء، ج12، ص 69.

[125] القاضي عبد الوهاب المالكي هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي، كان فقيهاً أديباً شاعراً، صنف في مذهبه كتاب " التلقين " وله كتاب " المعونة " و " شرح الرسالة " وغير ذلك عدة تصانيف. سمع أبا عبد الله بن العسكري وعمر بن محمد بن سبنك وغيرهم وكان ثقة، ولم يلق من المالكيين أحداً أفقه منه ولده سنة اثنتين وستين وثلثمائة. وتوفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بمصر، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص222.

- والمنتقى لأبي الوليد الباجي [126] (494هـ).

- وعقد الجواهر الثمينة لابن شاس[127] (616هـ).

- والأوسط من السسن والاجماع والاختلاف، والإشراف على مذاهب العلماء لابي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري [128] (319هـ).

- والبرهان للجويني [129] (478هـ).

-وكتب لابن خويز منداد [130] (نحو 309هـ).

-كتب لأبي بكر الأنباري[131] (328هـ).

---

[126] أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث القاضي، الفقيه المتكلم المحدث المفسر الأديب الشاعر. ولد أبو الوليد سنة ثلاث وأربعمائة، وأخذ عن محمد بن إسماعيل وأبي محمد مكي بن حموش وأبي شاكر وغيرهم، لازم الحافظ أبي ذر المحدث يخدمه ويسمع منه، وسمع منه خلق كثير منهم: الجياني، والمعافري وغيرهم،وله مصنفات منها: الاستيفاء شرح الموطأ، وتفسير القرآن، والمهذب في اختصار المدونة. وغير ذلك. مات بالمرية سنة أربع وتسعين وأربعمائة، معجم الأدباء و إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج3، ص 1388.

[127] ابن شاس أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن الجذامي السعدي الفقيه المالكي ؛ كان فقيهاً فاضلاً في مذهبه عارفاً بقواعده، صنف في الإمام مالك رضي الله عنه وسماه الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة. توفي سنة ست عشرة وستمائة، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص 61.

[128] النَّيْسَابُوْرِيُّ ابْنُ الْمُنْذِرِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الإِمَامُ، الحَافِظُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ كَ (الإِشْرَافِ فِي اخْتِلاَفِ العُلَمَاءِ)، و(الإِجْمَاعِ)، وَ (المَبْسُوْطِ)، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وُلِدَ: فِي حُدُوْدِ مَوتِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ. وَرَوَى عَنِ: الرَّبِيْعِ بنِ سُلَيْمَانَ، وَمُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الحَكَمِ، وَخَلْقٍ كَثِيْرٍ حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو بَكْرٍ بنُ المُقْرِئِ، وَمُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى بنِ عَمَّارٍ مَاتَ بِمَكَّةَ، سَنَةَ تِسْعٍ - أَوْ عَشْرٍ - وَثَلاَثِ مائَةٍ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 491.

[129] الجويني عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن حيويه، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين؛ أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق،، وتفقه في صباه على والده أبي محمد، صنف في كل فن: منها كتاب " نهاية المطلب في دراية المذهب " ومن تصانيفه " الشامل " في أصول الدين، و "البرهان والإرشاد ""وغير ذلك من الكتب. ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة، ومات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص169.

[130] أبو بكر بن خُويز منداد ويقال خوين. تفقه بالأبهري وسمح الحديث. يروي عن أبي داسة، وأبي الحسن التمار وأبي العباس الأصم. وله كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه، وفي أحكام القرآن، توفي سنة 390.(ترتيب المدارك وتقريب المسالك أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، تح: سعيد أحمد إعراب 1981-1983م، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ج7، ص77.

[131] أبو بكر محمد بن القاسم بشار الأنباري النحوي، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة؛ وكان زاهداً متواضعاً. أخذ عن أبي العباس ثعلب. وكان ثقة صدوقاً، من أهل السنة. وألف كتباً كثيرة؛ منها الوقف والابتداء، وكتاب المشكل وغريب الحديث، وكتاب الزاهر، وكتاب الكافي في النحو، وغير ذلك من المؤلفات. ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة. الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 197.

-ولأبي بكر ابو الطيب الباقلاني [132] (403هـ).

-مشكل إعراب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات، والإيضاح في الوقف والابتداء لمكي بن أبي طالب [133] (437هـ).

-المحتسب لابن جني [134] (392هـ).

-جامع البيان، والتيسير، والمقنع لأبي عمرو الداني[135](444هـ).

-غريب القرآن لابن قتيبة[136] (276هـ).

وغريب الحديث والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام[137](224هـ)، ومعالم السنن، وغريب الحديث.

---

[132] الباقلاني القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، البصري؛ وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره وسمع الحديث؛ وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة، وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، رحمه الله تعالى. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 4، ص 270.

[133] أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي، كان نحوياً فاضلاً، عالماً بوجوه القراءات، وله فيها كتب كثيرة، منها كتاب إعراب مشكل القرآن، وكتاب التبصرة في القراءات السبع، وكتاب البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة، توفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة. الأنباري،نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص255.

[134] ابن جني هو ابُو الْفَتْح عُثْمَان بن جنّي صَاحب أبي عَليّ الفارسيّ، قَرَأَ عَلَيْهِ " الْكتاب"، وَغَيره. وَله مصنفات؛ مِنْهَا "سر صناعَة الْإِعْراب" "الْمحتسب"، وَكتاب "الخصائص". وَمن كتبه الصِّغار: " اللُّمَع "، و" التَّصْرِيف الْمُلُوكِيّ "..توفّي سنة اثْنَتَيْنِ وَتِسْعين وثلاثمائة. (تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت 442هـ) تح: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط2، 1412هـ - 1992م، ص25.

[135] أبي عمرو الداني هو الإمام أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي مولاهم القرطبي الإمَامُ، الحَافِظُ، المُجَوِّدُ، المُقْرِئُ، الحَاذِقُ، عَالِمُ الأَنْدَلُسِ، أحد الأئمة الأعلام، ومصنف التفسير وغيره من الكتب المفيدة في القراءات وغيرها..قرأ بالروايات على أبي الحسن طاهر ابن غلبون، وفارس بن أحمد، وخلف بن خاقان.

وسمع الحديث من أبي مسلم الكاتب، وأبي الحسن القابسي وغيرهما، وأخذ عنه سليمان بن نجاح في آخرين، وروى عنه يحيى بن سليمان العنبري، وخلف الطليطلي وغيرهما. توفي سنة أربع وأربعين وأربع مائة، بالمخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج3، ص398.

[136] ابن قتيبة أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،أخذ عن أبي حاتم السجستاني وغيره، وأخذ عنه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه وغيره. وكان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر؛ متفنناً في العلوم. وله المصنفات: غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، إلى غير ذلك . توفي سنة سبعين ومائتين. ن الأنباري،نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص160.

[137] أَبُو عبيد القاسم بْن سلام، كان صاحب نحو وعربية، طلب الحديث والفقه، قدم بغداد، فسمع الناس منه غريب الحديث، وصنف كتبا واستفيد منه علم كثير، وحج وتوفي بمكة سنة ثلاث وعشرين ومائتين، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002 م، ج14، ص392.

وإعلام الحديث للخطابي[138](388هـ).-الصحاح للجوهري[139] (393هـ)، ومجمل اللغة لابن فارس[140] (395هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري[141] (370هـ).

-الكتب التسعة في الحديث، ومصنف أبي بكر ابن أبي شيبة [142] (235هـ)، ومسند البزار[143](292هـ).

-الأحكام الصغرى لأبي محمد عبد الحق الاشبيلي[144] (582هـ).

---

[138] أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي أبو سليمان: من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، مات الخطابي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وولده سنة تسع عشرة وثلاثمائة. قال السمعاني: كان الخطابي حجّة صدوقا، أخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي وأبي علي ابن أبي هريرة. ومن تصانيفه: كتاب معالم السنن في شرح كتاب السنن لابي داود. كتاب غريب الحديث ومن شيوخ الخطابي في الأدب وغيره إسماعيل الصفار وأبو عمر الزاهد وأبو العباس الأصم، وروى عنه خلق منهم عبد بن أحمد بن عفير الهروي وأبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسي البستي، وقد حدث عنه أبو عبيد الهروي في «كتاب الغريبين» . (معجم الأدباء و إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج2، ص486/487.

[139] الجوهري إسماعيل بن حماد التركي أبو نصر الجوهري اللغويّ، أحد أئمة اللغة.. أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور وقيل: كان في جودة الخط في طبقة ابن مقلة.، توفي في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة. ، **بامخرمة**، (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج3، ص 280.

[140] ابن فارس اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي اللغوي. كان إماما اللغة؛ فإنه أتقنها، وألف كتاب «المجمل» فيها، وله كتاب «حلية الفقهاء»، ورسائل أنيقة.. توفي سنة تسعين وثلاث مائة، كذا في «تاريخ اليافعي»، وذكر الذهبي أنه توفي سنة خمس وتسعين . **بامخرمة** قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج3، ص 273.

[141] الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري، أخذ عن المنذري، وروى عنه المبرد، وأخذ عنه أبو عبيد الهروي صاحب الغريبين. وكان أبو عبيد أديباً فاضلاً، وصنف الكتاب المشهور في اللغة، وهو كتاب تهذيب اللغة، وهو أكبر كتاب صنف في اللغة وأحسنه، وكتاباً في تفسير ألفاظ المزني؛ إلى غير ذلك. الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 238.

[142] ابْنِ القَاضِي أَبِي شَيْبَةَ إِبْرَاهِيمَ بنِ عُثْمَانَ بنِ خُوَاسْتَى، الإِمَامُ، العَلَمُ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ، و له تصانيف: (المُسْنَدِ)، وَ (المُصَنَّفِ)، وَ (التَّفْسِيْرِ)، طَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ صَبِيٌّ، وَأَكْبَرُ شَيْخٍ لَهُ هُوَ شَرِيكُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَاضِي. سَمِعَ مِنْهُ، وَمِن: أَبِي الأَحْوَصِ سَلاَّمِ بنِ سُلَيْمٍ، وَيَحْيَى القَطَّانِ،وَخَلْقٍ كَثِيْرٍ بِالعِرَاقِ وَالحِجَازِ.. حَدَّثَ عَنْهُ: الشَّيْخَانِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: أَبُو بَكْرٍ صَدُوْقٌ، . مَاتَ أ سَنَةَ خَمْسِيْنَ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَتَيْنِ. الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج11،ص 127.

[143] البَزَّارُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَمْرٍو البَصْرِيُّ الشَّيْخُ، الإِمَامُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، صَاحِبُ (المُسْنَدِ) الكَبِيْرِ.وُلِدَ: سَنَةَ نَيف عَشْرَة ومائَتَيْنِ. وَسَمِعَ: هُدْبَة بن خَالِدٍ، وَعَبْد الأَعْلَى بن حَمَّادٍ، وَعَبْد اللهِ بن مُعَاوِيَةَ الجُمَحِيّ، وَخلقاً كَثِيْراً.حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُ قَانع، وَابْنُ نُجيع، وَأَبُو بَكْرٍ الخُتُّلِيّ، وَأَبُو القَاسِمِ الطَّبَرَانِيّ، و وَخَلْقٌ سِوَاهُم. مَاتَ: فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج13، ص558.

[144] عَبْدُ الحَقِّ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَزْدِيُّ الإِمَامُ، الحَافِظُ، المُجَوِّدُ وُلِد سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مائَةٍ. حَدَّثَ عَنْ: أَبِي الحَسَنِ شُرَيْحِ بن مُحَمَّدٍ، وَأَبِي الحَكَم بن بَرَّجَانَ، وَطَائِفَة.وَصَنَّفَ التَّصَانِيْفَ، و (أَحكَامه الصُّغْرَى)، وَ (الوسطَى)و (أَحكَام كُبْرَى).وَقَالَ الأَبَّار: وَلَهُ فِي اللُّغَة كِتَاب حَافل ضَاهَى بِهِ كِتَاب (الغريبين) لأَبِي عُبَيْدٍ الهَرَوِيّ، وَتُوُفِّيَ بِبجَايَة، سَنَة إِحْدَى وَثَمَانِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ. رَوَى عَنْهُ: خَطِيْب بَيْت المَقْدِسِ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ المَعَافِرِيُّ، وَآخَرُوْنَ. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج21، ص202.

-السير والمغازي لابن إسحاق[145](151هـ)، والمغازي للواقدي [146] (207هـ).

-الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري[147] (425هـ).

-نوادر الأصول للحكيم الترمذي[148](نحو 32هـ).

وعرائس المجالس لأبي إسحاق الثعلبي[149] (427هـ). -الأسماء والصفات للبيهقي[150] (458هـ)، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي[151] (403هـ)، والإرشاد للجويني (478هـ)، واشتقاق أسماء

---

(145) ابْنُ إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ يَسَارِ بنِ خِيَارٍ الأَخْبَارِيُّ العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ ، صَاحِبُ (السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ) وُلِدَ ابْنُ إِسْحَاقَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ. وَحَدَّثَ عَنْ: أَبِيْهِ، وَعَمِّهِ؛ مُوْسَى بنِ يَسَارٍ.. وَفَاطِمَةَ بِنْتِ المُنْذِرِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَشُعْبَةَ، وَطَائِفَةٍ.وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ العِلْمَ بِالمَدِيْنَةِ، حَدَّثَ عَنْهُ: يَزِيْدُ بنُ أَبِي حَبِيْبٍ - شَيْخُهُ - وَيَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ الأَنْصَارِيُّ وَشُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ،وَ سِوَاهُم. .قَالَ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ ابْنِ إِسْحَاقَ: كَانَ ثِقَةً، حَسَنَ الحَدِيْثِ. مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج7، ص33 .

(146)الواقدي محمد بن عمر بن واقد المدني أحد أوعية العلم وصاحب التصانيف الكثيرة كتاب الاختلاف و كتاب غلط الحديث.و كتاب السنة والجماعة وغيرها كثير. سمع من مالك بن أنس والثوري وغيرهم، ولقي الواقدي ابن جريج وقال الحافظ الدراوردي: قال الواقدي أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة ثلاثين ومائة وتوفي سنة سبع ومائتين. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج6، ص2598.

(147)القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الفقيه الشافعي؛ كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب صنف التفسير الكبير سماه " التيسير في علم التفسير ".ولد في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلثمائة؛ وتوفي سنة خمس وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص 207.

(148) الترمذي أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر، الترمذي الفقيه الشافعي، حدث عن يحيى بن بكير المصري ويوسف بن عدي وكثير بن يحيى وغيرهم. وروى عنه أحمد بن كامل القاضي وعبد الباقي بن قانع وغيرهما. وكان ثقة من أهل العلم والفضل والزهد في الدنيا. وكان يقول: كتبت الحديث تسعا وعشرين سنة. ولد سنة مائتين، وتوفي سنة خمس وتسعين ومائتين. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص 196.

(149) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي المفسر، صاحب الكتاب المشهور بتفسير الثعلبي، وكتاب وجوه الإعراب والقراءات، وغير ذلك وهو صحيح النقل موثوق به. حدث عن أبي طاهر ابن خزيمة وأبي بكر ابن مهران المقرىء و. وهو كثير الحديث كثير الشيوخ،.مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج2،ص507.

(150) أبو بكر البيهقي هو أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي الحافظ الكبير. وهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، في عشر مجلدات، ومن مشهور مصنفاته السنن الكبير السنن الصغير وغير ذلك. وأخذ عنه الحديث زاهر الشحامي ومحمد الفراوي وعبد المنعم القشيري وغيرهم.ولد سنة اربع وثمانين وثلثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، بنيسابور. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص 77.

(151) الحَلِيْمِيُّ الحُسَيْنُ بنُ الحَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَلِيْمٍ القَاضِي، العَلاَّمَةُ، أَبُوعَبْدِ اللهِ الحُسَيْنُ بنُ الحَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَلِيْمٍ البُخَارِيُّ، الشَّافِعِيُّ. كَانَ مُتفنّناً،أَخَذَ عَنِ: الأُسْتَاذ أَبِي بَكْرٍ القَفَّال، وَالإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ الأُوْدَنِي .وَحَدَّثَ عَنْ: خَلَفِ بن مُحَمَّدٍ الخيَّام، وَأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بن أَحْمَدَ وَجَمَاعَة.وُلِدَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. وَلَهُ مُصَنَّفَات نَفِيْسَة.حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَاكِمِ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ، وَالحَافِظ أَبُو زَكَرِيَّا عَبْدُ الرَّحِيْمِ بنُ أَحْمَدَ البُخَارِيُّ، وَأَبُو سَعْدٍ الكَنْجَرُوْذِيّ، وَآخَرُوْنَ.تُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعِ مائَة. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 234.

الله الحسنى للزجاجي[152](340هـ).

المطلب الخامس: طرائق نقله من المصادر:

ذكر محققو الجامع في مقدماتهم أنه، كان رحمه الله ينسب الأقوال إلى أصحابها غالبا، ويترك ذلك في مواضع.وإن الدارس للجامع لابد أن يكون له نصيب من عمل التحقيق، فيلمس ذلك بنفسه عند العودة إلى المصادر التي اعتمدها القرطبي رحمه الله .

فقدكان نقله أحيانا بواسطة، فمثلا نقل بواسطة ابن عطية عن كل من الطبري، والمهدوي[153]، وأبو علي الفارسي[154]، ومكي بن إبي طالب، وابن جني[155].

ونقل بواسطة أبي جعفر النحاس عن سيبويه[156]، والأخفش، والفراء[157]، والزجاج[158].

---

[152] أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي، (ت: 337 هـ) جَاءَ إِلَى بَغْدَاد، وَقَرَأَ عَلَيْهِ، وَصَارَ إِلَى دمشق. وَله كتاب مُخْتَصر لقَّبه " الجُمل "، وَله تصنيفٌ، و " أمالٍ ". توفّي بطبرية، سنة أَرْبَعِينَ وثلاثمائة. وَقدقيل فِي ذِي الْحجَّة، فِي سنة تسع وَثَلَاثِينَ وثلاثمائة. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، ص37.

[153] المهدوي هو أحمد بن عمار بن أبي العباس الإمام أبو العباس التميمي التونسي ولد بالمهدية من بلاد القيروان.قرأ على أبي عبد الله محمد بن سفيان المقرئ وأخذ عن علماء الحرمين، وتلقى العلم ولا سيما روايات القراءة عن أساتذتها. وقال الذهبي: توفي بعد الثلاثين وأربعمائة . ألف كتبا كثيرة النفع منها:التفسير المشهور واسمه: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل ويعرف أيضا بتفسير المهدوي، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426 هـ، ج1، ص168.

[154] أبو علي الفارسي هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي؛ فإنه كان من أكابر أئمة النحويين؛ أخذ عن أبي بكر بن السراج، وأبي إسحاق الزجاج، وأخذ عنه أبي الفتح بن جني وعلي بن عيسى الربعي وأبي طالب العبدي وغيرهم.وصنف كتباً كثيرة منها كتاب الإيضاح في النحو، وكتاب الحجة في علل القرآن السبع، وتوفي سنة سبع وثلاثمائة، الأنباري،نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص233.

[155] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص137 و ص216-217 وص292 وص 233.

[156] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، قال حماد بن سلمة كان السبب في اشتغال سيبويه بالنحو وذلك أن سيبويه كان في أول أمره يطلب الحديث- فكان سيبويه يستملي على حماد فقال حماد: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علما ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء، فقال: لا جرم لأطلبنّ علما لا تلحنني فيه أبدا، فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد حتى بلغ منه ما بلغ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج 4، ص1738.

[157] أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء؛ أخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأخذ عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن عاصم السمري وغيرهما،وكان إماماً ثقة.،ويحكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، أنه قال: لولا الفراء لما كانت اللغة؛ لأنه خلصها وضبطها، مات في سنة سبع ومائتين، الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص59 -ص81.

[158] الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج؛ فإنه كان من أكابر أهل العربية.وصنف مصنفات كثيرة؛ منها كتاب المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، وكتاب فعلت وأفعلت، والرد على ثعلب في الفصيح؛ إلى غير ذلك. وكان صاحب اختيار علمي النحو والعروض. توفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة، الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص184-185.

ونقل بواسطة ابن عبد البر عن الطحاوي[159]، والطبري[160].

وأحيانا يجمع كلاما من مصدرين، فقد نقل عن أبي العباس في المفهم، وضمن خلال ذلك شعراء من سيرة ابن هشام، كان قد أشار إليه أبو العباس، ثم رجع إلى كلام المفهم، دون أن يشير إلى تلك المصادر[161].

ويتصرف المصنف رحمه الله في نقله أحيانا، فقد نقل عن ابن عبد البر في "التمهيد" قراءة: "ليسجننه عتى حين". ثم قال: ذكرها أبو داود. ا هـ. وهذا يوهم أنها في سننه، والواقع أن ابن عبد البر إنما ذكرها بإسناده من طريق أبي داود، وهي خارج ابن عبد البر من طرقه، ونقل المصنف كلام ابن عبد البر. وثمة أمثلة أخرى من هذا النمط[162].

إنها سيرة عطرة لإمام ترك علما غزيرا يستفيد منه طلبة العلم وكل قاصد إلى تعلم الفقه أو العقيدة أو التاريخ أو اللغة؛ فهي علوم متلاحمة بينها. وقد وشرح القرطبي مادتها دون أن يتداخل علم في علم آخر، إنهما العلم والبيان مجتمعتان في هذا السفر يدُلان على عبقرية فذة من عبقريات الأمة الإسلامية في عصورها الزاهية، رحم الله الشيخ القرطبي وأسكنه الفردوس الأعلى.

---

[159] محمد بن سلامة الطحاوي أخذ العلم عن أبي جعفر ابن أبي عمران وعن أبي خازم وغيرهما. وصنف اختلاف العلماء والشروط وأحكام القرآن ومعاني الآثار. ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.(طبقات الفقهاء أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت 476هـ) هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ)، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1970 ص142.

[160] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، نقلا من هوامش، ص72 و 73 و 198.

[161] في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (آل عمران: 172).

[162] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص77، وج4، ص 348.

الباب الأول:

الأصـــــــوات

تمهيد

الفصل الأول: الهـمـــــز

الفصل الثاني: الإدغـــــام

الفصل الثالث: الإبـــــدال

تمهيـد:

القرآن الكريم مجموعة من السور، والسورة مجموعة من الآيات، والآية على الأكثر مجموعة من الجمل، والجملة مجموعة من الكلمات، والكلمة مكونة من أصوات، فأصغر وحدة في كلام العرب هي الصوت.

وكان أول من نبه إلى مخارج الأصوات الخليل وبعده تلميذه سيبويه ثم توالت التآليف وكان أشمله ما دونه ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب

وقد اهتم علماء التجويد منذ وقت مبكر بمخارج الأصوات قصد التعليم الصحيح لتجويد القرآن،«وعلم التجويد هو العلم الذي يدرس مخارج الأصوات اللغوية وصفاتها، وما يعرض لها في التركيب ، والغرض من تلك الدراسة، القدرة على النطق الصحيح بإعطاء كل صوت حقه من مخرجه وصفته وما يعرض في التركيب من ظواهر صوتية ، ومن ثم قال المرادي في كتابه المفيد: " إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور؛ أحدها: معرفة مخارج الحروف والثاني معرفة صفاتها والثالث معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام والرابع رياضة اللسان وكثرة التكرار"» [(163)]. فقد بذل علماء التجويد جهودا من أجل نقل كل ما يتعلق بالأصوات وتصويرها. وكان التصوير كتابةَ وتدوينَ كلّ ما يلاحظونه على الصوت أثناء نطقه.

إن طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة، فالكتابة في أحسن احوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي [...] والكتابة محاولة لنقل الظاهرة السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية. فاللغة تسمع بالأذن والكتابة ترى بالعين[(164)].

وكان العربي الفصيح هو وحده الذي لا يُصَحَّحُ له، وهو وحده الذي تُؤخذ منه العربية. وإن الدرس الحديث يعتمد على المخابر التي تكشف لهم عن طاقة الصوت ومخرجه وصفته وزمنه، فظهر الخلاف بين القدامى في بيان حقيقة بعض الأصوات العربية وتباينت مقولاتهم ومَرَدُ ذلك أن من يختبر

(163) نقلا عن: غانم قدوري الحمد، علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، دار عمان، الأردن ط1،2005 م1426هـ، ص22.

(164) محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دت)، (دط)، ص11.

الصوت وينطقه للكشف عنه ليس حجة فعرب الآن هم إما عرب مستعجمة أو أعاجم مستعربة. ولذلك فإن أصوات القرآن تؤخذ من العالمين العارفين بحقيقة مخارجها وصفاتها. وهم على الأغلب أصحاب القراءات. الصوت اللغوي أثر سمعي يصدر عنوة من تلك الأعضاء المسماة أعضاء النطق، يظهر هذا الأثر في صورة ذبذبات تتشكل بواسطة حركات الفم بأعضائه المختلة. فالصوت اللغوي يتطلب وضع أعضاء النطق في أوضاع محددة[165].

قال إبراهيم أنيس: " الصوت ظاهرة طبيعية، ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها. فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك، أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز؛ على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات. كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى يصل إلى الأذن الانسانية[166] و يعد إبراهيم أنيس بحق أول من حاول تطبيق مناهج علم اللغة الحديث في الوطن العربي على تاريخ العربية الفصحى، وأوصلته بحوثه إلى جملة من الملاحظات النظرية، التي تدعمها الشواهد اللغوية، وبخاصة في كتابه (في اللهجات العربية) و(الأصوات اللغوية) [167].

وقال: «والصوت الإنساني ككل صوت ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة. فعند ارتفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن» [168].

وقد بيّن علماء التشريح أن «حنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية. فليس في حنجرة المطرب أي عنصر مادي تمتاز به على حنجرة غيره من الناس. وإنما الفرق في الموهبة التي اختص بها وهي سيطرته على عملية التنفس؛ فهو أقدر من غيره على تنظيم تنفسه والسيطرة على الهواء المندفع من الرئتين والقدرة على

---

[165] عبد المجيد الطيب عمر منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة أبحاث الحرمين العالمية 1 المملكة العربية السعودية ط2، ص ص107.

[166] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، (د ت). (د ط)، ص5.

[167] عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي القاهرة، ص6.

[168] المرجع نفسه، ص7.

تكييفه وإخضاعه لنظام خاص في جريانه من الرئتين، حتى يصدر من الفم أوالأنف. هذا هو كل شيء في الغناء أو ما يسمى جمال الصوت» [169]، وقد عُرِف القراء بقدرة لا نظير لها في التحكم في الصوت، و"الشيخ عبد الباسط عبد الصمد" خير مثال على ذلك، وهو يعرف بالحنجرة الذهبية وإن الدرس التلقيني الشفهي لتلقي القرآن وتعلمه كان أسبق في ملاحظة الصوت والعناية به. فإن القرآن انتقل مشافهة بعناية فائقة، ولا يوجد على وجه الأرض كتاب لقي من العناية ما لقيه القرآن الكريم. فلقد اعتنى به العلماء وتدارسوه ونقلوه بمراقبة شديدة، فكان الشيخ يقرأ ثم يقرأ عليه تلميذه متبعا ومقلدا، فكما قرأه النبي ﷺ قرأوه وكما علمهم علموه.

وقد «خصّص النحاة بعض الأبواب في كتبهم للدراسة الصوتية وجعلوها تمهيدا لتحليل الظواهر الصوتية» [170]، وإن أول درس صوتي نظري تحليلي في العربية هو مقدمة العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. لذلك لا يستطيع أي دارس للأصوت العربية أن يتخطى جهود الفراهيدي. فهو واضع علم الأصوات ومبينها قال الليث قال الخليل [171]: «وفي العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانا مدارج، وأربعة أحرف جوف وهي، الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف قلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف» [172].

وقد أسهم في المبحث الصوتي علماء التجويد والقراءات... كان كل مؤلف يتعرض لمخارج الحروف وصفاتها والإدغام والإبدال والهمز والتسهيل وغير ذلك، وشاركهم المؤلفون في علوم القرآن وإعجازه وعلوم البلاغة والنقد كالفراء وأبي عبيدة والأخفش الأوسط والجاحظ وابن قتيبة والرماني

---

[169] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص9.

[170] محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2002، ص56.

[171] الفراهيدي الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، العروضي النحوي اللغوي: سيد الأدباء في علمه وزهده. مات سنة خمس وسبعين ومائة عن أربع وسبعين سنة. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج3، ص1260.

[172] الفراهيدي - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) - كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج1، ص57.

والباقلاني وابن سنان الخفاجي وغيرهم كثير، وامتد هذا الانشغال إلى الرئيس ابن سينا الطبيب الفيلسوف، فألف رسالة صغيرة في علم الأصوات عرض فيها أسباب حدوث الحروف ومخارجها كما تعرض لتشريح الحنجرة ووصف أجزائها [173]، وقد أغرم أصحاب المعاجم بهذه الدراسة فأولوها اهتمامهم وأفرغوها في مقدماتهم، فأسهبو في شرح وبيان مخارج الأصوات وصفاتها وصولا إلى التعليل لترتيبها [174].

«وإن أول من استخدام هذه الكلمة (صوت)في معنى قريب من معاناها هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله: "جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات".

والذي يروي البخاري مسلم في شأنه أنه كان يتفنن في تجويد القرآن وترتيله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجهش بالبكاء حينما يسمع القرآن بترتيل ابن مسعود. ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره» [175]. «علم التجويد، هو العلم الذي يدرس مخارج الأصوات اللغوية وصفاتها ، وما يعرض لها في التركيب، والغرض من تلك الدراسة القدرة على النطق الصحيح بإعطاءكل صوت حقه من مخرجموصفته، وما يعرض له في التركيب من ظواهر صوتية ومن ثم قال المرادي: ان تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:أحدها معرفة مخارج الحروف والثاني معرفة صفاتها والثالث معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الكلام » [176].

مخارج الأصوات : قال ابن جني : اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها [177].

---

[173] ينظر: محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية ص57.

[174] ينظر: ابن منظور لسان العرب، المقدمة.

[175] أحمد مختار عبد الحميد عمر،البحث اللغوي عند العرب، ص95

[176] غانم قدوري الحمد، علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، دار عمان، الأردن، ط1 ،2005م1426هـ، ص22.

[177] ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1 ،1421هـ- 2000م ، ج1،ص19

.إن أول درس صوتي نظري تحليلي في العربية هو مقدمة العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. فلا يمكن أن دارس الصوت العربي يستطيع أن يتخطى جهود الفراهيدي. فهو واضع علم الأصوات ومبينها. وإن الدرس التلقيني الشفهي لتلقي القرآن وتعلمه كان أسبق. فإن القرآن انتقل مشافهة بعناية فائقة، ولا يوجد على وجه الأرض كتاب لقي من العناية ما لقيه القران الكريم. فلقد اعتنى به العلماء وتدارسوه ونقلوه بمراقبة شديدة، فكان الشيخ يقرأ ثم يقرأه تلميذه تقليدا مطابقا كما قرأه النبي ﷺ قرأوه وكما علمهم علموه لقد وجد الخليل أن هذا الترتيب الهجائي المألوف، ليس قائما على أساس علمي فآثر أن يختار ترتيبا آخر، أساسه مخارج الأصوات، ورتب معجمه العين" على ذلك، فبدأ بأصوات الحلق، وجعلها أقساما، ثم أصوات أقصى الفم، ثم أوسط الفم، ثم أدنى الفم، ثم الشفتين، فجاء ترتيبه للأصوات اللغوية في العربية، ع ح هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ وا ي.

«استخرج الخليل علم العروض من صوت جرّة تقرعها جارية تتغنى عليها، وصنّفه بمكة وشرع فيه وهو طائف بالكعبة. وقد حكى صاحب بغية الألبّاء في ذلك عن عبد الله ابن المعتز أن الخليل مرّ في سكة الصفارين بالبصرة، فسمع دقّ الكوادين بأصوات مختلفة فوقف يسمع اختلافه، قال: والله لأضعنّ على هذا المعنى علما غامضا، فوضع العروض. وحدّث النضر بن شميل، قال: كان أصحاب الشعر يمرّون بالخليل

فيتكلمون في النحو، فقال الخليل: لا بدّ لهم من أصل، فوضع العروض.

وخلا في بيت ووضع بين يديه طستا، وما أشبهه، وجعل يقرعه بعود، يقول: مستفعلن فاعلن فعولن، فسمعه أخوه، فخرج إلى المسجد، فقال إن أخي قد أصابه جنون، وأدخلهم وهو يضرب الطست، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن مالك، أصابك شيء، أتحب أن نعالجك؟ فقال: وما ذاك؟ قالوا: أخوك يزعم أنك قد خولطت، فأنشأ يقول: من بحر الكامل

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني... أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني... وعلمت أنّك جاهل فعذرتكا»[178]

ولا بد أن يمون الخليل قد استخرج علم العروض بعد ما أنهى النظر في علم الأصوات

وقيل: «إن الخليل دعا بمكة أن يرزق علما لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه. فلما رجع من حجّه فتح عليه بعلم العروض وكانت له معرفة بالإيقاع والنغم » .وقال حمزة بن الحسين الأصفهاني « في حقه: وبعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم الذي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض، الذي لا عن حكيم أخذه، ولا عن مثال تقدمه احتذاه إنما اخترعه من ممرّ له بالصفارين من وقع مطرقة على طست، ثم قال: فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لنسك فيه بعض الأمم لتصنيفه مالم يصنفه أحد منذ خلق الله الدنيا».[179]

وكان الخليل بن أحمد أسبق من ذاق الحروف، ليتعرف مخارجها، يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر: "وإنما كان ذواقه إياها، أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف، نحو: أب، أت، أح، أع، أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب".

وهذا معناه تجربة النطق بالصوت ساكنا، لئلا يختلط بغيره، ويلتبس على الناطق معرفة كيفية صدوره ومخرجه الدقيق. وهذه الطريقة تقرب مما يدعو إليه المحدثون، من علماء الأصوات [180].

قال الليث قال الخليل[181]: « وفي العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانا مدارج، وأربعة أحرف جوف وهي، الواو والياء والألف اللينة، والهمزة وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف قلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيرا : الألف اللينة

---

(178) العدوي أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423 هـ ،ج7،ص81.

(179) المصدر السابق، ج7،ص82.

(180) رمضان عبد التواب المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3 ،1417هـ - 1997م، ص15.

(181) الفراهيدي الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، العروضي النحوي اللغوي: سيد الأدباء في علمه وزهده. مات سنة خمس وسبعين ومائة عن أربع وسبعين سنة. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج3،ص1260.

والواو والياء هوائية؛ أي أنها في الهواء »[182]. ولو أني كنت قد قرأت في كتب العروض أن الخليل قد أخذ جرة كبيرة وكان يُدخل رأسه و ينطق بالحرف داخلها ليسمع صدى الصوت و يفرق بين مخارجها. كان يراه ابنه يفعل هذا ويكرره حتى قال: لعله جن أبي.

قال الخليل: « فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين. ثم الهاء ولولا هته في الهاء، وقال مرة " ههه" لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاء في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء في حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والياء والميم في حيز واحد ثم الألف والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه»[183].

قال الليث: قال الخليل: « فالعين والحاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق والقاف والكاف لهوتيان،لأن مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم؛ أي مفرج الفم، والصاد والسين والزاء أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان، والطاء والتاء والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة والراء واللام والنون ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي اللسان والفاء والياء والميم شفوية، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء، فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه»[184].

و«لقد فطن الخليل إلى أن الهمزة أعمق الحروف مخرجًا، ولكنه وجد من تغيرها سببًا في عدها ضمن

---

[182] الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،ج1، ص57.

[183] المصدر السابق، ج1 ، ص 57.

[184] المصدر السابق، ج1، ص 58.

حروف العلة. وفطن ايضًا إلى أن الهاء تليها، ولكن الهاء ما هي إلا إرسال الهواء خارج الحلق. ولذا وجد أن العين أصلح حروف الحلق للبدء بها» [185].

وكان الخليل يسمي الميم مطبقة لأنها تطبيق الفم إذا نطق بها فهذه صورة الحروف التي الفت منها العربية على الولاء، وهي تسعة وعشرون حرفا: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي ء، فهذه تسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلام العرب[186].

وجاء "سيبويه" تلميذ الخليل بن أحمد، فخصص للدراسة الصوتية فصولا، في كتابه "الكتاب"، و قد خالف أستاذه ، إذ رتب الحروف على النحو التالي: همزة اهـ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و.

وجعل مخارج الحروف العربية ستة عشر مخرجا[187].

فللحلق منها ثلاثةٌ.

فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف.

ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء.

وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

---

(185) درويش عبد الله المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم "العين" للخليل بن أحمد مكتبة الشباب (دت)، (دط)، ص75.

(186) الخليل، العين، ج1، ص 41-42.

(187) سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر (ت 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988 م، ج4، ص433.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء.

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد.

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء.

ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة.

وقد تأثر بكتاب سيبويه كل من جاء بعده من النحاة واللغويين، لا في آرائه النحوية فحسب بل في آرائه الصوتية كذلك، فأخذوا يرددون كلامه في الأصوات دون أن يزيدوا عليه ما يستحق الذكر، فهذا ابن جني في القرن الرابع الهجري، يؤلف كتابا مستقلا في علم الأصوات هو: "سر صناعة الإعراب"، لا يكاد يخرج فيه عن كلام سيبويه، في تعداد المخارج، ووصف الحروف، فكثيرا ما يقتبس نص العبارات التي جاءت في كتاب سيبويه، ويقف عند حدودها.

وهو في بداية كتابه، يلتمس لحدوث الأصوات وسيلة للإيضاح، لم يهتد إليها سيبويه من قبل؛ إذ يشبه ابن جني مجرى النفس في أثناء النطق بالمزمار، كما يشبه مدارج الحروف ومخارجها، بفتحات هذا المزمار، التي توضع عليها الأصابع، أو بوتر العود وأثر الأصابع، فيقول: "شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، [188] إن القرطبي في تعرضه للأصوات كان

[188] ابن جني، سر صناعة الإعراب ، ج1،ص22.

يعتمد كل الاعتماد على ما قاله سيبويه وابن جني ولكن ابن الجزري الذي سيأتي بعده يعتمد ما قاله سيبويه ويضيف له مخرج الجوف من عند الخليل فيصبح لديه سبعة مخرجا وهي [189].

المخرج الأول - الجوف - وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين، وتسمى الهوائية والجوفية. قال الخليل: وإنما نسبن إلى الجوف؛ لأنه آخر انقطاع مخرجهن. قال مكي: وزاد غير الخليل معهن الهمزة ؛ لأن مخرجها من الصدر، وهو متصل بالجوف.

(قلت) : الصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة.

المخرج الثاني - أقصى الحلق - وهو للهمزة والهاء. فقيل: على مرتبة واحدة، وقيل: الهمزة أول.

المخرج الثالث - وسط الحلق- وهو للعين والحاء المهملتين، فنص مكي على أن العين قبل الحاء، وهو ظاهر كلام سيبويه وغيره، ونص شريح على أن الحاء قبل، وهو ظاهر كلام المهدوي وغيره.

المخرج الرابع - أدنى الحلق إلى الفم - وهو للغين والخاء، ونص شريح على أن الغين قبل، وهو ظاهر كلام سيبويه أيضا، ونص مكي على تقديم الخاء، وقال الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن خروف النحوي: إن سيبويه لم يقصد ترتيبا فيما هو من مخرج واحد. قلت: وهذه الستة الأحرف المختصة بهذه الثلاثة المخارج هي الحروف الحلقية.

المخرج الخامس - أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك - وهو للقاف، وقال شريح: إن مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء. المخرج السادس - أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك - وهو للكاف، وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوي، نسبة إلى اللهاة وهي بين الفم والحلق.

[189] ابن الجزري، النشر، ج1، ص199.

المخرج السابع - للجيم والشين المعجمة، والياء غير المدية - من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك - ويقال - إن الجيم قبلها، وقال المهدوي: إن الشين تلي الكاف، والجيم والياء يليان الشين، وهذه هي الحروف الشجرية.

المخرج الثامن - للضاد المعجمة - من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الأيمن عند الأقل وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين، وقال الخليل: إنها أيضا شجرية يعني من مخرج الثلاثة قبله والشجرة عنده مفرج الفم - أي مفتحه - وقال غير الخليل: وهو مجمع اللحيين عند العنفقة ؛ فلذلك لم تكن الضاد منه.

المخرج التاسع - اللام - من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية.

المخرج العاشر - للنون - من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلا.

المخرج الحادي عشر - للراء -، وهو من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا، غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا، وهذه الثلاثة يقال لها: الذلقية، نسبة إلى موضع مخرجها، وهو طرف اللسان. إذ طرف كل شيء ذلقه.

المخرج الثاني عشر - للطاء والدال والتاء - من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك، ويقال لهذه الثلاثة النطعية ؛ لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى، وهو سقفه.

المخرج الثالث عشر - لحروف الصفير وهي الصاد والسين والزاي -

" من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى "، ويقال في الزاي زاء بالمد وزي بالكسر والتشديد، وهذه الثلاثة الأحرف هي الأسلية ؛ لأنها تخرج من أسلة اللسان، وهو مستدقة.

المخرج الرابع عشر - للظاء والذال والثاء - " من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا "، ويقال لها: اللثوية. نسبة إلى اللثة، وهو اللحم المركب فيه الأسنان.

المخرج الخامس عشر - للفاء - " من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ".

المخرج السادس عشر - للواو غير المدية والباء والميم - بما بين الشفتين - فينطبقان على الباء والميم، وهذه الأربعة الأحرف يقال لها: الشفهية والشفوية، نسبة إلى الموضع الذي تخرج منه، وهو الشفتان.

المخرج السابع عشر - الخيشوم -، وهو للغنة وهي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء، أو ما في حكمه من الإدغام بالغنة، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول من مخرجه في هذه الحالة عن مخرجهما الأصلي على القول الصحيح كما يتحول مخرج حروف المد من مخرجهما إلى الجوف على الصواب وقول سيبويه: إن مخرج النون الساكنة من مخرج النون المتحركة، إنما يريد به النون الساكنة المظهرة.

وعند القراء اختلاف ظاهر في رؤيتهم لمخارج الأصوات . يطول ذكره يحتاج إلى بحث مستقل وإن تفسير باعتباره كتاب قراءات فيه علم غزير يخص علم الأصوات سيتضح شيء منه في ثنايا هذا الفصل بحول الله .

ويضيف ابن الجزري الأصوات المستحسنة التي قد ذكرها النحاة قبله قال :ولبعض هذه الحروف فروع صحت القراءة بها، فمن ذلك الهمزة المسهلة بين بين فهي فرع عن الهمزة المحققة ومذهب سيبويه أنها حرف واحد نظرا إلى مطلق التسهيل، وذهب غيره إلى أنها ثلاثة أحرف نظرا إلى التفسير بالألف والواو والياء، ومنه ألفا الإمالة والتفخيم وهما فرعان عن الألف المنتصبة، وإمالة بين بين لم يعتدها سيبويه، وإنما اعتد الإمالة المحضة، وقال: التي تمال إمالة شديدة كأنها حرف آخر قرب من الياء. ومنه الصاد المشممة وهي التي بين الصاد والزاي فرع عن الصاد الخالصة وعن الزاي.

ومنه اللام المفخمة فرع عن المرققة، وذلك في اسم الله تعالى بعد فتحة وضمة وفيما صحت الرواية فيه عن ورش حسبما نقله أهل الأداء من مشيخة المصريين[190].

[190] ابن الجزري، النشر، ح1،ص201.

توالت الدراسات الصوتية عبر حقب زمنية متصلة غير منقطعة وبعد ظهور الأجهزة لدراسة الصوت تبين دقة الدرس اللغوي عند سيبويه وابن جني لذلك نظرياتهما. الصوتية مازالت هي العمدة فيما يخص مخارج الأصوات.

إن أصوات اللغة العربية جاءت موزعة توزيعا متوازنا على أطول مدرج لجهاز نطقي عرفته لغة إنسانية، فتخرج واضحة متمايزة سهلة، وهذا نقيض ما يوجد في بعض اللغات الأخرى التي قد يتكاثر خروج أصواتها من مخرج واحد فتتقارب حروف الحلق في نطقها وتأتي باهتة غامضة يصعب على متعلميها من غير بنيها انتاجها وتمييزها [191].

صفات الأصوات

وقال تمام حسان: «أما صفات الأصوات، فيمكن النظر إليها من زوايا متعددة:

1- الطريقة التي يتم بها النطق في مخرج ما "الشدة والرخاوة والتركيب والتوسط".

2- حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، وعدمه "الجهر والهمس".

3- تحرك مؤخر اللسان، أو مقدمة تحركا ثانويا أثناء حدوث النطق في موضع آخر، "الإطباق والتغوير والتحليق"» [192].

قال سيبويه: «فأما المجهورة فالهمزة، والألف، العين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفاً.

وأما المهموسة فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء. فذلك عشرة أحرف» [193]. ويجمعها في اللفظ قولك، "ستشحثك خصفة". [194]

---

[191] عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة أبحاث الحرمين العالمية 1 المملكة العربية السعودية، ط2، 1437هـ، ص8.

[192] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (دط) ، (دت)، ص86.

[193] سيبويه ، الكتاب، ج4،ص434.

[194] ابن جني ، سر صناعة الإعراب ج1،ص75.

قال سيبويه: «فالمجهورة: حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم؛ إلا أن النون والميم قد يعتمد لها في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنةٌ. والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما.

وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها. وإن شئت أخفيت.

ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء. وذلك أنك لو قلت ألحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك»[195]. ويجمعها في اللفظ: "أجدت طبقك" و"أجدك طبقت"[196].

وقال :«منها الرخوة وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين،والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. وذلك إذا قلت الطس وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت.

وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء. قال ابن جني : «والرخو: هو الذي يجري فيه الصوت، ألا ترى أنك لو قلت: المس، والرش، والشح، ونحو ذلك، فتمد الصوت جاريا مع السين والشين والحاء»[197].

قال سيبويه: «ومنها المنحرف، وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدقِّ اللسان فويق ذلك.

---

(195) سيبويه، الكتاب،ج4، ص435.

(196) ابن جني، سر صناعة الاعراب، ص 75.

(197) المصدر نفسه، ج1، ص76.

ومنها حرفٌ شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنةٌ من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم.

ومنها المكرر وهو حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء.

ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأىٌ، والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت.

ومنها الهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد مناتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف.

وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو.

ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيءٍ منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف.

وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن.

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بين ذلك بحصر الصوت. ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها» [198].

[198] سيبويه، الكتاب ج4، ص435.

ويعلل سيبويه ادراجه مخارج الأصوات وصفاتها في هذا الجزء قائلا: وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك[199].

وقد«كانت أعمال ابن جني فاتحة لتطور كبير في علم الأصوات... إنه أول من فصله وأفرده بالتأليف في كتاب مستقل سماه (سر صناعة الإعراب)، تناول فيه عدد الحروف وترتيبها ومخارجها وصفاتها وما يعرض لها من أحوال... وسماه علم الأصوات، وقد تأثر العلماء بأعمال ابن جني ونقلوا عنه الكثير من مباحث علم الأوات ؛نقل عنه النحاة والبلاغيون وعلماء النقد وأصحاب المعجمات وعلماء التجويد والقراءات »[200]، ونقل عنه حتى اللسانيون الغربيون كنعوم تشومسكي[201].

ثم وبعد ركود طويل للدرس الصوتي أحيا العلماء المحدثون الدرس الصوتي(وقد ظهرت مصنفات عديدة تتسم بالاختصاص كالأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ألفه سنة 1948 م ومناهج البحث في اللغة لتمام حسان ألفه سنة1955م وألف محمود السعران سنة 1962 م في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . وألف عبد الرحمن أيوب في أصوات اللغة سنة 1963م)[202]. وتوالت التواليف وكثرت وتميزت محاولة تغيير نمط وطريقة دراسة الصوت وفق معايير حديثة تلقوها من الدرس الصوتي عند الغربيين .

وكان لفئة من المستشرقين جهود بارزة في علم الأصوات مثل محاضرات برجستراسر في الجامعة المصرية سنة 1929م .التي طبعت باسم "التطور النحوي للغة العربية " وكتاب جان كانتينو Cours de phonétique Arabe Jean Cantineau الصادر بباريس سنة 1960وقد ترجمه صالح القرمادي بعنوان "دروس في علم أصوات العربية ". وكتابي هنري فلايش Henri Fleisch. Traité dephilolagieArabe الذي صدر ببيروت سنة 1961م وكتاب L'Arabe classique الصادر

---

[199] المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

[200] محمد خان، اللهجات، ص 57.

[201] سمعت العلامة عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله في جامعة الأمير عبد القادربقسنطينة في 1992 يقول : التقيت بنعوم تشومسكي في ألمانيا وبينت له بالسطر مانقله من كتب ابن جني لبناء نظريته التوليدية التحويلية ، وأكد وقال (بالسطر).

[202] محمد خان، اللهجات العربية، ص57 -58 .

سنة 1966، والذي ترجمه عبد الصبور شاهين بعنوان" العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد "وغيرها من البحوث والمقالات التي نشرت بلغات كثيرة في بلدان كثيرة [203].

وإنني في هذا الباب قد اخترت بعضا من القضايا الصوتية وعملي في التفسير هوجمع أقوال القرطبي في تتبعه للظواهر الصوتية، لأن القرطبي لن يقدم الدرس الصوتي كما هو الآن وإنما عمله الكشف والتدقيق والشرح حيثما عرضت له قضية صوتية احتوتها لفظة قرآنية فيتوقف للغوص في أعماق الدرس الصوتي بنفَس العالم المتبحر في الأعماق وأنا ببضاعتي المزجاة أنظر في أقواله متطفلة على علمه الغالب لأسجل ما استطعت من ملاحظات حول المسائل الصوتية المبسوطة في الجامع. وقد جعلت لهذا الباب ثلاثة فصول وهي: الهمز والإدغام والإبدال.

[203] المرجع نفسه، ص 58 .

الفصل الأول:

الهمـــــز

المبحث الأول: مفهوم الهمز

المبحث الثاني: الهمز والقراءات

المبحث الثالث: الهمز واللهجات

المبحث الأول: مفهوم الهمـز

الهمزة: حرف يخرج من أقصى الحلق وهي أدخل الحروف التي في الحلق فلما كانت كذلك استثقل أهل التخفيف إخراجها من حيث كانت كالتهوع* فخففوها [204].

صفة الهمزة ومخرجها: ذكر القدامى أنّ الهمزة صوت شديد مجهور يخرج من أقصى الحلق قال سيبويه: «ولحروف العربية ستة عشر مخرجا. فللحلق منها ثلاثةٌ. فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء. وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء» [205]. وقال: «الهمزة بعيدة المخرج، في الأصل نبرة من الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع» [206]. وقال« فأما المجهورة فالهمزة،و... » [207].

واختلفوا فيها من حيث حرفيّتها وكتابتها، اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها البتة، لوجب أن تكتب ألفا على كل حال، يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعا لا يمكن فيه تخفيفا، ولا تكون فيه إلا محققه، لم يجز أن تكتب إلا ألفا، مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة وذلك إذا وقعت أولا، نحو: أخذ، وأخذ، وإبراهيم، فلما وقعت موقعا لا بد فيه من تحقيقها اجتمع على كتبها ألفا البتة [208].

قال ابن جني: «فأما إخراج أبي العباس الهمزة من جملة الحروف، واحتجاجه في ذلك بأنها لا تثبت صورتها، فليس بشيء، وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، والهمزة أيضا موجودة في اللفظ، كالهاء والقاف وغيرهما فسبيلها أن تعتد حرفا كغيرها، فأما انقلابها في بعض أحوالها لعارض يعرض لها من تخفيف أو بدل فلا يخرجها

---

[204] ابن خلف الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع، ص 223.

[205] الكتاب ج4، ص 334 .

[206] سيبويه، الكتاب، ج3، ص 548.

[207] المصدر نفسه،ج 4، ص 434.

[208] ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (ت 392هـ)، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1421هـ- 2000م، ج1، ص55.

من كونها حرفا، وانقلابها أدل دليل على كونها حرفا» [209]، ولم يكن لها رسم قبل الخليل وإنما كان كتاب الوحي يعرفونها قال ابن فارس: «ومن الدليل عَلَى عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف عَلَى الَّذِي يعلله النحويُّون فِي ذوات الواو والياء والهمز والمدّ والقصر فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو وَلَمْ يصوّروا الهمزة إِذَا كَانَ مَا قبلها ساكناً فِي مثل "الخبء" و"الدفء" و"الملء" فصار ذَلِكَ كلّه حجة» [210].

وقد أبان الواسطيّ في بدء كلامه عن مخرج الهمزة وصفتها قال: «لمّا كان الهمز يخرج من أقصى الحلق وما يليه من أعلى الصدر مشبها للتّهوع والسّعلة أوجب على أكثر الناطقين به كلفة ومشقة» [211]، وهذا القول يوحي بأنّ المؤلف جعل لما بعد الحلق أهمية ومساهمة في إنتاج الصوت اللغوي عند الإنسان. وهذا هو ما جاء به الدرس اللغوي الحديث حيث عدّت القصبة الهوائية والرئتان من الأعضاء المساعدة على النطق، وذلك بما تؤديانه من انكماش واتساع وحصر لها ووصفها المحدثون بأنها صوت انفجاريّ يحدث من انطباق الوترين الصوتيين واحتباس الهواء داخل الحنجرة ثم يخرج على صورة انفجار. واختلفوا في كونها مجهورة أو مهموسة أو بين بين، وقالوا بأنها صوت شديد لا مجهور ولا مهموس.

وكان لنطق الهمزة عند العرب صور احتفظت بها القراءات القرآنية؛ إذ من المعلوم أنهم اختلفوا في تحقيقها وتسهيلها. فالقبائل التي اشتهرت بتحقيقها، هي القبائل التي سكنت وسط جزيرة العرب وشرقيها كتميم وما جاورها، أما التي سكنت شمال الجزيرة وغربيها فلم تهمز في كلامها، وإنما مالت إلى حذفها وتخفيفها[212].

---

[209] ابن جني، سر صناعة الإعراب ،ج1، ص57.

[210] ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين (ت 395هـ)، دار محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م، ص18.

[211] الواسطي أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (ت 741هـ)، الكنز في القراءات العشر، تح: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1425 هـ - 2004 م، ج1، ص225.

[212] المصدر السابق، ج1، ص55.

المطلب الأول: الهمز المفرد

يقصد بالهمز المفرد الذي لم يجتمع مع همز آخر. ويكون اختلاف القراء فيه بالتحقيق والتسهيل والإبدال والحذف.

- همزة بَيْنَ بَيْن:...
- بين الهمزة والألف:

قال سيبويه:« اعلم أنّ كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة» [213].

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ (البقرة: 220).

«اعلم أن الهمزة المبتدأة لا تخفف. لأنها تقرب بالتخفيف من الساكن، فلم يبتدئوا بِمُقَرَب من ساكن. كما لم يبتدئوا بساكن وإنما تُخفف غير المبتدأة بين بين؛ أي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها وبالبدل وبالحذف، وأصلها في التخفيف بين بين، لأنه التخفيف الذي يدل على أصلها من الهمز فكرهوا تخفيفها بالبدل لئلا تدخل في بنات الياء و الواو وإنما تخفف بالبدل إذا امتنع تخفيفها بين بين وساغ بالبدل لأنها لا يوجد ما تقرب منه، كلها لا تخفف بالحذف إلا إذا امتنع تخفيفها بين بين وبالبدل» [214].

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ﴾ (آل عمران: 66)، قال القرطبي: « والأصل في« هَٰأَنتُم »: أأنتم. فأُبدل من الهمزة الأولى هاءٌ لأنها أُختُها. عن أبي عمرو بن العلاءالمازني[215] والأخفش.

---

[213] سيبويه، الكتاب، ج3، ص 541.

[214] الأنصاري، الإقناع، 270.

[215] ابو عمرو بن العلاء المازني البصري هو: زبان بن العلاء بن عمار بن العريان المازني التميمي، البصري، كان امام البصرة، ومقرئها قال «ابن الجزري» «كان «ابو عمرو بن العلاء» اعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق، والثقة، والامانة، والدين» ولد «ابو عمرو» بمكة سنة 68 هـ وقيل: سنة 65 هـ ـتوفي بالكوفة سنة اربع وخمسين ومائة ، محمد مسالم محيسن (ت 1422هـ)، القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1404 هـ/ 1984 م، ج1،ص61 .

قال النحاس: « ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ قال أبو عمرو بن العلاء الأصل أأنتم فأبدل من الهمزة الأولى هاء لأنها أختها. قال أبو جعفر: وهذا قول حسن» [216].

وقرأ قنبل [217] عن ابن كثير [218]: (هَأَنتم) مثل: هَعَنْتُم [219]. قال القرطبي: «والأحسن منه أن يكون الهاء بدلاً من همزة، فيكـون أصله: أأنتم. ويجوز أن تكون (ها) للتنبيه. دخلت على (أأنتم) وحُذِفت الألف لكثرة الاستعمال» [220].

وقرئ ﴿هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجۡتُمۡ﴾ بالمدِّ بلا همز: نافع وأبو عمرو [221].

و(ها) في ﴿هَـٰٓأَنتُمۡ﴾ للتنبيه على كل قراءة لا بدل من حرف الاستفهام.

﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ (الأنعام: 40).

قال القرطبي: قرأ نافع بتخفيف الهمزتين يلقي حركة الأولى على ما قبلها [222]. ويأتي بالثانية بَيْنَ بَيْنَ [223] وحكى أبو عبيد عنه أو يسقط الهمزة ويُعوّضُ منها ألف [224].

---

[216] النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ ج1، ص164.

[217] قنبل هو أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة، وقنبل لقب له، كان إماما في القراءة متقنا ضابطا؛ انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، ولد سنة مائة وخمس وتسعين، ومات سنة مائتين وإحدى وتسعين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، شرح طيبة النشر في القراءات، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1420 هـ/2000 م، ص9.

[218] ابن كثير المكي وهو عبد الله بن كثير المكي الدّاري، والدار بطن من لخم، وهو مولى عمرو بن علقمة الكناني، ومات بمكة سنة عشرين ومائة. وكان ورعا زاهدا، وأجمع أهل مكة على قراءته بعد وفاة مجاهد بن جبر سنة ثلاث ومائة،، ولد بمكة سنة خمس وأربعين. طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت 782هـ)، تح: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية - صيدا بيروت، ط1، 1423 هـ - 2003 م،ص 82.

[219] ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، تح: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط1، 1421هـ - 2000م، ص88.

[220] الجامع لأحكام القرآن، طبعة مؤسسة الرسالة، ج5، ص 164-165.

[221] ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت 324هـ)- السبعة في القراءات - تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ ص207.

[222] يعني بالنقل. وذلك إذا سبقها حرف ساكن. وهي من رواية ورش عن نافع. التيسير، ص 35.

[223] أي بالتسهيل. ينظر السبعة، ص 257. والتيسير، ص102.

[224] الجامع لأحكام القرآن، طبعة مؤسسة الرسالة، ج8، ص374.

قال :« قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ، قرأ نافع بتخفيف الهمزتين يلقي حركة الأولى على ما قبلها ويأتي بالثانية بين بين، وحكى أبو عبيد عنه أنه يسقط الهمزة ويعوّض منها ألفا وهذا عند أهل اللغة غلط عليه لأن الياء ساكنة والألف ساكنة ولا يجتمع ساكنان» [225].

قال مكي:«وقد رُوي عن ورش [226] أنه أبدل من الهمزة ألفًا لأن الرواية عنه أنَّه يمد الثانية. والمد لا يتمكن إلا مع البدل. والبدل فرع عن الأصول أن تُجعل الهمزة بين الهمزة المفتوحة والألف وعليه كل من خفَّف الثانية غير ورش، وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن، لأن الأول حرف مد ولين. فالمد الذي يحدث مع الساكن. يقوم مَقَامَ حركةٍ يوصل بها إلى النطق بالساكن الثاني» [227].

وقرأ أبوعمر و وعاصم [228]، وحمزة [229]: «(أرأيتكم) بتحقيق الهمزتين [230] قال مكي :(وأتوا بالكلمة على أصلها، والأصل الهمز لأن همزة الاستفهام دخلت على(رأيتَ)، فالهمزة عين الفعل، والياء ساكنة لاتصال المضمر المرفوع بها» [231].

---

[225] النجاس، إعراب القرآن،ج2، ص10.

[226] ورش شَيْخُ الإِقْرَاءِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ أَبُو سَعِيْدٍ، وَأَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو. قِيْلَ: وُلِدَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمائَةٍ. كان مَاهِراً بِالعَرَبِيَّةِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الإِقْرَاءِ. تَلاَ عَلَيْهِ:يُوْسُفُ الأَزْرَقُ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ، وَيُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى وَعَدَدٌ كَثِيْرٌ. وَكَانَ ثِقَةً فِي الحُرُوْفِ حُجَّةً. وَيُقَالُ: إِنَّهُ تَلاَ عَلَى نَافِعٍ أَرْبَعَ خَتَمَاتٍ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ. مَاتَ بِمِصْرَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وتسعين ومائة، الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج8، ص58.

[227] مكي(بن أبي طالب القيسي)، في الكشف عن وجوه القراءات، مؤسسة الرسالة ط1987،4م، بيروت، لبنان، ج1، ص431.

[228] عَاصِمٌ هو عاصم بن بهدلة أبو النجود الاسدي، (وَتُوُفِّيَ) آخِرَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ هُوَ الْإِمَامَ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْإِقْرَاءِ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، ْ جَمَعَ بَيْنَ الْفَصَاحَةِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّحْرِيرِ وَالتَّجْوِيدِ، قال أبو إسحاق السّبيعي: ما رأيت رجلا قط كان أقرأ للقرآن من عاصم، لأنه من أجلاء التابعين. (النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 هـ)، تح: علي محمد الضباع (ت 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية،ج1، ص156.

[229] حمزة هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الزيّات، وكان صالحا ورعا، مات بحلوان سنة ست وخمسين ومائة، روى ابن فرح بإسناده إلى الكسائي، أنه كان يقول: لم أر شخصا ألفظ بكتاب الله عز وجل من حمزة. قال سليم: سمعت حمزة يقول: ولدت سنة ثمانين، وأحكمت القرآن ولي خمس عشرة سنة. وما وصف أحد من الأئمة السبعة رضي الله عنهم بما وصف به من الزهد والورع. طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، ص92، ص167.

[230] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص10.

[231] مكي، الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص431.

وقرأ عيسي بن عمر والكسائي[232]: (أَرَأَيْتَكُم) بحذف الهمزة الثانية، قال النحاس:« وهذا بعيد في العربية، وإنما يجوز في الشعر والعرب تقول: أرأيتَك زيدًا ما شأنُه؟»[233].

- بين الهمزة والياء:

قال سيبويه: « إذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة»[234].

﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾ (البقرة: 108): قال القرطبي[235]، وقرأ الحسن البصري[236]:«كما سيلَ» وهذا على لغة من قال سِلْتُ، أسالُ، ويَجُوز أن يكون على بدلِ الهمزة ياء ساكنة على غير قياس فانكسرت السين قبلها. قال النحاس: « بدل الهمزة بعيد »[237].

﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة: 203)، قال القرطبي[238] وقرأ سالم[239]، بن عبد الله: (فلا اثم عليه) بوصل الألف تخفيفًا[240]، والعرب قد تستعمله.

---

[232] الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروزالأسدي الكسائي كان عالما بالعربية والقرآن والآثار قال يحي بن معين:ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي، توفي سنة تسع وثمانين ومائة، طبقات القراء السبعة وذكرمناقبهم وقراءاتهم، ص 89.

[233] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص10، والسبعة، ص 237، والتيسير، ص 102.

[234] سيبويه، الكتاب، ج3، ص542.

[235] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص312.

[236] البصري أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار التابعى البصرى، الأنصارى، ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، ونشأ الحسن بوادى القرى، وكان فصيحًا، وسمع ابن عمر، وسمرة، وأبا بكرة وسمع خلائق من كبار التابعين، روى عنه خلائق من التابعين وغيرهم. توفى سنة عشر ومائة. النووي ، تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص162.

[237] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص74.

[238] الجامع لأحكام القرآن،ج3، ص380.

[239] أبو عبد الله سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى المدنى التابعى، الإمام، الفقيه، .سمع أباه، وأبا أيوب الأنصارى، ورافع بن خديج، وأبا هريرة، وعائشة، رضى الله عنهم، وسمع جماعات من التابعين. روى عنه جماعات من التابعين، وأجمعوا على إمامته، وجلالته، وعلو مرتبته، النووي ،تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص207.

[240] ابن جني، المحتسب، ج1، ص220. والمحرر الوجيز، ج1، ص278.

قال الشاعر:

إنْ لم أُقاتل فألبسوني بُرْقُعًا [241].

- بين الهمزة والواو:

قال سيبويه: «إذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة » [242].

وأضاف قائلا:« وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة أو كسرة فإنك تصيرها بين بين» [243].

وفي الآية: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ (البقرة،67) (هُزُؤًا) (يعني بضم الزاي: والهمزة وهي قراءة السبعة غير حفص [244]وحمزة.). قال القرطبي: « ويجوز تخفيف الهمزة تجعلها بين الواو والهمزة[245]. وجعلها حفص واواً مفتوحة لأنها همزة مفتوحة قبلها ضمَّة. فهي تجري على البدل. كقوله: ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ (البقرة: 13). ويجوز حذف الضمة من الزاي كما تحذفها من عَضُد فتقول: هُزْؤًا كما قرأ أهل الكوفة[246]، وكذلك ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: 4)، وحكى الأخفش عن عيسى بن عمرالثقفي [247] قال:« أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم. ففيه لغتان التخفيف

---

[241] لا يعرف قائله: ذكره أبو علي الفارسي في الحجة، ج3، ص211، وابن جني في المحتسب، ج1، ص120. وفي الخصائص، ج3، ص151، وأورد معه الفارسي في الموضع الأخير بيتا آخر وهو: وفتحات في اليدين أربعا.

[242] سيبويه، الكتاب، ج3، ص542.

[243] المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

[244] جفص أبو عمرو حفص بن أبي داود سليمان بن المغيرة، وَكَانَ أَعْلَمَ أَصْحَابِ عَاصِمٍ بِقِرَاءَةِ عَاصِمٍ، قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي رُوِيَتْ مِنْ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ رِوَايَةُ حَفْصٍ. ولد في سنة تسعين في أيام الوليد بن عبد الملك، ومات سنة ثمانين ومائة في أيام الرشيد وله تسعون سنة، القراءات وأثرها في علوم العربية، ص141.

[245] ضعف هذا الوجه ابن الجزري في النشر،ج 1، ص483.

[246] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص234. والذي قرأ بها من أهل الكوفة حمزة من السبعة. وخلف العاشر، انظر: ابن مجاهد السبعة، ص157، و ابن الجزري، النشر، ج2، ص215-216، و الداني التيسير، ص74.

[247] عيسى بن عمر الثقفي وكان ثقة عالماً بالعربية والنحو والقراءة، وقراءته مشهورة. أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. ومات عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين ومائة. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج 5، ص 2141.

والتثقيل. نحو: العُسُر الهُزْء- اليُسُر: ومثله ما كان من الجمع على فَعُلَ. ككُتُب كُتْب- رُسُل-رُسْل وعُوُن عُوْن» [248].

وأما قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا ﴾ (الزخرف: 15)، فليس مثل هُزْء- وكفء لأنه على فُعْل من الأصل. وقُرِئَ (كُفُوً) بضم الفاء وسكونها، قرأ حفص: (كُفُوًا) بضم ألفاء وفتح الواو من غير همز. وقرأ حمزة بإسكان الفاء مع الهمز في الوصل فإذا وقف فإذا أبدل الهمزة واوًا مفتوحة إتباعاً للخط وقرأ الباقون بضم الفاء مع الهمز [249].والقراءات في (كفوا)كثيرة، وما نقله أبو زيد جاء في رواية عن نافع أنه قرأ (كُفًى)وعن نافع أيضا أنه قرأ (كفًى) .

وكلها لغات فصيحة [250].

– حذف الهمزة:

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ (البقرة:71)

قال القرطبي [251] وحكى الأخفش:« (قالوا ألآن) قطع ألف الوصل، كما يقال: ياألله. وحكى وجها آخر:(قالوا لآن) بإثبات الواو» [252].

نظيره قراءة أهل المدينة وأبي [253] ﴿ عاداً لُّولى ﴾ (النجم: 50). وقرأ الكوفيون:(قالُوا الآن) بالهمز وقراءة أهل المدينة: (قالوا لآن) بتخفيف الهمز مع حذف الواو لالتقاء الساكنين [254].

---

[248] معاني القرآن لابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط (ت 215)، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ1990 م، ج1،ص110.

[249] ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص602.

[250] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص561.

[251] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص192.

[252] الاخفش معاني القرآن، ج1، ص282.

[253] ابن مجاهد، السبعة، ص615. ابن الجزري، تحبير التيسير، ص204.

[254] النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص60.

﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ ﴾ (المائدة: 32). وقرأ [255] يزيد بن القعقاع أبو جعفر [256] (مِنِ أجْل ذلك) كسر النون وحذف الهمزة [257]، وهي لغة. والأصل: (مِنْ إِجْل)[258] ذلك فألقيت كسرة الهمزة على النون. وحذِفَت الهمزة.

المطلب الثاني: الهمزتان المتجاورتان في كلمة:

لم تجتمع همزتان في كلمة واحدة إلا في:(أئمّة)، أما من كلمتين متجاورتين فعلى أضرب ثلاثة [259]:

الضرب الأول: أن تتفقا بالفتح: وذلك نحو قوله: ﴿ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ ﴾ (البقرة: 6).

قال القرطبي[260]: واختلف القرَّاء في:(أأنذرتهم)، فقرأ أهل المدينة، وأبو عمرو، والأعمش[261]، وعبد الله بن أبي إسحاق[262]: (أانذرتهم) بتخفيف الأولى وتسهيل الثانية. واختارها الخليل سيبويه. وهي لغة قريش وسعد بن بكر.

وعليها قول الشاعر:

---

[255] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص428.

[256] أَبو جَعْفَرٍ يَزِيدَ بْنِ الْقَعْقَاعِ إِمَامِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْيَانِ التَّابِعِينَ وَصَاحِبِهِ الْإِمَامِ نَافِعِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ وَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَيَعْقُوبَ الْحَضْرَمِيِّ وَعَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَكَلَامُهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ، وَنُصُوصُهُمْ عَلَيْهِ مَشْهُورَةٌ فِي الْكُتُبِ،النشر في القراءات العشر،ج1، ص225.

[257] ابن الجزري، النشر، ج2، ص254، وأبو جعفر من العشرة.

[258] الإجْل: مفرد الآجال، ينظر : الازهري، تهذيب اللغة، الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت 370هـ) ،تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص193.

[259] الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج1، ص317.

[260] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص282-283.

[261] الأعمش أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد، الكوفي الإمام المشهور؛ أحد القراء العشرة، اخذ القراءة عن سليم بن عيسى عن حمزة، كان ثقة عالماً فاضلاً، ورأى أنس ابن مالك - رضي الله عنه، سمع سعيد بن جبير ومجاهداً والنخعي، ولقي كبار التابعين رضي الله عنهم، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير العلماء. توفي ببغداد سنة (229هـ)، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2،ص400.

[262] عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي أحد العشرة، أخذ القراءة عرضًا عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، روى القراءة عنه عيسى بن عمر الثقفي قال معمر بن المثنى أول من وضع النحو أبو الأسود ثم ميمون الأقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن أبي إسحاق، مات سنة تسع وعشرين ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة. ابن الجزري، (غاية النهاية في طبقات القراء شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة ج. برجستراسر عام 1351هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1402 هـ- 1982 م، ج1، ص410.

أيا ظَبْيةِ الوعْساءِ بين جلاجلٍ ***وبين النَّقا آأنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ [263]

فجاءت (آنت) ألف واحدة [264].

وقال آخر:

تَطَالَلْتُ فاستشرفته معرفتُه *** فقلتُ له آنتَ زيدُ الأرَانِبِ[265]

وروي عن ابن محيصن[266] أنه قرأ: (أَنْذَرْتَهُمْ أم لم تنذرهم) الهمزة لا ألف بعدها. فحذف لالتقاء الهمزتين، أو لأن (أم) تدل على الاستفهام.

كما قال الشاعر:

تَرُوحُ منَ الحي أمْ تَبْتَكِرْ *** ومَاذَا يَضُرُّكَ لم تَنْتَظِرْ[267]

أراد: أتَروح. فاكتفى بأم من الألف.

الضرب الثاني: وروي عن ابن أبي إسحاق أنه قرأ: (أاأنذرتهم) حقق الهمزتين وأدخل بينهما ألفاء لئلا يجمع بينهما. قال أبو حاتم السجستاني[268]: ويجوز أن تدخل بينهما ألفا. وتخفف الثانية، وأبو عمرو ونافع مفعلات ذلك كثيرا، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي بتخفيف الهمزتين: (أأنذرتهم) وهو إختيار أبي عبيد. وذلك بعيد عن الخليل. وقال سيبويه:« يُشْبِه في الثِّقِل: ضَنِنُوا »[269]، قال الأخفش: ويجوز

---

[263] أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت 231 هـ) ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جدة، ط1، 1982 م - 1402 هـ، ج2، ص767.

[264] أورده سيبويه في الكتاب، ج3، ص551، وابن جني، في سر صناعة الإعراب،ج2، ص723، وغيرهما وذكروا أنَّ المشاهد فيه إدخال ألف بين الهمزتين. ويجوز أن تحقق الهمزتان بلا زيادة ألف.

[265] ديوان ذي الرُّمة، والبيت في ملحقه، ج3، ص 1849.

[266] محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة .ثقة، وقال ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لأتباعه، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة . ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء ج2،ص167.

[267] ديوان امرئ القيس،تح: مصطفى عبد الشافي،منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان،ط 5، 1425هـ-2004م، ص 68.

[268] أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ سَهْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمَانَ المُقْرِئُ، النَّحْوِيُّ، اللُّغَوِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ كِتَابُ (إعراب القرآن)، وَكِتَابُ (القِرَاءاتِ)، وَكِتَابُ (اخْتِلاَفِ المَصَاحِفِ)، وَغَيْرُ ذَلِكَ .عَاشَ ثَلاَثاً وَثَمَانِيْنَ سَنَةً، وَمَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَتَيْنِ. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج12، ص270.

[269] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 29.

تخفيف الأولى من الهمزتين. وذلك رديء، لأنَّهم إنَّما يخففون بعد الاستثقال. وبعد حصول الواحدة. قال أبو حاتم: ويجوز تخفيف الهمزتين جميعًا، فهذه سبعة أوجه من القراءات، ووجه ثامن يجوز في غير القرآن، لأنه مخالف للسواد. قال الأخفش سعيد: تُبْدل من الهمزة هاءً. تقول: هأنذرتهم، كما يقال: هيَّاك وإيَّاك، وقال الأخفش في قوله تعالى: (ها أنتم) إنما هو: أأأنتم [270].

وفي الآية: ﴿ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام: 19)، استفهام توبيخ وتقريع وقرئ: (أَئِنَّكم) بهمزتين على الأصل. وإن خففت الثانية قلت (أَإِنَّكُمْ)[271]. وروى الأصمعي [272] عن أبي عمرو و نافع: «(أَائِنَّكم)»[273]. وهذه لغة معروفة، تُجْعلُ بيْن الهمزتين ألف كراهيةً لالتقائهما. ذكرها أبو حيان [274]: عن الأصمعي عنهما بتسهيل الثانية وبإدخال ألف بينهما وبين الهمزة الأولى ومن قرأ:(إنَّكُم) على الخبر، فعلى أنَّه قد حقَّق عليهم شركهم [275].

وفي الآية: ﴿ أَإِن ذُكِّرْتُم ﴾ (يس، 19)، (أَئِنْ ذكَّرتُم)، قال القرطبي قال قتادة [276]: إن ذكَّرتُم تطيَّرتُم. وفيه تسعة أوجه من القراءات[277]: قرأ أهل المدينة بتخفيف الهمزة الثانية. وقرأ أهل الكوفة: (أَإِنْ) بتحقيق الهمزتين. والوجه الثالث (أَاإِنْ ذكرتم) بهمزتين بينهما ألف، أدخلت الألف كراهة للجمع بين الهمزتين.

---

[270] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص283 و نقل القرطبي قول الاخفش بواسطة النحاس، إعراب القرآن، ج1،ص28.

[271] أي بالتسهيل، وهي قراءة نافع وابن كثير، التيسير ص32، وينظر: السبعة، ص134.

[272] الأصمعي هو عبد الملك بن قريب ابن عبد الملك بن أصمع البصري الإمام، صاحب اللغة، والغريب، والأخبار، والمُلح، وروى الأزهري بإسناده عن الرياشي، قال: كان الأصمعي شديد التوقي لتفسير القرآن، صدوقًا صاحب سُنَّة، عُمِّر نيفًا وتسعين سنة، ويقال: إنه ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة،ومات الأصمعي سنة ست عشرة ومائتين. ، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص274.

[273] ذكرها أبو حيان في البحر، ج4، ص92.

[274] ابو حيان مُحَمَّد بن يُوسُف بن عَلِيّ بن يُوسُف بن حَيَّان النفزي الأندلسي شيخ النُّحَاة وَإِمَام النَّحْو ولد سنة أَربع وَخمسين وسِتمِائَة، توفّي سنة خمس وَأَرْبَعين وَسَبْعمائَة، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ، ج9، ص279.

[275] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص337-338.

[276] ابن قتادة بن دعامة هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، السدوسى البصرى التابعى. ولد أعمى.سمع أنس بن مالك، وعكرمة، والشعبى، وخلائق غيرهم من التابعين. قال أبو بكر بن عبد الله: مَن سره أن ينظر إلى أحفظ رجل أدركنا وأحرى أن يؤدى الحديث كما سمعه فلينظر إلى قتادة. توفى قتادة سنة سبع عشرة،رضى الله عنه. ، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص58.

[277] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص427-428.

والوجه الرابع: (أَإِنْ) بهمزه بعدها ألف وبعد الألف همزة مخففة [278].

والقراءة الخامسة: (أَأَنْ) بهمزتين مفتوحتين بينهما ألف.

والوجه السادس: (أَأَنْ) بهمزتين محققتين مفتوحتين.وحكى الفراء: أَنَّ هذه قراءة أبي رزين [279].

وحكاه الثعلبي عن زِرْ بن حُبيش [280] وابن السَّمَيْفَع [281].

وقرأ عيسى بن عمر والحسن البصريُّ: (قالوا طائركم معكم أيْنَ ذُكِّرتم) بمعنى حيث. قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ : قرأ أهل المدينة أين ذكرتم بتخفيف الهمزة الثانية، وقرأ أهل الكوفة أَإِنْ بتحقيق الهمزتين، والوجه الثالث أإن بهمزتين بينهما ألف، أدخلت الألف كراهة للجمع بين الهمزتين، والوجه الرابع أإن بهمزة بعدها ألف وبعد الألف همزة مخففة، والقراءة الخامسة أن ذكرتم بهمزتين إلا أنّ الثانية همزة مخففة، والوجه السادس أأن بهمزتين محققتين مفتوحتين. حكى الفراء :« أنّ هذه قراءة أبي رزين» [282] « وقرأ عيسى بن عمر والحسن البصري قالوا طائركم معكم أين ذكّرتم بمعنى حيث والمعنى: أين ذكّرتم تطيّركم معكم. ومعنى أأن ألأن، وقرأ يزيد بن القعقاع والحسن وطلحة ذكرتم، ذكر جميعه النحاس» [283].

---

[278] قرأ بتسهيل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس وأبو جعفر، وقالون وأبو عمرو يدخلان بينهما ألفاً، وكذلك أبو جعفر إلا أنه يفتح الثانية. وقرأ هشام بتح: الهمزتين مع الإدخال وعدمه والباقون بالتح: مع عدم الإدخال، التيسير، ص32، و ابن الجزري، النشر، ج 1، ص370.

[279] أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ) معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، ج2، ص374.

[280] زِرُّ بنُ حُبَيْشِ بنِ حُبَاشَةَ بنِ أَوْسٍ الأَسَدِيُّ الإِمَامُ مُقْرِئُ الكُوْفَةِ مَعَ السُّلَمِيّ، وَحَدَّثَ عَنْ: عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَأُبَيّ بنِ كَعْبٍ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 168.

[281] بن السميفع محمد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه . وقال الحافظ الذهبي: المكي معروف قرأ على ابن كثير، ولكنه ضعيف، وفي الجملة القراءة ضعيفة والسند بها فيه نظر، وإن صح فهي قراءة شاذة لخروجها عن المشهور، ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص 162.

[282] معاني القرآن، الفراء، ج2، ص 374

[283] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص262.

وذكر المهدوي عن طلحة بن مُصرّف [284] وعيسى الهمدانيّ [285]: (آنْ ذُكِّرْتُم) بالمدِّ [286]، على أنَّ همزة الاستفهام دخَلت على همزة مفتوحة.

الماجِشُون[287]:(أَنْ ذُكِّرْتُم) بهمزة واحدة فهذه تسع قراءات.

والضرب الثالث: أن يختلفا أيضاً: فتكون الأولى مفتوحة وهي همزة الإستفهام، والثانية: مضمومة وهي للمتكلم أو القطع لا غير. وجملة ذلك ثلاثة مواضع.

أولها في آل عمران:

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ (آل عمران: 15). لا توجد[288].

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ (ص: 8). لا توجد [289].

﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ﴾ (القمر:25). [290] لا توجد.

لم يعلق القرطبي على هذه الهمزات.

المطلب الثالث: دخول همزة الإستفهام على همزة الوصل:

﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ (الأنعام: 143-144).

﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ (يونس: 59).

---

[284] طلحة بن مصرف هو أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن جحدب بن معاوية بن سعيد بن الحارث بن دهل بن سلمة بن دؤل بن حنبل بن يامن بن رافع اليامى، قال عبد الله بن إدريس: كانوا يُسمون طلحة سيد القراء، توفى سنة ثنتى عشرة، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: عشر ومائة، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص 254.

[285] عَبْد الرَّحْمَن بْن عيسى الهمذانيّ الكاتب (ت 311 - 320 هـ) كاتب رسائل الأمير بَكْر بْن عَبْد العزيز أبي دلف العجلي، كتابه المعروف بـ الألفاظ الكتابية، على أبواب المعاني الكتاب المشهور (تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ) تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م، ج7، ص 388.

[286] ذكر هذه القراءة عن الماجشون ابن جني في المحتسب، ج2، ص205.

[287] الماجشون يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون أبو سلمة المدني، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، وأخذ القراءة عن أبيه يعقوب وقال يعقوب: أخذت القراءة عن الأشياخ الذين سبقوا اللحن وروى عن محمد بن المنكدر والزهري، توفي سنة أربع وثمانين أو خمس وثمانين ومائة. ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص405.

[288] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص57-58.

[289] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص135.

[290] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص91، ص92.

﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ ﴾ (يونس:91).

﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ﴾ (النمل: 59).

﴿قُل ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ (الأنعام: 143).

وزدت[291] مع ألف الوصل مدَّة لنُفَرِّقَ بين الاستفهام والخبر. ويجوز حذف الهمزة، لأن: «أم» تدل على الاستفهام، كما قال: تَرُوحُ مِنَ الحيِّ أَمْ تَبْتَكرْ[292].

(ألله خيرٌ) وأجاز أبو حاتم « أألله خير» بهمزتين. قال النحاس:« ولا نعلم أحدا تابعه على ذلك، لأن هذه المَدَّة، إنما جيء بها فرقًا بين الاستفهام والخبر. وهذه ألف التوقيف»[293].

قال ابن الجزري[294]: وأما همزة الوصل الواقعة بعد همزة الاستفهام فتأتي على قسمين: مفتوحة ومكسورة.فالمفتوحة أيضا على ضربين: ضرب اتفقوا على قراءته بالاستفهام، وضرب اختلفوا فيه. فالضرب الأول المتفق عليه ثلاث كلمات في ستة مواضع: ﴿ ءَآلذَّكَرَيۡنِ ﴾ في موضعي (الأنعام: 143-144)[295] ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ ﴾ (يونس:91-51)-﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ ﴾ (يونس: 59) ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ﴾ (النمل: 59). فأجمعوا على عدم حذفها وإثباتها مع همزة الاستفهام فرقا بين الاستفهام والخبر. واجمعوا على عدم تحقيقها لكونها همزة وصل وهمزة الوصل لا تثبت إلاَّ ابتداء. وأجمعوا على تليينها.

---

[291] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص79.

[292] ديوان أمرئ القيس، ص154.

[293] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص143.

[294] الإمام ابن الجزرى وهو: محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف. ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة هجرية فى دمشق حفظ القرآن الكريم. ثم اتجه إلى علوم القراءات فتلقاها عن أئمة عصره . وبعد التأهيل لجميع القراءات جلس بالجامع الأموى للإقراء. فتلقى عنه الكثير من المحبين للقراءات. وله تصانيف فى علم القراءات الدرة فى القراءات الثلاث التى بعد السبع وتراجم القراء .توفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . محمد إبراهيم محمد سالم (ت 1430هـ)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات دار البيان العربى - القاهرة، ط1، 1424 هـ - 2003 م،ج1، ص5.

[295] ابن الجزري، النشر،ج1، ص293.

واختلفوا في كيفيته، فقال كثير منهم تبدل ألفاً خالصة. وجعلوا الإبدال لازما لها كما يلزم إبدال الهمزة إذا وجب تخفيفها في سائل الأحوال [296].

قال الداني: «هذا قول أكثر النحويين. وهو قياس ما رواه المصريون أداء عن ورش عن نافع يعني في نحو ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة: 6)» [297].

وقال آخرون: تسهل بين بين لثبوتها في حال الوصل وتعذر حذفها فيه فهي كالهمزة اللازمة. وليس إلى تحقيقها سبيل فوجب أن تسهل بَيْنَ بَيْنَ قياسًا على سائر الهمزات المتحركات بالفتح إذا ولتهن همزة الاستفهام.

وقال الدَّاني:« والقولان جيدان ولم يحققها أحد من أئمة القراءة، ولا فصل بينها وبين همزة الاستفهام لضعفها. ولأن البدل يلزمها في أكثر القول فلم يكن لذلك إلى تحقيقها ولا إلى الفصل» [298].

قال ابن الجزري « وأما همزة الوصل المكسورة الواقعة بعد همزة الاستفهام فإنها تحذف في الدرج بعدها من أجْل عدم الالتباس ويؤتي بهمزة الاستفهام وحدها» [299].

نحو قوله تعالى: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾(سبأ: 8)- ﴿ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ (المنافقون: 6).

﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ ﴾ (الصافات: 153). ﴿ أَتَّخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ (ص:63).

﴿ أَتَّخَذْنَهُمْ ﴾ بقطع الألف على الاستفهام وسقطت ألف الوصل لأنه قد استغنى عنها فمن قرأ بحذف الألف لم يقف على (الأشرار) لأن ﴿أَتَّخَذْنَهُمْ﴾ حال [300].

---

[296] ابن الجزري. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ) المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية، ج1، ص 377.

[297] الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات، ط1، 1428 هـ - 2007 م، ج2، ص 524 - (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق والطباعة بجامعة الشارقة).

[298] الداني، جامع البيان في القراءات السبع، ج1، ص327.

[299] ابن الجزري، النشر، ج1، ص294.

[300] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص234.

وقال النحاس:« أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا بضم السين قراءة الحسن ومجاهد [301] وشيبة [302] ونافع وعاصم وابن عامر [303] على الاستفهام وسقطت ألف الوصل لأنه قد استغني عنها، وقرأ ابن كثير والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي اتّخذناهم على أنها ألف وصل في اتّخذناهم، يكون «اتخذناهم» نعتا للرجال وأبو عبيد وأبو حاتم يميلان إلى هذه القراءة واحتجّا جميعا بأن الذين قالوا هذا قد علموا أنهم اتّخذوهم سخريّا فكيف يستفهمون فالا وقد تقدم الاستفهام »[304].

قال السجستاني:« هو نعت لرجال. قال ابن الأنباري: وهذا خطأ: لأن النعت لا يكون ماضياً ولا مستقبلا. ومن قرأ: ﴿أَتَّخَذْنَـٰهُمْ﴾ بقطع الألف وقف على (الأشرار) »[305].

المطلب الرابع: تحقيق همزتين في كلمة

وأما إذا كانت الهمزة الأولى لغير استفهام. فإن الثانية منهما تكون متحركة ساكنة، فالمتحركة لا تكون إلا بالكسرة. وهي كلمة واحدة في خمسة مواضع: (أئمّة) :

﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة: 12).

﴿ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (الأنبياء: 73).

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ (القصص:5).

---

[301] مجاهد بن جبير مولى عبد الله بن السائب القارىء، من كبار التابعين يكنى أبا الحجاج، مات سنة أربع ومائة، عن ثلاث وثمانين سنة من عمره. سمع من الصحابة كابن عباس وأبا هريرة وغيرهم. ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج5، ص2272.

[302] شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب إمام ثقة مقرئ المدينة ومولى أم سلمة -رضي الله عنها- مسحت على رأسه ودعت له بالخير، وهو من قرآء التابعين الذين أدركوا أصحاب النبي ﷺ وأدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة زوجي النبي ﷺ وهو أول من ألف في الوقوف. مات سنة ثلاثين ومائة . ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص330.

[303] ابن عامر الشامي هوعبد الله بن عامر الشامي اليحصبي، وهو من التابعين، ولد سنة ثمان من الهجرة، قال ابن الجزري كان اماما كبيرا،وكانت له مشيخة الاقراء بدمشق فأجمع الناس على قراءته، وعلى تلقيها بالقبول، توفي سنة ثمان عشرة ومائة، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1، ص62.

[304] النحاس، إعراب القرآن، ج10، ص127.

[305] ابن الانباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر (ت 328هـ)، إيضاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ - 1971م، ج2، ص 864.

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ (القصص: 41).

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ﴾ (السجدة: 24).

قال القرطبي: أأممة، كمثال وأمْثِلة، ثم أُدغمت الميم في الميم، وقلبت الحركة على الهمزة. فاجتمعت همزتان.فأبدلت من الثانية ياء.وزعَمَ الأخفش أنك تقول: «هذا أَيَمٌّ من هذا. بالياء»[306]. وقال المازني: أَوَمٌّ من هذا. بالواو، وقرأ حمزة (أئمة) وأكثر النحويين يذهب إلى أنّ هذا لحنُ، لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة[307].

«فحقق الهمزتين جميعا في الخمسة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وروح، وسهل الثانية فيها الباقون وهم: نافع وأبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس[308]»[309].

جاء في الحجة:«قرأ بهمزتين مفتوحة ومكسورة، وبهمزة وياء، فالحجة لمن حقق الهمزتين أنه جعل الأولى همزة الجمع، والثانية همزة الأصل التي كانت في إمام، أأممة على وزن (أَفْعله) فقلبوا كسرة الميم إلى الهمزة. وأدغموا الميم في الميم للمجانسة والحجة لمن جعل الثانية ياء: أنه كره الجمع بين همزتين فقلب الثانية ياء لكسرها بعد أن ليَّنَها وحركها لالتقاء الساكنين...»[310].

---

[306] القرطبي نقلا عن: النحاس، إعراب القرآن، ج 2 ص 111

[307] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص127.

[308] رويس هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري المعروف، أخذ القراءة عرضا عن يعقوب الحضرمي. روى القراءة عنه عرضا محمد بن هارون التمار والإمام أبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبيري الشافعي، وروى عن فارس عن السامري توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص235.

[309] ابن الجزري، النشر، ج1، ص2014.

[310] ابن خالويه، الحجة، ص96.

«إنَّ جماعة من المحققين يجعلونها ياء خالصة، وأشار إليه محمد مكي والداني في جامع البيان والحافظ أبو العلاء والشاطبي [311] وغيرهم أنه مذهب النُّحاة »[312].

وقد اختلف النحاة أيضًا في تحقيق هذه الياء أيضاً وكيفية تسهيلها. فقال ابن جني في باب الشواذ من كتاب الخصائص له:« ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي (أئمة) بالتحقيق فيها فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة إلاَّ أنْ يكون عينين نحو (سال، وسار، جار)»[313]. فأما التقاؤهما على التحقيق من كلمتين تضعيفا عندنا وليس لحنا ثم قال: لكن التقاؤهم في كلمة واحدة غير عينين لحن إلا ما شذ مما حكيناه خطأ وبابه. ولما ذكر أبو على الفارسي التحقيق قال: وليس بالوجه لأنا لا نعلم أحدا ذكر التحقيق في (آدم) و (آخر) ونحو ذلك. فكذا ينبغي في القياس (أئمة). يشير إلى أن أصلها (أأيمة) على وزن أفعله جمع إمام فنقل حركة الميم إلى الهمزة الساكنة قبلها من أجل الإدغام لاجتماع المثلين فكان الأصل الإبدال من أجل السكون ولذلك نص أكثر النحاة على إبدال الياء كما ذكره الزمخشري في الفصل قال أبو شامة[314]: ووجهة النظر إلى أصل الهمزة وهو السكون وذلك يقتضي الإبدال مطلقا. قال: وتعينت الياء هنا لانكسارها الآن فأبدلتْ ياء مكسورة. ومنع كثير منهم تسهيلها بين بين قالوا: لأنها تكون بذلك في حكم الهمزة. ألا ترى أن الأصل عند العرب في اسم الفاعل من (جاء) جائي فقلبوا الهمزة الثانية ياء محصنة لانكسار ما قبلها.

ثم إن الزمخشري خالف النحاة في ذلك واختار تسهيلها بين بين عملا بقول من حققها كذلك من أئمة القراء فقال في الكشاف من سورة التوبة عند ذكر أئمة:« فإن قلت كيف لفظ أئمة؟ قلت: همزة

---

[311] الشاطبي هو أحمد بن محمد بن خلف بن محرز بن محمد أبو العباس الأندلسي الشاطبي المالكي المقرئ وأقرأ القرآن بعدة روايات وكان قد قرأ على أبي عبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله المقرئ الدينوري وصنف كتاب المقنع في القراءات السبع وقراءة أبي عمرو بن العلاء والتنبيه على قراءة نافع، ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م، ج5، ص343.

[312] ابن الجزري، النشر، ج1، ص294.

[313] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ) ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ج3، ص145.

[314] أبو شامة. وُلِد سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائة بدمشق، وقرأ القراءات، وأكملها سنة ستّ عشرة، وأتقن الفِقْه، ودرّس، وأفتى، وبرع في فنّ العربيّة، وصنَّف في القراءات شرحًا نفيسًا للشّاطبيّة، تُوُفّي رحمه الله في تاسع عشر رمضان، ودُفِن بباب الفراديس، الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م، ج15، ص114.

بعدها همزة بَيْن بَيْن، أي بين مخرج الهمزة والياء قال: وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقولة عند البصريين قال: وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ومن صرح به فهو لاحن محرف»[315]، والقرطبي يرفض قول الزمخشري، قال: وهذا مبالغة منه والصحيح ثبوت كل من الوجوه الثلاثة أعني التحقيق وبين بين والياء المحضة عن العرب .

« وقد جعل له الخليل علامة التشديد»[316].

وأن أكثر اللغويين إدراكا لطبيعة هذه الظاهرة اللغوية، ابن جني.

قال القرطبي في: **(أئمة)** قوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ (التوبة: 12)، (أئمة) جمع إمام، والمراد: صناديد قريش-في قول بعض العلماء -كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف. وهذا بعيد فإن الآية في سورة براءة، وحين نزلت وقرئت على الناس كان الله قد استأصل شأفة قريش فلم يبق إلا مسلم أو مسالم. فيحتمل أن يكون المراد ﴿فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾، أنَّ من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون أصلا ورأسا في الكفر فهو من أئمة الكفر على هذا التأويل. ويحتمل أن يعني به المتقدِّمون والرؤساء منهم وأن قتالهم قتال لأتباعهم وأنهم لا حرمة لهم.

قال النحاس:« والأصل: أَاِمِمَة، كمثال وأمثلة، ثم أدغمت الميم في الميم، وقُلبت الحركة على الهمزة، فاجتمعت همزتان، فأبدلت من الثانية ياء. وزعم الأخفش أنك تقول: «هذا أَيَّمٌ من هذا. بالياء» [317]، وقال المازنيُّ: أوَمٌ من هذا بالواو، وقرأ حمزة: (أئمة) وأكثر النحويين يذهب إلى أنّ هذا لحن؛ لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة» [318]﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ﴾ ؛ أي: لا عهود لهم؛ أي: ليست عهودهم صادقة يوفون بها. وقرأ ابن عامر: (لا إيمان لهم) بكسر الهمزة من الإيمان، أي: لا

---

[315] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، ج2، ص 251.

[316] الفراهيدي، العين، ج1، ص55.

[317] نقل القرطبي قول الاخفش بواسطة النحاس إعراب القرآن، ج 2، ص 111.

[318] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص111.

إسلام لهم. ويَحتمل أن يكون مصدر: آمَنتُه إيمانًا من الأمن، الذي ضده الخوف؛ أي: لا يؤمنون من آمنته إيمانًا؛ أي: أَجَرْته. فلهذا قال: ﴿فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ﴾ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾؛ أي: عن الشرك. قال الكلبيّ[319]: كان النبي ﷺ وادَعَ أهل مكة سنةً وهو بالحُديبية، فحبسوه عن البيت، ثم صالحوه على أن يرجع، فمكثوا ما شاء الله، ثم قاتل حلفاء رسول ﷺ من خزاعة حلفاء بني أميّة من كِنانة، فأمدَّت بنو أمية حلفاءهم بالسلاح والطعام، فاستعانت خزاعة برسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، وأُمر رسول الله ﷺ أن يُعين حلفاءه كما سبق. وفي البخاري[320] عن زيد بن وهب قال: كنّا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية - يعني ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ﴾ إلا ثلاثةٌ، ولا بقي من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابيٌّ: إنكم أصحاب محمد تخبرون أخبارا لا ندري ما هي! تزعمون ألا منافق إلا أربعة فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا، ويسرقون أعلاقَنا؟ قال: أولئك الفُسَّاق. أَجَلْ لم يبقَ منهم إلا أربعةٌ. أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد بَرْدَه[321].

المبحث الثاني: الهمز والقراءات:

الهمزة حرف بسببه تختلف القراءات وله في اللهجات العربية مذاهب، فهناك من يحققه وهناك من يسهله وقد تعددت القراءة في الاية الواحدة بسبب الهمزة، وقد عني القرطبي كثيرا بالبيان في ظاهرة تحقيق الهمز والتسهيل. وسأعرض مجموعة من النماذج للقرطبي التي يظهر من خلالها تنوع القراءات بسبب الهمز.

---

[319] الكلبي أبو النضر محمد بن السائب بن بشر، وقيل مبشر، بن عمرو الكلبي الكوفي، صاحب التفسير وعلم النسب؛ كان أماما في هذين العلمين، وكان الكلبي من أصحاب عبد بن سبأالذي يقول إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا. وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق. وتوفي سنة ست وربعين ومائة بالكوفة. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص 311.

[320] البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري تح: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، رقم 4658، ج6، ص65.

[321] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص126-127.

المطلب الأول: هـزؤ و أُسَارى:

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ هُزُوًا﴾ (البقرة: 67) مفعول ثان، ويجوز تخفيفُ الهمزة، تجعلها بين الواو والهمزة، وجعلها حفص واوا مفتوحة لأنها همزة مفتوحة قبلها ضمة، فهي تجري على البدل، كقوله: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ﴾ (البقرة: 13)، ويجوز حذف الضمة من الزاي كما تحذفها من عَضُد. فتقول: هُزْؤًا كما قرأ أهل الكوفة وكذلك ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص: 4)، وحكى الأخفش عن عيسى بن عمر:« أن كل اسم على ثلاثة أحرف أولُه مضموم ففيه لغتان: التخفيف والتثقيل، نحو العسر واليسر، والهزء، ومثله ما كان من الجمع على فعل، ككُتُب وكُتْب، ورُسُل ورُسْل وعُوُن وعُوْن»[322] وأما قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ فليس مثل هزء وكفء لأنه على فعل من الأصل[323] .

وفي الآية: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ (البقرة: 71)؛ قال القرطبي أي: بيَّنتَ الحقَّ، قاله قتادة وحكى الأخفش: (قالوا ألآن) قطع ألف الوصل[324]، كما يقال: يا ألله. وحكى وجها آخر (قالوا لَانَ) بإثبات الواو[325]. نظيره قراءة أهل المدينة وأبي عمرو:﴿ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ (النجم: 50)، وقرأ الكوفيون: (قالوا الآن) بالهمز، وقراءة أهل المدينة: (قالوا لآن) بتخفيف الهمز مع خذف الواو لالتقاء الساكنين. قال الزجاج:« (الآن) مبنيّ على الفتح لمخالفته سائر ما فيه الألف واللام؛ لأن الألف واللام

---

[322] الأخفش الاأوسط، (أبو الحسن سعيد بن مسعدة)، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، معاني القرآن ، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411 هـ - 1990 م، ج1، ص110.

[323] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص180.

[324] الأخفش الأوسط، معاني القرآن، ج1، ص 113.

[325] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

دخلتا لغير عهد،» [326] تقول: أنت إلى الآن هنا فالمعنى إلى هذا الوقت، فبنيت كما بني (هذا) وفتحت النون لالتقاء الساكنين وهو عبارة عما بين الماضي والمستقبل [327].

وقال القرطبي في : **(أُسَارى) من** قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ (البقرة: 85)، قال القرطبي شرطُ وجوابه (تفادوهم) و(أُسارَى) نصب على الحال. قال أبو عُبيد: وكان أبو عمرو يقول: ما صار في أيديهم فهم الأُسارى، وما جاء مستأسِرًا فهُم الأَسْرَى. ولا يعرف أهلُ اللغة ما قال أبو عمرو إنما هو كما تقول: سُكارى وسَكْرى.

وقرأ الجماعة (أُسارى) ما عدا حمزة، فإنه قرأ (أَسْرَى) على فَعْلَى، جمع أسير، بمعنى مَاسُور والباب ـ في تكسيره إذا كان ذلك ـ فعلى كما تقول: قتيلٌ وقَتْلَى، وجَرِيح وجَرْحَى. قال أبو حاتم: ولا يجوز أَسَارى. وقال الزجاج: يقال أَسارى ما يقال: سَكارَى وفَعالى هو الأصل، وفُعالَى داخلة عليها. وحُكي عن محمد بن يزيد قال: يقال: أسير وأُسَرَاء كظريف وظُرَفَاء. قال ابن فارس: يقال في جمع أسير: وأَسْرى وأُسارى، وقُرئَ بهما وقيل: أَسَارى -بفتح الهمزة- وليست بالعالية [328].

المطلب الثاني: جبريل وزكريا

قال القرطبي في: **(جبريل)** من قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: 98)، ولعلماء اللسان في جبريل وميكائيل عليهما السلام لغات، فأما التي في (جبريل) فعشرٌ:

الأولى: جِبريل، وهي لغة أهل الحجاز؛ قال حسان بن ثابت: [329]

---

[326] إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م، ج1، ص 153.

[327] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص192.

[328] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص240.

[329] ديوان حسان بن ثابت الانصاري، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الاستاذ عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1414هـ-1994م، ص20.

وجِبْرِيُّل رسولُ الله فِينَا

الثانية: جَبْرِيل، بفتح الجيم، وهي قراءة الحسن وابن كثير، وروي عن ابن كثير أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم وهو يقرأ: جَبْرِيل وميكال، فلا أزالُ أقرؤهما أبدا كذلك.

الثالثة: جَبْرَئِيل، بياء بعد الهمزة، مثال جبرعيل، كما قرأ أهل الكوفة، وأنشدوا:

شَهِدْنا فما تَلْقَى لنا من كتيبةٍ ***مَدَى الدهرِ إلا جَبْرَئِيلُ أمامُها [330]

وهي لغة تميم وقيس.

الرابعة: جبْرَئِل -على وزن جَبْرَعِل- مقصور، وهي قراءة أبي بكر عن عاصم.

الخامسة: مثلها، وهي قراءة يحيى بن يعمر إلا أنه شدد اللام.

السادسة: جَبْرائِل، بألف بعد الراء ثم همزة؛ وبها قرأ عكرمة [331].

السابعة: مثلها إلا أنّ بعد الهمزة ياء.

الثامنة: جَبْرايِيل، بياءين بغير همزة، وبها قرأ الأعمش ويحيى بن يعمر أيضا.

التاسعة: جَبْرئين، بفتح الجيم مع همزة مكسورة، بعدها ياء ونون.

---

[330] و ذكره أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج2، ص 19.و الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص 263، البيت في معاني القرآن للزجاج، ج1، ص180، وفي حجة القراءات لابن زنجلة، ص 107 من غير نسبة، ونسبه ابن هشام في شرح (بانت سعاد)، ص55، وابن عادل في اللباب، ج2، ص311 لحسان بن ثابت، وذكر البغدادي في خزانة الادب، ج1، ص461 أن الصاغاني نسبه لكب بن مالك، وخطّأ من نَسبَه لحسان بن ثابت.

[331] عكرمة أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما؛ أصله من البربر من أهل المغرب، اجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن .حدث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمروأبي هريرة والحسن بن علي وعائشة، رضي الله عنهم؛ وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها، وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحداً أعلم منك قال: عكرمة. وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار والشعبي وغيرهم. ومات عكرمة في سنة سبع ومائة، وعمره ثمانون. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص266.

العاشرة: جِبْرين، بكسر الجيم وتسكين الياء بنون من غير همزة، وهي لغة بني أسد قال الطبري[332]: ولم يقرأ بها.

قال النحاس:« -وذكر قراءة ابن كثير- لا يعرف في كلام العرب: فَعْلِيل وفيه فِعْلِيل نحو دِهليز وقِنْطير وبِرْطيل وليس يُنكر أن يكون في كلام العجم ما ليس له نظير في كلام العرب وليس ينكر أن يكثر تغيره»[333]. كما قالوا: إبراهيم وإبْرَهَم وإبراهُم وإبراهام. قال غيره: جبريل اسم أعجمي عرَّبته العرب فلها فيه هذه اللغات ولذلك لم ينصرفْ[334].

(زكريا) في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (آل عمران: 37)، (زكرياءَ) بالمد والنصب وقرأ حفص وحمزة والكسائي: (زكريا) بغير مدّ ولا همز، ومدَّه الباقون وهَمزُوه. وقال الفراء: أهل الحجاز يمدون (زكرياء) ويَقْصرونه، وأهل نجد يحذفون منه الألف ويصرفونه فيقولون: زكريٌّ. والقول الذي في معاني القرآن:«وفي زكريا ثلاث لغات: القصر فى ألفه، فلا يستبين فيها رفع ولا نصب ولا خفض، وتمد ألفه فتنصب وترفع بلا نون لأنه لا يجرى، وكثير من كلام العرب أن تحذف المدة والياء الساكنة فيقال: هذا زكرى قد حاء فيجرى لأنه يشبه المنسوب من أسماء العرب»[335].

قال الأخفش:« فيه أربع لغات: المدُّ والقصر وزكرِيٌّ بتشديد الياء والصَّرف وزكَرٍ، ورأيتُ زكرِيًا. قال أبو حاتم: زكرىٌّ بلا صرفٍ لأنه أعجمي، وهذا غلط، لأن ما كانت فيه ياء مثل هذا انصرف مثل كرسيّ ويحيى، ولم ينصرف زكرياء في المد والقصر لأن فيه ألف تأنيث»[336]، والعُجمة والتعريف[337].

---

[332] الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ /2000 م.

[333] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص70.

[334] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص262-263.

[335] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص208.

[336] نقل القرطبي قول الاخفش بواسطة النحاس، إعراب القرآن، ج1 ص155.

[337] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص107.

المطلب الثالث: النسيء ومرجون

قال القرطبي في: **(النسيء)** من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ (التوبة: 37)، قال القرطبي: « قال النحاس: هكذا يقرأ أكثر الأئمة. قال النحاس: (ولم يَروِ أحدٌ عن نافع فيما علمناه: (إِنَّمَا النَّسِيُّ) بلا همز إلا ورشٌ وحدَه. وهو مشتق من نسأه وأَنْسَأه: إذا أخَّره. حكى اللغتين الكسائي). الجوهريُّ: النَّسيء فعيلٌ بمعنى مفعول؛ من قولك: نسأتُ الشيء فهو منسوء: إذا أخَّرتَه. ثم يحوّل منسوءٌ إلى نسيءٍ؛ كما يحوَّل مقتول إلى قتيل. ورجل ناسئ وقوم نَسَأَة، مثلُ: فاسِقٍ وفَسَقَةٍ »[338].

قال الطبري:« النسيءُ بالهمزة معناه الزيادة، وقد كان بعض القرأة يقرأ ذلك: (إِنَّمَا النَّسْيُ) بترك الهمز وترك مدِّه: (يضل به الذين كفروا)، واختلف القرأة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة الكوفيين: (يَضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى: يضل الله بالنسيء الذي ابتدعوه وأحدثوه، الذين كفروا.

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: (يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا)، بمعنى: يزول عن محجة الله التي جعلها لعباده طريقًا يسلكونه إلى مرضاته، الذين كفروا»[339].

وقد حكي عن الحسن البصري:« (يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا)، بمعنى: يضل بالنسيء الذي سنه الذين كفروا، الناسَ. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: هما قراءتان مشهورتان، قد قرأت بكل واحدةٍ القرأة أهل العلم بالقرآن والمعرفة به، وهما متقاربتا المعنى. لأن من أضله الله فهو "ضال"، ومن ضل فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلّ. فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيبٌ.

---

[338] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص201-202.

[339] الطبري، جامع البيان، ج14، ص243.

وأما الصواب من القراءة في "النسيء"، فالهمزة، وقراءته على تقدير "فعيل" لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار التي لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه »[340].

ويقال: نَسَأَ يَنْسَأُ: إذا زاد. قال: ولا يكون بترك الهمز إلا من النسيان، كما قال تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾(التوبة: 67). وردَّ على نافع قراءته واحتجَّ بأنْ قال: إنه يتعدّى بحرف الجر؛ يقال: نسأ الله في أجَلك، كما تقول: زادَ الله في أجلك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: من سره أن يبسط له في رزقه ويُنْسَأَ له في أثره فليصل رحمه. قال الأزهري: أنسأتُ الشيء إنساءً ونسيئًا، اسم. وضع موضع المصدر الحقيقي[341].

قال القرطبي في: **(مرجون)** قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (التوبة: 106)، نزلت في الثلاثة الذين تِيب عليهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية من بني واقفٍ، ومُرارة بن الربيع. وقيل: ابن رِبْعيّ العَمْريّ، ذكره المهدوي كانوا قد تخلفوا عن تبوك وكانوا مَيَاسيرَ على ما يأتي من ذكرهم. والتقدير: ومنهم آخرون مُرْجَوْن، من أرجأته، أي: أخَّرته. ومنه قيل: مُرْجِئة؛ لأنهم أخَّروا العمل. وقرأ حمزة و الكسائي ﴿ مُرۡجَوۡنَ ﴾ بغير همز فقيل: هو من أَرْجَيْتَهُ، أي: أخَّرتُه، وقال المبرّد[342]: لا يقال أَرْجَيْت بمعنى أخَّرته، ولكنْ يكون من الرجاء[343].

﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ «(إمَّا) في العربية لأحدِ أمرين، والله ﷻ عالم بمصير الأشياء، ولكن المخاطبة للعباد على ما يعرفون؛ أي: ليكن أمرُهم عندكم على الرجاء لأنه ليس للعباد أكثرُ من هذا»[344].

---

[340] الطبري، جامع البيان، ج14، ص244

[341] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص117.

[342] المبرد وهو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ،كان شيخ أهل النحو والعربية، أخذ عن أبي عمر الجرمي، وأبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، ولد المبرد سنة عشر ومائتين، ومات سنة خمس وثمانين ومائتين. الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص164.

[343] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص368-369.

[344] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص133.

المطلب الرابع: هيت

قال القرطبي في: **(هيت)** ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف: 23)؛ أي: هَلُمَّ وأَقْبِلْ وتَعالَ، ولا مصدرَ له ولا تصريف. قال النحاس:« فيها سبع قراءات فمن أجلِّ ما فيها وأصحَّه إسنادا ما رواه الأعمش عن أبي وائل[345].

قال: سمعت عبد الله بن مسعود[346] يقرأ (هَيْتَ لَكَ) قال فقلت: إنَّ قومًا يقرؤونها (هِيتُ لك) فقال: (إنَّما أقرأ كما عُلِّمت). قال أبو جعفر: وبعضهم يقول عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ ولا يبعُدُ ذلك؛ لأنَّ قوله: إنّما أقرأ كما علِّمت، يدلُّ على أنه مرفوع. وهذه القراءة بفتح التاء والهاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس[347] وسعيد بن جبير[348] والحسن ومجاهد وعكرمة»[349]. وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء وعاصم والأعمش وحمزة و الكسائي، قال عبد الله بن مسعود: لا تَنَطَّعوا في القرآن؛ فإنما هو مِثْلُ قول أحدكم: هَلَمَّ وتَعالَ.

---

[345] ابو واثل هو شقيق بن سلمة أبو وائل الكوفي الأسدي إمام كبير، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، وحفظ القرآن في شهرين عرض على عبد الله بن مسعود، روى عنه الأعمش ومنصور، وتوفي سنة اثنتين وثمانين. ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص328.

[346] عبد الله بن مسعود بن الحارث الهذلي المكي أحد السابقين والبدريين والعلماء الكبار من الصحابة،عرض القرآن على النبي ﷺ، وهو أحد من أفشى القرآن من في رسول الله ﷺ وكان يقول: حفظت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة، وكان يخدم النبي ﷺ ويلزمه وإليه تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش، مات آخر سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة. المصدر نفسه، ج1، ص458.

[347] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما الإمام البحر عالم العصر أبو العباس الهاشمي بن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو الخلفاء: مات رسول الله ﷺ ولعبد الله ثلاث عشرة سنة وقد دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل. قال بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد. توفي ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية وقال: اليوم مات ربانى هذه الأمة رضي الله عنه.(تذكرة الحفاظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م، ج1، ص34.

[348] أبو عبد الله سعيد بن جبير، وقيل: أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الكوفى الأسدى الوالبى،.سمع سعيد جماعات من أئمة الصحابة، منهم ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وجماعات من التابعين. روى عنه جماعات من التابعين وغيرهم، وكان سعيد من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم فى التفسير، والحديث، والفقه، والعبادة، والورع، وغيرها قتله الحجاج بن يوسف صبرًا ظلمًا فى شعبان سنة خمس وتسعين، وقال ابن قتيبة: قُتل سنة أربع وتسعين وهو ابن تسع وأربعين. ، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص216.

[349] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص198.

«وقرأ ابن أبي إسحاق النحويّ (يعقوب) [350]: (وقَالَتْ هَيْتَ لَكَ)؛ بفتح الهاء وكسر التاء. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي [351]وابن كثير: (هَيْتُ لَكَ) بفتح الهاء وضم التاء»[352] قال طرفة:

ليس قَومي بالأبْعَدِينَ إذَا مَا *** قَالَ دَاعٍ من العَشِيرة هَيْتُ [353]

«فهذه ثلاثُ قراءات الهاء فيهنَّ مفتوحة. وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافعٌ: (وَقَالَتْ هِيتَ لَكَ) بكسر الهاء وفتح التاء. وقرأ يحيى بن وثَّاب [354]: (وَقَالَت هِيْتُ لَكَ) بكسر الهاء وبعدها ياء ساكنة والتاء مضمومة. وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ وابن عباس ومجاهد وعكرمة: (وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة والتاء مضمومة. وعن ابن عامر وأهل الشام: (وَقَالَتْ هِئْتَ) بكسر الهاء وبالهمزة وبفتح التاء.

قال أبو جعفر: (هئتَ لَكَ) بفتح التاء لالتقاء الساكنين؛ لأنه صوت نحو: مَهْ وصَهْ، يجب ألاَّ يُعْرَبَ، والفتح خفيف لأنَّ قبل التاء ياء مثل: أيْنَ وكيفَ. ومَن كسر التاء فإنما كسرها لأن الأصل

---

[350] أبي اسحاق النحوي (يعقوب الحضرمي) أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن يزيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي بالولاء، البصري، وهو أحد القراء العشرة، أحد الأئمة الأعلام، وهو أحد الثلاثة القراء الذي جعل أكثر العلماء قراءتهم من المتواتر، وجوزوا القراءة بها. أخذ القراءة عرضا عن سلام بن سليمان الطويل، وأبي الأشهب العطاردي وغيرهم، وروى عن حمزة حروفا، وسمع الحروف من أبي الحسن الكسائي. وسمع من جده زيد بن عبد الله، وشعبة، وغيرهم وروى عنه الزعفراني، وعقبة بن مكرم، واقتدى به في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو بن العلاء، فهم أو أكثرهم على مذهبه. قال أبو حاتم السجستاني: كان يعقوب الحضرمي أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن الكريم وتعليله ومذاهبه،وله كتاب«الجامع». توفي سنة خمس ومائتين. بالمخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج2، ص382.

[351] ابو عبد الرحمن السلمي عَبد اللَّهِ بن حبيب بن ربيعة الكوفي القارئ، ولأبيه صحبة.رَوَى عَن: وعثمان بْن عَفَّان، وعلي بْن أَبي طالب، وعُمَر بْن الْخَطَّاب، وأبي هُرَيْرة. رَوَى عَنه: إِبْرَاهِيم النخعي، و السدي، وسَعِيد بْن جبير،مات سنة خمس ومئة، وهُوَ ابْن تسعين سنة رَوَى له الجماعة. الكلبي،تهذيب الكمال في أسماء الرجال يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت 742هـ)تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400ه/ 1980،ج14، ص 408.

[352] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص198.

[353] ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشمنتري(476ه)، تليه طائفة من الشعر المنسوب الى طرفة، تح: درية الخطيب و لطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط 2، (2000م)، ص 147.

[354] يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القارئ، روى عن ابن عباس وابن عمر -رضي الله عنهم- وعن مسروق وقرأ على بعضهم.قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضا عن علقمة والأسود ومسروق. قلت: قرأ عليه الأعمش وطلحة بن مصرف وآخرون. وقال حسن بن صالح: قرأ يحيى على علقمة وقرأ علقمة على ابن مسعود، فأي قراءة أفضل من هذه. توفي سنة ثلاث ومائة. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص34.

الكسر؛ لأنّ الساكن إذا حرّك حرّك إلى الكسر، ومن ضم فلأنّ فيه معنى الغاية؛ أي قالت: دعائي لك، فلما حذفت الإضافة بُني على الضم مثل: حيثُ وبعدُ» [355]، وقراءة أهل المدينة فيها قولان: أحدهما: أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين كما مرَّ والآخر: أن يكون فعلا من: هَاءَ يَهِيء مثل جاء يجيء، فيكون المعنى في (هِيتَ) أي: حَسُنَتْ هَيئتُك وخففت الهمزة، ويكون (لَكَ) من كلام آخر كما تقول: لك أعني. ومن هَمَز وضمَّ التاء فهو فِعْلٌ بمعنى: تهيَّأتُ لَكَ، وكذلك من قرأ: (هِيتُ لَكَ). وأنكر أبو عمرو هذه القراءة؛ قال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى: سئل أبو عمرو عن قراءة من قرأ بكسْر الهاء وضمِّ التاء مهموزا، فقال أبو عمرو: باطل، جعلها من تهيَّأتُ، اذهبْ فاستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن؛ هل تعرف أحدا يقول هذا؟ وقال الكسائي أيضا: لم تُحكَ (هِئتُ) عن العرب قال عكرمة: (هِئتُ لَكَ) أي: تهيَّأتُ لك وتَزيَّنتُ وتَحسَّنتُ، وهي قراءة غير مرضيَّة؛ لأنها لم تسمع في العربية. قال النحاس: هي جيدة عند البصريّين؛ لأنه يقال: هَاءَ الرجلُ يَهَاءُ ويَهِيءُ هَيْئَةً فهاء يَهيء مثل جاء يجيء، وهِئْت مثل جئت.

قال الزجاج : «وكسْرُ الهاء في (هِيت) لغة لقوم يؤْثرون كسر الهاء على فتحها قال الزجاج: « أجود القراءات: (هَيْتَ) بفتح الهاء والتاء»[356]، قال طرفة :

ليس قَومي بالأبْعَدِينَ إذَا مَا *** قَالَ دَاعٍ من العَشِيرة هَيْتُ [357]

وقال الشاعر في علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أَبْلِغْ أميرَ المُؤمنـ*** ـينَ أخا العراقِ إذا أَتيتَا

---

[355] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص198.

[356] الزجاج معاني القرآن و إعرابه، ج3، ص 100.

[357] ديوان طرفة بن العبد، شرح الاعلم الشمنتري(476هـ)، ص 147 .، ولكن ذكر هذا البيت في هذا الموضع وهم من المصنف رحمه الله فقد ذكر الزجاج في هذا الموضع البيتين اللذين سيردان بعده في علي رضي الله عنه، ثم قال: وحكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة...، شاهداً على قراءة (هيتُ) بضم التاء، ويدل على ذلك أنه قرن به بيتا آخر من نفس القصيدة والتي هي بضم التاء في القافية. الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص308 هامش رقم 6.

أنَّ العراقَ وأهلَهُ *** سِلْمٌ إليك فَهَيْتَ هَيْتَا [358]

قال ابن عباس والحسن: (هيت) كلمة بالسريانية تَدعوه إلى نفسها. وقال السدي[359]: معناها بالقبطية: هلمَّ لك. قال أبو عبيد: كان الكسائي يقول: هي لغةٌ لأهل حَوْران وقعت إلى أهل الحجاز معناه تعالَ. قال أبو عبيد: فسألت شيخا عالما من حوران فذكر أنها لغتهم وبه قال عكرمة. وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمة حثٍّ وإقبالٍ على الأشياء. قال الجوهري:« يقال هَوَّتَ به وهَيَّتَ به إذا صاح به ودعاه »[360] قال:

قد رَابَني أنَّ الْكَرِيَّ أَسْكَتَا *** لو كان مَعْنِيًّا بِها لَهَيَّتَا [361]

أي: صَاحَ.

وقال آخر : يَحْدُو بها كلُّ فتًى هَيَّاتِ [362].

لقد تنوعت القراءات القرآنية وكثرت بسبب ظاهرة الهمز، وهو ما سهّل قضية الاختيار عند القراء، فعندما تكثر الاداءات والوجوه التي نقلها الثقات، جاز للقراء الاختيار. وقد ظهر في قضية الهمز واللهجات، عرض القراءة على المخزون الغوي عند أبي عمرو بن العلاء وهو نموذج عالٍ للإقراء والرواية، وهو في قراءة (هئْت) يردّها لانه لا يعلم لها نظير في العربية، ويعتبر أبو عمرو بن العلاء اول من سنَّ رد القراءة، وقد تبعه في ذلك النحاة قديما وحديثا.

---

[358] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص309، مجاز القرآن،ج1، ص305، ومعاني القرآن للزجاج، ج3، ص100، وتفسير الطبري، ج13، ص70، والحجة للفارسي، ج4، ص417، والصحاح (هيت)، ونسبه الطبري في التاريخ، ج4، ص564، لرجل من أهل العراق، وروايته في المصادر: عُنُق، بدل: سلم. ومعنى عُنُق، أي: أقبلوا إليك بجماعتهم، وقيل: هم مائلون إليك ومنتظرون. اللسان (عنق)، والبيتان فيه.

[359] السدي إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب السدّي الأعور، مات سنة سبع وعشرين ومائة. روى عن أنس بن مالك وعبد خير وكان ثقة مأمونا. روى عنه الثوري وشعبة وزائدة . يكنى أبا محمد، صاحب التفسير، وكان شريك يقول: ما ندمت على رجل لقيته أن لا أكون كتبت كلّ شيء لفظ به الا السدّي.(ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج2، ص724.

[360] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ص315.

[361] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)، فقه اللغة وسر العربية تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م، ص148. الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص309، الحجة للفارسي، ج3، ص318. ونسبه الفارسي لبعض البغداديين.

[362] ابن منظور،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ) لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج15،ص 310، وشطره الثاني وهن نحو البيت عامدات قاله ابو الحسن،وفي نفس المصدر شطره الثاني تلقاه بعد الوهن ذا وحاة، ج15ص381دون نسب.الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص306-309 بدون نسب.

المبحث الثالث: الهمز واللهجات:

من القضايا الكبرى التي شغلت مجال الدرس الصوتي اختلاف العرب في الهمز تحقيقا وتسهيلا و«من الحقائق العامة المشهورة عن النطق عند العرب أن الهمز كان خاصة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقها؛ تميم وما جاورها وأن عدم الهمز خاصة حضرية امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربها »[363].

«وإذا كانت القبائل البدوية تميل إلى السرعة في النطق، وتلمس أيسر السبل إلى هذه السرعة، فإن تحقيق الهمز كان في لسانها الخاصة التي تخفف من عيب هذه السرعة؛ أي أن الناطق البدوي تعود النبر في موضع الهمز»[364]، والنبر: الضغط ،قاله سيبويه .قال ابن عبد البر: « قول من قال: إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب والله أعلم لأنَّ غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءآت من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز»[365]. قال الواسطي لمّا كان الهمز يخرج من أقصى الحلق وما يليه من أعلى الصدر مشبها للتّهوع والسّعلة، أوجب على أكثر الناطقين به كلفة ومشقة، فتصرّفت فيه العرب واستعملته على ضربين: محقّقا ومخفّفا.وممّن عدل عن تحقيقه إلى تخفيفه في الأكثر أهل الحجاز فخفّفوه على أربعة أوجه:

الأوّل: الإبدال، وهو أن يبدل حرف لين من جنس الحركة قبله، فيصير بعد الفتحة ألفا، وبعد الضّمّة واوا، وبعد الكسرة ياء، نحو: تاكلون (آل عمران: 49) والذّيب (يوسف: 3، 14،17) والمومنون (البقرة: 285).

الثاني: التّسهيل بين بين، وهو أن يجعل بينه وبين ما منه حركته[366].

---

[363] عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص30.

[364] المرجع نفسه، ص30.

[365] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص75.

[366] الواسطي، الكنز، ج1 ص225.

المطلب الأول: آذانهم، وإسرائيل ورؤوف:

(آذانهم) «قوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ (البقرة: 19)، جعلهم أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فيؤمنوا به وبمحمد ﷺ، وذلك عندهم كفر والكفرُ موتٌ. وفي واحد الأصابع خمس لغات: إصْبَع بكسر الهمزة وفتح الباء، وأَصْبِع بفتح الهمزة وكسر الباء، ويقال بفتحها جميعاً وضمِّها جميعاً، وبكسرِهما جميعاً، وهي مؤنثة. وكذلك الأذنُ، وتُخفَّف وتُثقَّل وتُصغَّر، فيقال: أُذَيْنَة. ولو سمِّيتَ بها رجلاً ثم صغَّرتَه قلت: أذيْن، فلم تؤنث؛ لزوال التأنيث عنه بالنقل إلى المذكر. فأما قولهم: (أُذَيْنَة) في الاسم العَلم، فإنما سُمّي به مصغَّراً، والجمع آذان. وتقول: أَذَنْتُه: إذا ضربتَ أُذُنَه. ورجل أُذُنٌ: إذا كان يسمعُ كلام كلِّ أحد يستوي فيه الواحد والجمع. وأُذانِيٌّ: عظيمُ الأُذُنَيْنِ. ونعجةٌ أَذْنَاء، وكبشٌ آذَن. وأَذَّنْتُ النَّعلَ وغيرها تأذيناً: إذا جعلْتَ لها أُذُناً. وأَذَّنْتُ الصَّبيَّ: عَرَكْتُ أُذُنَه» [367].

(إسرائيل) « قوله تعالى ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ (البقرة: 40)، وإسرائيل: اسمٌ أعجميٌ، ولذلك لم ينصرف وهو في موضع خفض بالإضافة، وفيه سبع لغات: إسرائيل، وهي لغة القرآن. وإسرائيل، بمدَّة مهموزة مختلَسة، حكاها شَنبوذ عن ورش. وإسرائيل بمدَّة بعد الياء من غير همز، وهي قراءةُ الأعمش وعيسى بن عمر و«قرأ الحسن و الزهريُّ [368] بغير همز ولا مد» [369].

وإسرائل بغير ياء بهمزة مكسورة. وإسراءَل بهمزة مفتوحة. وتميمٌ يقولون: إسرائين بالنون. ومعنى إسرائيل: عبدالله. قال ابن عباس: (إسرا) بالعبرانية هو عبد، (وإيل) هو الله. وقيل: (إسرا) هو صفوةُ الله. و(إيل) هو الله. وقيل: (إسرا) من الشَّدِّ، فكأنَّ إسرائيل: الذي شدَّه الله وأتقَنَ خلقَه. ذكره المهدوي [370]. وقال السُّهيليُّ [371]: سُمي إسرائيل؛ لأنَّه أَسْرَى ذات ليلة حين هاجر إلى الله

---

[367] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص330.

[368] الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله القريشي الزهرى المدنى. سمع أنس بن مالك، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد، وهم من الصحابة. ومن شيوخه.وروينا عن الليث بن سعد، قال: ما رأيت عالمًا أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علمًا منه. توفى أربع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة،، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص92.

[369] أي: إسرال، ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة.

[370] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص133.

[371] السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن الخثعمي ثم السهيلي أبو زيد نحوي لغوي علامة وكان مكفوف البصر يروى عن الحافظ أبي بكر بن العربي وغيره، توفى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة(بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (ت 599هـ)، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص367.

تعالى، فسُمي إسرائيل، أي: أسرى إلى الله، ونحو هذا فيكون بعضُ الاسم عِبرانيّاً وبعضُه موافقاً للعرب» [372].

فيكون الهمز وفق هذا النص للقرطبي قد ولد كلمات كثيرة تنتمي للسانين مختلفين على قول اللغويين ولكن القرآن عربي ولا تكون هذه اللفظة إلا عربية (آآعجمي وعربي).

(رؤوف) «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: 143)، الرأفة أشدُّ من الرحمة. وقال أبو عمرو بنُ العَلاء: الرأفةُ أكثرُ من الرحمة، والمعنى مُتَقَارب. وقرأ الكوفيون وأبو عمرو: (لَرَؤُفٌ) على وزن فَعُل، وهي لغة بني أسد، ومنه قول الوليد بن عقبة:

وشَرُّ الطالبين فلا تَكُنْهُ *** يقاتِلُ عمَّه، الرَّءوفُ الرحيمُ [373] .

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع:« (لَرُوف) مثقَّلاً بغير همز، وكذلك سَهَّل كل همزة في كتاب الله تعالى، ساكنةً كانت أو مُتحركة» [374].

وحكى النسائي [375] أنَّ لغة بني أسد (لَرَاف) على فَعْل [376].

المطلب الثاني: إدًّا، بئر

(إدًّا) « قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ (مريم: 89)؛ أي: منكراً عظيماً. عن ابن عباس ومجاهد. وغيرهما قال الجوهري: « الإِدُّ والإِدَّة: الداهِيَةُ والأمرُ الفظيع» [377]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ

---

[372] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص6-7.

[373] الحجة،ج2، ص230، والواحدي في الوسيط، ج1، ص228، الرءوف هكذا جاءت في الجامع الهمزة على السطر.

[374] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت، 1420 هـ، ج2، ص21.

[375] النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، الحافظ؛ كان إمام أهل عصره في الحديث، وله كتاب السنن، وسكن بمصر وانتشرت بها تصانيفه، وأخذ عنه الناس. قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني: لما امتحن النسائي بدمشق، قال: احملوني إلى مكة، فحمل إليها فتوفي بها، وفاته من سنة ثلاث وثلثمائة. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص78.

[376] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص83.

[377] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ص440.

جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ وكذلك الآدُّ مثل فاعل. وجمع الإِدَّةِ إِدَدٌ، وأَدَّتْ فلاناً داهِيةٌ تؤدُّه أَدًّا، بالفتح. والأَدُّ أيضا: الشدَّة. والأَدُّ: الغَلبةُ والقُوَّةُ؛ قال الراجز:

نَضَوْن عَنِّي شِرَّةً وأَدًّا *** منْ بَعْدِ ما كنْتُ صُمُلًّا جَلْدا[378] .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (أَدًّا) بفتح الهمزة. النحَّاس: « يُقال: أَدَّ يَؤُدُّ أَدًّا فهو آدٌّ، والاسم الإِدُّ، إذا جاء بشيءٍ عظيمٍ منكر» [379].

وقال الراجز:« قد لَقِيَ الأقرانُ مِنِّي نُكرا *** داهِيةً دهياءَ إِدًّا إِمْرا [380]

عن غير النحاس، الثعلبي: وفيه ثلاث لغات (إِدًّا) بالكسر، وهي قراءة العامة، و(أَدًّا) بالفتح وهي قراءة السُّلمي. و (آدّ) مثل مادّ، وهي لغةٌ لبعض العرب، رويت عن ابن عباس و أبي العالية[381]، وكأنها مأخوذةٌ من الثِّقَل، يقال: آدَه الحملُ يَؤُوده أَوْدًا: أثقله» [382].

(**وَبِئْرٍ**) قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾(الحج: 45) قال الزجاج (وبِئرٍ معطلةٍ) معطوفٌ على (من قريةٍ)؛ أي: ومِن أهلِ قريةٍ ومِن أهلِ بئرٍ. والفرَّاء « يذهب إلى أنّ (وبِئرٍ) معطوفٌ على (عروشها)» [383].

---

[378] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية (نهد)، ج 7، ص 380. والجامع لأحكام القرآن، ج13، 520، شدَّةً. والشِّرَّة: مصدر الشر. الصحاح (شرر)، جلْدا، أي: صلباً، الصحاح (جلد)، وفي الصحاح: نهداً، بدل: جلداً، والنَّهْدُ: أقوى القوم، ج 2، ص440.

[379] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص20.

[380] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص520-521. والسمين الحلبي (ت 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج 7،ص528. وابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص33 .

[381] أبو العالية، واسمه رفيع، ابن مهران البصرى الرايحى، وهو من كبار التابعين المخضرمين، وروى عن على، وابن مسعود، وأُبَيّ بن كعب، روى له البخارى ومسلم. وقال أبو بكر بن أبى داود فى كتابه شريعة القارىء:ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبى العالية، وبعده سعيد بن جبير،ثم السدى، ثم سفيان الثورى توفي سنة ثلاث وتسعين. ، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص420.

[382] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص520-521.

[383] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص228.

قال النحاس: « قال الأصمعي: سألت نافع بن أبي نعيم: أيُهمز البئر والذئب؟ فقال: إن كانت العربُ تهمزُهما فاهمِزهما. وأكثر الرواة عن نافع يَهْمِزهما إلاَّ ورشا، فإن روايته عنه بغير همز فيهما، والأصل الهمز» [384].

المطلب الثالث: الخبء وأسوة:

(الخبء) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ (النمل: 25)، وقال قتادة: الخَبْءُ: السِّرُّ. قال النحاس:« وهذا أولى؛ أي: ماغاب في السموات والأرض، عكرمة و مالك بن دينار[385]: (الخَبَ) بفتح الباء من غير همز. قال المهدوي: وهو التخفيف القياسي، وذُكِر من يترُك الهمز في الوقف. وقال النحاس: وحكى أبو حاتم أن عكرمة قرأ: (الذي يُخْرِجُ الخَبَا) بألف غير مهموزة، وزعَمَ أنّ هذا لا يجوز في العربية، واعتلّ بأنّه إن خفف الهمزة ألقى حركتها على الباء وحذفها فقال: (الخَبَ في السَّموات والأرض) وأنّه إن حوّل الهمزة قال: الخَبْيَ بإسكان الباء وبعدها ياء» [386].

وحكى سيبويه:«عن العرب أنها تُبدل من الهمزة ألفا إذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة، وتبدلُ منها واواً إذا كان قبلها ساكنٌ وكانت مضمومة، وتُبدل منها ياء اذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة، وتبدل منها واواً إذا كان قبلها ساكنٌ وكانت مضمومة، وتبدل منها ياء إذا كان قبلها ساكن وكانت مكسورة، فتقول: هذا الْوَثْوُ وعجبت من الوَثْيِ ورأيت الوَثَا، وهذا من وثِئْتَ يَدُهُ وكذلك هذا الْخَبْوُ، وعجبتُ من الخَبْيِ ورأيت الخَبَا، وإنّما فُعِلَ هذا لأنّ الهمزة خفيفة فأبْدِل منها هذه الحروف» [387].

وحكى سيبويه: « عن قوم من بني تميم وبني أسد أنهم يقولون: هذا الخبؤُ يضمُّون الساكن إذا كانت الهمزة مضمومة ويثبتون الهمزة ويكسرون الساكن إذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن إذا كانت الهمزة مفتوحة وحكى سيبويه : أيضا أنهم يكسرون وإن كانت الهمزة مضمومة إلا أن هذا عن بني

---

[384] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص72.

[385] مالك بن دينار أبو يحيى مالك بن دينار البصري، كان عالما زاهدا كثير، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وله مناقب عديدة وآثار شهيرة وكان من كبار السادات. وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص 139.

[386] النحاس، معاني القرآن، ج5، ص127.

[387] سيبويه، الكتاب،ج3، ص542.

تميم فيقولون: الرديءُ وزعَمَ أنَّهم لم يضمُّوا الدال لأنهم كرهوا ضمةً ما قبلها كسرة، لأنه ليس في الكلام فِعُلٌ وهذه كلها لغات داخلة على اللغة التي قرأ بها الجماعة» [388].

قال الفرَّاء:« وفي قراءة عبد الله (الَّذي يُخْرِجُ الخَبَا منَ السَّماوَاتِ) و(من) و(في) يتعاقبان؛ تقول العرب: لأستخرجنَّ العِلمَ فيكم يريدُ منكم» [389].

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قراءة العامة فيهما بياء الغائب، وهذه القراءة تعطي أنَّ الآية من كلام الهدهد، وأنَّ الله تعالى خصه من المعرفة بتوحيدِه ووجوب السجود له، وإنكار سجودهم للشمس، وإضافتِه للشيطان، وتزيينه لهم ما خَصَّ به غيره من الطيور وسائر الحيوان؛ من المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي لها. وقرأ الجحدري [390] وعيسى بن عمر و حفص والكسائي: (تُخْفُونَ) و(تُعْلِنُونَ) بالتاء على الخطاب، وهذه القراءة تعطي أن الآية من خطاب الله وجَلَّ لأمة محمد ﷺ [391].

(أسوة) قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21)، هذا عتاب للمتخلفين عن القتال؛ أي: كان لكم قدوةٌ في النبي ﷺ حيث بذلَ نفسَه لنُصرةِ دين الله في خروجه إلى الخندق. والأُسوةُ: القُدوة. وقرأ عاصم (أُسوة) بضمِّ الهمزة. الباقون بالكسر وهما لغتان والجمعُ فيهما واحد، وعند الفرَّاء:« كَانَ عَاصِم يقرأ (أُسْوَةٌ) برفع الألف فِي كلّ القرآن وَكَانَ يَحْيَى بن وثاب يرفع بعضًا ويكسرُ بعضًا. وهما لغتان: الضَّمُّ فِي قيس. والحسنُ وَأهْل الحجاز يقرءون (إسْوَةٌ) بالكسر فِي كلّ القرآن لا يختلفون ؛ والعلَّة عنده في الضمِّ على لغة من كسر في الواحدة: الفرق بين ذوات الواو وذوات

---

[388] المصدر السابق، ج4، ص177.

[389] معاني القرآن، الفراء،ج2، ص291.

[390] عاصم الجحدري ابن الحسين بن طلحة الجحدري البَصْرِيُّ الحَافِظُ. سَمِعَ حَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ، وسُلَيْمَ بنَ أَخْضَرَ، وَحَمَّادُ بنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الوَاحِدِ بنُ زِيَادٍ، وَخَالِدَ بنَ عَبْدِ اللهِ، وَعِدَّةً.حَدَّثَ عَنْهُ: مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالبُخَارِيُّ تَعلِيقاً، وَالنَّسَائِيُّ بِوَاسِطَةٍ، وَآخَرُوْنَ. مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَتَيْنِ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص148.

[391] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص145-146.

الياء فيقولون كِسْوة وكُساً، ولِحية ولِحًى» [392]. الجوهري: والأُسوةُ والإسوةُ؛ بالضم والكسر لغتان. والجمع أُسًى وإسًى» [393].

المطلب الرابع: قرن، وضيزى، وإيلاف:

(وقرن) قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ﴾ (الأحزاب: 33)؛ قرأ الجمهور ﴿وَقَرْنَ﴾ بكسر القاف. وقرأ عاصم و نافع بفتحها فأمَّا القراءة الأولى فتَحتمِلُ وجهين: أحدهما: أن يكون من الوَقَار؛ تقول: وَقَرَ يَقِرُ وَقَارًا أي: سكَن، والأمر: قِرْ، وللنساء قِرْنَ، مثل: عِدْنَ وزِنَّ. والوجهُ الثاني: وهو قول المبرِّد: أن يكون من القَرار؛ تقول: قَررتُ بالمكان - بفتح الراء- أَقِرُّ، والأصلُ: اقْرِرْنَ، بكسر الراء، فحذفت الراء الأولى تخفيفا، كما قالوا في ظَلِلْتُ: ظِلْتُ، ومَسِسْت: مِسْت ونقلوا حركتها إلى القاف واستغنى عن ألف الوصل لتحرُّك القاف. قال أبو علي: بل على أنْ أُبدلَت الراء ياء كراهة التضعيف، كما أبدلت في قيراط ودينار، ويصير للياء حركة الحرفِ المبدَل منه، فالتقدير: اقْيِرْنَ، ثم تُلقى حركة الياء على القاف كراهة تحرُّكِ الياء بالكسر فتسقط الياءُ لاجتماع الساكِنَيْن، وتسقط همزة الوصل لتَحرُّك ما بعدها فيصير: (قِرْن). وأما قراءة أهل المدينة و عاصم، فَعَلى لغة العرب: قَرِرْتُ في المكان: إذا أقمتَ فيه -بكسر الراء- أقَرُّ بفتح القاف، من باب حَمِد يَحْمَد، وهي لغةُ أهل الحجاز، ذكرها أبو عبيد في (الغريب المصنف) عن الكسائيّ، وهو من أجل مشايخه، وذكرها الزجاج وغيره [394].

(ضيزى) قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾؛ (النجم: 20)، يعني: جائرة عن العدل خارجة عن الصواب مائلة عن الحقّ. قال الأخفش:« ضاز في الحكم؛ أي: جَارَ وضَازَه حقَّه يَضِيزه ضَيْزاً» [395] أي: نقصه وبَخَسه. قال: وقد يهمز فيقال: ضَأَزه يَضْأَزُه ضَازاً، وأنشد:

---

[392] معاني القرآن، الفراء، ج2، ص339 .

[393] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 6، ص2268 .

[394] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص139-140.

[395] نقل القرطبي قول الاخفش بواسطة الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 3، ص 883.

فَإِنْ تَنْأَ عنَّا نَنْتقِصْكَ وإِنْ تُقِمْ *** فقِسْمُكَ مَضْئُوزٌ وأنفُكَ رَاغِمُ [396].

وقال الكسائي يقال: ضَازَ يَضِيزُ ضَيْزاً، وضَازَ يضُوزُ ضَوْزاً، وضَأَزَ يَضْأز ضأزاً: إذا ظلم وتعدَّى وبخَس وانتقص. قال الشاعر:

ضَازَتْ بنو أَسدٍ بِحُكْمِهِمُ *** إذْ يجعَلون الرَّأسَ كالذَّنَبِ [397].

قوله تعالى:(قسمة ضيزى)؛ أي: جائرة، وهي فُعْلى، مِثل طُوبَى وحُبْلى، وإنَّما كسروا الضاد لتسلم الياء لأنَّه ليس في الكلام (فِعْلى) صفةٌ، وإنّما هو من بناء الأسماء كالشِّعْرى والدِّفْلى.

قال الفراء:« وبعض العرب تقول ضُؤزى وضِئْزى بالهمز، والقراء جميعًا لم يَهمِزُوا- ضِيزي، ومنَ العَرب من يَقُولُ: قِسْمَة ضَيْزَى، وبعضُهم يَقُولُ: قِسْمة ضَأزَى، وضُؤزَى بالهَمْز، ولم يقرأ بها أحدٌ نَعْلَمهُ وَضِيزَى: فُعْلَى.

وإن رأيتَ أولها مَكْسُورًا هِيَ مثل قولهم: بيضٌ، وعِينٌ- كَانَ أولُها مَضْمُومًا فَكَرِهُوا أن يُترك عَلَى ضَمَّتِه، فيقالُ: بُوضٌ، وعُونٌ. والواحِدةُ: بَيضاء، وعَيناء: فَكَسرُوا أولَها ليكُون بالياء ويتألف الْجَمْعُ والاثنان والواحدَة وحكى أبو حاتم عن أبي زيد: أنّه سمع العرب تهمز (ضِيزى). قال غيره: وبها قرأ ابن كثير، جعله مصدراً، مثل ذِكرى، وليس بصفة، إذ ليس في الصفات (فِعْلى)، ولا يكون أصلها (فُعْلى)، إذ ليس فيها ما يوجب القلب، وهي من قولهم ضأزته؛ أي: ظلمته. فالمعنى: قسمة ذات ظلم وقد قيل هما لغتان بمعنًى» [398].

---

[396] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص37، الصحاح (ضيز)، وذكر البيت أيضا الازهري في تهذيب الغة، ج12، ص56، والماوردي في النكت والعيون، ج5، ص399، وجاء في الصحاح: فحقك، وفي التهذيب: فحظك، بدل: فقسمك، وفي النسخ الخطية: تغب، بدل: تقم.

[397] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص38، القائل امرؤ القيس كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور، ج6، ص127.و السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،ج 10، ص 95، وعزاه الى الطستي في مسائله عن ابن عباس رضي الله عنهما، وورد في الدر: يعدلون، بدل: يجعلون.

[398] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص98.

وحكى فيها أيضاً سواهما: ضَيْزَى وضَازى وضُوزَى، وضُؤْزى. وقال المؤرّج[399]: كرهوا ضمَّ الضاد في ضِيزى، وخافوا انقلاب الياء واوا، وهي من بنات الواو، فكسروا الضاد لهذه العلّة، كما قالوا في جمع أبيض بِيضٌ، والأصل بُوضٌ. مثل حُمْر وصُفْر وخُضْر، فأمَّا من قال: ضَازَ يَضُوزُ، فالاسم منه: ضُوزَى مثل شُورَى» [400].

(إيلاف) في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ (قريش: 1)، وقيل اللام، لاَمُ التعجُّب، أي: أعْجِبُوا لإيلافِ قريش. قاله الكسائي والأخفش. وقيل: بمعنى إلى. وقرأ ابن عامر: (لإلافِ قريشٍ) مهموزاً مختلَساً بلا ياء. وقرأ أبو جعفر والأعرج[401] (لِيْلاَفِ) بلا همزٍ طَلَبًا للخفَّة. الباقون (لإيلافِ) بالياء مهموزاً مُشْبَعاً، من آلَفْتُ أُولِفُ إيلافاً؛ قال الشاعر:

المُنْعِمِين إذَا النُّجومُ تغيَّرتْ *** والظَّاعنينَ لرحلةِ الإيلافِ[402].

ويقال: أَلِفْتُه إلْفًا وإلافًا. وقرأ أبو جعفر أيضًا: (لإلْفِ قُرَيشٍ) وقد جمعها مَن قال:

زَعَمْتُمْ أنَّ إخوتَكُمْ قُرَيشٌ *** لَهُم إلْفٌ ولَيْسَ لَكُم إلافُ[403].

قال الجوهري:« وفلانٌ قد أَلِفَ هذا الموضعَ -بالكسر- يَألَفُه إلْفًا، وآلَفَه إيَّاه غيرُه. ويقال أيضاً: آلَفْتُ الموضعَ أُوْلِفُهُ إيلافاً. وكذلك : آلَفْتُ الموضع أؤالفُه مُؤالفَةً وإلافًا، فصار صورةُ أَفْعلَ وفاعَلَ في الماضي واحدةً » [404].

---

[399] مؤرج بن عمرو السدوسي هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، فكان من كبار أهل اللغة والعربية، وأخذ عن أبي زيد الأنصاري، وصحب الخليل بن أحمد، وكان من أكابر أصحابه، وغيرهما. وأخذ عنه أحمد [بن محمد] بن أبي محمد اليزيدي.قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي: أخبرني عمي أبو جعفر، قال: أخبرني مؤرج أنه قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس في العربية، قال: فأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة. الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، 1985 م، ص 106.

[400] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص37-38-39.

[401] هو عبد الرحمن بن هرمز الاعرج، تابعي جليل أخذ القراءة عن ابي هريرة وابن عباس، وروىعنه نافع (ت117ه)، غاية النهاية، ج1، ص381.

[402] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص397.ابن منظور، لسان العرب،ج 9، ص 114،البيت لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في سيرة ابن هشام، ج1، ص56 و 178.

[403] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص397، البيت لمساور بن هند، كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ج4، ص12، والخزانة، ج11، ص419، ودون نسبة في دلائل الاعجاز للجرجاني، ص236، وثمار القلوب للثعالبي، ص117، والزمخشري، الكشاف، ج4، ص287، والكلام منه. الشعر في هجاء بني أسد، قال التبريزي: يقول: زعمتم أنكم مثل قريش، وكيف تكونون مثلهم ولهم تجارة اليمن والشام وليس لكم ذلك.

[404] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4، ص 1332.

وقرأ عكرمة: (لَيَالَفْ) بفتح اللام على الأمر -وكذلك هو في مصحف ابن مسعود- وفتحَ لامِ الأمرِ لغةٌ حكاها ابن مجاهدٍ وغيره. وكان عكرمةُ يَعيبُ على مَن يقرأ: (لإيلاف قريش). وقرأ بعض أهل مكة: (إلاف قريش) واسْتَشهد بقولِ أبي طالب يوصي أخاه أبا لهب برسول ﷺ :

فَلا تُتْرُكَنْه ما حَيِيْتَ لِمُعْظَمٍ *** وكُنْ رجلاَ ذا نَجْدةٍ وعَفافِ

تَذودُ العِدا عن عُصْبةٍ هاشميةٍ *** إلاَفُهم في الناس خيرُ إلاَفِ[405]

القراءات القرانية مصدر أصيل من مصادر دراسة اللهجات العربية القديمة غير أن الملاحظة الواضحة لهذه القراءات أنها لا تمثل بيئات أصحابها دائما[406] والدليل على ذلك أن قارئا مكيا مثل ابن كثير، كان يهمز في حين أن لهجة مكة لا تعرف الهمز ثم بالغ في همزه فقرأ (وكشفت عن سأقيها) (النمل 44) في (ساقيها) جاء في الكشاف «وقرأ ابن كثير: سأقيها، بالهمزة. ووجهه أنه سمع: سؤقا فأجرى عليه الواحد» [407].

ولعل تفسير ذلك أن القراءات إنما أخذت بالتواتر عن شيوخ ينتمون إلى بيئات آخر أو أن القارئ كان يختار قراءاته من بين قراءات شيوخه فلا يمثل إذ ذاك بيئة بعينها كما عند الكسائي مثلا إذ وصف بأنه كان «يختبر القراءات فأخذ من حمزة ببعض وترك بعضا» [408]. وفي الأخير أقول ما قاله عبد الصبور شاهين: « وتبقى الهمزة هي أعقد مشكلات الأصوات في اللغة الفصحى» [409].

---

[405] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص398، النكت والعيون، ج6، ص346، وسلفت القراءة عن ابن عامر، والبيتان ذكرهما ابن اسحاق في السير والمغازي، ص208، وفيه أن أبا طالب قالهما في مدح عتبة بن ربيعة حين رد على أبي جهل فقال: ما تنكر أن يكون محمد نبيًّا.

[406] غالب فاضل المطلب، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (دط)، الجمهورية العراقية، 1398هـ/1978م، ص58.

[407] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل دار الكتاب العربي - بيروت ط3، 1407 هـ ج3، ص370.

[408] غالب فاضل المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، ص59.

[409] عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص9.

الفصل الثاني:

الإدغـــــام

المبحث الأول: مفهوم الإدغام

المبحث الثاني: الإدغام والقراءات

المبحث الثالث: الإدغام واللهجات

المبحث الرابع:رفض القرطبي لبعض الإدغام

المبحث الأول: مفهوم الإدغام:

المطلب الأول: تعريفه لغة واصطلاحا

الإدغام: لغة، إدخال الشيء في الشيء: يقال: أدغمت اللجام في فم الفرس، أي أدخلته فيه، ومنه جاء إدغام الحرف في الحرف [410]، وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد: «أعلم أن الراء في: اقشعرّ واسبكرّ، هما راءان، أدغمت واحد في الأخرى، والتشديد علامة الإدغام» [411].

والإدغام في **الاصطلاح** : ضد الإظهار وهو النطق بحرفين- مثلين أو متقاربين- حرفا واحدا مشدّدا عليه، وغالبا ما يكون الحرف الأول في الأصل ساكنا والثاني متحركا دون أن يكون بينهما فاصل، قال سيبويه: « باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه [...] إذا كانا من كلمة لا يفترقان. وإنما نبينهما في الانفصال. فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواءٌ إذا كانا منفصلين» [412].

و قال:« الإدغام إنما يدخل فيه الأول في الآخر، والآخر على حاله، ويقلب الأول في الآخر حتى يصير هو و الآخر من موضع واحد، نحو: قد تّركتك، ويكون الآخر على حاله» [413] وهو هنا إدغام الحرفين المتقاربين الذي يقول فيه المبرد: «وحق الإدغام أن يدغم الأول في الثاني ويحوّل على لفظه» [414].يقول المبرد: « إعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحدا فسكن الأول منهما، فهو مدغم في الثاني، وتأويل" مدغم أنه لا حركة تفصل بينهما، فإنما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة، لأن المخرج واحد، ولا فصل، وذلك قولك: قَطَّعَ و كَسَّر، وكذلك محمَّد معبَّد، ولم يذهب بَّكر، ولم يقم مَّعك، فهذا معنى الإدغام» [415].

---

[410] انظر: المعجم الوسيط مادة دغم.
[411] الفراهيدي، العين، ج 1، ص 54.
[412] سيبويه، الكتاب، ج4، ص437
[413] المصدر نفسه، ج4، ص 104 – 105.
[414] المبرد، المقتضب، ج 1، ص 343.
[415] المصدر نفسه، ج 1، ص 333.

قال المبرد: « إذا التقى حرفان من غير المعتل، فإنما تدغم الأول في الثاني، وتقلب الأول إلى لفظ الثاني، نحو قولك، وتْدً " ودً" وفي يفتعل من الظلم: " يطَلم" فتدغم الظاء في الطاء وكذلك: ذهب طَّلحة، تريد: ذهبتْ طلحة تقلب، التاء طاء، ومثل قولك: أُخَتٌ، تريد أخذْتُ، فتدغم الذال في التاء، وأنْفَتٌ، تريد: أنفذتُ» [416]، وعنى هذا أن الأصل في الإدغام عند سيبويه والمبرد،أن يكون لحرف الأول (المدغم)- في المثلين أو المتقاربين-ساكنا والحرف الثاني(المدغم فيه) متحركا، وهذا ما يسمّى بالإدغام الصغير.

وقد يكون الحرف الأول (المدغم) متحركا، فهنا تسقط حركته أو تنتقل إلى الساكن قبله، ويسكن ثم يدغم في الثاني، ويسمى هذا الإدغام بالإدغام الكبير، لما فيه من تغيير أول وهو التسكين ثم تغيير ثان، وهو الإدغام جائز عند النحاة إلاّ أنه ليس بالكثرة المرجوة في النوع الأول.

قال سيبويه:«واعلم أن جميع ما أدغمته وهو ساكن يجوز لك فيه الإدغام إذا كان متحركا» [417].

وقال المبرد: « فإذا التقى حرفان سواء في كلمة واحدة .. والمتحرك إذا كان الحرف بعده متحركا أسكن ليرفع اللسان عنهما رفعة واحدة، إذْ كان ذلك أخف وكان غير ناقص المعنى، ولا ملتبس بلفظ» [418].

وهو نطق صوت لغوي (حرف) مكرر، إمّا بسبب اتصال جزئيه مباشرة، وإمّا عن طريق إسقاط الحركة الفاصلة بينهما حتى تتم عملية الإدغام سواء، في الصوتين المثلين أو المتجانسين أو المتقاربين، مخرجا وصفات.

---

[416] المبرد، المقتضب، ج1، ص 309.
[417] سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 466.
[418] المبرد، المقتضب، ج 1، ص333.

المطلب الثاني: الغرض من الإدغام

أما الغرض من الإدغام فهو التخفيف والسهولة في النطق والإيجاز.يقول الفرَّاء وقوله:﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ (البقرة: 259). وقد جرى الكلام بالإدغام للثاء، ولقيت التاء وهي مجزومة [419]، وفي قراءة عبد ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (البقرة:92) ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ (الدخان: 20)،

« فأدغمت الذال أيضا عند التاء، وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخْرج. والثاء والذال مخرجهما ثقيل، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما، ألا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان ترك الإدغام بخطأ إنما هو إستثقال"» [420] وهذا ما أكده المبرد إمام البصرة في عصره بقوله: « إنما الإدغام نقل الأثقل إلى الأخف» [421]، وذلك لأن تكرير الحرف أو تضعيفه ثقيل، ومن شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه [422]. فمالوا إلى تخفيفه إذا لم يكن في ذلك مانع يسبب لبسا في اللفظ المدغم.

وإدغام أحد الحرفين المثلين أو المتقاربين مخرجا أو صفة في الآخر يؤدي بهم إلى وضع ألسنتهم على مخرج الحرف المدغم فيه وضعة واحدة ويرفعونه بالحرفين رفعة واحدة، لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه ثانية.

وفي ذلك يقول سيبويه: « اعلم أن التضعيف - التضعيف ضد الإدغام يعني تكرار الحرف. - يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون موضع واحد، ألا ترى أنّهم لم يجيئوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو: ضَرَبَّبٍ، ولم يجيء: فَعَلَّلُ ولا فَعُلُلُ إلا قليلا ولم يبنوهن على فُعالِل كراهية التضعيف، وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا

---

[419] يعني ساكنة. معاني القرآن الفراء، ج1، ص172.

[420] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 172.و ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص 188.

[421] المبرد، المقتضب، ج1، ص 357.

[422] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 2.

له، فلما صار ذلك تَعَبًا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا لتكون رفعة واحدة، وكان أخفَّ على ألسنتهم مما ذكرت لك»[423].

والإدغام من الناحية الصوتية النطقية هو تخفيف وإيجاز، فهو وصل حرف ساكن بحرف مثله أو مقاربه متحرك بلا سكتة على الحرف الأول، بحيث يعتمد على المخرج اعتمادة واحدة قوية، فيخرج في الحقيقة حرفان وليس حرف واحد.

فقولنا: شدّ هو نطق لعين الفعل ولامه معا، دون فاصل زمني أو حركة بينهما، وإذا أردنا إدغام "دال" قد، في " دال" دام، نقول: قد دام، فننطقها بالإدغام حرفا مشدّدا لفظا لا خطا، وتكون العملية بأن الناطق يزيد في فترة حبس الهواء في مرج الدال، ويزيد ذلك في توتر ارتكاز طرف اللسان على اللثة، ثم يحدث ذلك الانفجار ليسمع صوت دال مشددة، أي [د+ د].

أما إذا أردنا إدغام حرفين متقاربين من حيث المخرج أو الصفة فإننا نقلب أحد المتقاربين إلى جنس الآخر المدغم فيه، ثم ندْغم فنقول في: تطيَّر وتدَارأ، إذا أردنا إدغام التاء في الطاء والدال إطَيّر وادأرأ، فتقلب التاء حرفا من جنس ما بعدها وتسكن بسبب الإدغام ثم تدغم فيما بعدها ويؤتى بألف الوصل من أجل الإبتداء.

ونقول في: اختصم إذا أردنا الإدغام: خصَّم، فتقلب التاء صادا وتنقل حركتها إلى الساكن قبلها ثم تدغم في الصاد الثانية وتسقط هنا ألف الوصل لتحرك الخاء.

وكذلك صيغة انفعل من المحو، نقول في حالة الإدغام إمَّحى، وأصلها: اِنْمحى، فلما كانت النون ساكنة، وهي تشترك مع الميم في صفة الغنّة جاز إدغامها فيها طلبا للخفة والسهولة في النطق.

ومما لا شك فيه أن الحرفين المدغمين سواء أكانا متماثلين أم متقاربين يخفان بالإدغام.

(423) سيبويه، الكتاب، ج 4، ص417.

فهو« من أبرز ظواهر التشكيل الصوتي، وبخاصة في القراءات القرآنية، يهدف في عمومه الى اقتصاد الجهد العضلي حين النطق طلبا للتخفيف وسعيا إلى الانسجام بين الأصوات حين يتأثر صوت بآخر مجاور له، إذا كان بينهما تماثل أو تقارب في المخرج أو الطبقات» [424].

المبحث الثاني: الإدغام والقراءات

عندما بدأ النحاة في توجيه القراءات النظر في الوجوه المختلفة للقراءة وجدوا أن أسباب كثرة وجوه القراءات يعود إلى قضايا صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وكان الإدغام ظاهرة كبرى عند توجيه القراءات وسوف نتناول بعضا مما درسه القرطبي في ضمن قراءات الإدغام، ويتوقف القرطبي عند القراءة فيبيّن أصلها، ثم يعرض للوجوه التي وردت معللا شارحا لكل وجه على حدة، وهو لا يلقي علينا دروسا في الإدغام ولكنه يكشف عن الظاهرة حيثما حلّت.

المطلب الأول: يخطف، تشابه، تحاجوننا:

(يخطف) قوله تعالى: ﴿تَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ (البقرة: 20) الخَطْفُ: الأخذ بسرعة ومنه سمي الطير خطّافا لسرعته، فمن جعل القرآن مثلا للتّخويف فالمعنى أن خوفهم مما ينزل بهم يكاد يذهب أبصارهم ومن جعله مثلا للبيان الذي في القرآن فالمعنى أنهم جاءهم من البيان ما بهرهم ويَخْطَفُ ويَخْطِفُ لغتان قرىء بهما وقد خَطِفَه (بالكسر) يَخْطَفُه خَطْفًا وهي اللغة الجيدة، وقد نسبها أبو حيان وقال: «لغة قريش وهي أفصح» [425]، واللغة الأخرى حكاها الأخفش: خَطَفَ يَخْطِفُ، الجوهري: «وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف وقد قرأ بها يونس بن حبيب [426]. في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ

---

[424] محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، ص212.

[425] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص146.

[426] هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصري النحوي، المتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائة، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وحمّاد بن سلمة وغلب عليه النحو. وروى عنه سيبويه كثيرا وسمع منه الكسائي والفرا، وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها. وله من المؤلفات كتاب "معاني القرآن" و"كتاب الأمثال" و"كتاب اللغات" و"كتاب النوادر الصغير"، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت 1067 هـ)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، 2010 م، ج3، ص443.

يَخْطَفُ أَبْصَـرَهُمْ ﴾ (البقرة: 20) »[427]، وقال النحاس:« في (يَخْطفُ) سبعة أوجه القراءة الفصيحة: يَخْطَف وقرأ علي بن الحسن ويحيى بن وثاب: (يَخْطِفُ) بكسر الطاء. قال سعيد الأخفش: هي لغة، وقرأ الحسن و قتادة و عاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي[428]. بفتح الياء وكسر الخاء، والطاء وروي عن الحسن أيضا أنه قرأ بفتح الخاء قال الفرَّاء:« وقرأ بعض أهل المدينة بإسكان الخاء وتشديد الطاء، والقراء تقرأ «يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ» بنصب الياء والخاء والتشديد. وبعضهم ينصب الياء ويخفض الخاء ويشدد الطاء فيقول: «يَخْطَفُ». وبعضهم يكسر الياء والخاء ويشدد فيقول:«يَخْطَفُ» [429]، «وبعضٌ من قراء أهل المدينة يسكن الخاء والطاء فيجمع بين ساكنين فيقول: «يَخْطَفُ» [430].

فأما من قال: «يَخْطَفُ» فإنه نقل إعراب التاء المدغمة إلى الخاء إذ كانت منجزمة. وأما من كسر الخاء فإنه طلب كسرة الألف التي في اختطف والاختطاف وقد قال فيه بعض النحويين: إنما كسرت الخاء لأنها سكنت وأُسكنت التاء بعدها فالتقى ساكنان فخفضتَ الأوّل كما قال: اضربِ الرجل فخفضتَ الباء لاستقبالها اللام» [431].

«قال الكسائي و الأخفش : يجوز يَخِطِّفُ بكسر الياء والخاء والطاء فهذه ستة أوجه موافقة للخط، والسابعة حكاها عبد الوارث [432]. قال: رأيت في مصحف أبيّ بن كعب (يَتَخَطَّفُ) وزعم سيبويه و الكسائي أن من قرأ يَخِطِّفُ بكسر الخاء والطاء فالأصل عنده يَخْتَطِفُ ثم أدغم التاء في الطاء فالتقى ساكنان فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين » [433].

---

[427] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 4، ص 1352.

[428] أبو رجاء العطاردي عمران بن ملحان البصري: مخضرم من كبار علماء التابعين سمع من عمر وعلي وعمران بن حصين وأبي موسى رضي الله عنهم وطائفة وتلقن القرآن من أبي موسى وعرضه على بن عباس عاش مائة وعشرين سنة قال أبو الأشهب مات سنة سبع ومائة وقيل سنة ثمان، تذكرة الحفاظ، ج1، ص35.

[429] معاني القرآن الفراء، ج1، ص17.

[430] النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص 195-196.

[431] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص18.

[432] عبد الوارث بن سعيد التميمي العنبري مولاهم أبو عبيدة التنوري البصري الحافظ المحدث. إمام حافظ مقرئ ثقة، ولد سنة اثنتين ومائة سمع أيوب السختياني،وعبد العزيز بن صهيب، وحسينا المعلم، وغيرهم.روى عنه ابنه عبد الصمد، ومسدد، وعمران بن ميسرة وغيرهم.وتوفي سنة ثمانين ومائة. بمخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج2، ص256.

[433] النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص 35.

والوجوه التي ذكرها القرطبي الكثيرة أضاف لها وجها (يَخْتَطِفُ) وحوله الإدغام؛ إدغام التاء في الطاء فلتقى ساكنان فكسرتِ الخاء للتقاء الساكنين فأصبحت (يَخِطِّفُ)

(يَخْتَطِفُ) ⟵إدغام التاء في الطاء ⟵ = التقاء الساكنين يَخْطْطَفُ ⟸ كسر الخاء= (يَخِطِّفُ)

قال سيبويه: ومن فتح الخاء ألقى حركة التاء عليها وقال الكسائي: ومن كسر الياء فلأنّ الألف في اختطف مكسورة فأما ما حكاه الفرَّاءعن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام فلا يعرف ولا يجوز لأنه جمع بين ساكنين قاله النحاس وغيره[434].

(تشابه) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ (البقرة: 70)

وقرأ الحسن فيما ذكر النحاس :« والأعرج فيما ذكر الثعلبي (إنّ البَقَر تَشَّابَه) بالتّاء وشدّ الشين جعله فعلا مستقبلا وأنثه. والأصل تَتَشَابه ثم أدغم التاء في الشين وقرأ مجاهد (تَشبَّه) كقراءتها إلا أنّه بغير ألف. وفي مصحف أبيّ (تَشَّابَهت) بتشديد الشين قال أبو حاتم: وهو غلط لأن التاء في هذا الباب لا تدغم إلا في المضارعة »[435].

ذكر أبو حيان في البحر المحيط قراءة:« (تشابهت) عن أبي من غير تشديد الشين، وعن ابن أبي إسحاق بالتشديد واستبعد نقلها عن ابن أبي إسحاق وهو رأس في علم النحو، وقال: يمكن أن توجه هذه القراءة على أن أصله: اشَّابهت، والتاء هي تاء البقرة: وأصله: إنَّ البقرة اشابهت علينا، ويقوي ذلك لحاق التأنيث في آخر الفعل... فظنّ السامع أنّ البقرة هي تاء في الفعل إذا النطق واحد فتوهم انّه قرأ: تشَّابهت[436]. وقرأ يحيى بن يعمر إن الباقر يشابه جعله فعلا مستقبلا وذكر البقر وأدغم ويجوز أن البقر تشابه بتخفيف الشين وضم الهاء وحكاها الثعلبي عن الحسن النحاس[437]، ولا يجوز يشابه

---

[434] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص335-336.

[435] إعراب القرآن، ج 1، ص 236، والمحرر الوجيز، ج1، ص154.

[436] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص187.

[437] الحسن النحاس إسماعيل بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن عبد الله أبو الحسن النحاس، مقرئ الديار المصرية، جود القرآن على أبي يعقوب الأزرق، صاحب ورش.فقرأ عليه خلق لإتقانه، وكف بصره بآخرة، قرأ عليه أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هلال الأزدي، وغيرهم كثير. توفي سنة بضع وثمانين ومائتي. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، الطبعة1417،1 هـ- 1997م، ص134.

بتخفيف الشين والياء وإنما جاز في التاء لأن الأصل تتشابه فحذفت لاجتماع التَّاءين»[438].

(تحاجوننا) قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ (البقرة: 139)، قال الحسن: كانت المُحَاجَّة أن قالوا: نحن أولى بالله منكم لأنَّا أبناء الله وأحبَّاؤه وقيل: لتقدم آبائنا وكتبنا ولأنَّا لم نعبد الأوثان فمعنى الآية: قل لهم يا محمد؛ أي قل لهؤلاء اليهود والنّصارى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادّعَوْا أنهم أولَى بالله منكم لقدم آبائهم وكتبهم: أتحاجُّوننا أي أتجاذِبُونَنَا الحجة على دعواكم والربُّ واحد وكلٌّ مجازى بعمله فأي تأثير لقدم الدِّين ومعنى في الله أي في دينه والقرب منه والحظوة له. وقراءة الجماعة: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ وجاز اجتماع حرفين مثلين من جنس واحد متحركين لأن الثَّاني كالمنفصل وقرأ ابن محيصن(اتحاجُّونَّا) بالإدغام لاجتماع المثلين[439].

قال النحاس:« وهذا جائز إلا أنه مخالف للسواد ويجوز (أتحاجُّونِ) بحذف النون الثانية»[440].

المطلب الثاني: اضطر، واثاقلتم

(اضطر) قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ (البقرة: 173)،« قرىء بضم النون للإتباع وبالكسر -وهو الأصل- لالتقاء الساكنين، قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب بالكسر والباقون بالضم»[441] وفيه إضمار أي فمن اضطر إلى شيء من هذه المحرمات أي أحوج إليها فهو افتعل من الضرورة وقرأ ابن محيصن فمن (اطُّر) بإدغام الضاد في الطاء وأبو السمال ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ بكسر الطاء وأصله

(438) النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص 60.
(439) الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص422-423.
(440) النحاس إعراب القرآن، ج 1، ص 82.
(441) ابن مجاهد، السبعة، ص174، والداني التيسير، ص 78، وابن الجزري، النشر، ج2، ص 225.

أضطرر فلما أدغمت نقلت حركة الراء إلى الطاء.[442] وفي هذا المثال إدغامان، إدغام بين الضاء والطاء، وإدغام بين الرّاءين.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ (الأنعام: 80)، دليل على الحِجَاجِ والجِدال؟ حاجُّوه في توحيد الله ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾« قرأ نافع بتخفيف النّون»[443] وشدَّد النّون الباقون وفيه عن ابن عامر من رواية هشام عنه خلاف فمن شدّد قال: الأصل فيه نونان الأولى علامة الرفع والثانية فاصلة بين الفعل والياء فلما اجتمع مِثلان في فعل وذلك ثقيل أدغم النون في الأخرى فوقع التشديد ولا بُدَّ من مدِّ الواو لئلا يلتقي الساكنان الواو وأول المشدد فصارت المدة فاصلة بين الساكنين، ومن خفَّف حذف النون الثانية استخفافا لاجتماع المثلين ولم تحذف الأولى لأنها علامة الرفع فلو حذفت لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب. وحُكي عن أبي عمرو بن العلاء:« أنّ هذه القراءة لَحْنٌ »، وأجاز سيبويه ذلك فقال:« استثقلوا التضعيف» وأنشد:

تراهُ كالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكًا *** يَسوءُ الفالِيات إذا فَلَيْنِي[444].

(اثاقلتم) قوله تعالى: ﴿ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (التوبة:38)، قال المفسرون: ومعناه: اثَّاقلتم الى نعيم الأرض، أو إلى الإقامة بالأرض. وهو توبيخٌ على ترك الجهاد، وعتابٌ على التقاعد عن المبادرة الى الخروج، وهو نحو من أَخْلَد إلى الأرض. وأصله: تثاقلتم، أدغمت التاء في الثاء لقربها، واحتاجت الى ألف الوصل لتَصِلَ الى النطق بالساكن ومثله: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ (الأعراف: 38)، و﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ (البقرة: 72)، و﴿ٱطَّيَّرۡنَا﴾ (النمل: 47)، و﴿ وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ (يونس: 24).

---

[442] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص34-35.

[443] النحاس إعراب القرآن، ج 2، ص 18.

[444] ديوان عمرو ين معد يكرب الزبيدي(ت 21ه) جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق سوريا، ط 2، (1405ه-1985م)، ص 180.و الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص443.

وأنشد الكسائيُّ:

تُوْلي الضَّجيعَ إذا ما اسْتَافَها خَصِرَا *** عَذْبَ المَذاق إذَا مَا اتَّابَع القُبَلُ [445]

وقرأ الأعمش: (تَثَاقَلْتُمْ) على الأصل؛ حكاه المهدوي. وكانت تبوك- ودعا الناسَ إليها- في حرارة القَيْظ وطيب الثمار وبرد الظِّلال- كما جاء في الحديث الصحيح على ما يأتي- فاستولى على الناس الكسل، فتقاعدوا وتثاقلوا؛ فوبَّخهم الله بقوله هذا، وعاب عليهم الإيثار للدنيا على الآخرة.وقد تناول المعاصرون هذا الأسلوب الفذ في علاقة اللفظة بالمعنى وبينوا استجابة اللفظ لتصوير معناه . فالقرآن ألفاظة تعج بالحياة والمعاني ماثلة شاهدة وكلمة (اثّاقلتم) فيها من الثقل الصوتي عندنطقها ما يرسم معناها الذي تؤديه وما أنتج هذا الثقل هو نوع الإدغام الذي ناسب اللفظة [446].

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (الأنعام: 125) قرأه ابن كثير بإسكان الصَّاد مخففا من الصعود وهو الطلوع، شبّه الله الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما أن صعود السماء لا يطاق، وكذلك يصَّاعد وأصله يَتَصاعد أدغمت التاء في الصاد وهي قراءة أبي بكر و النخعي [447].

إلا أنّ فيه معنى فعل شيء بعد شيء وذلك أثقل على فاعله. وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف وهو كالذي قبله معناه يتكلف ما لا يطيق شيئا بعد شيء كقولك: يتجرّع ويتفوّق، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ كأنما يتَصَعَّد.

قال النحاس:« ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يصَّعد ويصَّاعد واحدٌ والمعنى فيهما أنّ الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك فكأنه يستدعي ذلك»[448]. ثم

---

[445] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص207.وذكره سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، الإبانة في اللغة العربية تح: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، ط1، 1420 هـ - 1999 م، ج 2،ص 306.

[446] انظر : سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ص36.

[447] إبراهيم النخعي أبو عمران، وأبو عمار، إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع، الفقيه، الكوفي، النخعي؛ أحد الأئمة المشاهير، تابعي رأي عائشة رضي الله عنها ودخل عليها، ولم يثبت له منها سماع توفي سنة ست وقيل خمس وتسعين. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص 25.

[448] النحاس، معاني القرآن، ج2، ص486-287.

قال عزو جل (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) أي شديد الضيق وقرأ عمر وابن عباس (ضيقا حرجا) وروي أن عمر أحضر أعرابيا من كنانة من بني مدلج فقال له ما الحرجة فقال شجرة لا تصل إليها وحشية ولا راعية فقال كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شئ من الايمان والخيرثم قال جل وعز (كأنما يصعد في السماء) وقرأ ابن محيص وابن كثير وشبل [449].

(كأنما يصعد في السماء) وقرأ ابن عبد الرحمن المقرئ وابراهيم النخعي (كأنما يصاعد) وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ (كأنما يتصعد) ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يصعد ويصاعد واحد والمعنى فيها أن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد الى السماء وهو لا يقدر على ذلك كأنه يستدعي ذلك ومن قرأ (يصعد) فمعناه أنه من ضيق صدره كأنه في حال صعود قد كلفه وقال أبو عبيد من هذا قول عمر (مات صعدتني ﷺ خطبة ما تصعدتني خطبة النكاح) قوله ما تصعدتنى أي ما شقت على [450]، وقد أنكر هذا على أبي عبيد وقيل انما هذا من الصعود [451].

المطلب الثالث: أمم، تساقط، ادّارك:

(أمم) قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ﴾ (الأعراف: 38)؛ أي مع أُمم فـ(في) بمعنى مع وهذا لا يمتنع لأن قولك: زيدٌ في القوم؛ أي مع القوم وقيل: هي على بابها؛ أي ادخلوا في جملتهم والقائل قيل: هو الله ﷻ أي قال الله أُدخلوا وقيل: هو مالك خازن النار﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾؛ أي: التي سبقتها إلى النار وهي أختها في الدِّين

---

[449] شِبْل هو شبل بن خُليد، ويقال: شبل بن حامد . روى حديثه سُفْيان بن عُيَيْنَة، أبي نجيح، وعَبد الله بن كثير مقرىء مكة، ورَوَى عن عَمْرو بن دِينَار، وغيرهم، رَوَى عَنْه البُخَارِيّ: ابن عُيَيْنَة، وابن المُبَارك، وأبو أُسَامَة وروح بن عبادة. رَوَى عَنْه عَبد الله بن كثير، وعَبد الله بن زياد المكّي تفسير القرآن من أوله إلى آخره، ورَوَى عَنْه القراءة، وغيرهم.(المؤتَلِف والمختَلِف أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت 385هـ) تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ - 1986م.

[450] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء - المنصورة، ط 1، 1411هـ - 1991م، ج1، ص396.

[451] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص25-26.

والملَّة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ عن أبي عمرو (حتَّى إذا ادَّاركوا) بإثبات الألف على الجمع بين الساكنين [452].

ذكر النحاس:« حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا قرأ الأعمش تداركوا وهذا الأصل ثم وقع الإدغام فاحتيج إلى ألف الوصل وقرأ مجاهد حتى إذا أدركوا أي أدرك بعضهم بعضا. جَمِيعاً على الحال. قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلكِنْ لا تَعْلَمُونَ ما تجدون من العذاب » [453].

قال القرطبي في: قوله تعالى: ﴿تَسَّاقَطْ﴾ (مريم: 25)، (تَسَّاقَطْ)؛ أي: تتساقط فأدغم التاء في السين وقرأ حمزة (تسَاقَطْ) مخففا فحذف التي أدغمها غيره. وقرأ عاصم في رواية حفص (تُسَاقِطْ) بضمّ التاء مخففا وكسر القاف وقرئ (تَتَسَاقَطْ) بإظهار التاءين و (يَسَّاقَطْ) بالياء وإدغام التاء و(تُسْقِطْ) و(يُسْقِطْ) و (تَسْقط) و (يَسقط) بالتاء للنخلة وبالياء للجذع [454]، وقد تنوعت القراءات وكان الادغام سببا في تعددها وكثرتها.

قال النحاس: « فيه ستّ قراءات: قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم والكسائي تُساقِطْ بالتاء وتشديد السين، وقرأ الأعمش وحمزة تساقط بالتاء وتخفيف السين، وقرأ البراء بن عازب يسّاقط بالياء وتشديد السين، وقرأ مسروق بن الأجدع[455] تسقط والقراءتان الباقيتان تُساقِطْ ونساقط، فالقراءة الأولى أصلها تتساقط ثم أدغمت التاء في السين، والثانية على الحذف، والثالثة على الإدغام ولا يجوز معها الحذف. ونصب رطب في هذه القراءات الثلاث على البيان كما قال: [الطويل]

---

[452] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص 216.

[453] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص52.

[454] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص434-435.

[455] مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ. وهو عبد الرحمن بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سليمان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح من همدان. وَقَدْ رَوَى عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ وَخَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَائِشَةَ وَعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ. شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَجُرِحَ فَشُلَّتْ يَدُهُ وأصابته آمة. مَاتَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ.(الطبقات الكبرى أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ) تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1410 هـ - 1990 م،ج6، ص138.

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً ... وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا[456]

وحكى أبو إسحاق عن أبي العباس أنه منصوب بهزّي، والقراءة الرابعة على أن يكون منصوبا بتسقط أو بهزّي، وكذا الخامسة. قال أبو إسحاق: ومن قرأ نساقط أراد: نساقط نحن عليك رطبا جنيّا ليكون ذلك آية. قال أبو جعفر: والرطب يذكّر على معنى الجنس ويؤنث على معنى الجماعة» [457].

(ادّارك) قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ (النمل: 66) هذه قراءة أكثر الناس منهم عاصم و شيبة و نافع و يحيى بن وثاب و الأعمش وحمزة و الكسائي وقرأ أبو جعفر و ابن كثير و أبو عمرو و حميد[458]: (بَلْ أَدْرَكَ) من الإدراك وقرأ عطاء بن يسار وأخوه سليمان ين يسارو الأعمش: (بَل أَدَّرَكَ) وغير مهموز مشددًا وقرأ ابن محيصن: (بَلْ أَدْرَكَ) على الاستفهام وقرأ ابن عباس: (بَلَى) بإثبات الياء (أَدَّارَكَ) بهمزة قطع والدال مشددة وألف بعدها قال النحاس:« وإسناده إسناد صحيح هو من حديث شعبة يرفعه إلى ابن عباس وزعم هارون القارئ أن قراءة أبيّ (بَلْ تَدَارَكَ عِلْمُهُمْ) » [459].

فإن الْفَرَّاءَ قَالَ:« مَعْنَاهُ لُغَةٌ تَدَارَكَ أَي تَتَابَعَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، يُرِيدُ بِعِلْمِ الْآخِرَةِ تَكُونُ أَو لَا تَكُونُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ، قَالَ: وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ أُبيّ أَم تَدارَكَ، وَالْعَرَبُ تجعَل بَلْ مَكَانَ أَم وأَم مَكَانَ بَلْ إِذا كَانَ فِي أَول الْكَلِمَةِ اسْتِفْهَامٌ»[460] مثل قول الشاعر:

---

[456] ديوان امرئ القيس، ص 87.

[457] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص9.

[458] الأعرج حميد بن قيس هو حميد بن قيس أبو صفوان الأعرج المكي القارئ.أخذ حميد القراءة عن «مجاهد بن جبر» وعرض عليه ثلاث مرات وروى عنه القراءة: سفيان بن عيينة، وأبو عمرو بن العلاء، وإبراهيم بن يحيى، وآخرون. وقال ابن عيينة: كانوا لا يجتمعون إلا على قراءته، ولم يكن بمكة أحد أقرأ منه ومن «ابن كثير» . توفي سنة ثلاثين ومائة من ، محمد سالم محيسن (ت 1422هـ)، الهجرة معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ،دار الجيل - بيروت ط1، 1412 هـ - 1992 م ج1، ص46.

[459] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص149.

[460] ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص421.

فو الله مَا أَدْرِي، أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ، ... أَم البُومُ، أَم كلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ[461]

مَعْنَى أَم بَلْ؛ وَقَالَ أَبو مُعَاذٍ النَّحْوِيُّ: وَمَنْ قرأَ بَلْ أَدْرَكَ وَمَنْ قرأَ بَلِ ادَّارَكَ فَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، يَقُولُ: هُمْ عُلَمَاءُ فِي الْآخِرَةِ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وقال النحاس:« القراءة الأولى والأخيرة معناهما واحد لأن أصل (أَدَّارَكَ) تدارك أدغمت الدال في التاء وجيء بألف الوصل »[462].

ظاهرة الإدغام موضوع كبير وعلاقتها بالقراءات القرآنية بيّنها القراء، فالإدغام ظاهرة صوتية تختزل الأصوات في صوت واحد، وهو أداء عربيّ تميزت به بعض القبائل العربية في نطقها اللهجي، فالإدغام ظاهرة صوتية منشأها اختلاف اللهجات العربية، وقد قرئ بها القرآن، فكل مندمج في كلٍّ، والكلّ ينتج بعضه من بعض، فهي دائرة متكاملة.

المبحث الثالث: الإدغام واللهجات

هي ظاهرة وليدة اللهجات العربية، فالعرب على قسمين : قسم يدغم وهم أهل البادية، أكثرهم بنو تميم؛ لما في الإدغام ما يناسب طبيعتهم البدوية الخشنة وقبائل الحجاز الحضرية لا تدغم وذلك يتناسب مع رقتهم وميولهم إلى التخفيف. فالإدغام فيه شدة ويحتاج إلى قوة وقد تناول القرطبي الظاهرة بالدرس والتمحيص حيث نسب القراءات بالإدغام إلى لهجاتها.

المطلب الأول: تُضَار

(تضارّ) قوله تعالى: ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ (البقرة: 233)، وقرأ نافع وعاصم وحمزة و الكسائي (تُضَارَّ) بفتح الراء المشددة وموضعه جزم على النهي وأصله لا تُضارِرْ على الأصل فأدغمت الراء الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين وهكذا يفعل في المضاعف

---

[461] ذكره أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م ص88. ابن منظور، لسان العرب،ج 12، ص 35. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، الإبانة في اللغة العربية، ج2، ص82.

[462] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص150.

إذا كان قبله فتح أو ألف تقول: عضَّ يا رجل وضَارَّ فلانًا يا رجل؛ أي: لا يُنزع الولد منها إذا رضيت بالإرضاع وألفِهَا الصبيُّ وقرأ أبو عمرو وابن كثير و أبان عن عاصم وجماعة (تُضَارُّ) بالرفع عطفا على قوله: ﴿تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾ وهو خبر والمراد به الأمر وروى يونس عن الحسن قال يقول: لا تُضَارُّ زوجها تقول: لا أرضِعه ولا يُضَارُّها فينزعه منها وهي تقول: أنا أرضِعه. ويحتمل أن يكون الأصل (تُضارِرُ) بكسر الراء الأولى ورواها أبان عن عاصم وهي لغة أهل الحجاز (والدةٌ) فاعلة ويحتمل أن يكون (تُضَارَرُ) فـ (والدة) مفعول ما لم يسم فاعله. وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قرأ (لا تُضَارَر) براءين الأولى مفتوحة. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع (تُضَارْ) بإسكان الراء وتخفيفها وكذلك (لا يُضَارْ كَاتبٌ) وهذا بعيدٌ لأن المثلين إذا اجتمعا وهما أصليان لم يجزْ حذف أحدهما للتخفيف فإما الإدغام وإما الإظهار. وروي عنه الإسكان والتشديد وروي عن ابن عباس و الحسن (لا تُضارِر) بكسر الراء الأولى [463].

قال النحاس:« وقرأ مجاهد وحميد بن قيس وابن محيصن لمن أراد أن تتمّ الرّضاعة بفتح التاء الأولى ورفع الرضاعة بعدها. قال أبو جعفر: ويجوز لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ بالياء لأن الرّضاعة والرّضاع واحد ولا يعرف البصريون: الرضاعة إلا بفتح الراء والرضاع إلا بكسر الراء مثل القتال وحكى الكوفيون كسر الراء مع الهاء وفتحها بغير هاء وقد قرأ أبو رجاء وكان فصيحا لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ وقرأ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ بفتح» [464].

المطلب الثاني: فنعمّا

(فنعمّا) اختلف القراء في قوله:﴿ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (البقرة: 271)، فقرأ أبو عمرو ونافع في رواية ورش وعاصم في رواية حفص و ابن كثير﴿ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ بكسر النون والعين وقرأ أبو عمرو أيضا ونافع في غير رواية ورش وعاصم في رواية أبي بكر والمفضَّل (فَنِعمَّا) بكسر النون وسكون العين وقرأ

[463] الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص116-117.
[464] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص115.

الأعمش وابن عامر وحمزة و الكسائي (فَنَعِمَّا) بفتح النون وكسر العين وكلهم شدّد الميم ويجوز في غير القرآن فَنِعْمَ ما هي.

قال النحاس:« ولكنه في السواد متصل فلزم الإدغام وحكى النحويون في (نِعْمَ) أربع لغات: نَعِمَ الرجل زيدٌ هذا الأصل، ونِعِمَ الرجل بكسر النون و العين ونَعْمَ الرجل بفتح النون وسكون العين والأصل نَعِمَ حذفت الكسرة لأنها ثقيلة ونِعْمَ الرجلُ وهذا أفصح اللغات. والأصل فيها نَعِمَ وهي تقع في كل مدح فخففت وقلبت كسرة العين على النون وأسكنت العين فمن قرأ ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فله تقديران: أحدهما أن يكون جاء به على لغة من يقول نَعِم، والتقدير الآخر: أن يكون على اللغة الجيدة فيكون الأصل نِعْمَ ثم كسرت العين لالتقاء الساكنين» [465].

فأما الذي حكي عن أبي عمرو ونافع من إسكان العين فمحال حكي عن محمد بن يزيد أنه قال: أما إسكان العين والميم مشددة فلا يقدر أحد أن ينطق به وإنما يروم الجميع بين ساكنين ويحرك ولا يأبه وقال أبو علي: من قرأ بسكون العين لم يستقم قوله لأنه جمع بين ساكنين الأول منهما ليس بحرف مدّ ولين وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأول حرف مد إذ المدُّ يصير عوضا من الحركة وهذا نحو دَابَّة ونحوه ولعل أبا عمرو أخفى الحركة واختلسها كأخذه بالإخفاء في (بَارِئِكُم) و (يَامُرُكُم) فظنَّ السامع الإخفاء إسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه قال أبو علي: وأما من قرأ (نِعمَّا) بفتح النون وكسر العين فإنما جاء بالكلمة على أصلها ومنه قول الشاعر :

ما أقلَّت قدمَايَ إنَّهُمْ *** نَعِمَ السَّاعُون في الأَمْر المُبِرّ. [466]

---

[465] المصدر نفسه، ج1، ص131-132.

[466] الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص362-364.ابن منظور، لسان العرب، ج 12،ص587. الزبيدي تاج العروس، ج 33، ص512. وذكره أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت: 458هـ)،المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000 م، ج 2، ص199.

المطلب الثالث: تُحبّون:

(تحبون) قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: 31)، الحُبُّ: المحبَّةُ وكذلك الحِبُّ بالكسر والحِبُّ أيضا الحبيب مثل الخِدْنِ والخَدِين يقال أحبَّه فهو مُحِب وحَبَّهُ يَحِبُّهُ بالكسر فهو مَحْبُوبٌ. قال الجوهري:« وهذا شاذٌّ لأنه لا يأتي في المضاعف يفعل بالكسر »[467].

قال ابو الفتح بن جني: والأصل فيه حَبُبَ كظرف فأسكنت الباء وأدغمت في الثانية. قال ابن الدهان سعيد[468]: في حَبَّ لغتان: حَبَّ وأَحَبَّ وأصل (حَبَّ) في هذا البناء حَبُبَ كَظَرُف يدل على ذلك قولهم: حَبُبْت وأكثر ما ورد فعيل من فَعُل. قال ابو الفتح بن جني: والدلالة على أحَبَّ. قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ بضم الياء و ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ و(حَبَّ) يرد على فعُل لقولهم حَبِيب وعلى فَعِلَ كقولهم محبوب: ولم يرد اسم الفاعل من حَبَّ المتعدِّي فلا يقال: أنا حَابٌّ ولم يرد اسم المفعول من أفْعَلَ إلا قليل كقوله:

مِنّي بمنزلةِ المُحَبِّ المُكْرِمِ [469]

وحكى أبو زيد : حَبَبْتُهُ أحبَّهُ وأنشد :

فوالله لولا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ *** ولاَ كَانَ أدْنَى من عُوَيْفٍ وهَاشِم [470].

---

[467] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 1، ص105.

[468] ابْنُ الدَّهَّانِ أَبُو مُحَمَّدٍ سَعِيْدُ بنُ المُبَارَكِ بنِ الدَّهَّانِ البَغْدَادِيُّ، النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِدَ: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ. وَسَمِعَ مِنِ: ابْنِ الحُصَيْن، وَأَبِي غَالِبٍ ابْنِ البَنَّاءِ. وَلَهُ كِتَابُ (سَرِقَات المُتَنَبِّي)، وَكِتَاب (التَّذْكِرَة) قَالَ العِمَاد الكَاتِب: هُوَ سِيْبَوَيْهِ عَصرِهِ، وَوحيدُ دَهْرِهِ، لَقِيْتُهُ وَكَانَ حِيْنَئِذٍ يُقَالُ: نُحَاةُ بَغْدَادَ أَرْبَعَةٌ: ابْنُ الجَوَالِيْقِيّ، وَابْنُ الشَّجَرِيّ، وَابْن الخَشَّاب، وَابْن الدَّهَّانِ . تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج20، ص582.

[469] الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط 1، 1412هـ 1992م، ص153 . و شطر البيت الأول ولَقَدْ نَزَلْتِ فَلاَ تَظُنّي غَيْرَهُ.

[470] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص90-91.ونسبه ابن منظور في لسان العرب لعيلان بن شجاع النهشلى، ج 1، ص 289 . وذكره ابن جني في الخصائص ج 3، ص 414.و سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري الإبانة في اللغة العربية، ج 3 ص433. و الزبيدي في تاج العروس، ج 2، ص214. وجاء شطره الثاني في جميعها مخالف للجامع - ولا كان أدنى من عبيد ومشرق.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ (يونس: 35). وفي (يَهْدِّي) قراءات ست: الأولى- قرأ أهل المدينة إلاَّ ورشًا (يَهْدِّي) بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال فجمعوا في قراءتهم بين ساكنين كما فعلوا في قوله:﴿لَا تَعۡدُواْ﴾ (النساء:15)، وفي قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ (يس: 49)

قال النحاس:« والجمع بين الساكنين لا يقدر أحد أن ينطق به قال محمد بن يزيد: لا بد لمن رام مثل هذا أن يحرك حركة خفيفة إلى الكسر و سيبويه يسمّي هذا اختلاس الحركة» [471].

الثانية- قرأ أبو عمرو وقالون [472] في رواية بين الفتح والإسكان على مذهبه في الإخفاء والاختلاس.

الثالثة- قرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن (يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال هذه القراءة بيّنة في العربية والأصل فيها يهتدي أدغمت التاء في الدال وقلبت حركتها على الهاء.الرابعة- قرأ حفص ويعقوب و الأعمش عن أبي بكر مثل قراءة ابن كثير إلا أنهم كسروا الهاء قالوا : لأن الجزم إذا اضطرّ إلى حركته حرّك إلى الكسر قال أبو حاتم : هي لغة سُفلى مضر.

الخامسة- قرأ أبو بكر عن عاصم (يِهِدِّي) بكسر الياء والهاء وتشديد الدال كل ذلك لإتباع الكسر الكسر كما تقدم في البقرة في ﴿يَخۡطَفُ﴾ (البقرة: 20) وقيل: هي لغة من قرأ ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ (الفاتحة:5)، ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ (آل عمران: 24) ونحوه و سيبويه لا يجيز (يِهِدِّي) ويجيز (تِهِدِّي) و(نِهِدِّي) و (إِهِدِّي) قال:«لأن الكسرة في الياء تثقل» [473].

---

[471] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص147.

[472] قالون القارىء عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله المدني، مات سنة خمس ومائتين، ومولده سنة عشرين ومائة، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة . وكان قالون أصم لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارىء ألقم أذنه فاه ليسمع قراءته.حدث أبو موسى قالون: كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين ويقول لي: قالون، قالون، يعني جيد بالرومية، وإنما كان يكلمه بذلك لأن قالون أصله من الروم. ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج5، ص2144.

[473] سيبويه، الكتاب، ج 3، ص602

السادسة - قرأ حمزة و الكسائي وخلف ويحيى بن وثاب و الأعمش (يَهْدِي) بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال من هَدَى يَهْدِي قال النحاس:« وهذه القراءة لها وجهان في العربية وإن كانت بعيدة وأحد الوجهين أن الكسائي و الفرّاء قالا: وقوله: إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ (النحل: 38) قَرأها أصحابُ عبد الله (عاصم وحمزة والكسائي وخلف). (يَهِّدي) يريدون: يهتدي مَن يُضلّ»، [474] « والعربُ تَقُولُ للرجل: قد هَدَّى الرجلُ يريدون: اهتدى» [475]، قال أبو العباس: لا يعرف هذا ولكنّ التقدير أمَّن لا يَهدي غيره. تم الكلام، ثم قال: (إلاَّ أنْ يُهْدَى) استثناء من الأول؛ أي: لكنه يحتاج أن يُهدى فهو استثناء منقطع كما تقول: فلان لا يسمع غيره إلا أن يُسمعَ؛ وقال أبو إسحاق: فـ﴿مَا لَكُمْ﴾ كلام تام والمعنى: فأي شيء لكم في عبادة الأوثان ثم قيل لهم: ﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أي لأنفسكم وتقضون بهذا الباطل الصراح تعبدون آلهة لا تغني عن أنفسها شيئا إلا أن يُفعل بها، والله يَفعل ما يشاء فتتركون عبادته فموضع (كيف) نصبٌ بـ(تحكمون) [476].

المطلب الرابع: تأمنّا ، و وُدُّ:

(تأمنّا) قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ﴾ (يوسف: 11) قرأ يزيد بن القعقاع وعمرو بن عبيد و الزهري (لا تأمَنَّا) بالإدغام وبغير إشمامٍ وهو القياس لأن سبيل ما يدغم أن يكون ساكنا وقرأ طلحة بن مصرف (لاَ تَامَنُنَا) بنونين ظاهرتين على الأصل وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين [477] - وروي عن الأعمش- (لا تِيْمَنَّا) بكسر التاء وهي لغة تميم يقولون: أنت تِضْرب. وقرأ سائر الناس بالإدغام والإشمام ليدل على حال الحرف قبل إدغامه [478].

---

[474] النحاس إعراب القرآن، ج2، ص147.

[475] معاني القرآن،للفراء ج2ص93

[476] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص500-502.

[477] أبو رزين الأسدى التابعى هو مسعود بن مالك الأسدى الكوفى روى عن على، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى هريرة، رضى الله تعالى عنهم. روى عنه ابنه عبد الله بن مسعود، وعاصم بن أبى النجود، والأعمش، وغيرهم. وكان فقيهًا، عالمًا، فهمًا، واتفقوا على توثيقه، مات سنة خمس وثمانين. ، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص231.

[478] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص272.

قال النحاس:« وقرأ سائر الناس فيما علمت بالإدغام والإشمام. قال أبو جعفر: القراءة الأولى بالإدغام وترك الإشمام هي القياس لأن سبيل ما يدغم أن يكون ساكنا، وقال أبو عبيدة: لا بد من الإشمام. وهذا القول مردود عند النحويين: وقال أبو حاتم: لو كان إدغاما صحيحا ما أشمّ شيئا، وهذا أيضا عند النحويين غلط لأن الإشمام إنما هو بعد الإدغام إنما يدلّ به على أن الفعل كان مرفوعا وتأمنّا على الأصل»[(479)].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ فَذَٰنِكَ ﴾ (القصص: 32)، عن أبي عمرو أيضا قال لغة هذيل: (فَذَانِيكَ) بالتخفيف والياء ولغة قريش (فَذَانِكَ) كما قرأ أبو عمرو و ابن كثير في تعليله خمسة أقوال: قيل شدد النون عوضا من الألف الساقطة في ذانك الذي هو تثنية ذا المرفوع، وهو رفعٌ بالابتداء وألف ذا محذوفة لدخول ألف التثنية عليها ولم يلتفت إلى التقاء الساكنين لأن أصله فذانك فحذف الألف الأولى عوضا من النون الشديدة وقيل: التشديد للتأكيد كما أدخلوا اللام في ذلك مكي: وقيل إن من شدد إنما بناه على لغة من قال في الواحد ذلك، فلما بنى أثبت اللام بعد نون التثنية ثم أدغم اللام في النون على حكم إدغام الثاني في الأول والأصل أن يدغم الأول أبدا في الثاني، إلا أن يمنع من ذلك علة فيدغم الثاني في الأول، والعلة التي منعت في هذا أن يدغم الأول في الثاني، أنه لو فعل ذلك لصار في موضع النون التي تدل على التثنية لام مشددة، فيتغير لفظ التثنية فأدغم الثاني في الأول لذلك فصار نونا مشددة وقد قيل: إنه لما ثنّى ذلك أثبت اللام قبل النون ثم أدغم الأول في الثاني على أصول الإدغام فصار نونا مشددة وقيل: شددت فرقا بينها وبين الظاهر التي تسقط الإضافة نونه، لأن ذان لا يضاف، وقيل: لفرق بين الاسم المتمكن وبينها وكذلك العلة في تشديد النون في (اللذان) و (هذان) قال أبو عمرو: إنما اختصّ أبو عمرو هذا الحرف بالتشديد دون كل تثنية من جنسه لقلة حروفه فقرأه بالتثقيل ومن قرأ: (ذَانِيكَ) بياء مع تخفيف النون فالأصل عنده (فَذَانِّكَ) بالتشديد فأبدل من النون

(479) النحاس إعراب القرآن، ج2، ص194.

الثانية ياء كراهية التضعيف كما قالوا: لا أملاه في لا أَمَلُّه فأبدلوا اللام الثانية ألفا، ومن قرأ بياء بعد النون الشديدة فوجهُه أنه أشبع كسرة النون فتولدت عنها الياء [480].

وفي الحجة: « فإن من شدَّد النون عله تثنية: (ذلك)، وتقديره: (ذان لك) فقلب من اللام نوناً وأدغم. ومن خفف جعله تثنية (ذاك)، فأتى بالنون الخفيفة للاثنين. فأما دخول الكاف فيهما فلمعنى الخطاب ولا موضع لها من الإعراب» [481].

(وُدٌّ) قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ (نوح: 23) وقرأ نافع (ولاَ تَذَرُنَّ وُدًّا) بضم الواو وفتحها الباقون قال الليث: وَدٌّ بفتح الواو صنم كان لقوم نوح ووُدٌّ بالضم صنم لقريش. وفي الصحاح: الوَدُّ بالفتح الوَيدُ في لغة أهل نجد كأنهم سكنُّوا التاء وأدغموها في الدال [482].

المبحث الرابع: رفض القرطبي لبعض الإدغام:

عندما تختل شروط الادغام، ويوجد الادغام في بعض اللحالات فإن القرطبي قد ردّ هذا الادغام ورفضه، مبينا عله ذلك، ومن ذلك :

المطلب الأول: يحييكم:

(يحييكم) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (الأنفال: 24)، هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف والاستجابة: الإجابة: ﴿و تُحۡيِيكُمۡ﴾ أصله يُحْيِيكُمْ حذفت الضمة من الياء لثقلها ولا يجوز الإدغام قال أبو عبيدة: معنى استجيبوا أجيبوا ولكن عرف الكلام أن يتعدى (استجاب) بلام ويتعدى (أجاب) دون لام [483].

---

[480] الجامع لأحكام القرآن،ج16، ص 279-280.
[481] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص60.
[482] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص 264-265.
[483] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص 483.

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ (التوبة: 52)، والكوفيون يُدغمون اللام في التاء فأما لام المعرفة فلا يجوز معها إلاّ الإدغام، كما قال جلّ وعزّ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ (التوبة: 112) لكثرة لام المعرفة في كلامهم. ولا يجوز الإدغام في قوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ (الأنعام: 151) لأن (قُل) معتلٌّ، فلم يَجمعوا عليه علتين. والتَّربّص الانتظار [484]، عندما ردّ الإدغام في هذا المثال بيّنه وعلل لرفضه بكل وضوح.

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الأنبياء: 88)، وقاله القتبي- وهو أنَّه أدغم النون في الجيم قال النحاس:« وهذا القول لا يجوز عند أحد من النحويين لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها ولا يجوز في﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (القصص: 84)، مَجَّاءَ بالحَسَنَةِ، قال النحاس: ولم أسمع في هذا أحسن من شيء سمعته من علي بن سليمان قال: الأصل ننجي فحذف إحدى النونين لاجتماعهما كما تحذف إحدى التاءين لاجتماعهما نحو قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: 103) والأصل تتفرقوا والدليل على صحة ما قال أن عاصما يقرأ (نجّي) بإسكان الياء، ولو كان على ما تأوله من ذكرناه لكان مفتوحا»[485].

وقرأ محمد بن السّميقع وأبو العالية (وكَذلِك نَجَّى المُؤمنينَ) (الأنبياء: 88)؛ أي نجَّى الله المؤمنين وهي حسنة [486].

المطلب الثاني: الصافّات:

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾ (الصافات: 3/1) هذه قراءة أكثر القراء وقرأ حمزة بالإدغام فيهنَّ وهذه القراءة التي نفر منها أحمد بن حنبل لما سمعها [487]. قال النحاس:« وهي بعيدة في العربية من ثلاث جهات: إحداهن أن التاء ليست

---

[484] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص 235.
[485] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص56.
[486] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص277-278.
[487] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص3.

من مخرج الصاد ولا من مخرج الزاي ولا من مخرج الذال ولا من أخواتهن وإنما أختاها الطاء والدال وأخت الزاي الصاد والسين وأخت الذال الظاء والثاء والجهة الثانية أن التاء في كلمة وما بعدها في كلمة أخرى والجهة الثالثة أنك إذا أدغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين وإنما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا في كلمة واحدة نحو دابَّة وشابَّة ومجاز قراءة حمزة أن التاء قريبة المخرج من هذه الحروف (والصافات) قسم الواو بدل من الباء والمعنى بِرَبِّ الصَّافَّاتِ و(الزَّاجِرَاتِ) عطف عليه »[488]، ينقل الإمام القرطبي أن الإمام أحمد نفر من هذه القراءة، أن تدغم التاء في الصاد، وفي الزاي، وفي الذال. وزيادة على ما بيّنه القرطبي رحمه الله في منع هذا الإدغام ورفضه، فإن التاء متحركة في كلّ الكلمات الثلاثة الصّاد و الزّاي والذّال.

المطلب الثالث: تصلية:

(تصلية) قوله تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: 94)، إدخال في النار وقيل: إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها يقال: أصلاه النَّار وصَلاَه؛ أي: جعله يَصْلاَهَا والمصدر هاهنا أضيف إلى المفعول كما يقال: لفلان إعطاء مال؛ أي يعطى المال وقرئ: (وتِصْلِيةِ) بكسر التاء أي ونزل من تصلية جحيم ثم أدغم أبو عمرو التاء في الجيم وهو بعيد[489].

والقرطبي المتّأخّر رحمه الله يردّ قراءة لأبي عمرو في إدغامه التاء في الجيم، وهذا من أبي عمرو غريب . أن يدغم التاء المربوطة في الجيم ، والتاء صوت بعيد المخرج عن الجيم، ولذلك قال القرطبي: إدغام التاء في الجيم بعيد في العربية.

[488] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص277.
[489] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص233-234.

الفصل الثالث:

الإبـــــــدال

المبحث الأول: مفهوم الإبـدال

المبحث الثاني: الإبدال والقراءات

المبحث الثالث: الإبدال واللهجات

المبحث الرابع: رفض القرطبي لبعض الإبدال

المبحث الأول: مفهوم الإبـدال

في اللغة مصدر أبدلتُ كذا من كذا؛ أي: أقمته مقامه[490]، وهو يعني إبدال صوت من كلمة بصوتٍ آخر، وهو يقع بين الأصوات المتقاربة في الحيز أو المخرج، وبين المتباعدة أيضا، والأول هو الأغلب حدوثاً وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء[491].

فهو جعل حرف موضع حرف لدفع الثقل[492].

المطلب الأول: إبدال الهمزة:

الإبدال بين الهمزة والهاء:

قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهما صوتان من أقصى الحلق لدى القدماء[493] وحنجريان لدى المحدثين[494].

قال القرطبي:« الجمهور من القراء والعلماء على شد الياء من (إيَّاك) في الموضعين. وقرأ أبو السوار الغنوي (هَيَّاك) في الموضعين وهي لغة. قال:

فهَيَّاكَ والأمرَ الذي إنْ تَوَسَّعتْ *** موارِدُه ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ»[495].

قال الخليل: "الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق، يصير همزة، فإذا رفه عن الهمزة كان نفسا يحول إلى مخرج الهاء"[496]. لقد عرفت العربية الإبدال بين الصوتين ،وذلك يبدو في لهجة طيء

---

[490] ابن منظور، لسان العرب، مادة (بدل) .

[491] ابن فارس أبو الحسن بن زكريا المدني، الصاحبي، ص 333.

[492] الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ) كتاب التعريفات ،تح و ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1، 1403هـ ، ص7.

[493] الفراهيدي، العين، ج1، ص52. و سيبويه، الكتاب،ج 4، ص433.

[494] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، 273.

[495] الجامع لأحكام القرآن،ج1، ص225. ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ص376.و سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري الإبانة في اللغة العربية، ج ، ص246.

[496] ابن جني، سر صناعة الإعراب ، ج1، ص17.

في بعض المواضع كهمزة (إن) الشرطية فتقول (هن فعلت) تريد إنْ وأرقت الماء وهرقته وإيَّاك وهيَّاك ونسبها اللحيائي إلى اليمن ويقول ذلك في طيء أو من يجاورها» [497].

وفي همزة (إن) التي تسبقها اللام. يقول ابن منظور[498]:« ومن العرب من يبدل همزتها هاء مع اللام كما أبدلوها في هرقت. فيقول: لهنك لرجل حذق، والإبدال في لهنك سديد، لأن أصلها لأنك فأبدلوا الهمزة هاء مع اللام كما أبدلوها في هرقَت ونحوه وقلب الهمزة هاء لغة قوم رواها البصريون والكوفيون.

وقد وردت أمثلة للإبدال بين الهمزة والهاء مثل هيَّاك في إيَّاك: وروي فتح الهمزة وإبدال الهاء منها ﴿ طه ۞ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ قال القرطبي: إنّ معنى «طه»: طأ الأرض[499].

وذلك أنَّ النبي ﷺ كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورَّم ويحتاج إلى الترويح بين قدميه. فقيل له: طأِ الأرض، أي: لا تتعب حتى تحتاج إلى الترويح[500].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه، فقالت له عائشة رضي الله عنها: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: فقال: « أفلا أكون عبدا شكورا »[501].

---

[497] هلال، اللهجات، ص210.

[498] ابْن مَنْظُور مُحَمَّد بن مُكرَّم بن عليّ بن أَحْمد بن حبقة الْأَنْصَارِيّ الإفْرِيقِي كَانَ يُنسب إِلَى رُوَيْفِع بن ثَابت الْأَنْصَارِيّ، وَهُوَ صَاحب «لِسَان الْعَرَب» فِي اللُّغَة. وُلِدَ سنة 630 هـ، كَانَ عَالما فِي الْفِقْه و اللُّغَة وَيشْهد لَهُ بذلك هَذَا الْكتاب الْفَرد «لسان الْعَرَب» توفّي فِي مصر سنة 711 هـ / 1311م. ابن منظور، لسان العرب، مقدمة التحقيق دون ترقيم.

[499] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص10.

[500] العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، 1379هـ،ج 8، ص 432 . والحديث جاء بألفاظ عدة وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الْحَسَنِ وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَا فِي قَوْلِهِ طَهَ قَالَ يارجل وَعِنْدَ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ وَعَطَاءٍ مِثْلِهِ وَمِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى رِجْلٍ وَرَفَعَ أُخْرَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى طَهَ أَيْ طَأِ الْأَرْضَ وَلِابْنِ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ نَحْوَهُ بِزِيَادَةِ أَنَّ ذَلِكَ لِطُولِ قِيَامِ اللَّيْلِ.

[501] صحيح مسلم، شرح النووي، ج9، ص138، رقم الحديث 2819. انفرد بإخراجه مسلم عن عائشة.

وذكر القاضي عياض في"الشفاء" أن الربيع بن أنس[502] قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله تعالى: « طه» بمعنى طأِ الأرض يا محمد ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾[503]. وقال مقاتل[504] والضحاك[505]، فلما نزل القرآن على النبي ﷺ قام هو وأصحابه فصلَّوا فقال كفار قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى: فأنزل الله تعالى: « طه » يقول: (يا رجل) ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾[506]؛ أي تتعب على ما يأتي. وعلى هذا القول: إن معنى (طه) طاهَا؛ أي طأِ الأرض، وتكون الهاء والألف ضميرَ الأرض، أيْ طأِ الأرض برجليك في صلاتك وخُفّفت الهمزة فصارت ألفا ساكنة.

وقرأت طائفة: (طَهْ) وأصله: (طَا) بمعنى:طأِ الأرض، فحذفت الهمزة، وأدخلت هاء السكت[507].

وقال زِرّ بن حبيش: قرأ رجل على عبد الله بن مسعود: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ فقال له عبد الله: (طِهِ) بالكسر، قال: فقال: يا أبا عبد الرحمن، أليس قد أُمِر أن يطأ الأرض برِجلهِ- أو بقدميه؟ فقال: (طِهِ) كذلك أقْرأنيها رسول الله ﷺ[508].

---

[502] الربيع بن أنس البكري، ويُقال الحنفي، البَصْرِيّ ثم الخراساني. رَوَى عَن: أنس بْن مالك، وجديه وهما زياد وزيد، وصفوان بن محرز . رَوَى عَنه: الحسين بْن واقد المروزي، وسفيان الثوري،وخلق كثير قال أَحْمَد بْن عَبد اللَّهِ العِجْلِيّ : بصري صدوق.وَقَال أَبُو بَكْر بْن أَبي داود: مات في سجن مرو، كَانَت وَفَاته فِي خلَافَة أبي جَعْفَر سنة سِتّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَة. الكلبي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج9، ص62.

[503] القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء - عمان، ط2، 1407 هـ، ج 1، ص 107.

[504] مقاتل هو أبو بسطام مقاتل بن حبان البلخى الخراز، وهو من تابعى التابعين. روى عن سالم بن عبد الله بن عمر، وعكرمة وغيرهم. روى عنه علقمة بن مرثد، وعتاب بن محمد، غيرهم. قال عبد الرحمن بن الحكم: ذاك مرتفع مرتفع. وكان مقاتل ناسكًا، فاضلاً، وتوفى بكابل فتسلب عليه ملكها، فقيل: إنه ليس على دينك، فقال: إنه كان رجلاً صالحًا. مَاتَ فِي حُدُودِ الْخَمْسِينَ وَمِائَةٍ. ، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج2 ص111.

[505] الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع بن رفيع ابن الأسود بن عمرو بن هلال بن ثعلبة بن شيبان أبو عاصم الشيباني البصري المعروف بالنبيل، سمع الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز حيوة بن شريح ومالك بن أنس روى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري مات بالبصرة ليلة الخميس لأربع عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ اثنتي عشرة ومائتين. تاريخ دمشق،ج24، ص356.

[506] (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419 هـ، ج 5 ص241.

[507] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص11-12.

[508] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص12.

يقول الأخفش:« كما تقول: إيه، وهيه، وكما تقول هرقت وأرقت »[509]، وذكر سيبويه« أن الهاء تبدل من الهمزة وممالة (إياك. هياك) »[510].

قال ابن جني: «وذكر ابن السكيت هذه اللفظة في باب الإبدال، ولم يقل أيهما الأصل وأيهما الفرع. والقول في ذلك عندي أن يقضى بكونهما أصلين غير مبدل أحدهما من الآخر حتى تقوم الدلالة على القلب»[511].

المطلب الثاني: إبدال العين حاء:

وهما صوتان من وسط الحلق باتفاق القدماء[512]، والمحدثين[513].

ولا فرق بينهما إلا في أنَّ الحاء مهموس نظيره المجهور هو العين[514].

قال القرطبي في تفسيرهَ ﴿ إِذَا بُعْثِرَ﴾ (العاديات: 9)؛ أي أثير وقُلب وبُحِثَ فأخرج ما فيها. قال أبو عبيدة بَعْثَرْتُ المتاع: جَعلتُ أسفلَه أعلاه- وذكر قول الفرّاء : سمعت بعض أعراب بني أسد يقرأ: (بُحْثِر) بالحاء مكان العين وحكاه المَاوردي عن ابن مسعود وهما بمعنىً[515].

قال القراء:« رأيتها فِي مصحف عَبْد اللَّه: «إِذَا بحث ما فِي القبور، وسمعت بعض أعراب بني أسد، وقرأها فَقَالَ: «بحثر» وهما لغتان: بحثر وبعثر »[516].

قال ابن جني:« العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج »[517].

---

[509] الأخفش، معاني القرآن، ج 1، ص16.
[510] سيبويه، الكتاب، ج4، ص238.
[511] ابن جني،سر صناعة الإعراب ، ج2، ص205.
[512] الفراهيدي، العين،ج 1، ص57- و سيبويه، الكتاب، ج 4، ص433.
[513] إبراهيم أنيس،الأصوات اللغوية، ص 88.
[514] الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج 1، ص373.
[515] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص441.
[516] الفرّاء، معاني القرآن،ج3، ص286.
[517] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ) تح: علي ناصف النجدي و عبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1420هـ- 1999م، السعودية، ج1، ص343.

وقال:« وقد أبدلت العين من الحاء في بعض المواضع: قرأ بعضهم:(عتَّى حين) تريد ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ولولا بحَّة في الحاء لكانت عيناً، كما أنه لولا إطباق في الصاد لكانت سينا».

ولولا إطباق في الطاء لكانت دالا ولولا الإطباق في الظاء لكانت ذالا، ولأجل البحة[518] التي في الحاء ما يكررها الشارق[519] في تنحنحه.

« وحكى أنَّ رجلا من العرب بايع أن يشرب عليه لبن لا يتنحنح فشرب بعضه فلما كظه قال: كبش أملح، فقيل له: ما هذا تنحنحت فقال: من تنحنح، فلا أفلح. وكرر الحاء مستروحا إليها، لما فيها من البحة التي يجري معها النفس، وليست كالعين التي تحصُر النفس وذلك لأن الحاء مهموسة ومضارعة بالحلقة والهمس للهاء الخفية وليس فيها نصاعة العين ولا جهرها »[520] روي اللحائي قولهم: عصد الرجل إذا مات وحكى عن أبي ضبة قال: لغتنا ولغة الأكثر عصد[521].

قال القرطبي: قال أبو عبيدة: ضَبَحت الخيلُ ضَبحًا مثل ضَبَعَتْ. وهو السير. وقال أبو عبيدة: الضَّبْحُ والضَّبْعُ بمعنى العَدْو والسير. وكذا قال المبرد مدُّ أضباعها في السّير. وكذا قال المبرد: الضَّبْحُ مد أضباعِها في السير ' وممن قال إن المراد بالعاديات الخيل، ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد[522]،

وقول ثانٍ: أنَّها الإبل، قال أبو صالح [523]: نازعتُ فيها عكرمة فقال عكرمة: قال ابن عباس: هي الخيل، وقلتُ: قال علي: هي الإبل في الحج. ومولاي أعلم من مولاك. وقال الشعبي [524]: تمارى علي وابن عباس في العاديات فقال علي: هي الإبل تعدو في الحج، وقال ابن عباس هي الخيل، ألا تراه

---

[518] البحة غلظ الصَّوت وخشونته من داء،أو كثرة الصياح، أو تصنُّع في غناء وقد يكون خِلقة مادة(بح)، اللسان،ج1، ص215.

[519] الشارق الذي يغص بالماء- مادة (شرق)، اللسان، ج 4، ص2247.

[520] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص254.

[521] أبو الطيب عبد الواحد بن علي الغوي الحلبي (351هـ)، الإبدال، حققه وشرحه ونشر حوتاشيه الأصلية واكمل نواقصه: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق ، 1961م 1380هـ ج1، ص246.

[522] الجامع لأحكام القرآن،ج 24، ص428

[523] أَبُو صالح، مولى أم هانئ بنت أبي طالب.يقال له باذان (ت 111 - 120 هـ). رَوَى عَن: عبد الله بن عباس، وعكرمة مولى ابن عباس، وعلي بن أَبي طالب، وأبي هُرَيْرة، ومولاته أم هانئ . الكلبي،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج4، ص7.

[524] الشعبي أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الشعبي، وهو كوفي تابعي جليل القدر. وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. وتوفي بالكوفة ، قيل سنة خمس ومائة، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج3،ص15.

يقول « فأثرنا به نقعا » فهو كثير إلاَّ بحوافرها وهل تَضْبَحُ الإبل! فقال علي: ليس كما قلت لقد رأيتُنا يوم بدر... والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام. وما معنا إلا فرسان... فكيف تكون العاديات ضبحاً! إنما العاديات الإبل من عرفة إلى المزدلفة. ومن المزدلفة إلى منى [525].

ومنه قول صفية بنت عبد المطلب.

فَلاَ والعَادِيَّاتِ غَدَاة جَمْعٍ *** بأيْديهَا إذا سَطَع الغُبَار [526].

ومن قال: هي الإبل فقوله:« ضَبْحًا» المعنى ضبعاً. فالحاء عنده مُبْدِلة من العين لأنه يقال ضبعت الإبل وهو أن تمد أعناقها في السير وقال المبرد: الضبع من أضباعها في السير والضبح أكثر ما يستعمل في الخيل والضبع في الإبل.

وقد تبدل الحاء من العين.

الضبحُ من الخيلِ: الحمحمة، ومن الإبل النفس.

وفي التحقيق أن كلمة الضبح ليست هي الضبع.

الضبح- للخيل...

الضبع- للإبل. هذا الإبدال يولد معاني جديدة

وبالتالي الكلمتان متساويتان.

فهو ليس إبدالا صوتيا وإنما هما لفظتان لمعنيين.

وذلك ففي هذه الآية لم يرد ذكر لهذيل أو قبيلة أخرى وإنما هما معنيان.

قال الزمخشري:« في قراءة ابن مسعود (ليسجُنُنه) (عتى حين) وهي لغة هذيل: وعن عمر ﷺ أنّه سمع رجلا يقرأ (عتى حين) فقال: من أقرأك؟ قال ابن مسعود، فكتب إليه: إنّ الله أنزل هذا القرآن بلغة قريش فلا تقرئهم بلغة هذيل والسَّلام » [527].

---

[525] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (745ه/794ه)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،ط 2،ج3، ص312، (دت). تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان،ت 745ه، دراسة وتح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود و آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1413،1ه1993م، ج8، ص500.

[526] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص430، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج 11، ص85. والزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج 3، ص312.

[527] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص319.

« والحاء والعين من مخرج الحلق ويتفقان في صفات الاستفال والانفتاح والصمات إلا أن العين مجهورة والحاء مهموسة والحاء رخوة والعين صوت متوسط بين الشدة والرخاوة.فأمكن تبادلهما »[528].

«والمعروف أن في قبيلة هذيل ميلا إلى البداوة فهي تجهر ببعض الأصوات كقلب الحاء عينا بحثا في غاية مهمة وهي الوضوح السمعي ولا يتحقق الوضوح السمعي إلاّ بالجهر بالصوت»[529].

المطلب الثالث: الإبدال بين السّين والصّاد والزاي:

السين والصاد والزاي أصوات أسلية[530] رخوة[531] صفيرية[532] يفرق بينهما الجهر في الزاي والإطباق في الصاد، وقد سوغ اتفاقهما في المخرج وبعض الصفات أن يحل أحدهما محل الآخر في كلام الوجه.

ومن أمثلة ذلك: (الصّراط المستقيم) قال القرطبي: «أصل الصّراط في كلام العرب: الطريق»[533].

قال عامر بن الطفيل:

شَحنَّا أرضهم بالخيل حتى *** تركناهم أذلَّ من الصّراط[534]

---

[528] هلال، اللهجات العربية نشأة وتطور، ص124.

[529] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة، 1976م، ص342.

[530] الفراهيدي، العين، ج1، ص58.

[531] سيبويه، الكتاب،ج 4، ص435.

[532] المصدر نفسه، ج 4، ص464.

[533] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص227.

[534] ذكره القرطبي في الجامع، ج1، ص227. و سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420 هـ - 1999 م ص253. وأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450 هـ) تفسير الماوردي، النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ج 2ص167 ونسبه جميعهم لعامر بن طفيل وبعد المتابعة لديوان ابن طقيل رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري، دار صادر بيروت لبنان،ط1، (1399ه 1979م)، وذكره السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ) في الدر المنثور، دار الفكر - بيروت ج 6 ص311. و محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ) في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ، ج 6،ص95. و محمد عمر الحاجي، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، دار المكتبي، دمشق سوريا، ط1، 1427 هـ - 2007 م، ص218. ونسبه جميعهم لعبيد بن الابرص و بعد المتابعة ايضا لديوانه عبيد بن الابرص، شرح أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه/1994م، وذكره الطبري في تفسيره، ج1،ص 171 بلفظ: صَبّحنا أرضهم بالخيل حتى* تركناهم أدق من الصّراط. -ونسبه لابن ذؤيب الهذلي وبعد المتابعة لديوانه تح: احمد خليل الشال، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر، ط1، 1435ه2014م .

قال القرطبي:[535]

« وحكى النقاش[536]: الصراط: الطريق بلغة الروم: قال ابن عطية: وهذا ضعيف جدًّا.[537]

قرئ: السّراط- بالسين[538]-من الاستراط بمعنى الإتباع، كأن الطريق يشترط من يسلكه- وقرئ بين الزاي والصاد»[539].

وقرئ بزاي خالصة. والسين الأصل، وحكى سلمة[540]عن القراء قال: الزراط- بإخلاص الزاي- لغة لعذرة وكلب وبين العين: قال: وهؤلاء يقولون أزدق. وقد قالوا: الأزْد والأسد. ولَسِقَ به ولَصِق به.

قوله تعالى: ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ (الطور: 37)، وفي الصحاح: المسيطر والمصيطر المسلط على الشيء سيشرف عليه ويتعهَّد أحواله ويكتب عمله، وأصله من السَّطر لأن الكتاب يُسطَّر، والذي يفعله مسطَّر ومُسَيطِر يقال: سيطرت علينا[541].

---

[535] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص228.

[536] أبو بكر المقرئ النقاش مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ بن هارون بن جعفر بن سند،وكان عالما بحروف القرآن، حافظا للتفسير، صنف فيه كتابا سماه شفاء الصدور . وله تصانيف في القراءات وغيرها من العلوم. وحدث عن: إسحاق بن سفيان الختلي، وأبو مسلم الكجي، وخلق يطول ذكرهم، روى عنه: أبو بكر بن مجاهد، وجعفر بن محمد الخلدي. ولد النقاش في سنة ست وستين ومائتين و توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ودفن غداة يوم الأربعاء. البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت 463هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1417 هـ، ج 2، ص198.

[537] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص 74.

[538] هي قراءة ابن كثير في رواية قنبل من السبعة، وقراءة يعقوب في رواية رويس من العشرة. انظر: السبعة ص105، والتيسير، ص18، و ابن الجزري، النشر، ج 1، ص271.

[539] وهي قراءة حمزة في رواية خلف حيث وقعت، وخلاد في الموضع الأول من الفاتحة السبعة، ص106. والتيسير، ص18.

[540] سلمة بن عاصم أبو محمد النحوي:أخذ عن أبي زكريا يحيى الفرّاء، وروى عنه كتبه، وأخذ عن خلف الأحمر وسمع منه ، وأخذ عن سلمة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وكان يقول: كان سلمة حافظا حاذقا بالعربية، وله التصانيف: كتاب معاني القرآن. وكتاب المسلوك في العربية. وكتاب غريب الحديث، وغير ذلك. توفي بعد السبعين ومئتين. ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج3، ص1385.

[541] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص536.

ابن بحر: (أم هم المسيطرون)، أي: أهم الحفظة، مأخوذ من تسطير الكتاب الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ.وجمهور القراء بالصاد وهي لغة قريش. وقال الألوسي:« و الصاد عندي أفصح وأوسع »[542].

قال مكي: «وحجة من قرأه بالصاد أنه اتبع خط المصحف، وأن السين حرف مهموس فيه تسفل، وبعدها حرف مطبق مجهور مستعل، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستقل المهموز، فيه تكلف وصعوبة، فأبدل من السين صادا لمؤاخاتها الطاء ففي الأطباق والتصمد ليكون عمل اللسان في الأطباق والتصعد عملا وحدا، فذلك أسهل وأحق،عليه جمهور العرب وأكثر القراء. وكانت الصاد أولى بالبدل من غيرها لمؤاخاتها السين في الصفير والمخرج فأبدل من السين حرف يؤاخيها في الصفير والمخرج ويؤاخي الطاء في الأطباق والتصعد وهو الصاد وحجة من قرأه بين الصاد والزاي وهو خلف عن همزة، أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر، لأن الصاد حرف مهموس والطاء حرف مجهور، أشمَّ الصاد لفظ الزاي، للجهر الذي فيها فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر. اللذين هما من صفة الطاء، وحسن ذلك لأن الزاي من مخرج السين، والصاد مؤاخية لها في الصفير. والعرب تبدل السين صادا إذا وقع بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء، لتسفل السين وهمسها، وتصعد ما بعدها وإطباقه وجهره، ليكون عمل اللسان من جهة واحدة فذلك أخف عليهم».[543]

وفيه ثلاث لغات[544]: الصاد وبها قرأت العامة والسين وهي قراءة ابن مُحيصن وحُميد ومجاهد وقنبل وهشام وأبي حيوة[545]، وبإشمام الصاد الزاي، وهي قراءة حمزة كما تقدم في الصراط»[546].

---

[542] الألوسي، روح المعاني، ج1، ص153.

[543] الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ج1، ص34- 35.

[544] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص537.

[545] أبو حيوة شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وله اختيار في القراءة، روى القراءة عن الكسائي ، روى عنه قراءته ابنه حيوة وروى أيضًا عنه قراءة الكسائي ، مات في صفر سنة ثلاث ومائتين. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء،ج1، ص325.

[546] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص228.

﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ (الغاشية: 22)، قال القرطبي[547]: قرأ هارون الأعور: (بِمُسَيْطِرٍ) بفتح الطاء و ﴿ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾ (الطور: 37) قال الزمخشري : وهي لغة تميم[548].

« وحجة من قرأ (السراط) بالسين وهو قنبل عن ابن كثير أن السين في هذا هو الأصل، وإنما أبدل منها صادا لأجل الطاء التي بعدها، فقرأها على أصلها، ويدل على أن السين هو الأصل أنه كانت الصاد هي الأصل لم ترد إلى السين لضعف السين، وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى أبدا» [549].

من السّطر، لأن الكتاب مسطّر: والذي يفعله مُسَطَّر يقال: سيْطَرَتْ علينا، وقال تعالى: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ وسطره أي: صرعه.

﴿سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (الأحزاب: 19).

قال القرطبي[550] وحكى الفرّاء: (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ).آذوكم بالكلام عند الأمن (بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ): ذَرِبَةٍ.

والعربُ تَقُولُ: صَلقُوكم. ولا يَجوز فِي القراءة لِمخالفتها إيّاه: أنشدني بعضهم:

أصْلَق نَابَاهُ صِيَاح الْعُصْفور ... إنْ زَلّ فوه عَن جَواد مئشير وَذَلِكَ إِذَا ضرب النّابُ الناب فسمعتَ صَوْته. (صلقوكم) بالصَّاد[551]. وخطيب مِسْلاق، ومِصْلاق إذا كان بليغًا، وأصل الصَّلقْ، الصوت، ومنه قول النبي ﷺ « لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة »[552]، الصَّالِقةُ هي التي ترفع صوتها بالندب والنياحة.

---

[547] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص253.
[548] الزمخشري في الكشاف، ج4، ص248.
[549] مكي، الكشف، ج1، ص34.
[550] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص105.
[551] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص339.
[552] صحيح البخاري ج 2 ص 81 رقم 1296. و صحيح مسلم ج1 ص100 رقم 104. و جاءت في كلتيهما بلفظ برئ بدل لعن .

قال القرطبي:« وقد نقل الأزهري عن الفرَّاء أنّ نفراً من بلعنبر يصيرون السين – إذا كانت مقدمة وجاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء- صاداً وذلك أنَّ الظاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت فقلبت السين صادا صورتها صورة الطاء. واستخفوها لكون المخرج واحدا، كما استخفوا الادغام، فمن ذلك قولهم: السراط والصراط. قال: وهي بالصاد لغة قريش الاولين التي جاء بها الكتاب، قال: عامَّة العرب تجعلها سينا» [553].

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: 22)، قال القرطبي؛ أي: بمسلَّط عليهم .

وفي "الصحاح": المُسَيطر والمُصَيْطِرِ على الشيء، ليُشْرف عليه ويتعهد أحواله، ويكتب عمله، وأصله من السَّطر، لأن الكتاب مُسَطَّر، والذي يفعله مُسَطَّر ومُسَيْطِر، يُقال سَيْطَرتَ علينا، وقال تعالى: « لست عليهم بمصيطر »، وسَطَره أي صَرَعَهُ» [554].

وكل ما مر خلاصته أن الإبدال في العربية حاصل بين الصوتين السين والصاد وقد ذكر ذلك القرطبي ولو أن الدرس الصوتي الحديث يجعل من هذه الألفاظ الثلاثة السراط والصراط وحتى الزراط كلمة واحدة لما ما بين الأصوات من تشابه مخرجا وصفة .

المطلب الرابع: الإبدال بين الهمزة والعين

الإبدال بين الهمزة والعين شائع في اللهجات العربية وهو ما يسمونه العنعنة، قال الأصمعي : ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم) [555].

قال القرطبي: ولعلماء اللسان في جبريل وميكائيل عليهما السلام لغات، فأما التي في جبريل فعشرٌ.

الأولى: جِبريل، وهي لغة أهل الحجاز، قال حسان بن ثابت وجبريلٌ رسول الله فينَا.

---

[553] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص105.

[554] الازهري، تهذيب اللغة، ج12، ص330.

[555] ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (ت 392هـ)، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط 1، 1421هـ- 2000م ج1 ص241.

الثانية: جَبريل، بفتح الجيم، وهي قراءة الحسن وابن كثير ورُوي عن ابن كثير أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم و هو يقرأ جبريل وميكال. فلا أزال أقْرؤُهما أبدًا كذلك .

الثالثة: جبرئيل، بياء بعد الهمزة، مثال جبرعيل، كما قرأ أهل الكوفة وأنشدوا.

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة *** مدى الدهر إلاّ جَبْرَئِيلْ أَمَامَهَا [556].

وهي لغة تميم وقيس.

وفي الحقيقة أن هذا الإبدال غير حاصل حقيقة بين المرضيين وإنما الحاصل حقيقة هو الإبدال بين الهمزة والياء.يتضح ذلك بين الثالثة والثامنة.

الثامنة: جَبرَايِيل، بيائين بغير همزة وبها قرأ الأعمش ويحي بن يعمر.

والهمزة والعين صوتان متجاوران، فالهمزة صوت حنجري[557]، والعين صوت حلقي[558]، والعنعنة في الدرس اللغوي هي قلب الهمزة عينا، يقول السيوطي:« إنهم يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا»[559].

« نسبه القراء إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم»[560] « فقد حكى عنهم إبدال همزة (أن) عينا إذا كانت مفتوحة فإذا كسرت لم يبدلوها يقول دريد: العنعنة حكاية تلام نحو قولهم: عنعنة تميم لأنهم يجعلون الهمزة عينا» [561].

---

[556] ديوان كعب بن مالك الانصاري،تح: مجيد طراد، دارصادر بيروت لبنان ط1(1997) ص93. وجاءت في الديوان بلفظ نصرنا(شحنا) فما تلقى لنا من كتيبة *** يد(مدى) الدهر إلاّ جَبْرَئِيلْ أَمَامَهَا

[557] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة، 1976م، ص273.

[558] المرجع نفسه، ص272.

[559] السيوطي، المزهر، ج1، ص222.

[560] الأزهري، ج1، ص111.

[561] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)-، جمهرة اللغة تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م، ج1، ص160.

« وإن الإبدال الموجود بين الهمزة والعين في جبرائيل وجبراعيل لا يختص بهمزة (أن) المفتوحة فقط، بل هو عام في كل همزة عند تميم ومن جاورهم »[562].

« ومما ورد من ذلك مما وقعت فيه الهمزة عينا. كعص بمعنى أكل يقال كعصنا عند فلان وكأصنا أيْ أكلنا.قال أبو حاتم هي همزة قلبت عينا لأن بني تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى تصير عينا، وجبرائيل وأبراعيل فهو تحقيق للهمزة جاء في العين: الخبعُ: الخبء في لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عيناً وأبدل همزة الخباء »[563] وقال صاحب كتاب العين: المعاء: من أصوات السنانير، يقال معا يمعو معاء وهو يصح على قياس مذهبهم لأنهم يبدلون من الهمزة العين فيقولون استأديت الأمير على فلان، بمعنى استعديت، وكثأ اللبن وكثع، وصوت زؤاف وزعاف، وذعاف، وذؤاف[564].

لم يذكرها القرطبي « وإنما ذكر إبدال الهمزة ألفا في الخبء»[565].

« ولا تزال هذه الظاهرة قائمة في بعض اللهجات الدارجة في صورها المشار إليها أولا ووسطا وآخرا، ففي مدن تهامة يقولون: (عالة) في (آلة) و (العمام) في (الإمام) ومن ذلك لهجات صعيد مصر (أسعل وسعال) بدلا (أسأل وسؤال) و (لَعْ) مكان (لأ) »[566].

«إن الانتقال من الهمزة إلى العين ممكن لأنهما أختان تخرجان من الحلق فالهمزة من أقصاه والعين من وسطه »[567].

ويمكن أن يعزي الإبدال هنا إلى ميل هذه القبائل للجهر بالأصوات فهم يبالغون في تحقيق الهمز فيجعلونها عينا[568].

---

[562] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي القاهرة، ط6، 1420/1999، ص117.

[563] ابن دريد، الجمهرة، ج1، ص76.

[564] أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (280 هـ - 356 هـ)، المقصور والممدود، تح: أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1419 هـ - 1999 م، ص478.

[565] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص145.

[566] عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص121.

[567] سيبويه، الكتاب، ج4، ص433، وابن جني، سر الصناعة،ج1، ص52.

[568] الجامع لأحكام القرآن، ص 117.

« فهي مناسبة لطبيعة البدو الذين يحتاجون إلى نبرة عالية لاتساع الصحراء. والعين مجهورة أما الهمزة فهي في أدق الأراء- لا مجهورة ولا مهموسة أو هي مهموسة على رأي بعض المحدثين» [569].

لم يورد القرطبي هذه الظاهرة فلا وجود لمصطلح العثغثة في كتابه.

إبدال الغين عينا. غشاوة- عَشاوة.

غشاوة: لم يذكر الإبدال القرطبي بين ع-غ.

المطلب الخامس: الإبدال بين الفاء والثاء : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ (البقرة: 61).

قال القرطبي: اختلُف في الفُوم، فقيل: هو الثُّوم، لأنّه المُشاكل للبصل. رواه جُوَيْبَر عن الضحاك، والثاء تبدل من الفاء كما قالوا: مغافير ومَغاثير. وجَدَث وجَدَف للقبر. وقرأ ابن مسعود: « ثومها» بالثاء المثلثة، وروي ذلك عن ابن عباس [570].

وقال أميّة بن أبي الصلت:

كانتْ منازلهم إذا ذاك ظاهِرة *** فيها الفراديس والفومان والبصل [571]

الفراديس: واحدها فرديس، وكرم مفردس، أي: معرش وقال حسان:

وأنتُم أناس لِئامُ الأصول *** طعامُكُم الفُومُ والحَوْقَل [572]

يعني الثوم والبصل، وهو قول الكسائي والنّضر بن شُمَيل وقيلَ الفومُ: الحنطة، وروي عن ابن عباس أيضا وأكثر المفسرين وأختاره النحاس، قال وهو أولى، ومن قال به أعلى. وأسانيده صحاح،

---

[569] عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص123.

[570] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص146.

[571] ديوان أميّة بن ابي الصلت،تح: سيف الدين الكاتب و احمد عصام الكاتب،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان دون سنة نشر ص61. جاءت في الديوان بلفظ -كانت لهم جنات (منازلهم) اذ ذاك ظاهرة ***فيها الفراديس والفومان والبصل

[572] نسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص147، لحسان بن ثابت، ولكن يعد المتابعة لديوان حسان بن ثابت.لم نقف عليه.

وليس جويبر بنظير لروايته، وإن كان الكسائي والفرّاء قد اختارا القول الأول: لإبدال العرب الفاء من الثاء والإبدال لا يقاس عليه.

وانشد ابن عباس لمن سأله عن الفوم وأنّه الحنطة قول أحيحة بن الجُلاح[573].

قد كنتُ أغنَى النَّاس شخصاً واحدًا*** وزَدَ المدينة عن زراعة فُومِ[574]

وقال أبو إسحاق الزجاج: وكيف يطلب القومُ طعاماً لابُرَّ فيه، والبُّر أصل الغذاء! وقال الجوهري أبو نصر«: الفوم الحنطة »[575]وأنشد الأخفش:

قد كنت أحسبني كأغْنَى واحدٍ *** نزل المدينَة عن زِراعة فُومِ[576]

وقال ابن دريد: الفوُمة: السنبلة وأنشد:

وقال ربيئهم لما أتانا *** بكفّه فومةٌ أو فومتان[577].

وقال بعضهم الفُوم: الحمَّص، لغة شاميه. وبائعه: فاميٌّ، مغير عن فوميّ، لأنهم قد يغيرون في النسب كما قالوا: سُهليٌّ ودُهْريّ. ويُقال: فوّموا لنا، أي: اختبزوا. قال الفراء:« هي لغة قديمة فإن الفوم فيما ذكر لغةٌ قديمة (وهي) الحِنْطَة والخُبْز جميعا قد ذُكِرا» [578].

---

[573] ويحكى أبا عمرو كان سيد الأوس في الجاهلية، وكانت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب تحته. ثم تزوجها هاشم وكان أبو عمرو كثير المال شحيحا يبيع بيع الربا بالمدينة، الخزانة، ج3، ص357.

[574] ديوان احيحة بن الحلاج، تح: حسن محمد باجودة،مطبوعات نادي الطائف الادبي، الطائف، العربية السعودية، ط1، 1979م، ص82.

[575] الجوهري الصحاح،ج 5، ص204.

[576] رواية، أخرجها الطبراني في الكبير (10597) مطوله، من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، ونُسب البيت فيها لأبي ذؤيب الهذلي تح: أحمد خليل الشال، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر، ط1(1435ه2014) لم نقف عليه في ديوانه..)

... ونُسب في الأغاني،ج 19، ص2، وفي لسان العرب، ج 12،ص460 (فوم) لأبي مِحْجن الثقفي، تح: وشرح ابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، مطابع الازدهار البارونية القاهرة مصر، دون سنة نشرولم نقف عليه في ديوانه). وابن جني، المحتسب، ج1، ص88، القرطبي، ج2، ص147.

[577] ابن منظور، لسان العرب، ج 12ص، 460. وابن دريد، جمهرة اللغة، ج 3، ص160. والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج 5، ص2005 .

[578] الفراء، معاني الفرآن، ج1، ص41.

وقال عطاء وقتادة:« الفوم كل حبّ يختبز».[579]

«يرجع بعض الدارسين المحدثين كثيرا من ظواهر الإبدال الى علاقة اللغة العربية بأخواتها الساميات، معللين لذلك بوجود أمثلة من هذه الظاهرة في اللغات السامية، تختلف قلة وكثرة باختلاف اللغة، وكثيرا ما تشترك اللغات السامية في الاتفاق على أصلين من أصول الكلمة الصوتية وتبدل الأصل الثالث نتيجة القوانين الصوتية التي سارت عليها كل لغة من هذه المجموعة» [580].

« إن الثاء والفاء صوتان مهموسان رخوان» [581].

« إذ الثاء أسنانية والفاء شفوية أسنانية »[582].

يقول الفراء:« والعرب تبدل الفاء بالثاء. فيقولون جدث وجدف ووقعوا في عاثور شر وعافور شر، والأشاثي والأشافي وسمعت كثيرا من بني أسد يسمى (المغافير المغاثير) » [583].

وقد ذكر أبو حيان في ذلك أقاويل ستة:

«1-المراد به الثوم وبينته قراءة ابن مسعود (وثومها) بالثاء وهو المناسب للبقل والعدس والبصل.

2-قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي: إنّه الحنطة.

3-الحبوب كلها.

4-الخبز، قاله مجاهد وابن عطاء وابن زيد.

5-الحمص.

---

[579] ابن عطية، المحرر الوجيز،ج1، ص153.

[580] عيسى شحاتة عيسى علي، العربية والنص القرآني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،2001، ص81.

[581] سيبويه، الكتاب، ج4، ص434.

[582] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، 269.

[583] الفراء، المعاني، ج1، ص41.

6-السنبلة» [584].

« إن قراءة ابن مسعود (وثومها) قد بينت المقصود وبالتالي فالثوم معنى من معاني الفوم فهما مترادفان ويحدث هذا الترادف نتيجة إبدال في أحد أصوات الكلمة، وبما أن الصوتان متقاربان في المخرج والصفات فيصبح اللفظ واحدا نطق بصورة صوتية مختلفة تحت تأثير الاختلاف اللهجي، وبالتالي فهناك صوت تطور إلى صوت آخر « والتطور الصوتي عامل في نشأة المترادف لم يشر إليه علماء العربية صراحة، غير أنه يبرز من خلال شواهد المترادف عندهم، فعدد غير قليل مما رووه من ألفاظ هذه الظاهرة لم يتغير بين اللفظتين. والألفاظ المتعددة إلا صوت واحد، أي: وقع إبدال في أحد أصواتها » [585].

« وإذا رجعنا الى اللغات السامية وجدنا ان كلمة (الثّوم) في العبرية (Shom شوم)، وفي الأرامية (Tuma توما)، والشين العبرية والتاء الارامية تبدلان من الثاء العربية » [586].

« من ذلك ما رواه الأصمعي: الصقر والسقر والزقر للطير المعروف. فاللفظ واحد، وما حدث هو تعاقب أصوات الصَّفير على أول الكلمة، ومنه أيضاً: الحثالة، والحفالة، والحذالة للشيء الرديء. إلاّ اللغويين عدوها ألفاظاً كثرت على المعنى الواحد بسبب تداخل اللهجات المختلفة» [587].

وقد رفض المحدثون أن تُجعل نظائر هذه الألفاظ من قبيل الترادف [588] « ويميل ابن جني إلى أنّ الثاء هي الأصل إذ يقول (ألا ترى أنَّ الثاء أذهب في التصريف من الفاء كما ورد لها نص في القرآن، (فإذا هم من الأجداث)» [589] وأيده " علم الدين الجندي"« مرجحًا الثاء في الأصل ثم قُلبت فاء في لهجة تميم فهو يرى أن إبدال الفاء من الثاء كثير في تاريخ اللغات وإن إرجاع النطق بالثاء إلى

---

[584] أبو حيان، تفسير البحر المحيط،ج8، ص395. انظر: تفسير الطبري،ج2، ص128/127، انطر: تفسير القرطبي، ج1، ص288.

[585] صبيح التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، ص277.

[586] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1983، ص83.

[587] ابن جني، الخصائص، ج1، ص374.

[588] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية،المطبعة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، طبعة سنة 2003، ص179.

[589] ابن جني، المحتسب، ج2، ص100.

أهل الحجاز والنطق بالفاء إلى بني تميم يوصلنا إلى القول بأن القبائل البدوية مالت إلى صوت الثاء بدل الفاء وهما وإن اتحدا في الصفة إلاّ أنهما يختلفان في نسبة الوضوح [590].

ح خ
ح حرف.
خ حرف.

« وهما صوتان حلقيان مهموسان رخوان يفرق بينهما أنّ الحاء من وسط الحلق والخاء من أدناه»[591] « فالعلاقة توحي بالبدل إذْ هما متقاربان مخرجا وصفة »[592].

قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى:﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾(المزمل: 7)؛ أي نوما، والتسبح التمدد، ذكره الخليل. وعن أبن عباس وعطاء: ﴿ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾ (يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك. وقال الزجاج: إنْ فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ للإستدراك[593].

ذكر القرطبي أنَّ الحاء تبدل خاءً قال: وقرأ يحي بن يعمر وأبووائل: (سَبْخًا) بالخاء المعجمة. وقال المهدوي ومعناه النوم، روي ذلك عن القارئين بهذه القراءة. وقيل معناه الخفّة والسعة والاستراحة،[594] ومنه قول النبي ﷺ: لعائشة وقد دعت على سارق ردائها: « لا تُسبِّخي [عنه] بدعائك عليه »[595]؛ أي: لا تخفِّفي عليه إثمهُ.

قال الشاعر:

---

[590] الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج2، ص417.
[591] سيبويه، الكتاب، ج4، ص433.
[592] الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج2، ص466.
[593] الجامع لأحكام القرآن،ج21، ص331.
[594] الجامع لأحكام القرآن،ج21، ص331.
[595] مسند الإمام أحمد ورقم(24183)، ج40، ص214. سنن أبو داود، رقم 1497، ج 2 ،ص 80.

فسبِّخْ عليك الهَمَّ واعلَم بِأنّه *** إذا قَدَّرَ الرَّحمنُ شيئًا فَكَائِنُ [596]

« قال الأصمعي: يقال: سَبَّخَ الله عنك الحُمَّى؛ أي: خففْهَا. وسَبَخ الحرُّ: فتر وخَفَّ، والتَّسبِيخُ: النوم الشديد. والتَّسبيخُ أيضاً: توسيع القطن والكَتَّان والصوف وتنفيشها، يقال للمرأة سبِّخي قطنك والسَّبيخُ من القطن: ما يسبَّخ بعد النَّدْف؛ أي: يلفَّ لتغزله المرأة. والقطعة منه سَبِيخَةٌ وكذلك من الصوف والوبر. ويقال لقطع القطن: شبائخ » [597] قال الأخطل: يصف القُنَّاص والكلاب:

فأرسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ التُّرَابَ كَمَا*** يُذْرِي سَبَائِخَ قُطنٍ نَدْفُ أوْتَارِ [598]

وقال ثعلب: السّبخ- بالخاء- التردُّد والاضطراب والسَّبخ أيضا السكون [599].

ومنه قول النبي ﷺ: « الحمى من فيح جهنم، فسبخوها بالماء »، أي سكنُّوها [600]، وقال أبو عمرو: السَّبْخ: النوم والفراغ.

قال القرطبي: فعلى هذا يكون من الأضداد، وتكون بمعنى السبخ بالحاء غير المعجمة.

لقد ذكر القرطبي ما تدل عليه الكلمات السبح والسبخ. وبين الفروق الدلالية بينهما وبالتالي فهما ليسا من قبيل الترادف. قال الفراء:« ومثله مما قرئ بوجهين قوله: (إن لك في النهار سبحًا طويلا) بالحاء والخاء، والسبخ السعة وسمعنا العرب تقول: سبخي صوفك، وهو شبيه بالنصف والسَّبْح نحو من ذلك. وكلٌّ صواب بحمد الله » [601].

وقد وقع الإبدال بين الخاء والحاء في كلمة (تخوف) من الآية ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ (النحل: 47).

---

[596] ابن منظور، لسان العرب، ج، 3ص 23،...والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج1، ص 423.و الزبيدي في تاج العروس ج7، ص268. و سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري في الابانة في اللغة العربية، ج3،ص448.

[597] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص197.

[598] ديوان الأخطل، شرحه مهدي محمد ناصر الديت،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1414هـ1994م، ص140.

[599] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص332.

[600] مسند الامام أحمد في رقم (2649) ج 4 ص 396،صحيح البخاري رقم (3261)،ج4، ص120 .

[601] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص102.

وهذا الإبدال بين الحاء والخاء لم يذكره القرطبي ولكنه ذكر إبدالا في كلام العرب بين(التخوف) و (التخون) أي بين الفاء والنون. قال: التخوف التنقُّص، تخوفه: تنقصه، وتخوفه الدهر وتخونه، بالفاء والنون، بمعنى يقال:تخونني فلان حقي: إذا تنقصك[602] قال ذو الرمة:

لا بلْ هو الشوق من دارٍ تخوّنها *** مَرَّا سحابٌ ومرَّا بارحٌ تربُ[603]

وقال لبيد:

تخوَّنها نُزُولِي وارتِحَالِي[604]

أي تَنقَّصَ لحمَها وشحمَها. قال الهيثم بن عدِيّ[605]:

التخوُّف، بالفاء: التنقُّص: لغةٌ لأزدِ شنُوءة[606]. وأنشد:

تخوُّفُ غدْرِهم مالي وأُهدي*** سلاسلَ في الحلوقِ لَهَا صليل[607]

وقال سعيد بن المسبب: بينما عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال: يا أيُّها الناس، ما تقولون في قول الله ﷻ:﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ﴾، فسكت الناسُ، فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين: التَّخوُّف: التَّنقص. فخرج رجل فقال: يا فلان، ما فَعَلَ دَيْنُكَ؟ قال تخوَّفته، أي تنقَّصته، فرجع فأخبر عمر، فقال عمر، أتَعْرف العربُ ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبِير الهذليّ يصف ناقةً تنقَّص السير سنامها بعد تمْكِه واكتنازه :

---

[602] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص331.

[603] ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت 231 هـ)، ج1، ص19.

[604] ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، وضع هوامشه حنا نصر الحتى،دار الكتاب العربي بيروت لبنان،ط1، 1414هـ/1994م، ص154، وصدره: عُذَافِرةٌ تقتصُ بالرُّدافي.

[605] الهيثم بن عدى الطائى روى عن الأعمش وابن أبي ليلى روى عنه اسماعيل ابن توبة وحجاج بن حمزة الخشابى. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي،الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ)، الجرح والتعديل، مجلس دائرة المعارف العثمانية -بحيدر آباد الدكن- الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1271 هـ 1952 م، ج9، ص85.

[606] الجامع لأحكام القرآن،ج12، ص332.

[607] تفسير الطبري، ج 17، ص 214. تفسير بن عطية،ج 3، ص396.

تخوَّف الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِدًا *** كما تَخَوَّفَ عُودُ النّبْعة السَّفَنُ[608]

المطلب السادس: إبدال الكاف

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ (الشرح: 2)، أي حططنا عنك ذنبك، قال الفراء:« وقرأ أنس: (وَحَلَلْنَا) (وَحَطَطْنَا)»[609]، وقرأ ابن مسعود: (وَحَلَلْنَا عَنْكَ وِقْرَك).[610]

« وهما صوتان شديدان متقاربان إذ الكاف طبقي والقاف لهوي»[611].

قال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ (التكوير:11): الكشط: قَلْعٌ عن شدَّة التِزاقِ، فالسماءُ تكشط كما يُكْشطُ الجلد عن الكبش وغيره، والقَشْطُ لغةٌ فيه، وفي قراءة عبد الله: « وإذا السماءُ قُشِطَتْ ». وكَشَطْتُ البعيرَ كشْطًا: نزعْتُ جلْده، ولا يقال: سَلختُه، لأن العرب لا تقول في البعير إلاّ كشطته أو جَلَّدته، وانكشَطَ روعه؛ أي ذهب. فالسَّماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء[612].

وقيل: تُطوى كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ﴾ (الأنبياء: 104)، فكأن المعنى: قُلِعَتْ فَطُويَتْ والله أعلم. فقد وقع الإبدال بين الكاف والقاف ذكرها الفراء قال:

---

[608] نسبه القرطبي، والأزهري في تهذيب اللغة، ج7، ص594، لابن مقبل وهو في ديوانه تح: عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت لبنان،ط1، 1416هـ1995م، ص273، ونسبه الجوهري في الصحاح لذي الرمة جاءت في ديوانه بلفظ : تخوَّف السيرُّمنها تامِكاً قَرِدًا *** كما تَخَوَّفَ ظهر النّبْعة السَّفَنُ ص284، أي (السير عوض الرحل- ظهر عوض عود).

[609] الفرّاء، معاني القرآن، ج3، ص275.

[610] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص356.

[611] سيبويه، الكتاب، ج2، ص109.

[612] الجامع لأحكام القرآن،ج22، ص106.

«إذا السَّماء كشطت» نزعت وطويت، وفي قراءة عبد الله (قشطت) بالقاف وهما لغتان. والعرب تقول: القافور والكافور. والقف والكف »[613].

إذا تقاربا الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات.

قال الخليل:« القشط لغة هي الكشط »[614].

وكما تبدل القاف كافاً فإن عكسه موجود: قال الخليل:« الكرد لغة في القرد» [615].

« فليس كل ما له وجه في العربية أو كل ما هو موافق لإحدى اللهجات العربية من ظواهر الإبدال يقرأُ به ويصلح في القراءة وتلك نظرة صحيحة من الفرَّاء تتفق والنهج القويم في اختيار القراءة وهو الاعتماد على الإسناد الصحيح ثم موافقتها لرسم المصحف ثم موافقتها لوجه من وجوه العربية» [616].

قال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ (الضحى:9)؛ أي: لا تُسلَّط عليه بالظُّلم، ادفع إليه حقَّه، واذكر يُتْمك، قاله الأخفش: وقيل: هما لغتان بمعنى. وعن مجاهد « فلا تقهر»: فلا تحتقر. وفي صحيح مسلم [617]من حديث معاوية بن الحكم السلمي، حين تكلم في الصلاة برد السلام، قال: فبأبي هو وأمي! ما رأيْتُ معلّمًا قبله ولا بعده أحسنَ تعليما منه يعني رسول الله ﷺ، فوالله ما نهرني، ولا ضربني، ولا شتمني... [618].

---

[613] معاني القرآن، الفراء، ج3، ص241.

[614] الفراهيدي، العين، ج5، ص33.

[615] المصدر نفسه،ج5، ص426.

[616] عيسى شحاتة، العربية والنص القرآني، ص78.

(617)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم537 مطولا.ج1 ص 381.

(618) صحيح مسلم ج 1 ص 381 رقم 537.وسنن الدرامي رقم 1543 ج 2 ص942 .وتمة الحديث (قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القرآن»

وقرأ النخعي والأشهب[619] والعُقَيْلِيُّ [620]: « تَكْهَرُ» بالكاف[621]، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود. [622]والعرب تعاقب بين الكاف والقاف. وهذا مشهور في ولاية جيجل في الشرق الجزائري فهم لا ينطقون القاف إلا كافا ويتصرفون في الكلمات التي فيها قافا وإذا أبدلوها فسد المعنى مثل كلمة قلب فأهل جيجل يقولون كب للقلب كي لا يكون كلبا .

« يرى ابن جني أنَّه إذا ورد في بعض حروف الكلمة لفظان مستعملان فلا بد أن لكليهما أصلين منفردين وليس واحد منهما أولى بالأصلية من صاحبه حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين من صاحبه. »[623]

المبحث الثاني: الإبدال والقراءات

تتنوع القراءة بسبب الإبدال فيكون لها وجوه بحسب نطق الصوت المبدل وقد مرت نماذج كثيرة في المبحث السابق.

قال القرطبي قال آخرون: أما إبدال الهمزة عينا وإبدال حروف الحلق بعضها من بعض فمشهور عن الفصحاء وقد قرأ به الجلة واحتجوا بقراءة ابن مسعود : ليسجننه عتى حين ذكرها أبو داود فيقول ذي الرمة:

فعيْنَاكِ عيناها وجيدك جيدها *** ولونك إلا عنها غير طائل[624]

---

[619] أبو الأشهب العطار جعفر بن حيان العطار. ولد سنة سبعين، ومات سنة ست-أو خمس-وستين ومائة. **بالمخرمة،** (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ج2 ص 226)

[620] العقيلي الحافظ الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي صاحب كتاب الضعفاء الكبير سمع جده لأمه يزيد بن محمد العقيلي ومحمد بن إسماعيل الترمذي ومحمد بن خزيمة وخلقًا كثيرًا، حدث عنه أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي وأبو بكر بن المقرئ وآخرون؛ قال مسلمة بن القاسم: كان العقيلي جليل القدر عظيم الخطر ما رأيت مثله وكان كثير التصانيف. توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة رحمه الله تعالى. (تذكرة الحفاظ ج3 ص 37)

[621] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص348.

[622] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص347.

[623] شحاتة، العربية والنص القرآني، ص72.

[624] ديوان ذي الرمة شرح الباهلي ج 2 ص 1341 و ذكره الطبري في تفسير ج 24 ص 680 . و البغدادي عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997 مج 11، ص468.

يريد إلا أنها.[625]

المطلب الأول: قيّمًا

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ (النساء: 5)؛ أي: لمعاشكم وصلاح دينكم. والقِيَّامُ والقِوَامُ: ما يقيمك، بمعنىً. يقال: فلان قِيام أهله وقِوَامُ بيته، وهو الذي يقيم شأنه، أي: يصلحه. ولما انْكَسَرَتِ القاف من قوام، أبدلوا الواو ياءً. وقراءة أهل المدينة: (قِيَمًا) بغير ألف. قال الكسائي والفرّاء:« قِيَمًا وقِوَامًا؛ بمعنى قِيَامًا وانتصب عندهما على المصدر. أي: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم فتقومون بها قِيامًا. وقوله: وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ . السفهاء: النساء والصبيان الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً يقول التي بها تقومون قواما وقياما. وقرأ نافع الْمَدَنِيّ (قيما) والمعنى واحد»[626].

وقال الأخفش:« المعنى قائمة بأموركم. يذهب إلى أنها جمع. وقال البصريون: قيما جمع قيمة؛ كديمة ودِيَم، أي جعلها الله قيمة للأشياء.»[627] وخَطَّأ أبو علي هذا القول وقال: هي مصدر، كقِيام وقِوَام، وأصلها قِوَم، ولكن شذّت في الرّد إلى الياء كما شذَّ قولهم: جياد في جمع جواد، ونحوه. وقِومًا وقِوامًا وقِيامَا معناها: ثباتا في صلاح الحال، ودواما في ذلك »[628].

وفي الحجة: « يقرأ بإثبات الألف، وطرحها. وهما لغتان، وأصل الياء فيهما واو، وقلبت ياء لكسرة ما قبلها كما قالوا: ميعاد وميزان. فالحجة لمن أثبت الألف: أن الله تعالى جعل الأموال قياما لأمور عباده. والحجة لمن طرحها: أنه أراد: جمع قيمة، لأن الأموال قيمٌ لجميع المتلفات»[629].

---

[625] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص77.
[626] الفراء، معاني القرآن، ج 1، ص 256.
[627] النحاس إعراب القرآن ج 1 ص 201
[628] الجامع لأحكام القرآن،ج 6، ص 56-57.
[629] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص59.

المطلب الثاني: إلاَّ إناثا

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ (النساء:117)؛ أي: من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾، نزلت في أهل مكة إذْ عبدوا الأصنام و (إنْ) نافيه بمعنى (مَا) و (إنَاثًا) أصنَامًا؛ يعني اللاّت والعزّى ومنَاةَ، وكان لكل حيّ صنم يعبدونه ويقولون : أنثى بني فلان قاله الحسن و ابن عباس وأبيّ مع كلّ صنم شيطانه يتراءى للسَّدنة والكهنة ويكلمهم فخرج الكلام مخرج التعجب لأنّ الأنثى من كل جنس أخسَّهُ فهذا جهل ممن يشرك بالله جمادا، فيسميه أنثى أو يعتقده أنثى وقيل: ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ مَوَاتًا لأن المَوات لا رُوح له كالخشبة والحجر والمَوَات يخبر عنه كما يخبر عن المؤنث لا تضاع المنزلة تقول: الأحجار تعجبني كما تقول: المرأة تعجبني وقيل: ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ ملائكة لقولهم: الملائكة بنات الله وهي شفعاؤنا عند الله عن الضحاك، وقراءة ابن عباس (إلاّ وثَنًا) بفتح الواو والثاء على إفراد اسم الجنس. وقرأ أيضا (وُثْنًا) بضم الثاء والواو جمع وثن وأوثان أيضا. جمع وَثَن مثل أسد وآساد.قال النحاس : ولم يُقرأ به فيما عَلِمْت[630] .

قال القرطبي رحمه الله : قد ذكر أبو بكر الأنباريّ - حدثنا أبي حدثنا نصر بن داود حدثنا أبو عبيد حدثنا حجاج عن ابن جريج عن هشام بن عروة[631] عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ: (إِنْ يَدْعُونَ منْ دُونِهِ إلاَّ أَوْثَانًا) وقرأ ابن عباس أيضا (إلاّ أُثُنًا)كأنه جمع وَثَنًا على وِثان كما تقول: جَمَل وجِمَال ثم جمع وِثَانًا على وُثُن كما تقول : مثالٌ ومُثُلٌ ثم أبدل من الواو همزة لمّا انْضمت كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ (المراسلات: 11)، من الوقت فَأُثُنٌ جمع الجمع. وقرأ النبي ﷺ (إلاّ أُنُثًا) جمع أَنِيث كغدِير وغُدُر، وقال الطبريّ:« روي عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ

---

[630] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص134.

[631] هشام بن عروة :أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، من أكابر العلماء وجلة التابعين، وسمع عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر، رضي الله عنهما، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري ومالك بن أنس وغيرهم. واتفقوا على توثيقه، وجلالته، وإمامته. وكانت ولادته سنة إحدى وستين للهجرة،وتوفي سنة ست وأربعين ومائة، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، ص 81.

دُونِهِ إلا أُثُنًا) بمعنى جمع"وثن" فكأنه جمع"وثنًا""وُثُنًا"، ثم قلب الواو همزة مضمومة، كما قيل:"ما أحسن هذه الأجُوه"، بمعنى الوجوه، وكما قيل: (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) (المرسلات: 11)، بمعنى: وُقِّتت» [632].

وذكر عن بعضهم أنه كان يقرأ ذلك: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا أُنُثًا) كأنه أراد جمع"الإناث" فجمعها"أنثا"، كما تجمع"الثمار""ثُمُرًا"، قال أبو جعفر: والقراءة التي لا نستجيز القراءة بغيرها،قراءة من قرأ:(إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا إِنَاثًا)،بمعنى جمع"أنثى"، لأنها كذلك في مصاحف المسلمين، ولإجماع الحجة على قراءة ذلك كذلك. حكى هذه القراءة عن النبي ﷺ أبو عمر الدّاني قال: وقرأ بها ابن عباس و الحسن وأبو حيوة [633].

المطلب الثالث: يصّالحا

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ (النساء: 128) قرأ الكوفيون: (يُصْلِحَا) والباقون أن (يَصَّالَحَا) الجحدري (يَصَّلِحَا) فمن قرأ (يَصَّالَحَا) فوجهه أن المعروف في كلام العرب إذا كان بين قوم تشاجر أن يقال: تَصَالَحَ القومُ، ولا يقال: أَصْلَحَ القوم، ولو كان أصلح لكان مصدره إصلاحا ومن قرأ يصلحا فقد استعمل مثله في التشاجر والتنازع كما قال: ﴿ فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ونصبب قوله: ﴿صُلۡحًا﴾ على هذه القراءة على أنه مفعول وهو اسم مثل العطاء من أعطيت فأصلحت صلحا مثل أصلحت أمرا وكذلك هو مفعول أيضا على قراءة من قرأ يصالحا لأن تفاعل قد جاء متعديا ويحتمل أن يكون مصدرا حذفت زوائده ومن قرأ يصلحا فالأصل يصتلحا ثم صار إلى يصطلحا ثم أبدلت الطاء صادا وأدغمت فيها الصاد ولم تبدل الصاد طاء لما من امتداد الزفير [634].

---

[632] الطبري جامع البيان، ج9، ص210.
[633] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص135.
[634] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص 163ص163.

وفي الحجة: « يُقرأ بفتح الياء والتشديد وبضمها والتخفيف والحجة لمن شدّد: أنه أراد: يتصالحا، فأسكن التاء وأدغم فلذلك شدد، والحجة لمن خفّف أنّه أخذه من (أصلح)، فإن قيل: فلو كان لجاء المصدر على: إصلاح، فقُل: العرب تقيم الاسم مقام المصدر كقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ (البقرة: 245)، ولم يقل إقراضًا» [635].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ (يونس: 22)؛ أي يحملكم في البرّ على الدوابّ وفي البحر على الفلك. وقال الكلبي: يحفظكم في السير والآية تتضمن تعديد النعم فيما هي الحال بسبيله من ركوب الناس الدوابَّ والبحر وقد مضى الكلام في ركوب البحر في (البقرة) ﴿يُسَيِّرُكُمۡ﴾ قراءة العامة ابن عامر (يَنْشُرُكُم) بالنون والشين أي يبثّكم ويفرّقكم والفلك يقع على الواحد والجمع ويذكر ويؤنث وقد تقدم القول فيه وقوله: ﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة وهو في القرآن وأشعار العرب كثير قال النابغة :

يا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ *** أقْوَت وطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ [636]

قال ابن الأنباري: وجائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب قال الله تعالى: ﴿ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءً وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ (الإنسان: 22) فأبدل الكاف من الهاء[637] وهو ما يعرف في العربية بالالتفاف مما أدّى إلى وجود هذه العلة بأن هناك إبدالا بين الكاف والهاء -قول الأنباري-، ولو أن هذا لا يعتبر إبدالاً، إذ الإبدال يستدعي وجود كلمتين متساويتين في المعنى.

---

[635] ابن خالويه، الحجة، ص64.

[636] ديوان النابغة الذبياني،شرح و تقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1416هـ1996م، ص 9.

[637] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص293.

المبحث الثالث: الإبدال واللهجات

إن دراسة اللهجات العربية القديمة من الحقول المهمة في دراسة اللغة العربية وتاريخها وطبيعة تأثرها ببيئتها.فقد أثرت اللهجات اللغة العربية بتنوع وكثرة الألفاظ والصيغ التي نتجت من الاختلاف اللهجي ومن ذلك ما أنتجه الإبدال بين الأصوات من ألفاظ تشترك فيما بينها في معظم جسم اللفظة والاختلاف في مستوى صوت واحد فقط فتكون واحدة في المعنى مختلفة في الصورة اللفظية ك(الصقر والسقر والزقر).

المطلب الأول: وليُمْلِلْ

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ (البقرة: 282) وهو المديون المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والإملاء والإملالُ لغتان أَمَلَّ وأَمْلَى فَأَمَلَّ لغة أهل الحجاز وبني أسد وتميم تقول: أَمْلَيْت وجاء القرآن باللغتين، قال ﷻ:﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: 5) والأصل أمللت وأبدل من اللام ياء لأنه أخف فأمر الله تعالى الذي عليه الحق بالإملاء لأن الشهادة إنما تكون بسبب إقراره وأمره تعالى بالتقوى فيما يمل ونهى عن أن يبخس شيئا من الحق والبخس النقص ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ (البقرة: 228) [638].

المطلب الثاني: الثُّلُث

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ (النساء:11)، لغة أهل الحجاز وبني أسد الثّلث والرّبع إلى العشر، ولغة بني تميم وربيعة الثلث بإسكان اللام إلى العشر، ويقال: ثلثت القوم أثلثهم، وثلثت الدراهم أثلثها إذا أتممتها ثلاثة وأثلثت هي إلا أنّهم قالوا في المائة والألف: مأيتها وأمأت وآلفتها وألفت. وَإِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وهذه قراءة حسنة أي وإن كانت المولودة واحدة مثل

[638] الجامع لأحكام القرآن،ج4، ص434.

فَإِنْ كُنَّ نِساءً، وقرأ أهل المدينة وَإِنْ كانَتْ واحِدَةً تكون كانت بمعنى وقعت مثل كان الأمر، وقرأ أبو عبد الرّحمن السلميّ فَلَهَا النِّصْفُ وقرأ أهل الكوفة فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ وهذه لغة حكاها سيبويه. قال الكسائي: هي لغة كثير من هوازن وهذيل.

قال أبو جعفر:« لما كانت اللام مكسورة وكانت متصلة بالحرف كرهوا ضمة بعد كسرة فأبدلوا من الضمة كسرة لأنه ليس في الكلام فعل ومن ضم جاء به على الأصل ولأن اللام تنفصل لأنها داخلة على الاسم قال جميعَه النحاس» [639].

المطلب الثالث: ادّارك

قال القرطبي قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (يونس: 16) قال أبو حاتم: سمعت الأصمعيَّ يقول: سألت أبا عمرو بن العلاء: هل لقراءة الحسن (ولا أدراكُم به) وجه ؟ فقال: لا وقال أبو عبيد: لا وجهَ لقراءة الحسن: (ولا أدرأتكم به) إلاَّ الغلط:أنه يقال:دريتُ، أي : علمت، وأَدْرَيْتُ غيري، ويقال: درأت؛ أي: دفعت فيقع الغلطُ بين دريت وأَدْرَيْتُ ودرأت. قال أبو حاتم: يريد الحسن فيما أحسِب: (ولاَ أدْرَيتُكم به) فأَبْدَلَ من الياء ألفًا على لغة بني الحارث بن كعب، يُبْدِلُون من الياء ألفًا إذا انفتح ما قبلها؛ مثل﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ (طه: 63)[640]،قال النحاس:« وهذا غلطٌ والرواية عن الحسن: (ولا أدرأتكم) بالهمز، و أبو حاتم وغيره تكلّم أنّه بغير همز ويجوز أن يكون من درأت؛ أي دفعت؛أي ولا أمرتكم أن تدفعوا فتتركوا الكفرَ بالقرآن» [641].

قال القرطبي قال المهدويُّ: ومَن قرأ: (أدرأتُكم) فوجهُه أنَّ أصل الهمزة ياءٌ، فأصلُه: أَدْرَيتكم فقُلبت الياء ألفًا وإنّ كانت ساكنة؛ كما قال: يابَس في يَيْبَس، وطايئ في طيِّئ ثم قلبت الألفُ همزةً على لغة من قال في العالم: العألَم، وفي الخاتم: الخَأتم [642].

---

[639] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص203.
[640] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص468.
[641] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص143.
[642] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص469.

وفي الحجة: « يقرأ بالتفخيم والإمالة. فالحجة لمن قرأه بالتفخيم أنه أراد: أن يأتي به على أصل الكلام. والحجة لمن أمال: أنه دلَّ على الياء المنقلبة إلى لفظ الألف. فأما ما روي عن(ابن كثير)أنه قرأ:(وَلأَدْرَاكُمْ به) بالقصر.فالحجة له: أنه لا يمُدُّ حرفاً لحرف» [643].

المطلب الرابع: الخبء

قال القرطبي رحمه الله : قال النحاس: وحكى أبو حاتم أن عكرمة قرأ : ﴿ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ (النمل: 25) بألف غير مهموزة[644]،وزعم أن هذا لا يجوز في العربية واعتل بأنه إن خفف الهمزة ألقى حركتها على الباء وحذفها فقال: (الخَبَ في السَّموات والأرض) وأنه إن حول الهمزة قال: الخبي بإسكان الباء وبعدها ياء قال النحاس:« وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد ين يزيد يقول: كان أبو حاتم دون أصحابه في النحو ولم يلحق بهم إلا أنه إذا خرج من بلده لم يلق أعلم منه» [645].

قال القرطبي: وحكى سيبويه :«عن العرب أنها تبدل من الهمزة ألفا إذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة وتبدل منها واواً إذا كان قبلها ساكنٌ وكانت مضمومة، وتبدل منها ياء إذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة، وتبدل منها واواً إذا كان قبلها ساكنٌ وكانت مضمومة، وتبدل منها ياء إذا كان قبلها ساكن وكانت مكسورة، فتقول: هذا الْوَثْوُ وعجبت من الوَثْيِ ورأيت الوَثَا، وهذا من وثِئْتَ يَدُهُ وكذلك هذا الْخَبْوُ، وعجبتُ من الخَبْي ورأيت الخَبَا، وإنما فعل هذا لأن الهمزة خفيفة فأبدل منها هذه الحروف» [646]. وحكى سيبويه:«عن قوم من بني تميم وبني أسد أنهم يقولون: هذا الخبؤُ يضمُّون الساكن إذا كانت الهمزة مضمومة ويثبتون الهمزة ويكسرون الساكن إذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن إذا كانت الهمزة مفتوحة وحكى أيضا أنهم يكسرون وإن كانت الهمزة مضمومة إلا أن هذا عن

---

[643] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص101.

[644] ابن عطية، المحررالوجيز، ج4، ص256. وذكرها ابن خالويه في الشاذة، ص109.

[645] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص142..

[646] سيبويه، الكتاب، ج3 ص542.

بني تميم فيقولون: الرديءُ وزعمَ أنَّهُم لم يضمُّوا الدال لأنهم كرهوا ضمةً ما قبلها كسرة، لأنه ليس في الكلام فِعُلٌ» [647] وهذه كلها لغات داخلة على اللغة التي قرأ بها الجماعة [648].

المطلب الخامس: لازب

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (الصافات: 11)، والعرب تقول: طين لازبٌ ولازمٌ تبدل الباء من الميم ومثله قولهم : لاتب ولاتم على إبدال الباء بالميم، واللازب الثابت تقول: صار الشيء ضَرْبه لازب وهو أفصحُ من لازم قال النابغة:

ولا يَحْسِبُونَ الخَيرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ *** ولا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضربةَ لاَزِبِ [649]

وحكى الفرَّاء :« قيس تقول : طين لاتب [650] أنشدني بعضهم:

صُدَاع وتوْصيم العظام وفَترة ... وغثيٌ مع الإشراق فِي الْجَوْف لاتب» [651]

بمعنى لازِم واللاتِب الثابت، تقول منه: لَتَبَ يَلْتُبُ لَتْبًا ولَتُوْبًا مثل لَزَبَ يَلْزَب بالضم لُزُوْبًا [652]

يرى أبو الطيب اللغوي أن الإبدال بجميع صوره لا يقع إلا بين لغتين مختلفتين، وقد وضح هذا بقوله: "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد.

قال: والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزة، وطورًا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة، وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا، والهمزة المصدرة عينًا، كقولهم في أنّ: عنّ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم، وذاك آخرون" [653]

---

[647] سيبويه، الكتاب، ج4 ص 177ص178

[648] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص145.

[649] ديوان النابغة الذبياني،شرح و تقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1416 هـ، 1996 م، ص 33.

[650] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص384.

[651] ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 1، ص 735.والزبيدي في تاج العروس، ج 4، ص 198.وسَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري في الإبانة في اللغة العربية، ج 4، ص624.

[652] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص17.

[653] أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ج1، ص 69، نقلا عن الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث أحمد بن سعيد قشاش الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة (34) - العدد (117)، 1422هـ - 2002م، ص433.

المبحث الرابع: رفض القرطبي لبعض الإبدال

المطلب الأول: منشأته

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ (سبأ: 14)، في قراءة ابن مسعود وابن عباس: (تَبيَّنَتْ الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيبَ) وقرأ يعقوب في رواية رويس:(تُبُيِّنَتِ الجنُّ) غير مسمى الفاعل و نافع و أبو عمرو: (تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ) بألف بين السين والتاء من غير همز والباقون بهمزة مفتوحة موضع الألف لغتان إلا أن ابن ذكوان أسكن الهمزة تخفيفا، قال الشاعر في ترك الهمزة:

إذَا دَبَبْتَ عَلى المِنْسَاةِ مِن كِبَرٍ*** فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ [654]

وقال آخر فهمز وفتح :

ضَرَبْنَا بِمَنْسَأَةٍ وَجْهَهُ *** فَصَارَ بِذَاكَ مَهِينًا ذَلِيلاَ[655]

وقال آخر فسكَّن همزها :

وقَائِمٍ قَدْ قَامَ مِنْ تُكَأَتِهِ *** كقَوْمَةِ الشَّيخِ إلى مِنْسَأَتَهِ [656]

وأصلها من: نَسَأتُ الغنم أي زَجَرْتُهَا وسُقْتُهَا فسميت العصا بذلك لأنه يزجرُ بها الشيء ويساق وقال طرفة :

أمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانَ *** نَسَأتُهَا عَلَى لاَحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ[657]

---

[654] ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 1، ص 169.والزبيدي في تاج العروس، ج1، ص 458. و الجوهري في الصحاح ، ج 1، ص 76.

[655] ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 11، ص134، معمر ابن المثنى، مجاز القرآن، ج2، ص145و ابن جني، المحتسب، ج2، ص187.

[656] ذكره أبو عمرو الداني في التيسير، ص180.

[657] ديوان طرفة بن العبد شرح الاعلم الشمنتري، مصدر سبق ذكره، ص28.

قال المهدوي: ومن قرأ بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد، لأن هاء التأنيث لا يكون ما قبلها إلا متحركا أو ألفا، لكنه يجوز أن يكون مما سُكِّن من المفتوح استخفافا، ويجوز أن يكون لمّا أبدل الهمزة ألفا على قياس، قلب الألف همزة كما قلبوها في قولهم: العألم، والخأتم [658].

قال القرطبي :فسكن همزها قال النحاس:« واشتقاقها يدل على أنها مهموزة لأنها مشتقة من نَسَاتُهُ أي أخَّرته ودفعته فقيل لها منسأة لأنها يدفع بها الشيء ويؤخَّرُ. وقال مجاهد و عكرمة: هي العصَا ثم قرأ (مِنْسَأَتُهُ) أبدل من الهمزة ألفا، فإن قيل: البدل من الهمزة قبيح جدا وإنما يجوز في الشعر على بُعْد وشذوذ. وأبو عمرو ابن العلاء لا يغِيب عنه مثل هذا، لاسيما وأهل المدينة على هذه القراءة، فالجواب على هذا: أن العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها، كما يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه، حتى قال أبو عمرو: ولست أدري ممن هو، إلا أنها غير مهموزة، لأن ما كان مهموزا فقد يترك همزه، ما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه »[659].

وبعد عرض هذا القول الطويل للقرطبي فإنه يتضح رفضه للإبدال بين الألف والهمزة ؛ أنْ تُبدل الهمزة ألفا فذلك كثير في العربية لكن العكس رفضه اللغويون .

المطلب الثاني: باسقات

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ (ق: 10)، نصب على الحال ردا على قوله : ﴿ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴾، و﴿ بَاسِقَٰتٖ﴾ حال والباسقات الطوال قاله مجاهد و عكرمة وقال قتادة و عبد الله بن شداد[660] بُسُوقُها استقامتها في الطول وقال سعيد بن جبير: مستويات وقال الحسن وعكرمة أيضا و الفراء: مواقير حوامل، يقال للشاة بسقت إذا ولدت قال الشاعر :

---

[658] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص284.

[659] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص231.

[660] عبد الله بن شداد بن أسامة بن عمرو بن عبد الله بن جابر التابعي. وروى عن النبي ﷺ، وسمع عمر وعليا ومعاذا وغيرهم من الصحابة، وروى عنه جماعة من كبار التابعين كطاوس والشعبي، واتفقوا على توثيقه. وكان فقيها كثير الحديث. قتل سنة إحدى وثمانين. بالمخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج1،ص465.

فَلَمَّا تَرَكْنَا الدَّارَ ظَلَّتْ مُنِيفَةً *** يِقُرَّانَ فِيهِ البَاسِقَاتُ المَوَاقِرُ [661]

والأول في اللغة أكثر وأشهر يقال: بسق النخل بُسُوقًا؛ إذا طال قال :

لَنَا خَمْــرُ ولَيْسَـتَ خَمْرُ كَرْمٍ *** ولَكِنْ منْ نِتَـاجِ البَاسِقَاتِ

كِرَامُ فِي السَّمَاءِ ذَهَبْنَ طُوْلاً *** وَفَاتَ ثِمَارُهَا أَيْدِي الجُنَاةِ [662]

ويقال بسق فلان على أصحابه؛ أي علاهم. وأبسقت الناقة؛ إذا وقع في ضرعها اللبأ قبل النتاج فهي مُبْسِقٌ ونوقٌ مَبَاسِيق و قال قطبة بن مالك: سمعت النبي ﷺ يقرأ (بَاصِقَاتُ) بالصَّاد ذكره الثعلبي. قال القرطبي : الذي في صحيح مسلم [663]، عن قطبة بن مالك قال: صليت وصلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ حتى قرأ: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ قال: فجعلت أرددها ولا أدري ما قال،قال القرطبي: إلا أنه لا يجوز إبدال الصاد من السين لأجل القاف. يعني في اللغة لا في التّلاوة [664].في هذا النص فرّق القرطبي بين قضيتين أساسيتين وهما التلاوة ويقصد بها هنا القراءة (لغة القرآن) وبين اللغة عموما فالإبدال في القانون اللغوي القياسي لا يكون بين السين والصاد شرط مجاورة السين للقاف والمعلوم المعروف أن السين والصاد والزاي تكاد تكون هي الأكثر شيوعا في باب الإبدال ولكن هنا منعت القاف حدوث الإبدال فهي ترفض مجاورة الصاد لها هذا رأي القرطبي وربما لأنهما مختلفان في المخرج .

قال السعران: يتكون القاف:بحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا كليا، وذلك بأن يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة، ولا يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف، وذلك برفع

---

[661] ديوان الراعي النميري، تح: رانهرت قايبرت،المعهد الالماني للابحاث الشرقية،بيروت، لبنان،1401ه 1980م، ص111.

[662] ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، مصر،ط1، 1953م، ص209.

[663] صحيح مسلم رقم 457، ج1، ص 336.

[664] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص434.

الحنك اللين؛ يضغط الهواء مدة من الزمن، ثم يطلق مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا. ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت.

فالقاف صوت صامت مهموس لهوي انفجاري. والصاد مطبق السين، أي أنه يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها السين إلا أن فيه "إطباقا". ويحدث السين بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة بينما يرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، ويكون الفراغ بين طرف اللسان وبين اللثة قليلا جدا، يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان. فالصاد صامت مهموس لثوي احتكاكي مطبق[665].

قال المهدوي : وروي عن أبي جعفر المنصور: أنه قرأ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، (نشرحَ) بفتح الحاء وهو بعيد وقد يؤول على تقدير النون الخفيفة ثم أبدلت النون ألفا في الوقف ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذف الألف وأنشد عليه :

اضْرِبْ عَنْكَ الهُمُومَ طَارِقَهَا*** ضَرْبَكَ بِالسَّوْطِ قَوْنَسَ الفَرَسِ[666].

لقد صال القرطبي وجال وعلل واحتجّ ورفض وردّ، وأنا أنقُل كل ذلك أشعر بثقل هذا العلم وألمسُ عظم هذا العالم الجِهْبِذ المغوار، وهو يُدير المسائل اللغوية بكل يُسر وسهولة لتحكمه في منهجه ولاتضاح مسائل العلوم لديه، وكل ذلك بلغة عالية ثرية، وما وصلت إليه من هذه الظواهر اللغوية الثلاثة هي أن اللفظة القرآنية الواحدة علم مستقل.

(665) محمود السعران ،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط2 ، القاهرة 1997، دار الفكر العربي ،ص145،146،131.

(666) ديوان طرفة بن العبد شرح الاعلم الشمنتري، ص164.

الباب الثاني:

القـــــــراءات

تمهيد

الفصل الأول: قضايا القراءات في مقدمة الجامع لأحكام القرآن.

الفصل الثاني:منهج القرطبي في عرض القراءات والحكم عليها

الفصل الثالث: توجيه القرطبي للقراءات

تمهيد:

أنزل الله سبحانه القرآن الكريم رسالة عامة خاتمة، وجعل فيها سعادة الدارين، وحدّد للناس منهج حياتهم في الدنيا والآخرة. ولن نجد في وصف هذا الكتاب العظيم أبلغ من قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ (الإسراء: 9).

وبيّن النّبي ﷺ خصائص هذا الكتاب العظيم بقوله:

كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصّراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن الرّد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته عن أن قالوا: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ (الجنّ: 1- 2)، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[667].

لا يحتاج القرآن الكريم إلى تعريف فقد ملأ الآفاق وتسابق الولدان من كل الأجناس على حفظه وتعلمه .

تعريف القرآن:

لغة: قال بعضهم القرآن الكريم لغةً اختلف العلماء في المعنى اللغويّ للقرآن الكريم على أقوال[668]: منهم من قال إنَّ القرآن اسم عَلَمٍ غير مُشتقٍّ من جذرٍ لغوي وغير مهموزٍ (أي قران)، وهو

---

[667] أخرجه التّرمذي عن علي رضي الله عنه في باب فضل القرآن، برقم (2908)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحديث مقال، أي الحارث الأعور. ولكن الحديث وارد في الفضائل، وله شاهد يقويه من طريق محمد بن إسحاق.

[668] السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1394هـ/ 1974، ج1، ص 181-182.

بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- كما في أسماء الكتب الأخرى التّوراة والإنجيل، وهذا القول مُنتقلٌ عن لشافعيّ[669] وغيره.

من العلماء من ذهب إلى القول إنَّ القرآن اسمٌ مشتقٌّ من القرائن؛ لأنَّ الآيات يُصَدِّق بعضها بعضاً، ويُشابه بعضه بعضاً كالقرينات، أي المُتشابهات، وهذا قول الفرَّاء. قيل إنَّه لفظٌ مهموز (أي قرآن)، وهو مشتقٌّ من قَرَأ ومصدرٌ له، وهذا ما ذهب إليه اللحيانيّ [670] وغيره. ذهب الزَجَّاج وغيره إلى القول بأنَّ القرآن وصفٌ مشتقٌّ من القَرْءِ أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسُمّي القرآن بذلك لأنَّه جمع السّور بعضها إلى بعضٍ، أو لأنَّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السَماويَّة التي نزلت قبله كما قال الرّاغب.

القرآن الكريم اصطلاحاً: هو "كلام الله، المنزل على قلب محمد ﷺ، بوساطة الوحي ـ روح القدس ـــ منجما في شكل آيات، وسور خلال فترة الرسالة (ثلاث وعشرين سنة)، مبدوءا بفاتحة الكتاب، مختوما بسورة الناس، منقولا بالتواتر المطلق برهانا معجزا على صدق رسالة الإسلام ".[671]

و يُعرَّف القرآن الكريم في الاصطلاح الشرعيّ بأنَّه كلام الله تعالى المُعجَز، المُوحَى به إلى النّبي محمد -عليه الصّلاة والسّلام- بواسطة المَلك جبريل -عليه السّلام-، المنقول بالتّواتر، المكتوب بين دفَّتَي المُصحف، المتعبَّد بتلاوته، المَبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النّاس:

المقصود بأنَّه مُعجَز أي أنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليكون مُعجزةً مُؤيّدةً للنبي -عليه الصّلاة والسّلام-، وتمثَّل الإعجاز بما حواه القرآن الكريم من فصاحةٍ وبلاغةٍ، وإخبارٍ عن الغيب وقصصٍ للأمم السَّابقة، وما تضمَّنه من إعجازٍ علميٍّ وتشريعيٍّ، يكمن الإعجاز في تحدّي القوم الكافرين بأن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ منه أو حتّى آيةٍ واحدةٍ من مثل آياته، وما زال التحديّ قائماً، ومن ذلك قول الله تعالى:

---

[669] الرازي، مناقب الشافعي، ص 191.

[670] أَبُو الْحسن اللحياني عَليّ بن الْمُبَارك وَقيل عَليّ بن حَازِم أَبُو الْحسن اللحياني أَخذ عَن الْكسَائي وَأبي زيد وَأبي عَمْرو لَهُ كتاب النَّوَادِر سمي اللحياني لعظم لحيته وَقيل بل لِأَنَّهُ من بني لحيان بن هُذَيْل بن مدركة بن إلْيَاس . الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ- 2000م، ج21، ص 265.

[671] عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ط3، 2007، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 23.

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. (الإسراء: 88) .

المُراد بالمُوحَى به أي أنَّ القرآن الكريم بكلِّ ألفاظه ومعانيه مُنزّلٌ من الله تعالى على النبيّ محمد ﷺ بواسطة المَلك جبريل -عليه السّلام-، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ (الشعراء: 192-194).

المقصود بمتعبَّدٍ بتلاوته؛ أي أنَّ في تلاوة القرآن الكريم عبادةً وقربةً يتقرَّب بها المُؤمن من الله تعالى، ويحظى بها بالأجر والثَّواب العظيم، وكذلك أنَّ الصَّلاة لا تصحُّ إلا بقراءة آياتٍ من القرآن الكريم،] أمَّا المُراد من أنَّه منقولٌ بالتَّواتر؛ أي أنَّه نُقِل من جمعٍ إلى جمعٍ بحيث يستحيل اتِّفاقهم على الكذب في نقله؛ فقد تلقَّاه الصّحابة -رضوان الله عليهم- مُشافهةً من النّبي -عليه الصّلاة والسّلام-، ونقلوه إلى جيل التّابعين من بعدهم ثمَّ إلى من بعدهم، بحيث يُجزم بصدق النَّقل ودقَّته [672].

تعريف القراءة لغة: جاء في لسان العرب: "القراءات جمع قراءة مصدر للفعل (قرأ) تقول: قرأه يقرؤه قرءا وقرآنا بمعنى ألقاه أو لفظ به..ومعنى ألقاه أو لفظ به ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا؛ أي ألقيته[673] .

تعريف علم القراءات: القراءات جمع قراءة؛ من قرأ، وجرى إطلاق السلف لفظة (قراءة) للتعبير عن صنيع القرّاء في أداء نصّ القرآن المجيد.

وقرأه يقرؤه قرءا وقراءة وقرآنا ، والقراءة في اللغة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته- سمي القرآن قرآنا لأنّه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد.

[672] مصطفى البغا، محي الدين مستو (1998)، الواضح في علوم القرآن، ط1، دمشق، دار الكلم الطيب، ص 15-23.
[673] ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرأ).

والآيات- السور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، واستقرأه: طلب إليه أن يقرأ، وأورد ابن منظور في اللسان عن ابن مسعود: تسمعت للقرأة فإذا هم متقارئون؛ أي يسمع بعضهم قراءة بعض. ولكني أرجح هنا اختيار السيوطي الذي ذهب إلى أن كلمة (قرآن) وضع إلهي، وليست اشتقاقا لغويا، ولذلك فإن الصحابة تحرجوا من جمعها على الجموع القياسية، واختاروا بدلا من ذلك كلمة: مصحف ومصاحف.

وقد وجد الاصطلاح سبيله إلى هذا المعنى اللغوي، فأصبحت كلمة قراءة إذا أضيفت إلى واحد من أعلام القرّاء تدلّ على منهج معين لهذا القارئ في التّلقي والأداء، أو في فرش بعض الحروف و الفرش هو الكلمة من القرآن تقرأ على غير مثال. ويقسم علماء القراءة مناهج القرّاء إلى:

1 - أصول: وهي قواعد القراءة لكل قارئ كمد الميمات وتحقيق الهمزات وإمالة الألفات وغير ذلك.

2 - فرش: وهي الكلمات القرآنية بعينها وكيف قرأها كل قارئ، وسميت فرشا لأنها تفرش في التعليم على مواضع الآيات، ولا تندرج تحت أصول جامعة[674].

أما القراءات لغة، فهي جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر قرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآنا، بمعنى تلا، فهو قارئ، والقرآن متلو [675].

أما علم القراءات: « فهو العلم الذي يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم، واختلافها معزوا إلى ناقله» [676].

وقال الدمياطي: «علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع» [677].

---

[674] محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـ-1999م، ص32.

[675] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 62.

[676] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص14.

[677] الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص 5.

موضوعه: كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

استمداده: من السنة والإجماع [678] حيث إنه مأخوذ من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات المتصل سندهم برسول الله ﷺ. قال ابن مجاهد : (حَدثنَا مُوسَى بن إِسْحَق أَبُو بكر قَالَ حَدثنَا عِيسَى بن مينا قالون قَالَ حَدثنَا ابْن أبي الزِّنَاد عَن أَبِيه عَن خَارِجَة بن زيد بن ثَابت عَن أَبِيه قَالَ الْقِرَاءَة سنة حَدثنِي مُحَمَّد بن الجهم قَالَ حَدثنَا عبد الله بن عَمْرو بن أبي أُميَّة الْبَصْرِيّ قَالَ أخبرنَا عبد الرَّحْمَن بن أبي الزِّنَاد عَن أَبِيه عَن خَارِجَة بن زيد بن ثَابت عَن أَبِيه قَالَ الْقِرَاءَة سنة فَاقْرَءُوهُ كَمَا تجدونه. وحَدثني مُحَمَّد بن عبد الله بن سُلَيْمَان الْحَضْرَمِيّ الْكُوفِي بِالْكُوفَةِ مطين قَالَ حَدثنَا مُحَمَّد بن عَمْرو بن حَيَّان الْحِمصِي بِبَغْدَاد قَالَ حَدثنَا أَبُو حَيْوَة شُرَيْح ابْن يزِيد قَالَ حَدثنَا شُعَيْب بن أبي حَمْزَة عَن الزُّهْرِيّ عَن مُحَمَّد بن الْمُنْكَدر قَالَ الْقِرَاءَة سنة يَأْخُذهَا الآخر عَن الأول)[679].

. **فضله:** من أشرف العلوم الشرعية لتعلقه المباشر بكلام رب العالمين.

غايته: معرفة ما يقرأ به كل واحد من الأئمة والقراء.

واضعه: أئمة القراءة، وقيل أبو عمر حفص بن سليمان الدوري، الراوي الأول عن الإمام أبي عمرو البصري، وأول من دون فيه أبو عبيد القاسم بن سلام.

حكمه: فرض كفاية تعلما وتعليما.قال الإمام الطبري :« لَمْ قال الطبري إِنَّ أَمْرَهُ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ،لم يَكُنْ أَمْرَ إِيجَابٍ وَفَرْضٍ، وَإِنَّمَا كَانَ أَمْرَ إِبَاحَةٍ وَرُخْصَةٍ » [680]. قال السيوطى: أخرج سعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت قال: القراءة سنة متبعة. قال البيهقي: أراد أن أتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها [681].

---

[678] محمد عباس الباز، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، دار الكلمة، القاهرة، ط1 1425هـ، 2004م، ص39.

[679] ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر البغدادي (ت 324هـ)، كتاب السَّبْعَة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص50

[680] الطبري، تفسير الطبري، ج1، ص49.

[681] الباز محمد عباس، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، دار الكلمة، القاهرة،ط1، 1425 هـ - 2004 م،ص42.

فائدته:

1 - التسهيل والتخفيف على الأمة. فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها ... حيث أتاه جبريل فقال له: "إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "أسأل الله معافاته ومعونته إن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف".

ويقول: "إن النبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا ... فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف وتأبى الطباع".

ثم ينقل ابن الجزري عن ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" قوله: "فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يُقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم: فالهذلي يقرأ "عتى حين"

يريد "حتى" ... والقرشي لا يهمز. والآخر يقرأ "قيل لهم" و"غيض الماء" بالإشمام ... وهذا يقرأ "عليهم" و"منهم".. والآخر يقرأ "عليهمو ومنهمو" بالصلة ... إلى غير ذلك.. ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلًا وناشئًا وكهلًا لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه" [682].

2 - العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية.

3 - صيانة كلمات القرآن عن التحريف والتغيير.

4 - العلم بما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة و التمييز بين ما يقرأ به.

5- استنباط الأحكام الفقهية نتيجة لاختلاف القراءات [683].

---

[682] أحمد مختار عبد الحميد عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، م2003، ص18.

[683] محمد عباس الباز، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 1425هـ 2004م، ص39.

والمقرئ: من علم بها أداء ورواها مشافهة، فلو حفظ كتابا امتنع إقراؤه بما فيه إن لم يشافهه من شيوخه مشافهة.

قال الله عز وجل عن النبي ﷺ في تلقيه القرآن والقراءات: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ (النجم: 3 -5).

يرى الإمام بدر الدين الزركشي بأن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، حيث يقول: «واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها، من تخفيف وتثقيل ... »[684] فالفرق بين القرآن والقراءات كالفرق بين الأصل والفرع، فالقرآن هو ما انزله الله على قلب النبي ﷺ يقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ (القيامة:16).

وإن اللقاء بين جبريل عليه السلام الذي هو مخلوق نوراني وبين النبي ﷺ وهو مخلوق بشري، ليتلقى منه القرآن، وقد بيّن الله ثقل القرآن، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ (الحشر: 21)، والقراءات هي كيفية أداءات ألفاظ هذا الوحي، فهي تجليات مختلفة لألفظ الوحي ، وهي سنة متَّبعة، فالقراءة تعامل معاملة السنة فيها الصحيح، والضعيف.

وإن القراءات تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الكلمات التي لم تنزل إلا بوجه واحد، وبكيفية واحدة، وهي أكثر القرآن الكريم.

[684] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1990م، ج1،ص465.

القسم الثاني: الكلمات التي نزلت بعدة أوجه، وهي جملة ما بقي من الأحرف السبعة، وهي أوجه الاختلاف التي ينقلها القراء بالتواتر جيلا بعد جيل.

وقد اجتهد العلماء في تدوين كل وجه قرئ به القرآن، لتحفظ القراءة بكل حيثياتها التي أُدّيت بها، وهو عمل تطلب منهم أن يوجدوا المصطلحات التي تنقل كيفية أداء كلمات القرآن، فظهر الروم والإشمام والإمالة والاختلاس ومصطلحات كثيرة تنقل كيفية النطق كي لا يفُتْهم شيء فأحاطوا القراءة بعناية حفظت لها مميزاتها الصوتية، لقد برعوا في ذلك براعة تشهد بها المدونات الضخمة التي حوت القراءات القرآنية.

نَقْلِ الْقُرْآنِ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ وَالصُّدُور وعَلَى حِفْظِ الْمَصَاحِفِ وَالْكُتُبِ، ولكن المشافهة هي الوسيلة العظمى في نقل القراءات إلى أن دوّن عثمان القراءات والعلماء من بعده، وأوّل من دوّنها ابن مجاهد في كتابه (السبعة)، فالقراءات القرآنية علم يُعرف به كيفيّة النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كلّ وجه لناقله[685]؛ فهي علم مستقل له رجاله وقواعده ومصنفاته .

إن الله أَقَامَ للقرآن« أَئِمَّةً ثِقَاتٍ تَجَرَّدُوا لِتَصْحِيحِهِ وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي إِتْقَانِهِ وَتَلَقَّوْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حَرْفًا حَرْفًا، لَمْ يُهْمِلُوا مِنْهُ حَرَكَةً وَلَا سُكُونًا وَلَا إِثْبَاتًا وَلَا حَذْفًا، وَلَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ شَكٌّ وَلَا وَهْمٌ» [686] «وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ الْمَهَرَةِ، خُصُوصًا الْقُرَّاءَ الْعَشْرَةَ، الَّذِينَ كُلٌّ مِنْهُمْ تَجَرَّدَ لِكِتَابِ اللَّهِ فَجَوَّدَهُ وَحَرَّرَهُ، وَرَتَّلَهُ كَمَا أُنْزِلَ وَعَمِلَ بِهِ وَتَدَبَّرَهُ، وَزَيَّنَهُ بِصَوْتِهِ وَتَغَنَّى بِهِ وَحَبَّرَهُ، وَرَحِمَ اللَّهُ السَّادَةَ الْمَشَايِخَ الَّذِينَ جَمَعُوا فِي اخْتِلَافِ حُرُوفِهِ وَرِوَايَاتِهِ الْكُتُبَ الْمَبْسُوطَةَ وَالْمُخْتَصَرَةَ، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ تَيْسِيرَهُ فِيهَا عُنْوَانًا وَتَذْكِرَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْضَحَ مِصْبَاحَهُ إِرْشَادًا وَتَبْصِرَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْرَزَ الْمَعَانِيَ فِي حِرْزِ الْأَمَانِي مُفِيدَةً وَخَيِّرَةً، أَثَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْمَعِين»[687].

---

[685] عبد الفتاح القاضي (ت 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 7.

[686] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1ص6 . و الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القران، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، سوريا، ط3 ، (دت)، ج1، ص242.

[687] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1،ص1.

ويظهر الفرق بين نقل القراءات ونقل كلام العرب «أن راوي القراءة نقلها على أنها قرآن وإذا كان ذلك كذلك فإنه نقلها بلفظها الذي سمعه من النبي ﷺ لا بمعناها؛ إذ لا يسوغ للصحابي أن يزيد شيئا أو ينقصه، فيما يظنه أنه قرآن. ولذلك وإن كانت شاذة فإن لها قدسيتها قال السيوطي :وأما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية» [688].

وأما كلام العرب فإنه نقل مشافهة ولما نزل القرآن وظهرت الحاجة إلى تدوينه ، دُون ولكن طريقة النقل الأولى والأساسية هي الرواية «إن الإرث الجاهلي، ولاسيما الشعر، قد انتقل عن طريق الرواية، وكانت قد أحيطت بقدر كبير من التحقيق والتمحيص، إنّه وإن كان هناك رواة متهمون، فقد كان لهم العلماء الأثبات بالمرصاد من أمثال (المفضل الضبّي) الكوفي و(الأصمعي) البصري وغيرهما. وإنّ مثلَ الشعر الجاهلي في روايته، و تدوينه مثل الحديث النبوي الشريف، فقد دخلها نحل كثير، ولكن العلماء استطاعوا تمييز الصحيح من الزائف». [689] فإن الله قد قيض لهذا الدين رجالا أفنوا أعمارهم في خدمته والعناية بكل ما يتصل به والعلاقة بين نقل اللغة ونقل الحديث أن كلا منهما نصٌّ مسموعٌ منقول لابد في من التحقق من طريق نقله وصولا إلى قائله الحقيقي إذا كان حديثا شريفا فقائله الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا كان نصا من كلام العرب فيُتحقق بأنه قالته العرب في زمن الفصاحة ومكانها ؛ وكل ذلك له معاييره وضوابطه وشروطه .

شروط القراءة الصحيحة: قال ابن الجزري في تعريف القراءة الصحيحة: (كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوِ احْتِمَالًا وَصَحَّ سَنَدُهَا، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ، أَمْ عَنِ الْعَشْرَةِ، أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَقْبُولِينَ، وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةٌ أَوْ شَاذَّةٌ أَوْ بَاطِلَةٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ

[688] جلال الدين السيوطي، (ت 911ه)، الاقتراح في أصول النحو، ضبطه وعلق عليه عبد الحكيم عطية، دار البيروني، دمشق، ط 2 2006م، ص39

[689] أحمد عبد المنعم حالو أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة البعث ،رواية الأدب الجاهلي في مؤلفات الجاحظ-المنهج والأثر -، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 84، الجزء 2،سوريا، (دت)، ص394.

السَّبْعَةِ أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَئِمَّةِ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، صَرَّحَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ، وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ الْمَهْدَوِيُّ، وَحَقَّقَهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي شَامَةَ، وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلَافُهُ)[690].

ولكن القراءات عرفت كثيرا من الرد والقدح « فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يُعتبر إنكارهم بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها » [691].

ولذلك قال ابن الجزري مدافعا عن القراءات وَكُلُّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ رَدُّهُ وَلَزِمَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِنَّ كُلَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا وإتباع مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إِحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِقَوْلِهِ: " لَا تَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ وَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَسَاقَطُ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ، حُدُودُهَا وَقِرَاءَتُهَا وَأَمْرُ اللَّهِ فِيهَا وَاحِدٌ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ الْآخَرُ كَانَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَةٍ فَلَا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ

وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: لِأَحَدِ الْمُخْتَلِفِينَ: " أَحْسَنْتَ "، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ ـ وسيأتي ذكر الأحاديث ـ: " أَصَبْتَ "، وَفِي الْآخَرِ: " هَكَذَا أُنْزِلَتْ ". فَصَوَّبَ النَّبِيُّ ﷺ قِرَاءَةَ كُلِّ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ، وَقَطَعَ بِأَنَّهَا كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِهَذَا افْتَرَقَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ مِنَ اخْتِلَافِ

---

(690) ابن الجزري شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 هـ)،النشر في القراءات العشر، تح، علي محمد الضباع (ت 1380 هـ)، دار الكتاب العلمية،ج1،ص9.

(691) المصدر نفسه، ج،1ص،10 وللمالقي عبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السداد الأموي (ت 705 هـ)، الدر النثير والعذب النمير «في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (المتوفى 444 هـ)» تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، دار الفنون للطباعة والنشر - جدة1411 هـ - 1990 م، ج2، ص32.

الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ كُلٌّ حَقٌّ وَصَوَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلَامُهُ لَا شَكَّ فِيهِ وَاخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ اخْتِلَافٌ اجْتِهَادِيٌّ وَالْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِيهِ وَاحِدٌ، فَكُلُّ مَذْهَبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى حَقٌّ وَصَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَقْطَعُ بِذَلِكَ وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْنَى إِضَافَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الِاخْتِلَافِ إِلَى مَنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ أَضْبَطَ لَهُ وَأَكْثَرَ قِرَاءَةً وَإِقْرَاءً بِهِ، وَمُلَازَمَةً لَهُ، وَمَيْلًا إِلَيْهِ، لَا غَيْرَ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ إِلَى أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ وَرُوَاتِهِمُ الْمُرَادُ بِهَا أَنَّ ذَلِكَ الْقَارِئَ وَذَلِكَ الْإِمَامَ اخْتَارَ الْقِرَاءَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ اللُّغَةِ حَسْبَمَا قَرَأَ بِهِ، فَآثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ حَتَّى اشْتَهَرَ وَعُرِفَ بِهِ، وَقُصِدَ فِيهِ، وَأُخِذَ عَنْهُ؛ فَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةُ اخْتِيَارٍ وَدَوَامٍ وَلُزُومٍ لَا إِضَافَةَ اخْتِرَاعٍ وَرَأْيٍ وَاجْتِهَاد [692].

[692] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص51.

الفصل الأول:

قضايا القراءات في مقدمة الجامع لأحكام القرآن

المبحث الأول: الأحرف السبعة في مقدمة الجامع لأحكام القرآن.

المطلب الأول: الأحرف السبعة تيسيرا

المطلب الثاني: الأحرف السبعة وعلاقتها بلغات العرب

المطلب الثالث: الأحرف السبعة ووجوه اختلاف القراءة

المطلب الرابع: أحاديث نشأة القراءات

المبحث الثاني: قضايا جمع القرآن في مقدمة الجامع

المطلب الأول: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ورضَا الصحابة بصنيعه.

المطلب الثالث: رد القرطبي على الرافضة.

المطلب الرابع: ترتيب السور.

المبحث الأول: الأحرف السبعة في مقدمة الجامع لأحكام القرآن

بدأ القرطبي تفسيره بمقدمة جامعة ذكر فيها مسائل شاملة من صميم علوم القرآن وزعها على ثمانية عشر بابا، يصب معظمها في تاريخ القرآن، ولا بأس أن أورد هذه الأبواب التي بدأها بخطبة عصماء بين فيها أسباب التأليف وشرطه في الكتاب وقد عنونها ب(الكلام على علو شأن المفسرين).

ثم وقف القرطبي عند مسائل كثيرة، تناول بعضها إجمالا والبعض الآخر تفصيلا، والكتاب كله سفر في القراءات يشرحها ويبينها.

المطلب الأول: الأحرف السبعة تيسيرا

كلمة الحرف في العربية من الألفاظ المشتركة التي لها أكثر من معنى وإن دلالات الكلمة تظهر في التعريف اللغوي للفظة؛ جاء في اللسان: "أن الحرف في الأصل: الطرف، وحرفا الرأس شقاه، وحرف السفينة والجبل: جانبها، وقال الجوهري: حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد "[693].

وقال الزركشي:«فَإِنَّ الْحَرْفَ هُوَ الطَّرَفُ وَالْوَجْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ من يعبد الله على حرف﴾ أَيْ عَلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَهُ فِي السَّرَّاءِ دُونَ الضَّرَّاء »[694].

والحرف هو رسم الصوت الهجائي، والحرف هو الأداة التي تربط بين الكلمات (كحرف الجر وحرف العطف) **والحرف:** كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن، قال الطبري: "وإنما عنى رحمة الله عليه أنّ من قرأ بحَرْفه - وحرْفُه: قراءته، وكذلك تقول العرب لقراءة رجل: حرفُ فلان" والكلام يعود على عبد الله بن مسعود، "قال: من قرأ على حرف فلا يتحوّلنّ منه إلى غيره "[695].

---

[693] لسان العرب، ج 9، ص42.

[694] الزركشي البرهان في علوم القرآن،ج1، ص227 .

[695] الطبري، تفسير الطبري، ج 1، ص52.

قال القرطبي: قال الباقلاني: « ولكن ليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ (الحج: 11) فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك.

قال القاضي أبو الطيب الباقلاني (سميت القراءة حرفا، وإن كانت كلاما كثيرا، لأن منها حرفا غير نظمه أو كسر وقلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص أو قلب نحو قيوم، إذا قلبت فقيل قيام، وقد جعلت الواو من قيوم ألفا، فينسب القراء واو الكلمة الثابتة إلى الحرف المغير المختلف الحكم من القراءتين، ومما يدل أيضا على صحة ما قلناه ويزيده وضوحا أن الناس اختلفوا في تأويل ما روي في ذلك على وجوه:

فقال قوم السبعة الأحرف: حلال وحرام وأمر ونهي وموعظة وقصص وأدب، وقال قوم: محكم ومتشابه وقصص، وقال آخرون: تأويل الأحرف أنها سبعة أنواع من الكلام، خبر واستخبار وأمر ونهي وتمن وتشبيه وجحد.

وقال قوم: معنى الأحرف أنها سبعة أسماء تترادف على الشيء الواحد يكون معناها واحدا، واختلفت صورها مثل قولك أقبل وهلم وتعال وجيء واقصد وتقدم وادن واقرب، وما جرى مجرى ذلك، وقال آخرون: معنى الأحرف أنها أسماء وصفات لله تعالى، مثل عليم حكيم وسميع عليم وبصير وعزيز حكيم، وأمثال ذلك.

وقال قوم: الأحرف المذكورة في الخبر: وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج،

وقال آخرون: معناها حلال وحرام وأمر ونهى وخبر ما كان قبل وخبر ما هو كائن بعد وأمثال،

وقال آخرون: معناها سبع قراءات بلغات سبع في حرف واحد، إما بتغيير إعراب سبع جهات أو في حرف للسبع لغات بغير تغيير إعراب بل بصور مختلفة أو زيادة أو نقصان» [696].

[696] الباقلاني، الانتصار للقرآن، ج 1، ص377.

وقد بين الداني معنى الحرف، وذكر كل الوجوه التي يدور عليها لفظ الحرف وعلاقة ذلك بوجوه القراءة [697]

إن الأحاديث في الأحرف السبعة تُبين أن الأحرف معناها لغات العرب قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: "فكان تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم؛ فالهذلي يقرأ (عتى حين) والأسدي يقرأ(تِعْلمون) والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز ... "تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ..أستطيع أن أقول: إن الأحرف هي قراءات العرب لما يصلهم من القرآن فالعربي يسمع القرآن ثم يعيد ما يسمع بلهجته هو، فلا شك أن ما سمعه حرف، وما تلفظ به هو بعد السماع حرف مختلف، لاختلاف العرب في لهجاتها ولذلك تكلم العلماء برفع الأحرف الستة لرفع الحاجة بانتشار الكتابة وتغير أحوال العرب، فإن القرآن لما تفشى فيهم وقرؤوه بلحونهم قبل النبي ذلك منهم ولكن حالة الأمية التي كانوا عليها قد زالت وحل محلها العلم والنور .

بدأ القرطبي هذا الباب بما ورد في الأحرف السبعة من الأحاديث التي بينت تيسير الله على أمة محمد ﷺ قال النبي ﷺ : (إن هذا القرآن أُنْزِل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تَيَسر منه)، ويعتبر هذا الحديث هو الجامع لكل ما ورد في الأحرف السبعة وهو أن الله جعلها تيسيرا للأمة . وأورد الحديث الذي رواه أبي بن كعب .

عن أبي كعب: أن النبي ﷺ كان عند أضاة [698]، بني غِفَار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال:

إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حَرْف، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تُطيق ذلك). ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: (أسأل

---

[697] انظر أبو عمرو الداني (ت444هـ)، الأحرف السبعة للقرآن، تح : عبد المهيمن طحان، دار المنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1418،1 هـ 1997م، ص27 - ص 30 .

[698] الأَضَاة بِوَزْنِ الحَصَاة: الغَدِير وَجَمْعُهَا أَضًى وإِضَاءٌ كَأَكَمٍ وإِكَامٍ. ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوى وآخر، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م، ج1، ص 53، ولسان العرب، ج14، ص38، وقال السبتي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي(ت544هـ) في كتابه: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث ج1ص47:" إضاة بني غفار بِفَتْح الْهمزَة مَقْصُور وَهُوَ مستنقع المَاء كالغدير وَجمعه أضا مَقْصُور مَفْتُوح وأضاء مَمْدُود مكسور وَقَالَ ابْن الْأَنْبَارِي الإضاء والأضي جمع أضاة.

الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك). ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك)، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا. رواه مسلم [699].

إن هذا الحديث له دلالات كثيرة، أبرزها أن مسألة الأحرف السبعة لم تكن من قضايا العهد المكي، وإنما هي مما ظهر واضطرت الأمة إليه في العهد المدني، عندما دخلت في الإسلام قبائل كثيرة لسانها يختلف عن لسان قريش. ولذلك رافقت الأحاديث التي في الأحرف السبعة الكلمة التي تدل على العهد المدني وهي كلمة (أضاة بني غفار) وكلمة (مسجد رسول الله ﷺ)، وأضاة بني غفار موضع بالقرب من المدينة.

ولو أن هذه الكلمة فيها خلاف لوجود موضعين يسميان أضاة أحدهما بالقرب من المدينة والآخر بالقرب من مكة ذكره "بازمول" في بحثه وفصل القول فيه وانتهى إلى أن « والظاهر أن المراد ... هو الموضع الذي في المدينة كما جزم القاضي والبكري وابن حجر وغيرهم لأنه لم يعرف في العهد المكي ذلك التنوع » [700]، وأبرز فائدة في الحديث هو قضية التيسير؛ إن الإسلام كله يسر وقد ظهر هذا اليسر جليا للعيان في مسارات وتشريعات هذا الدين العظيم وهذا مظهر من مظاهر اليسر ففي الإسلام والتيسير، على الأمة وحملها على ما تطيق لا على مالا تستطيع .

عن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: « يا جبريل إني بُعثت إلى أمة أُمّية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتاباً قَطّ فقال لي يا محمد: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف». رواه الترميذي عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب [701]، قال

---

[699] صحيح مسلم، رقم821، ج 1، ص562.

[700] بازمول محمد بن عمر بن سالم، القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام، دار الهجرة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط1 1417هـ-1996م، هامش رقم 1، ص51.

[701] سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ) تح: وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط2، 1395 هـ - 1975 م، ج5، ص194، رقم 2944 وجاء في السنن بلفظ أمة أميين بدلا عن أمة أمية.

هذا: حديث صحيح في سنن أبي داود الطيالسي[702] وأحمد[703]. ولفظ الحديث "تقرأ" أمتك؛ أي تتلقى الأمة القرآن ثم تنطق به.

وثبت في الأمهات: البخاري[704] ومسلم[705] والموطأ[706] وأبي داود[707] والنسائي[708] وغيرها من المصنفات والمسانيد قصةُ عمر مع هشام بن حكيم[709]، وهي مبثوثة في بطون كتب الحديث، وهذا احد طرق ورودها من صحيح البخاري - حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن حديث المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري، أنهما سمعا عمر بن الخطاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، فلببته فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت فوالله إن رسول الله ﷺ لهو أقرأني هذه السورة، التي سمعتك فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ أقوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنك أقرأتني سورة الفرقان، فقال: «يا هشام اقرأها» فقرأها القراءة التي سمعته

---

[702] أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت 204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1، 1419 هـ ، 1999 م، رقم545، ج1، ص439.

[703] مسند الإمام أحمد، رقم23447، ج38، ص438.

[704] صحيح البخاري، ج3، ص122، رقم 2419.

[705] صحيح مسلم، ج1، ص560، رقم 818.

[706] مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت 179هـ)، موطأ الإمام مالك، تح: بشار عواد معروف، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412 هـ، ج1، ص 92، رقم242.

[707] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت 275هـ)، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج2، ص75، رقم 1475.

[708] النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، السنن الكبرى، تح: وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م، ج1، ص482، رقم1011.

[709] هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى الصحابى ابن الصحابى، رضى الله عنهما، القريشى الأسدى، وتوفى قبل أبيه حكيم [الوفاة: 35 - 40 هـ]، رُوى له عن رسول الله ﷺ ستة أحاديث، روى له مسلم حديثًا واحدًا. روى عنه جماعة من التابعين. قال محمد بن سعد: كان هشام بن حكيم رجلاً جليلاً مهيبًا، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص 136.

فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأتها التي أقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا ذكرها أبو حاتم محمد بن حِبَّان البُسْتِيّ [710]، وقد ذكر القرطبي منها في كتابه خمسة أقوال[711]: الأول: هو الذي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عُيَيْنة [712] وعبد الله بن وهب [713] والطبري والطحاوي وغيرهم: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو أقْبِل وتعالَ وَهلُمّ. قال الطحاوي: وأبين ما ذكر في ذلك الحديث أبي بكرة قال:

جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ إلى سبعة أحرف، فقال: اقرأ فكُلٌّ شافٍ كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة، على نحو هَلُمَّ وتعال وأقبِل واذهب وأسرع وعَجِّل [714].

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ابن عباس عن أُبَيّ بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾ (الحديد: 13): للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخرونا، للذين آمنوا ارقبونا. وبهذا

---

[710] ابن حبان الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن معبد التميمي البستي صاحب التصانيف، وقال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال، وقال الخطيب: كان ثقة نبيلًا فهمًا. مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وهو في عشر الثمانين. تذكرة الحفاظ، ج3، ص90.

[711] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 72.

[712] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي الأعور الإمام المشهور، ولد سنة سبع ومائة، وعرض القرآن على حميد بن قيس الأعرج و"عبد الله بن كثير، روى القراءة عنه سلام بن سليمان، قال الكسائي ما رأيت أحدا يروي الحروف إلا وهو يخطئ فيها إلا ابن عيينة، توفي أول يوم في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة. ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص308.

[713] عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري . سمع عمرو بن الحارث، ويونس بن يزيد، ومالكا وغيرهم.
وروى عنه يحيى بن يحيى، وسعيد بن منصور، ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم، صحب مالكا عشرين سنة، وقال فيه: إن ابن وهب إمام.وكان صالحا جامعا بين الفقه والرواية والعبادة، ومن مصنفاته: الموطأ الكبير، و الموطأ الصغير. وولد سنة خمس وعشرين ومائة. توفي سنة سبع وتسعين ومائة. بالمخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج2، ص331.

[714] أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت 235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409،ج6، ص138، رقم 30122.

الإسناد عن أُبَي أنه كان يقرأ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ (البقرة: 20): مَرُّوا فيه، سَعَوْا فيه، وكان هذا في الأحرف السبعة التي يقر العلماء أنها رفعت، وبقي حرفٌ واحد منها اشتمل على كل القراءات. وكان ذلك تيسيرا ورحمة من الله على الأمة، فإنه لما بدا القرآن يتفشى في العرب ويلامس آذانهم، أُذن لهم أن يقرؤوه بألسنتهم على لهجاتهم.

قال القرطبي: «وفي سنن أبي داوود قال الزهري، إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام» [(715)].

ونقل القرطبي قول الطاوي: « إنما كانت السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أُميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوُسِّع لهم في اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقاَ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرأوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد» [(716)].

داود الطيالسي عن أُبَيّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا أُبَيّ إني أقرئت القرآن فقيل لي على حرف أو حرفين فقال المَلَك الذي معي قل على حرفين فقيل لي على حرفين أو ثلاثة فقال المَلَك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شافٍ كافٍ إن قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب» [(717)]، وفي هذا الحديث بيان شاف للإذن

[(715)] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، رقم 1476، ج2، ص76.

[(716)] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 73.

[(717)] مسند أبي داود الطيالسي، رقم 1477، ج2، ص602.

العام من رسول ﷺ، الله إلى العرب جميعا أن يقرأوا القرآن على لحونهم، واشترط عليهم ألا يغيروا، وألا يخلطوا آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذكر من كلام ابْن مسعود نحوه. قال القاضي أبو الطيب(الباقلاني): «وإذا ثبتت هذه الرواية – يريد حديث أبَيّ- حمل على أن هذا كان مطلقا ثم نُسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسما لله تعالى في موضع بغيه مما يوافق معناه أو يخالف» [718].

وفي قضية الثبوت فإن المتتبع لأحاديث الأحرف السبعة يجد أن أبي طرف رئيسي في ورود الأحاديث ؛ جاء في تاريخ القرآن أن «عدد الأسانيد التي ورد من طريقها الحديث ستة وأربعون سندا منها عشرون في روايات أبيّ » [719]، يقول عبد الصبور شاهين: «والذين تعرضوا لتفسير المراد بالأحرف السبعة، اكتفوا بإيجاز القول في المراد بالأحرف، مع عرض موجز للأقوال التي وردت في تأويل[الأحرف] وتأويل العدد [سبعة] مع أن شأن الحديث في تاريخ القرآن خطير، بحيث لا نرى حديثا أثار من المشكلات العقدية والتاريخية واللغوية قدر ما أثار هذا الحديث، واتخاذ موقف معين من تحديد المراد منه يترتب عليه تفسير مشكلة القراءات جملة وتفصيلا، ومعنى ذلك حل أعقد المشكلات في تاريخ القرآن لاسيما مشكلة الشذوذ بكافة وجوهه رواية أو لغة أو نصا» [720]، لأن القراءات الشاذة يؤخذ بها في مسائل الشريعة كالفقه والعقيدة.

إن من خصائص الإسلام انه دين يسر ورحمة، وقد كان نزول القرآن على سبعة أحرف تيسيرا على العرب خاصة لأنه انزل فيهم، ليستطيعوا قراءة القرآن. ولو انه طلب منهم أن يقرأوه على حرف واحد لما استطاعت العرب أن تفعل ذلك، لان تغيير اللسان ليس بالأمر اليسير، فقد طبعت القبائل

---

[718] نقلا عن، الوَلَّوِي محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ط1، 1419 هـ - 2000 م، ج12، ص 155.

[719] عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2007م، ص 49. الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 74.

[720] المرجع نفسه، ص 51.

على لهجاتها ولا يستطيع العربي أن ينتقل من لهجة نشأ عليها وتكلمها بين عشية وضحاها إلى لغة قريش.

المطلب الثاني: الأحرف السبعة وعلاقتها بلغات العرب:

ذكر القرطبي في القول الثاني علاقة الأحرف السبعة بلغات العرب ،قال :القول الثاني: قال قوم: «هي سبع لغات في القرآن الكريم على لغات العرب كلها، يَمَنها ونِزارها، لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئا منها، وكان قد أوتي جوامع الكَلِم، وليس معناه أن يكون في الحروف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هُذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن» [(721)].

وفي الدراسة باب كامل للهجات يتناول مواطن ذكرها في الجامع.

ذكر القرطبي قول الخطابي: « على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه، وهو قوله ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (المائدة: 60)، وقوله: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدًا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ (يوسف: 12)، وذكر وجوها، كأنّه يذهب إلى أنّ بعضه أنْزل على سبعة أحرف لا كلّه. وإلى هذا القول- بأنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، على سبع لغات- قاله ابن عطية » [(722)].

وهذه الأحاديث والأقوال التي ذكرها القرطبي في مقدمته إنما هي كلام جامع، سيفصله في أثناء تفسيره وتناوله للقراءات، فثمة ستظهر اللهجات وتنوعها وهو يسميها لأنه القرطبي في الغالب ينسب القراءة.

ما ذكرت الأحرف السبعة إلا وكانت اللهجات العربية لصيقة بها، وقد اختلف العلماء في بيان السبعة: أتعني حقيقة العدد أم أنها تعني الكثرة؟ لأن من سنن العرب ربط الكثرة بالسبعة، والسبعين والسبعمائة، ولذلك لام العلماء ابن مجاهد عندما ألف كتابه وسماه : "السبعة" فهو إقرار منه بان

---

(721) الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 74.

(722) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص298.

الأحرف السبعة تعني حقيقة العدد، وقد خالفه العلماء بأن أضافوا للسبعة، ما يكمل العشرة، مما يكمل الأربعة عشر.

المطلب الثالث: الأحرف السبعة ووجوه اختلاف القراءة:

عندما نظر العلماء في كثرة القراءات بدأ البحث عن أسباب هذه الكثرة، وما هو منشأه، وكيف يفسرونها وذلك بالنظر إلى حقيقة اختلاف وجوه القراءة، اختار القرطبي قول الباقلاني: « تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعَ: منها ما تتغير حركته، ولا يزول معناه ولا صورته ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود: 78)، وأَطْهَرَ، ﴿يَضِيقُ صَدْرِى﴾ (الشعراء: 13) ويضيقَ.

ومنها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ: 19) و(باعَدَ) وهي قراءة يعقوب ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل، قوله: ﴿نُنشِزُهَا﴾ (البقرة: 259) وننشرها. ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ (القارعة: 5)، وكالصوف المنفوش. ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ (الواقعة: 29) وطلع منضود. ومنها بالتقديم والتأخير كقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾(ق: 19) وجاءت سكرة الحق بالموت. ومنها بالزيادة والنقصان، مثل قوله: تسع وتسعون نعجة أنثى، وقوله: وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين، وقوله:فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم» [723].

وقول الباقلاني هو ما ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن الكريم[724].

---

[723] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 78.

[724] ابن قتيبة ابو محمد عبد الله ابن مسلم الدينوري (ت 276 ه)، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج1، ص31.

قال القرطبي: « أن المراد بالأحرف السبعة معاني كتاب الله تعالى، وهي أَمْرُ ونَهْيُ ووعد ووعيد وقَصَصُ ومجادلة وأمثال. قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفاَ، وأيضا فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ولا في تغيير شيء من المعاني» [725].

قال القرطبي: «قال الكثير من علمائنا كالدّاوُدِي[726] وابن أبي صُفْرة [727] وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنتسب لهؤلاء القرَّاء السبعة، ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبع، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف» [728].

وفي الجامع قول اشتهر عن القرطبي في بيانه وتعريفه وإيضاحه لحقيقة القراءات المشهورة، قال : « وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمّة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما رَوى وعلِم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه، وعُرف به ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير» [729].

وشاعت القراءات بأسماء هؤلاء الأفاضل، وفي ذكر علاقة القراء بعضهم ببعض،قال القرطبي: «ولم يمنع واحد منهم من اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختياران أو أكثر، وكل صحيح. وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما رووه ورأوه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات، فاستمر الإجماع على

---

[725] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 79.

[726] الداودي أبو سليمان الداودي الضرير الملهمي البغدادي المقرىء الأديب: قرأ القرآن بالروايات على أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي وأبي الفضل أحمد بن محمد بن شنيف، وبرع في الأدب، وكان مولعا بشعر أبي العلاء المعرّي يحفظ منه جملة صالحة، ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة. توفي سنة خمس عشرة وستمائة. ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج3، ص 1280.

[727] نفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي، وقدّر اللقب على مثال سيبويه، لأنه كان ينسب في النحو إليه ويجري في طريقته ويدرس شرح كتابه، كان عالما بالعربية واللغة والحديث، أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما، روى عنه أبو عبيد الله المرزباني وابن حيويه وغيرهم. ولد في سنة أربع وأربعين ومائتين، ومات رحمه الله سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، ص 114.

[728] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 79.

[729] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 79.

الصواب، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب[730]»، وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كالقاضي أبي بكر بن الطيب والطبري وغيرهما. قال ابن عطية:« ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلي لأنها ثبتت بالإجماع، وأما شاذ القراءات فلا يصلّى به لأنه لم يجمع الناس عليه، وأما أن المروي منه عن الصحابة ﷺ وعن علماء التابعين فلا يعتقد فيه إلا أنهم رووه».[731]

ولأن القراءات ليست كلها قرآن، فمنها الشاذ والضعيف والباطل وكل ذلك لا يُتعبد به، قال القرطبي: «أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن، ولا يُعمل بها على أنها منه، وأحسنُ محاملها أن تكون بيانَ تأويل مذهب من نُسبت إليه كقراءة ابن مسعود: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، فأما لو صَرّح الراوي بسماعها من رسول الله ﷺ فاختلف العلماء في العمل بذلك على قولين: النفي والإثبات، وجه النفي: الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن، ولم يَثْبُت فلا يَثْبَت .

والوجه الثاني: أنه وإن لم يثبت كونه قرآنا فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الآحاد. »[732].

قال ابن الجزري: «وَكُلُّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ رَدُّهُ وَلَزِمَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِنَّ كُلَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا واتباع مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إِحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِقَوْلِهِ: " لَا تَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ وَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَسَاقَطُ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ، حُدُودُهَا وَقِرَاءَتُهَا وَأَمْرُ اللَّهِ فِيهَا وَاحِدٌ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ

---

[730] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 79.

[731] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ، ج1، ص 48.

[732] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 79.

الْآخَرُ كَانَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَةٍ فَلَا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ » [733].

المطلب الرابع: أحاديث نشأة القراءات

كلف الله نبيه تبليغ القرآن ولم يكلفه حفظه قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ومن فضل الله أن القراءات نشأت وظهرت وتبين الاختلاف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقر الاختلاف وأقر القراءات وبيّن للصحابة أن كل ذلك قرآن .

قال ابن عطية: أباح الله تعالى لنبيه ﷺ هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل ﷺ في عارضته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف، ولم تقع الإباحة في قوله ﷺ (فاقرءوا ما تيسر منه) [734]، بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرّضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسّع بها على أمته، فأقرأ مَرّة لأبيّ بما عارضه به جبريل، ومرّة لابن مسعود بما عارضه به أيضا، وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة (الفرقان)، وقراءة هشام بن حَكيم لها، وإلا كيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في كل قراءة منهما وقد اختلفا: (هكذا أقرأني جبريل) هل ذلك إلا أنه أقرأه مر ة بهذه، وعلى هذا يحمل قول أنس حين قرأ: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأصوب قيلا) فقيل له: إنما نقرأ (وأقوم قيلا). فقال أنس: وأصوب قيلا، وأقوم قيلا وأهيأ، واحد، فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:9).

---

[733] ابن الجزري، النشر، ج1، ص51.

[734] هو عجز الحديث الآتي:(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: إِنَّ هَذَا القرآن أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ عَنْ عُمَرَ- رقم5041، ج6، ص194.

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن الحكيم يقرأ سورة (الفرقان) على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقْرأنِيها، فكدت أن أَعْجَل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته[735] بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة (الفرقان) على غير ما أقرأتنيها! فقال رسول الله ﷺ: (أرْسِلْه اقْرأ) فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: (هكذا أنزلت) ثم قال لي (اقرأ) فقرأت فقال: (هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه). رواه البخاري[736] ومسلم[737] وغيرهما[738].

قال القرطبي: «وفي معنى حديث عمر، ما رواه مسلم عن أُبَيّ بن كعب قال كنت: في المسجد فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سِوَى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة فأنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سِوَى قراءة صاحبه، فأمرهما النبي ﷺ فقرآ، فحسن النبي ﷺ شأنهما، فَسُقط في نفسي من التكذيب ولا إذا كنت في الجاهلية، فلما رأى النبي ﷺ ما قد غشيَني، ضرب في صدري ففضت عرقا، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فَرَقا، فقال لي: « يا أُبَيّ أُرْسلَ إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن أهوّن على أمّتي فردّ إليّ الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن أهوّن على أمّتي فردّ إليّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فَلَكَ بكل ردّة رَدَدْتُكَها مسألة تسألينها فقلت اللّهم اغفر لأمتي اللهم أغفر لأمتي وأخّرت الثالثة ليوم يرغب فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»[739].

---

[735] لببته بردائه: أي جمعت ثيابه عن صدره ونحره، ثم جررته.

[736] صحيح البخاري، ج3، ص122، رقم 2419 .

[737] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ)، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ - 1996م، رقم 1851، ج2، ص 412.

[738] مسند الإمام أحمد، رقم158،ح1، ص233.

[739] أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت 387هـ)، الإبانة الكبرى، تح: حققه: رضا بن نعسان معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1415 هـ - 1994 م، ج 2، ص615، رقم800.

قول أُبيّ ﷺ: (فسقط في نفسي)؛ معناه اعترتني حَيْرة ودهشة؛ أي أصابته نزغة من الشيطان ليشوش عليه حاله، ويكدّر عليه وقته، فإنه عظم عليه من اختلاف القراءات ما ليس عظيما في نفسه، وإلا فأيّ يلزم من المحال والتكذيب من اختلاف القراءات، ولم يلزم لك والحمد لله في النَسخ الذي هو أعظم، فكيف بالقراءة! »[740].

ولما رأى النبي ﷺ من ذلك الخاطر نبّه بأن ضربه في صدره، فأعقب ذلك بأن انشرح صدره وتنوّر باطنه، حتى آل به الكشف والشرح إلى حالة المعاينة، ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله تعالى وفاض بالعرق استحياء من الله تعالى، فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبي ﷺ حين سألوه:

إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظَمُ أحدُنا أن يتكلم به- قال: (وقد وجدتموه)؟

قالوا: نعم، قال: (ذلك صريحُ الإيمان). أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة[741].

المبحث الثاني: قضايا جمع القرآن في مقدمة الجامع

المطلب الأول: جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ

كان القرآن في مدّة النبي ﷺ متفرقا في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صُحُف وفي جَريد وفي لخاف وظُرَر وفي خَزَف وغير ذلك[742]- قال الأصمعي: اللخاف: حجارة بيض رقاق، واحدتها لَخْفة. والظُرَر: حجر له حدّ كحد السكين، والجمع ضرار، مثل رُطَب ورطاب، ورُبع ورباع، وظرّان أيضا مثل صُرَد وصردان- فلما اسْتَحرّ[743] القتلُ بالقراءة في يوم اليمامة في زمن الصديق ﷺ، وقُتل منهم في ذلك اليوم فيما قيل سبعمائة، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله

---

[740] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 81.

[741] صحيح مسلم، رقم132، ج 1، ص119.

[742] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 83.

[743] اسحرّ: أي اشتد وكثر.

عنهما بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القرّاء، كأبيّ وابن مسعود وزيد، فندبا زيد بن ثابت[744] إلى ذلك، فجمعه غير مرتب السُّوَر، بعد تعب شديد، ﷺ.

روى البخاريّ عن زيد بن ثابت قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد اسْتَحَرّ يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهَب الكثير من القرآن إلاّ أن تجمعوه، وإني لأرى تجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيتُ الذي رأى عمر. قال زيد: وعنده عمر جالس لا يتكلم، فقال لي أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نَتّهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن، قلت فوالله لو كلفني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيء لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! فقال أبو بكر: هو و الله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر»[745].

لقد بين الحديث المعايير التي من اجلها اختار أبو بكر وعمر "زيد بن ثابت" فهو:

- شاب عاقل لا يتهم في دينه: إن جمع القرآن يحتاج إلى جهد وصبر وجلد، والبحث عن المكتوب، والنظر فيه. وهو بذلك يتفوق على عبد الله بن مسعود بالزمن، فابن مسعود رجل في السبعين من عمره. وإن زيد بن ثابت عُرف أنه كاتب رسول الله ﷺ ولم يكن متهما فتنزل درجته عند الصحابة.

- أنه كان يكتب الوحي للرسول ﷺ.

---

(744) زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: غَلَبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ النَّاسَ عَلَى اثْنَتَيْنِ: الْفَرَائِضِ، وَالقرآن.وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَدُفِنَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «هَذَا حَبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ» .وَقَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَدُفِنَ، قَالَ ابْنُ الْعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هَكَذَا يَذْهَبُ الْعِلْمُ» .قِيلَ: مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ.(سير السلف الصالحين إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت 535هـ) تح: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ص418.

(745) صحيح البخاري، رقم4986، ج 6، ص 183.

- وصفة أخرى لم يذكرها الحديث، وذكرت في مواطن أخرى من كتب علوم القرآن وهي«أنه شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل، وهي التي بيّن فيها ما نُسخ وما بقي. قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفيّ فيه، مرتين. وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتابة المصاحف رضي الله عنهم أجمعين»[746].

قال زيد بن ثابت: ««فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف[747] والعُسُب[748] وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة (التوبة) آيتين مع ابن خُزيمة[749] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ (التوبة: 128)، إلى آخرها. فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثم عند عمر حتى توفّاه الله ثم عند حفصة بنت عمر. وقال الليث: حدثني عبد الرحمان بن غالب عن ابن شهاب وقال: مع أبي خزيمة الأنصاري. وقال أبو ثابت حدثنا إبراهيم وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (التوبة:129).

---

[746] أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت 665ه)، المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تح: طيالي ألي قولاج، دار صادر ، بيروت، 1395ه/1975ه، ج1، ص69.

[747] الأكتاف: جمع كتف، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم.

[748] العسب:جمع عسيب وهو جريد النخل إذا نزع منه خوصه.

[749] خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبرنا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، أخبرنا عَبْدُ الصَّمَدِ الْعَاصِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُجَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ الْبُجَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ السِّمْنَانِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أخبرني خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " لَمَّا نَسَخْنَا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، فُقِدَتْ آيَةٌ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقْرَأُهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَلَمْ أَجِدْهَا إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ، الَّذِي جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ، شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23] "من كبار الصحابة شهد بدراً، وقتل مع علي بصفين سنة: 37، وهو غير أبي خزيمة راوي الحديث. سير السلف الصالحين، ص 402.

وقال الترميذي في حديثه عنه: فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (التوبة: 128، 129). قال: حديث حسن صحيح[750].

وقال الترميذي عنه: فقدتُ آية من سورة (الأحزاب) كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ (الأحزاب: 23). فالتمستها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت، فألحقتها في سورتها [751]. وهو مَن شهادته تعدل شهادة رجلين، وذلك «أن النبي ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي، وباع ذلك الأعرابي الفرس لرجل آخر بسعر اكبر، فجاء النبي ﷺ يطلب الفرس فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أني قد بايعتك، فقال خزيمة: أنا اشهد انك بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بما تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين»[752].

لقد ذكر القرطبي مجريات الجمع كما ذكرت في كتب الصحاح، والذين شككوا في الجمع ظنوه جمعا شفويا، وإن الأفعال التي قالها زيد لا تدل على المحفوظ ولكنها تدل على المكتوب (فقدت) لا تتناسب مع نسيت أو جهلت أو تناسيت (كنت أسمع رسول الله ﷺيقرؤها)، (فالتمستها) يعني بحثت عنها والبحث هنا عن شيء مادي ملموس (فوجدتها) وجد الآية وحملها بيده لتتم كتابتها كما كتب القرآن كله (فألحقتها في سورتها).

---

(750) سنن الترميذي، رقم 3103،ج5، ص 283.

(751) سنن الترميذي، رقم 3104، ج5، ص 284.

(752) الجصاص أحمد بن علي بن أبي بكر الرازي الحنفي (ت370ه)، أحكام القرآن، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، 1405ه، ج2، ص 242.

كل ألفاظ الحديث الذي ذكره البخاري ونقله عنه المفسرون تدور حول الكتابة ولذلك لابد من إعادة النظر في قضية جمع أبي بكر للقرآن وصياغته بطريقة أخرى بالاعتماد على كل النصوص الصحيحة التي أرخت للمصحف.

المطلب الثاني: الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه ورضَا الصحابة بصنيعه.

فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه، وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟ قيل له: إن عثمان رضي الله عنه لم يَقْصد بما صنع جَمْعَ الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم ووقع بين أهل الشام والعراق [753] ما ذكره حذيفة رضي الله عنه: وذلك أنهم اجتمعوا في غَزْوة أَرْمِينِيَة فقرأت كل طائفة بما رُوِي لها، فاختلفوا وتنازعوا وأظهر بعضهم إكفار بعض والبراءة منه وتلاعنوا، فأشفق حذيفة مما رأى منهم، فلما قدم حذيفة المدينة - فيما ذكر البخاريّ ومسلم [754]، دخل على عثمان قبل أن يدخل إلى بيته، فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تَهْلِك! قال: فيماذا؟ قال: في كتاب الله، إني حضرت الغزوة، وجَمَعت ناساً من العراق والشام والحجاز، فوصف له ما تقدّم وقال: إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى» [755].

وفي هذه المسألة لبيان للدوافع التي من أجلها جمع عثمان المصحف مع أنه جمعه من قبله أبو بكر الذي كان قد جمعه مخافة أن يضيع لأن القراء ماتوا وعددهم تناقص ولكن عثمان جمعة لأن المسلمين اختلفوا فيه.

فالجنود في الفتوحات الإسلامية عراقيين كانوا أم شاميين هم عوان لا يعرفون للقراءات معنى وكلٌ قد تعلم طريقة واحدة في قراءة القرآن ولذلك خطأ بعضهم بعضا . وعمل سيدنا عثمان هنا هو درء

---

[753] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 85.

[754] صحيح بخاري، ج 6، ص 183، رقم 4987. و صحيح مسلم، رقم144، ج 1، ص130

[755] الطبري، جامع البيان، ج1، ص60.

الخلاف وإنهاء الفتنة فجمع القرآن ليظهر القراءات فجمعُه لم يكن بنسخ ماعمله أبو بكر وإنما طلب من أمنا حفصة أن ترسل له النسخ لينسخها ويثبت القراءات.

قلت[756]: وهذا أدل دليل على بطلان من قال: إن المراد بالأحرف السبعة قراءات القراء السبعة، لأن الحق لا يختلف فيه، وقد روى سُوَيد بن غَفَله[757] عن عليّ بن أبي طالب ﷺ أن عثمانﷺ قال: ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى أن الرجل ليقول: قراءتي خير من قراءتك، وقراءتي أفضل من قراءتك. وهذا شبيه بالكفر، قلنا: ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين؟ قال: الرأي عندي أن تجمع الناس على قراءة، فإنكم إذا اختلفتم إلى اليوم كان مَن بعدكم أشد اختلافا، قلنا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير[758] وسعيد بن العاص[759] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[760] فنسخوها في المصاحف[761].

وقال عثمانﷺ للرهط القرشيين:

---

[756] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 86.

[757] سويد بن غفلة النخعي الكوفي المعمر: ولد عام الفيل أو بعده بعامين وحدث عن أبي بكر وعمر وعلي وأبي رضي الله عنهم وطائفة وعنه إبراهيم النخعي وسلمة بن كهيل وعبدة بن أبي لبابة وآخرون وكان ثقة نبيلا عابدا زاهدا كبير الشأن رحمه الله، يكنى النية مات سنة إحدى وثمانين . تذكرة الحفاظ، ج1، ص43.

[758] عَبد اللَّهِ بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسدالْقُرَشِي الأسدي، وأمه أسماء بنت أَبِي بَكْر الصديق. ولد بَعْد الهجرة بعشرين شهرا، وقيل: ولد فِي السنة الأولى من الهجرة. رَوَى عَن: النَّبِي ﷺ، وعَن أَبِيهِ الزُّبَيْر بْن العوام، وعثمان بْن عَفَّان، وعلي بْن أَبِي طالب، وعُمَر بن الخطاب، وجده أَبِي بَكْر الصديق، وخالته عَائِشَة أم الْمُؤْمِنِينَ .رَوَى عَنه: بشير شيخ لسفيان الثَّوْرِي، وابناه: عَامِر بْن عَبد اللَّهِ بْن الزُّبَيْر، وعباد بْن عَبد اللَّهِ بْن الزبير، وخلق كثير.قتله الْحَجَّاج، سنة ثَلاث وسبعين. الكلبي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج14، ص512.

[759] سَعِيد بن العاص بن أَبِي أحيحة بن أمية الْقُرَشِيّ، قال مُحَمَّد بْن سَعْد : قبض النَّبِيّ ﷺ وهُوَ ابْن تسع سنين. وَقَال سَعِيد بْن عَبْد الْعَزِيز: إن عربية القرآن أقيمت على لسانه، لأنه كَانَ أشبههم لهجة بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وهُوَ أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بْن عَفَّان،رَوَى عَن: النَّبِيّ ﷺ مُرْسلاً، وعن عُثْمَان بْن عَفَّان، وعُمَر بْن الخطاب، وعائشة أم المؤمنين .رَوَى عَنه: ابْن حفيده أَيُّوب بن موسى بن عَمْرو بْن سَعِيد بْن العاص ولم يدركه، وسالم بْن عَبد اللَّهِ بْن عُمَروقَال البُخارِيُّ : قال مسدد: مات سَعِيد بْن العاص، وأَبُو هُرَيْرة، وعائشة، سنة سبع أو ثمان وخمسين. الكلبي،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج10، ص509.

[760] أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القريشى المخزومى المدنى التابعى أحد فقهاء المدينة السبعة، سمع أباه عبد الرحمن الصحابى، وأبا هريرة، وعائشة، وأم سلمة، وغيرهم.روى عنه مجاهد، وعكرمة بن خالد، وعمر بن عبد العزيز، وآخرون. ولد فى خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وكان مكفوفًا،قال: وكان ثقة، فقيهًا، عالمًا، عاقلاً، سخيًا، كثير الحديث.قال ابن خراش: أبو بكر هذا أحد أئمة المسلمين. توفى سنة أربع و تسعين. ، النووي تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص195.

[761] أنظر: تفسير القرطبي، برقم 74، والمصاحف، لابن أبي داود، ص 30.

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا، الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. وكان هذا من عثمان ﷺ بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجِلّة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك، فاتفقوا بجمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ واطّراح ما سواها، واستصوبوا رأيه وكان رأيا سديدا موفّقا، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين، وقال الطبري فيما روى: أن عثمان قَرَن بزيد أَبَانَ بن سعيد بن العاصي[762] وحده، وهذا ضعيف[763]. وماذكره البخاري وغيره أصح.

وقال الطبري:« إن الصحف التي كانت عند حفصة جُعلت إمامًا في هذا الجمع الأخير، وهذا صحيح»[764].

وقال ابن شهاب: وأخبرني عبيد الله بن عبد الله[765] أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين، أعزلُ عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل، و الله لقد أسلمت وإنه لفي صُلب رجل كافر! يريد زيد بن ثابت. ولذلك قال عبد الله بن مسعود: يا أهل

---

[762] أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. وأمره رسول الله ﷺ على بعض سراياه، واستعمل رسول الله ﷺ أبان بن سعيد بن العاصي على البحرين برها وبحرها، فلم يزل عليها أبان إلى أن توفي رسول الله ﷺ، وقال موسى بن عقبة: قتل أبان بن سعيد يوم أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة.وكان أبان بن سعيد هو الذي تولى إملاء مصحف عثمان رضى الله عنه على زيد بن ثابت، أمرهما بذلك عثمان، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م ج1، ص64.

[763] هو كما قال المصنف، ففي رواية البخاري المتقدمة (وقال عثمان للرهط القريشيين الثلاثة..) والثلاثة هم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. انظر: صحيح البخاري رقم 4987.

[764] الطبري، جامع البيان، ج1، ص 61.

[765] عُبَيْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ الهُذَلِيُّ المَدَنِيُّ الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، مُفْتِي المَدِيْنَةِ، وَعَالِمُهَا، وَأَحَدُ الفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ، الأَعْمَى..وُلِدَ: فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ، أَوْ بُعَيْدَهَا. وَحَدَّثَ عَنْ: عَائِشَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، وَطَائِفَةٍ. وَعَنْ: عُمَرَ، وَعَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ، وَعُثْمَانَ بنِ حُنَيْفٍ، وَغَيْرِهِم مُرْسَلاً.وَعَنْهُ: أَخُوْهُ، وَالزُّهْرِيُّ، وَضَمْرَةُ بنُ سَعِيْدٍ المَازِنِيُّ، و، قَالَ الوَاقِدِيُّ: كَانَ ثِقَةً، عَالِماً، فَقِيْهاً، كَثِيْرَ الحَدِيْثِ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُ، وَمَاتَ عُبَيْدُ اللهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِيْنَ. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج4، ص478.

العراق، اكتموا المصاحف التي عندكم وغُلُّوها، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ (آل عمران: 161) فالقوا الله بالمصاحف، أخرجه الترمذي[766].

قال أبو بكر الأنباريّ: ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن، وعبد الله من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلا لأن زيد كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وَعاه كلّه ورسول الله ﷺ حيّ، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله ﷺ نيّف وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله ﷺ حيّ أوْلى بجمع المصحف وأحق بالإيثار والاختيار.

ولا ينبغي أن يظنّ جاهل أن في هذا طعنًا على عبد الله بن مسعود، لأن زيدا إذا كان أحفظ منهما فليس ذلك موجباً لتقدمه عليه، لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن وليس هو خيراً منهما ولا مساويا لهما في الفضائل والمناقب.

قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشيء نَتَيجة الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم. فالشائع الذائع المتعالَم عند أهل الرواية والنقل: أن عبد الله بن مسعود تعلم بقية القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ[767].

وقد قال بعض الأئمة: مات عبد الله بن مسعود قبل أن يختم القرآن. قال يزيد بن هارون: المعوذتان بمنزلة البقرة وآل عمران، ومن زعم أنهما ليستا من القرآن فهو كافر بالله العظيم، فقيل له: فقول عبد الله بن مسعود فيهما؟ فقال: لا خلاف بين المسلمين في أن عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كلّه.

---

[766] سنن الترمذي، رقم 3104، ج5، ص 284.

[767] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 88

قال القرطبي: هذا فيه نظر[768]، وروى إسماعيل بن إسحاق وغيره قال حماد [769] أظنه عن أنس بن مالك، قال: كانوا يختلفون في الآية فيقولون أقرأها رسول الله ﷺ فلان بن فلان، فعسى أن يكون من المدينة على ثلاث ليال فيُرسَل إليه فيُجاء به، فيقال: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيكتبون كما قال. قال ابن شهاب: واختلفوا يومئذ في التابوت، فقال زيد: التابوه. وقال ابن الزبير وسعيد بن العاصي: التابوت، فرُفع اختلافهم إلى عثمان فقال: أكتبوه بالتاء، فإنه نزل بلسان قريش. أخرجه البخاري [770] والترميذي[771]. قال علم الدين الجندي كتبه زيد بالهاء والقرشيون بالتاء، فأثبتوه بالتاء لأن أهل المدينة كانوا يكتبون التاء مربوطة مثل رحمة ونعمة أما أهل مكة فكانوا يكتبون التاء مفتوحة ولذلك جاء الرسم القرآني بالتاء مفتوحة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم .[772]

«وكتبت المصاحف على ما هو عليه غابر الدهر، ونسخ منها عثمان نسخًا. قال غيره: قيل سبعة، وقيل أربعة وهو الأكثر، ووجّه بها إلى الآفاق، فوجه للعراق والشام ومصر بأمّهات، فاتخذها قرّاء الأمصار معتمد اختياراتهم السبعة من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم فذلك لأن بعض النسخ ولم يكتبها في بعض إشعارا بأن كل ذلك صحيح، وأن القراءة بكل منها جائزة. قال ابن عطية: ثم إن عثمان أمر بما سواها من المصاحف أن تُحرَق أو تُخرق، تروى بالحاء غير منقوطة وتروى بالحاء غير المنقوطة وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن[773].

---

[768] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 74.

[769] حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أَبُو إسماعيل البَصْرِيّ الأزرق قال أَبُو حاتم بن حبان: كان ضريرا، وكان يحفظ حديثه كله. رَوَى عَن: أبان بن تغلب والأئمة في الحديث أربعة: الأَوْزاعِيّ، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد .قال يزيد بن زريع يوم مات حماد بن زيد: مات اليوم سيد المسلمين.ولد سنة ثمان وتسعين.وَ مات سنة تسع وسبعين ومئة. الكلبي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج7، ص239.

[770] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م، ج 10، ص225.

[771] سنن الترمذي، رقم 3104، ج5، ص 284.

[772] ينظر : الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1،ص89.

[773] صحيح البخاري، ج 6 ص 183 رقم 4987 بالحاء.

ومع أن كثيرا من الباحثين الغربيين تناولوا بالنقد والتحليل والجرأة سلامة النصوص المقدسة، وجزموا بتحريف كثير منها، غير أنهم لم يطالوا بنقدهم سلامة النّص القرآني إلا ما كان من بعض أصحاب الهوى الذين لم يجدوا من يهتم بأقوالهم وأفكارهم التي تفتقر إلى أدنى درجات التحقيق العلمي.

ولعل أوضح تجربة معاصرة في هذا الاتجاه هي ذلك البحث العلمي الرصين الذي قام به المفكر الفرنسي (موريس بوكاي) تحت عنوان: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، والذي انتهى من خلاله- وعلى طريقة البحث الموضوعي المجرد- إلى إثبات التحريف في التوراة والإنجيل، ثم إثبات سلامة النّص القرآني من أي تبديل أو تحريف أو تغيير. وقد لخّص (موريس بوكاي) نتيجة بحثه بقوله:

«إن لتنزيل القرآن تاريخا يختلف تماما عن تاريخ العهد القديم والأناجيل. فتنزيله يمتدّ على مدى عشرين عاما تقريبا، وبمجرد نزول جبريل به على النّبي ﷺ كان المؤمنون يحفظونه عن ظهر قلب، بل قد سجّل كتابة حتى في حياة محمد ﷺ. إن التّجمعات الأخيرة للقرآن التي تمت في خلافة عثمان، فيما بين اثني عشر عاما وأربعة وعشرين عاما بعد وفاة النّبي ﷺ قد أفيدت من الرقابة التي مارسها هؤلاء الذين كانوا يعرفون النّص حفظا. بعد أن تعلّموه في زمن التّنزيل نفسه، وتلوه دائما فيما بعد، ومعروف أن النّص منذ ذلك العصر قد ظلّ محفوظا بشكل دقيق، وهكذا فإن القرآن لا يطرح مشاكل تتعلق بالصحة.

إن القرآن- وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه- لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهي السمة البارزة في مختلف صياغات الأناجيل، بل يظهر أيضا لكل من يشرع في دراسته بموضوعية، وعلى ضوء العلوم طابعه الخاص، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك- ولما أثبتناه- يكشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنسانا في عصر محمّد ﷺ قد استطاع أن يؤلّفها، وعلى هذا، فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن.

إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايات الموضوعات نفسها في القرآن، تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علميّا، وبين مقولات القرآن التي تتوافق مع المعطيات الحديثة [774].

وقد أدى اشتغال الدكتور موريس بوكاي ببحوث توثيق الكتب المقدسة إلى إعلان دخوله في الإسلام في نهاية المطاف، وذلك في باريس عام 1403 هـ/ 1983 م [775].

وما يزال العلماء والعارفون يبحثون وينظرون في تاريخ القرآن ويقارنون بين تاريخه وتاريخ الكتب السماوية الأخرى ولا شك أنهم سيقفون عند الحقيقة العظمى أنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأنهم مهما بحثوا فإنهم لن يجدوا الاختلاف المفضي إلى ترك بعضه ولا أقل من ذلك.

رضا الصحابة بصنيع عثمان رضي الله عنهم أجمعين:

إن ما فعله عثمان رضي الله عنه، فعله والصحابة شهود. وإن كان قد لاقى اعتراضا من بعضهم في أول الأمر. وهو أمر منطقي ومقبول إلى حد بعيد . ولو لم يعترض ابن مسعود لكان ذلك محيرا، إنه مصحفه الذي كتبه بيده بين يدي أشرف الخلق وأحبهم إليه رسول ﷺ ثم يطلب منه أن يحرقه. لابد أن ابن مسعود قد أتعبه هذا الأمر وهده ولكن قوة الحق عنده أقوى مما يحب فوقف عند أمر الأمة وأذعن وأطاع وأحرق مصحفه. إلا أن ما كتبه محفوظ في الصدور وما يزال الناس يقولون: وكان مصحف ابن مسعود كذا وكذا.

قال القرطبي : «ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الردّ عن سُوَيد بن غفلة قال: سمعت عليّ بن أبي طالب ﷺ يقول: يا معشر الناس، اتقوا الله! وإيّاكم والغُلُوّ في عثمان، وقولكم: حرّاق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ» [776].

---

[774] أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة،(دط)، (دت) ، ص 234 -235.

[775] نقلا عن كتاب: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر، دمشق،ط 1، 1419 هـ - 1999 م، ص25.

[776] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص88، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ)، شرح السنة، تح: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م، ج4، ص524.

وعن عُمير بن سعيد[777] قال: علي بن أبي طالب ﷺ: ولو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان[778].

قال أبو الحسن بن بطّال[779] :« وفي أمر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، وإن ذلك إكرام لها وصيانة عن الوطء بالأقدام، وطرحها في ضياع من الأرض، وروى معمر بن أبي طاوس عن أبيه: أنه كان يحرق الصحف إذا اجتمعت عنده الرسائل فيها بسم الرحمان الرحيم. وحرق عروة بن الزبير[780] كتب فقه عنده يوم الحَرّة، وكره إبراهيم أن تحرق الصحف إذا كان فيها ذكر الله تعالى، وقول من حرقها أولى بالصواب، وقد فعله عثمان. وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأمة: جائز للإمام تحريق الصحف التي فيها القرآن، إذا أدّاه الإجتهاد إلى ذلك»[781]. قال القرطبي الحروف تُحرق وكلام الله باق[782]: (لو كان القرآن في إهاب ثم وقع في النار ما احترق) وقال الله ﷻ : (أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان) الحديث أخرجه مسلم[783] فثبت بهذا أن كلامه سبحانه ليس بحرف ولا يشبه الحروف) .

ولذلك فالقرآن هو الوحي والقراءات هي كيفية آداء ألفاظ الوحي.

---

(777) عمير" بن سعيد النخعي الصهباني أبو يحيى الكوفي روى عن علي وأبي موسى وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود والحسن بن علي وعلقمة ومسروق وغيرهم روى عنه الشعبي والسبيعي والأعمش وعدة وذكره بن حبان في الثقات وقال مات سنة سبع ومائة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، 1326هـ، ج8، ص146.

(778) هذا الأثر أخرجه أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت 316هـ)، كتاب المصاحف، تح: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط 1، 1423هـ - 2002م، ص67. جاء بلفظ (حدثنا عبد الله قال حدثنا سهل بن صالح قال: حدثنا أبو داود ويعقوب قالا: أخبرنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سويد بن غفلة قال: قال علي في المصاحف: «لو لم يصنعه عثمان لصنعته».

(779) هو الإمام العالم أبو الحسن بن بطال، صاحب التصانيف، منها شرح البخاري، تقدم ذكره.

(780) عُرْوَة بن الزبير بن الْعَوام الْقرشِي الْأَسدي الْفَقِيه الإِمَام الْمدنِي روى عَن أَبِيه وَعَائِشَة وَأبي هُرَيْرَة وَابْن عَبَّاس وَطَائِفَة وَهُوَ أحد الْفُقَهَاء السَّبْعَة. وَهُوَ أول من صنف الْمَغَازِي قَالَ حميد بن عبد الرَّحْمَن لقد رَأَيْت أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَإِنَّهُم ليسألون عُرْوَة .ولد سنة اثْنَتَيْنِ وَعشْرين وَقيل سِتّ وَعشْرين وَتُوفِّي سنة أَربع وَتِسْعين وروى لَهُ الْجَمَاعَة. الوافي بالوفيات، ج19، ص 361.

(781) ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م، ج 10، ص226.

(782) الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 90.

(783) هو حديث قدسي، صحيح مسلم، رقم2865،ج 4، ص 2197.

المطلب الثالث: رد القرطبي على الرافضة.

قال : وقد طعن الرافضة [784]في القرآن، وقالوا: إن الواحد يكفي في نقل الآية والحرف كما فعلتم، فإنكم أثبتم بقول رجل واحد وهو خزيمة بن ثابت وحده آخر سورة (براءة) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة 128) وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ (الأحزاب: 23). فالجواب أن خزيمة ﷺ لما جاء بهما تذكّرهما كثير من الصحابة، وقد كان زيد يعرفهما، ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة (التوبة). ولو لم يعرفهما لم يدر هل فَقَدَ شيئاً أوْلا[...]فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده [785].

إن القرطبي يقول هذا الكلام كما قاله المفسرون وهم في معرض الحديث عن جمع المكتوب في السطور، لا جمع المحفوظ في الصدور والذي طلبه الثلاثة في المدينة من أهلها هو المكتوب .فلم توجد هذه الآية مكتوبة إلا عند خزيمة . ولماذا وجدت كلمة الشهادة ؟ لأن الثلاثة أبو بكر وعمر وزيد رضي الله عنهم اشترطوا المكتوب وكل من كان عنده فليأت به ومعه شاهدان يشهدان أن هذا كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخزيمة لم يكن لديه الشاهدان فاستعان بما وصفه النبي ﷺ أن شهادته تعدل شهادة رجلين.

وإن تفاسير الشيعة تؤكد أنهم لا يؤمنون بالقراءات لأنها منقولة آحادا قال السيد الخوئي: «قد أسلفنا في التمهيد من بحث " أضواء على القراء " بعض الآراء حول تواتر القراءات وعدمه وأشرنا إلى ما ذهب إليه المحققون من نفي تواتر القراءات، مع أن المسلمين قد أطبقوا على تواتر القرآن نفسه» [786]، ثم بدأ الخوئي يستعرض ما يراه أدلة لبطلان تواتر القراءات قال : (والآن نبدأ بالاستدلال على ما اخترناه من عدم تواترها بأمور:

---

[784] الرافضة فأول ما ترفضت جاءوا إلى زيد بن علي حين خرج وقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك، قال: بل أتولاهما، قالوا: إذن نرفضك، فسميت الرافضة. والزيدية قالوا: نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما وخرجوا مع زيد فسميت الزيدية. فوات الوفيات، ج2، ص36.

[785] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 92.

[786] الخوئي، جامع البيان في تفسير القرآن، ص151

الأول: إن استقراء حال الرواة يورث القطع بأن القراءات نقلت إلينا بأخبار الآحاد[...] فكيف تصح دعوى القطع بتواترها عن القراء. على أن بعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته؟

الثاني: إن التأمل في الطرق التي أخذ عنها القراء، يدلنا دلالة قطعية على أن هذه القراءات إنما نقلت إليهم بطريق الآحاد.

الثالث: اتصال أسانيد القراءات بالقراء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد حتى لو كانت رواتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فإن كل قارئ إنما ينقل قراءته بنفسه.

الرابع: احتجاج كل قارئ من هؤلاء على صحة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضا، وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أن القراءات تستند إلى اجتهاد القراء وآرائهم، لأنها لو كانت متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحتج في إثبات صحتها إلى الاستدلال والاحتجاج.

الخامس: إن في إنكار جملة من أعلام المحققين على جملة من القراءات دلالة واضحة على عدم تواترها، إذ لو كانت متواترة لما صح هذا الإنكار فهذا ابن جرير الطبري أنكر قراءة ابن عامر، وطعن في كثير من المواضع في بعض القراءات المذكورة في السبع، وطعن بعضهم على قراءة حمزة، وبعضهم على قراءة أبي عمرو، وبعضهم على قراءة ابن كثير. «وأن كثيرا من العلماء أنكروا تواتر ما لا يظهر وجهه في اللغة العربية، وحكموا بوقوع الخطأ فيه من بعض القراء» [(787)].

ولقد تناول "عبد الصبور شاهين " آراء "الخوئي " في روايات أحاديث السبعة، وبين تواترها وسندها وحاول الرد على كل ما قاله الخوئي في رده لنزول القرآن على سبعة أحرف، قال "عبد الصبور شاهين": «رفض الخوئي رواية أحاديث الأحرف السبعة عن النبيﷺ . ووجهة نظر الشيعة في الأسانيد الصحيحة عند أهل السنة كلها مرفوضة، مادامت لم ترد من طريق أهل البيت، ولذلك وجدنا المؤلف يقرر ابتداءا أن هذه الروايات كلها من طرق أهل السنة، وهي مخالفة لصحيحة زرارة عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: «إن القرآن واحد نزل من عند واحد لكن الاختلاف يجيء من

(787) الخوئي، جامع البيان في تفسير القرآن، ص151.

قبل الرواة»[788]. قال سعيد الأفغاني : « ويعجبني من السفاقسي استدراكه على ما قد يرد على الخاطر إزاء التواتر ، فقد لفت الأنظار بقوله : ولايقدح في ثبوت التواتر اختلاف القراء : فقد تتوارد القراءة عند قوم دون قوم ، فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر . ولذا لم يعب أحد منهم على غيره قراءته لثبوت شرط صحتها عنده وإن كان هو لم يقرأ بها لفقد الشرط عنده» [789]

إن الجدال بين أهل السنة والشيعة باق، رسخته قرون؛ فلكل أصوله التي يعتمد عليها، والشيعة لا يقبلون بروايات أهل السنة، فالمسألة محسومة، يقول الخوئي :« لا قيمة لروايات إذا كانت مخالفة لما يصح (أي عن أهل البيت)، ولذلك لا يهمنا أن نتكلم عن أسانيد هذه الروايات، وهذا أول شيء تسقط به الرواية عن الاعتبار والحجية»[790]. فهذا الخلاف عمل القرطبي رحمه الله على أن يحسمه والجامع مليء بالمواطن التي فيها ينقض القرطبي آراء الشيعة . والشيعة جزء من جسم الأمة الإسلامية لها أصولها التي تعتمد عليها . وإن أول أصل لديهم هو المخالفة؛ مخالفة أهل السنة.

ولعله سيأتي جيل في المستقبل بعلم جديد وأدوات جديدة تحسم خلافا تاريخيا أصوليا بين.أهل السنة والشيعة .

والحقيقة التي سارت عليها الأمة وسار عليها القراء أن القراءة يرفع لواءها قارئ بعينه على أمة تسمعه وتراقبه؛ فالقراءة ليست عملا منعزلا عن جمهور الناس،- ثم فجأة يخرج لهم بها- وإنما القراءة قرينة الإقراء فالعملية على الدوام يرقبها أهل العلم وإذا خرجت عن الجادة ، فإن أهل الصنعة بالمرصاد والقرآن على أفواه الناس لايفترون عنه.

وقد ذكر القرطبي في مواطن كثيرة وخاصة من المقدمة مقالات الشيعة في الطعن في القرآن وقد حاول رد شبهاتهم والمقام في هذا البحث لا يتسع لعرضها . وإن المناظرات عبر التاريخ بين أهل السنة والشيعة سجال لا يفتر الصدام بينهما وإنا نسأل الله السلامة للشعوب الإسلامية كافة .

---

(788) عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص54.

(789) ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد رحمه الله، حجة القراءات ، تح: سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط5، 1418ه 1997م، مقدمة المحقق، ص 13- 14.

(790) عبد الصبور شاهين، المرجع السابق، ص 55.

قال ابن مجاهد: «وَالْقِرَاءَة الَّتِي عَلَيْهَا النَّاس بِالْمَدِينَةِ وَمَكَّة والكوفة وَالْبَصْرَة وَالشَّام هِيَ الْقِرَاءَة الَّتِي تلقوها عَن أوليهم تلقيا وَقَامَ بهَا فِي كل مصر من هَذِه الْأَمْصَار رجل مِمَّن أَخذ عَن التَّابِعين أَجمعت الْخَاصَّة والعامة على قِرَاءَته وسلكوا فِيهَا طَرِيقه وتمسكوا بمذهبه على مَا روى عَن عمر بن الْخطاب وَزيد بن ثَابت وَعُرْوَة بن الزبير وَمُحَمّد بن الْمُنْكَدر وَعمر بن عبد الْعَزِيز وعامر الشّعبِيّ» [791].

عن أنس بن مالك قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعةٌ كلهم من الأنصار: أُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل[792]، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت لأنس: مَن أبو زيد ؟ قال: أحد عمومتي .رواه الشيخان[793].

وفي البخاريّ عن أنس قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء[794]، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه [795].

قال أبو الطيّب رضي الله عنه: لا تدل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه في حياة النبي ﷺ ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار كما قال أنس بن مالك، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعليّ وتميم الداريّ وعُبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من في رسول الله ﷺ غير تلك الجماعة، فإن أكثرهم أخذ بعضه

---

[791] ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر البغدادي (ت 324هـ)، كتاب السَّبْعَة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص49.

[792] معاذ" بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي الخزرج الأنصاري الخزرجي وشهد بدرا والعقبة والمشاهد وروى عن النبي ﷺ وعنه بن عباس وأبو موسى الأشعري وقال مسروق عن عبد الله بن عمر وأربعة رهط لا أزال أحبهم بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن من أربعة من بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل" مات سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة. ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب، ج10، ص187.

[793] صحيح البخاري، رقم 3810، ج 5، ص 37. وصحيح مسلم، رقم2465، ج4، ص 1914.

[794] أَبُو الدَّرْدَاءِ واسمه عويمر.بْن زيد بْن قيس بْن عَائِشَة بن أمية بن مالك ابن عامر بْن عَدِيّ بْن كعب بْن الخزرج بْن الحارث بن الخزرج. وَقَدْ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَحَادِيثَ كَثِيرَةً. وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً.قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ شَهِدَ أُحُدًا. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - نَظَرَ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَالنَّاسُ مُنْهَزِمُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ فَقَالَ: نِعْمَ الْفَارِسُ عُوَيْمِرٌ غَيْرَ أُفَّةٍ. يَعْنِي غَيْرَ ثَقِيلٍ. وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مِنْ عِلْيَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - تُوُفِّيَ أَبُو الدَّرْدَاءِ بِدِمَشْقَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص276.

[795] صحيح البخاري، ج 6، ص 187، رقم 5004.

عنه وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم.

قال القرطبي : لم يذكر القاضي، عبد الله بن مسعود وسالما مولى أبي حُذيفة رضي الله عنهما فيما رأيت، وهما ممن جمع القرآن[796].

قال القرطبي قال عمر بن الخطاب: كنت مع رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ومن شاء الله، فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلي، فقال رسول الله ﷺ: (من هذا الذي يقرأ القرآن) ؟ فقيل له: هذا عبد الله بن أُمّ عَبْد، فقال: (إن عَبْد الله يقرأ القرآن غَضّا كما أنزل)[797]الحديث.

قال بعض العلماء: معنى قوله: (غضّا كما أنزل)؛ أي أنه كان يقرأ الحرف الأوّل الذي أنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التي رُخّص لرسول الله ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة جبريل عليه السلام القرآن إياه في كل رمضان. وقد روى وكيع[798] وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: قال لي عبد الله بن عباس: أيّ القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابن أُمّ عَبْد، فقال لي هي الآخرة، إن رسول الله ﷺ عرضه عليه مرتين، فحضر ذلك عبد الله، فعلم ما نُسخ منذ ذلك وما بدّل.

عن عبد الله بن عمر وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « خذوا القرآن من أربعة من ابن أمَ عبد - فبدأ به- ومعاذ بن جبل وأُبَيّ بن كعب وسالم مَوْلى أبي حُذيفة» وفي صحيح مسلم[799].

---

[796] الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 95.

[797] الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهاني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 هـ 1990،ج 3، ص358، رقم5386.

[798] وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبوسفيان الكوفي، من قيس عيلان. رَوَى عَن: أبان بن صمعة، وإبراهيم بن يزيد الخوزي، وخلق كثير. رَوَى عَنه: إبْرَاهِيم بْن سَعِيد الجوهري، وأحمد بن حنبل. قَال عَبد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل، عَن أبيه: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، ولا أحفظ من وكيع. ولد سنة تسع وعشرين ومئة. وَ مات سنة ست وتسعين ومئة. الكلبي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج30، ص483.

[799] صحيح مسلم، رقم 2464، ج 4، ص 1913.

قال القرطبي: هذه الأخبار تدل على أن عبد الله جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ خلاف ما تقدَم [800]،وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الردّ: حدّثنا محمد بن شهريار حدّثنا حسين بن الأسود حدّثنا يحي آدم عن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن مسعود:

قرأت من في رسول الله ﷺ اثنتين وسبعين سورة [801] – أو ثلاثاَ وسبعين سورة- وقرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: 222)، قال أبو إسحاق: وتعلّم عبد الله بقيّة القرآن من مُجَمَع بن جارية الأنصاري [802].

قلت: فإن صح هذا، صح الإجماع الذي ذكره يزيد بن هارون، فلذلك لم يذكره القاضي أبو بكر بن الطيب مع من جمع القرآن وحفظه في حياة النبي ﷺ.

قال القرطبي: قوله عليه السلام: " خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ فَبَدَأَ بِهِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ" [803] يدل على صحته، ومما يبين لك ذلك أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كلٌ منهم عَزَا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآن شيئاَ، فأسند عاصم قراءته إلى عليّ وابن مسعود، وأسند ابن كثير قراءته إلى أُبَيّ، وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أُبَيّ، وأما عبد الله بن عامر

---

[800] الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 96.

[801] سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 1، 1415 هـ - 1994 م، ج9 ، ص 74، رقم 8436. وجاء بلفظ (حدثنا محمد بن يحي بن منده الأصبهاني، ثنا بشر بن خالد العسكري، ثنا يحي بن آدم، ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن خمير بن مالك، قال: قال عبد الله: «لقد قرأت من في النبي ﷺ سبعين سورة» وزيد بن ثابت ذو ذؤابة يلعب مع الصبيان).

[802] مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع ويُقال: مجمع بن يزيد بن جارية بْن مجمع بْن مالك بن الأوس الأَنْصارِيّ الأوسي المدني، وهو أحد من جمع القرآن على عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلا شيئا يسيرا منه. رَوَى عَن: النَّبِيّ ﷺ . رَوَى عَنه: أَبُو الطفيل عامر بْن واثلة، وابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بْن جارية، وابنه يعقوب واخرون . قال الشعبي: جمع القرآن على عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ستة من الأنصار: معاذ بْن جبل، وأبي بْن كعب، وزيد بْن ثابت، وأبو زيد، وأبو الدرداء، وسعد بْن عُبَيد. توفي في خلافة معاوية. الكلبي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج27، ص 245.

[803] صحيح مسلم، رقم 2464، ج 4، ص 1913.

الشامي فإنه أسند قراءته إلى عثمان، وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ، وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات. قاله الخَطّابي.

المطلب الرابع: ترتيب السور:

قال أبو الطّيب: إن قال قائل قد اختلف السلف في ترتيب سور القرآن، فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها، وقدّم المكيّ على المدنيّ، ومنهم من جعل في أول مصحفه الحمد، ومنهم من جعل في أوله ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:1)، وهذا أوّل مصحف عليّ رضي الله عنه. وأما مصحف ابن مسعود فإن أوّله الفاتحة، ثم البقرة ثم النساء، على ترتيب مختلف. ومصحف أبيّ كان أوّله الفاتحة، ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة.

قال القرطبي وذكر ابن وهب في جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال يقول سمعت ربيعة[804] يسأل: لم قُدّمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلها بضع وثمانون سورة وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قُدّمتا وأُلّف القرآن على علم ممن ألّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ننتهي إليه، ولا نسأل عنه. وقد ذكر سُنيد قال: حدّثنا معتمر عن سلاّم بن مسكين عن قتادة قال قال ابن مسعود: من كان منكم متأسّياَ فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علماَ، وأقلها تكلُّفاَ، وأقومها هَدْياَ، وأحسنها حالا، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم. وقال قوم من أهل العلم: إن تأليف سُوَر القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ، وأما ما روي من اختلاف مصحف أبَيّ وعليّ وعبد الله فإنما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول الله ﷺ رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك. روى يونس عن ابن وهب قال: سمعت مالكاَ يقول: إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ. وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الردّ: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم لمستخبر يسأل، ويوقف جبريلٌ رسول الله ﷺ على موضع السور

(804) ربيعة بن عبد الرحمن بن حصن الغنوي . رَوَى عَن: جدته سراء بْنت نبهان ولها صحبة. رَوَى عَنه: أبو عاصم النبيل ذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات" .روى له الْبُخَارِيّ فِي كتاب"أفعال العباد"، وأبو داود حديثا واحدا، الكلبي،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج9، ص122.

والآية، فاتّساق السور كاتّساق الآيات والحروف، فكلُه عن محمد خاتم النبيين عليه السلام، عن ربّ العالمين، فمن أخر سورة مقدّمة أو قدّم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغيّر الحروف والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه الترتيب، وهو كان يقول:

(ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن)[805] وكان جبريل عليه السلام يقف على مكان الآيات.

قال القرطبي حدّثنا حسن بن الحباب حدّثنا أبو هشام حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن أبي إسحاق عن البراء قال: آخر ما نزل من القرآن: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء: 176). قال أبو بكر بن عياش: وأخطأ أبو إسحاق لأن محمد بن السائب الكلبي حدثنا عن أبي السائب عن ابن عياش قال: آخر ما نزل من القرآن﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: 281). فقال جبريل للنبيّ عليهما السلام: يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة.

قال أبو الحسن بن بطال : ومن قال بهذا القول لا يقول إن تلاوة القرآن في الصلاة والدرس يجب أن تكون مرتبة على حسب الترتيب الموقَّف عليه في المصحف، بل إنما يجب تأليف سوره في الرسم والخط خاصة، ولا يُعلم أن أحداً منهم قال: ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقَّن الكهف قبل البقرة ولا الحج قبل الكهف، ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها للذي سألها: لا يضرك أيَّةً قرأت قبلُ، وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تليها. وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر: أنهما كرها

[805] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1414 هـ - 1993 م، ج1، ص44.

أن يقرأ القرآن منكوساً، وقالا: ذلك منكوس القلب، فإنما عَنَيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة، ويبتدئ من آخرها إلى أوّلها لأن ذلك حرام محظور، وهذا حظّره الله تعالى ومنعه في القرآن، لأنه إفساد لسوره ومخالفة لما قصد بها.[806] إنَّ أَوَّلَ مَنْ نَقَطَ الْمُصْحَفَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ[807].

ولا بد من الحديث عن تاريخ الكتابة وصولا إلى نقط المصحف، فقد كان العرب أميين لا يستعملون الكتابة إلا لماما قال شوقي ضيف : «والحق أنه ليس بين أيدينا أي دليل مادي على أن الجاهليين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ربما كتبوا بها بعض قطع أو بعض قصائد؛ ولكنهم لم يتحولوا من ذلك إلى استخدامها أداة في نقل دواوينهم إلى الأجيال التالية؛ فقد كانت وسائلها الصعبة من الحجارة والجلود والعظام وسعف النخل تجعل من العسير أن يتداولها الشعراء في حفظ دواوينهم؛ إنما حدث ذلك في الإسلام، بفضل القرآن الكريم وما أشاعه من كتابة آية وتحول جمهور العرب معه من أميتهم الكبيرة إلى قارئين يتْلُونَ »[808].

وإن قضية النقط تعود في بدايتها عند العرب إلى حاجة الأعجمي لقراءة القرآن، فالخط العربي لا يسعفُه فاحتاج إلى أن يُبيَّن له الخط تبيينا جيدا، وقد شاعت هذه المسألة في قضية نشأة النحو عندما ظهر اللحن في قراءة المصحف. وقد أوكل الأمر إلى أبي الأسود الدؤلي.

قيل لأبي الأسود الدؤلي: «إن لسان العرب دخله الفساد، فلو وضعت شيئا يصلح الناس به كلامهم ويعرفون به القرآن، فامتنع أبو الأسود فأمر زياد رجلا يجلس في طريق أبي الأسود، فإذا مر به قرأ شيئا من القرءان وتعمد اللحن، فقرأ الرجل عند مرور أبي الأسود به: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ (التوبة: 3) بخفض اللام من (رَسُولُهُ) فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: معاذ الله أن يتبرأ من رسوله، فرجع عن رأيه، وقال لمن أمره: قد أجبتك إلى ما سألت، فاختار رجلا عاقلا فطنا وقال له: خذ المصحف

---

[806] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م، ح10، ص239.

[807] القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج1، ص63.

[808] شوقي ضيف (ت 1426هـ)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف،ج1، ص 140.

وصباغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط فوق الحرف نقطة، وإذا ضممتها فانقط أمامه، وإذا كسرتها فانقط تحته، فإذا اتبعته بغنة يعني تنوينا فانقط نقطتين، فبدأ بأول المصحف حتى أتى على آخره، فكان ضبط أبي الأسود نقطا مدورا كنقط الإعجام، إلا أنه مخالف له في اللون»[809].

سُميت هذه النقاط، النقاط الإعرابية ثم قام تلميذه نصر بن عاصم الليثي وأعجم الحروف، حيث رتبها على أشكالها ثم نقطها على الشكل الذي نعرفه اليوم، وجاء بعدهما الخليل فوجد أن الحرف العربي قد أثقلته النقاط، نقاط أبي الأسود الإعرابية، ونقاط نصر بن عاصم الليثي الاعجامية، فترك نقاط نصر على حالها وعمد إلى نقاط أبي الأسود، وجعلها علامات إعراب؛ الضمة جعلها واوا صغيرة فوق الحرف، والفتحة ألفا صغيرة ممالة فوق الحرف، والكسرة ألفا صغيرة تحت الحرف، وجعل للشدة رسما استخرجه من (س)، وللهمزة رسما وهو رأس (ع).

وأخذت الكتابة العربية شكلها مع الخليل. « فلا نكاد نمضي طويلًا في العصر الإسلامي حتى تتحول العربية من لغة مسموعة فحسب إلى لغة مسموعة مكتوبة. وهو تحول شارك فيه العرب والمستعربون وكل ما بين أيدينا من روايات عن كتابة بعض الأشعار في الجاهلية إنما يدل على أن الكتابة كانت معروفة، وخاصة في البيئات الآخذة بشيء من الحضارة، ونقصد المدن مثل مكة والمدينة والحيرة؛ ولكنه لا يدل بحال على أنها اتخذت أداة لحفظ الشعر الجاهلي ودواوينه. ولو أنهم كان لهم كتاب جمعوا فيه أطرافًا من أشعارهم لما أطلق الله جل وعز على القرآن اسم الكتاب؛ فلا كتاب لهم من قبله لا في الدين ولا في غير الدين.

أما ما يقال من أن المعلقات كانت مكتوبة ومعلقة في الكعبة فمن باب الأساطير، وهو في حقيقته ليس أكثر من تفسير فسر به المتأخرون معنى كلمة المعلقات؛ فقد جاء في العقد الفريد أنه بلغ من شغف العرب بالشعر أن "عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة؛ فمنه يقال: مذهَّبة امرئ القيس ومذهبة زهير، والمذهبات السبع، وقد يقال لها المعلقات" ولو أنهم تنبهوا إلى المعنى المراد بكلمة المعلقات ما لجأوا إلى هذا الخيال

[809] المارغني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان التونسي المالكي (ت 1349هـ)، دليل الحيران على مورد الظمآن، دار الحديث، القاهرة، ج 1، (دت)، ص 345-346.

البعيد. ومعناها المقلدات والمسمطات. وكانوا يسمون فعلًا قصائدهم الطويلة الجيدة بهذين الاسمين وما يشبهما»[810].

ما مضى كله في تاريخ القرآن وفيه قضايا كثيرة تناولها القرطبي معتمدا على الروايات الصحيحة في النقل وإن كانت هناك قضايا جاءت إجمالا ولم يفصل فيها القرطبي القول مثل قضية الجمع فالنصوص الواردة لا تخرج عما ذكره البخاري ومسلم وهو التركيز على دوافع الجمعين الأول والثاني فالدافع الأول هو كما ذكره القرطبي استشهاد حفظة القرآن وهم من كانوا يسمون القرأة وونتج عن ذلك خوف الصحابة على القرآن من الضياع فنادى أبو بكر وعمر زيد بن ثابت ليجمع القرآن . والمسألة هنا مسألة جمه كتابة والجمع حفظا موجود وأكثر اثنين كانا يحفظان القرآن هما من أمرا بجمعه مكتوبا . وقد اختارا زيد بن ثابت .

(810) ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم (ت 328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404 هـ، ج 6، ص 118. و أحمد شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص 140.

الفصل الثاني:

منهج القرطبي في عرض القراءات والحكم عليها

المبحث الأول: عرض القرطبي للقراءات المتواترة والحكم عليها

المطلب الأول: القراءات المتواترة في تفسيره.

المطلب الثاني: منهجه في عرض القراءات المتواترة.

المطلب الثالث: حكم القرطبي على القراءات المتواترة.

المبحث الثاني: عرض القرطبي للقراءات الشاذة والحكم عليها.

المطلب الأول: القراءات الشاذة في تفسيره.

المطلب الثاني: منهجه في عرض القراءات الشاذة.

المطلب الثالث: حكم القرطبي على القراءات الشاذة.

المبحث الأول: عرض القرطبي للقراءات المتواترة والحكم عليها

التواتر في اللغة: التتابع، ومتواترة هي متتابعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ (المؤمنون 44)؛ أي واحداً بعد واحد، وقولهم: جاءت الخيل تترى أي جاءت متقطعة [811].

التواتر في الاصطلاح:قال السيوطي: «المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك». [812]

المطلب الأول: القراءات المتواترة في تفسيره:

عدّ الدارسون تفسير القرطبي من المؤلفات المتخصصة في القراءات؛ ويظهر ذلك جليا في صفحات هذا السفر الدُّرُ، الذي جعله صاحبه للقراءات القرآنية - وقد بين ذلك في مقدمته- فهو يبسطها ويبين كل مايتعلق بالقراءة من ذكر عددها ونسبتها ومقارنتها مع نظيراتها محتجا لها بما أمكنه من الحجج والعلل؛ وإنه فارس ميدان قدير على إدارة الحجج وشرحها وبيانها ليخلص إلى ترجيح قراءة على قراءة واختيارها، وثمة استقرت علوم كثيرة، منها التاريخ للقراءات لأن القرطبي يعتبر مرحلة في التأليف لهذا العلم الذي كان الأندلس ومصر موطنا له، وقد عاش فيهما سبقه جماعة من أصحاب القراءات على رأسهم الطبري وهو يأخذ من ابن عطية، فمصدره الحقيقي في القراءات كتاب المحرر الوجيز، المهم أن القرطبي سابق لابن الجزري الذي أضاف الثلاثة المكملة للعشرة. «وفي مطلع القرن التاسع أصبح ابن الجزري مرجع العالم الإسلامي في القراءة والإقراء، ولذلك فإنه أعاد على بساط البحث مسألة القراءات الثلاث التي اختلف في تواترها، وقام بإثبات تواتر أسانيدها بالحجج الواضحة، ثم كتب نظما من البحر الطويل على نهج الشاطبية أسماه: الدّرة المضيّة في القراءات الثلاث تتمة العشر، وبذلك فإنه بوّأ هذه القراءات منزلة السبع المتواترات التي قررها ابن مجاهد » [813]، وإن

---

[811] ابن منظور، لسان العرب (مادة وتر)، ج15، ص207.

[812] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 264.

[813] القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، ص76.

كتاب النشر عند أصحاب القراءات مثل كتاب البخاري عند أهل الحديث، فهو مصدر أسٌّ لا بد لدارس القراءات من العودة إليه، فهو كتاب جامع رضيته الأمة.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (هود: 28)، يقول: قرئ «فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ» وهذه قراءة نافع؛ أي: عَمِيتْ عليكم الرسالةُ والهدايةُ فلم تفهموها، ويقال: عَمِيتُ عن كذا، وعَمِيَ عليَّ كذا؛ أي: لم أَفهمْه. والمعنى: فَعِميت الرحمةُ. فقيل: هو مقلوبٌ، لأنَّ الرحمةَ لا تَعمَى إنَّما يُعمَى عنها، فهو كقولك: أدخلتُ القَلَنْسُوة في رأسي، ودخَل الخفُّ في رجلي. وقرأها الأعمش وحمزة والكسائي: ﴿ فَعُمِّيَت﴾ بضمّ العين وتشديد الميم على ما لم يُسمَّ فاعِلُه؛ أي: فعمَّاها الله عليكم، وكذا في قراءة أبيّ: (فعَمَّاها) ذكره الماوردي [814].

أما الترجيح بين القراءات المتواترة. فقد أفْتَى بعض العلماء بأنّ السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أن لا يقال: إحداهما أجود. لأنها جميعا عن النبي ﷺ من قال ذلك. قال بعض آخر. إن المنع ينحصر فيما إذا رجحت إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقطها، وذهب فريق ثالث إلى جواز الترجيح بين القراءات المتواترة [815]. قال الطبري في تفسيره: «أَنَّ مَنَ قَرَأَ بِحُرُفِهِ، وَحُرُفُهُ: قِرَاءَتُهُ. وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِقِرَاءَةِ رَجُلٍ: حَرْفُ فُلَانٍ، وَتَقُولُ لِلْحَرْفِ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ الْمُقَطَّعَةِ: حَرْفٌ، كَمَا تَقُولُ لِقَصِيدَةٍ مِنْ قَصَائِدِ الشَّاعِرِ: كَلِمَةُ فُلَانٍ. فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ رَغْبَةً عَنْهُ. وَمَنْ قَرَأَ بِحَرْفِ أُبَيٍّ، أَوْ بِحَرْفِ زَيْدٍ، أَوْ بِحَرْفِ بَعْضِ مَنْ قَرَأَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِبَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإِنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِهِ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ، وَالْكُفْرَ بِحَرْفٍ مِنْ ذَلِكَ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ» [816]. قال أبو حيان الأندلسي: «وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون بين القراءات لا ينبغي، لأن القراءات كلها صحيحة ومروية وثابتة عن الرسول ﷺ، ولكنت منها وجه ظاهر حسن في

---

[814] الجامع لاحكام القرآن، ج9، ص25.
[815] السيوطي، الإتقان،ج1، ص84 .
[816] الطبري، تفسير الطبري، ج1، ص47.

العربية، فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة». أما إذا كان الترجيح للقراءة مع الاعتقاد بصحة القراءة الأخرى، وعدم الطعن فيها أو تهوينها فجائز[817].

وإذا كان القرطبي قد رجح بعض القراءات المتواترة في توجيهه قال أبو حيان: «وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون بين القراءات لا ينبغي، لأن القراءات كلها صحيحة ومروية وثابتة عن الرسولﷺ، ولو كان منها وجه ظاهر حسن في العربية، فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة»[818]. أما إذا كان الترجيح للقراءة مع الاعتقاد بصحة القراءة الأخرى، وعدم الطعن فيها أو تهوينها فجائز.

المطلب الثاني: منهجه في عرض القراءات المتواترة:

إن القرطبي يعزو القراءة لأصحابها فهو يعلم بمن قرأ بها، وتعرف بذلك درجتها صحيحة هي أم غير ذلك، لأن القراء الذين تلقت الأمة قراءتهم بالقبول معروفون، فبذكر القارئ تعرف صحّة القراءة.

إن القرطبي يعزو القراءة وينسبُها ويذكر قارئها، ويظهر ذلك في كل التفسير من بدايته إلى نهايته، وبعد عزو القراءة يبذُلُ لها جهدا فيحيطها دراسة لبيان وجوهها، ومثاله في بيان وجوه القراءة قوله، فهو يذكر وجوه القراءة وجها وجهاً، وهو منهجه في كل التفسير، قال القرطبي في الآية: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يس: 49)، ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: يَخْتصِمون في أمور دنياهم، فيموتون في مكانهم؛ وهذه نفخةُ الصَّعْق. وفي (يَخِصِّمُونَ) خمسُ قراءاتٍ: قرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الياء والخاء وتشديد الصَّاد. وكذا روى ورْشٌ عن نافع. فأمَّا أصحابُ القراءاتِ وأصحابُ نافع سوى ورشٍ فَرَوَوْا عنه: (يَخْصِّمُونَ) بإسكان الخاء وتشديدِ الصاد على الجمع بين ساكنين. وقرأ يحيى بن وثَّاب و الأعمشُ و حمزةُ: (وهم يَخْصِمُونَ) بإسكان الخاء وتخفيفِ

[817] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص265.
[818] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص265.

الصَّاد؛ من خَصَمَه. وقرأ عاصم و الكسائيُّ: (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) بكسر الخاء وتشديد الصاد، ومعناه: يخصِم بعضُهم بعضاً. وقيل: تأخذُهم وهم عند أنفسِهم يَخْتَصِمون في الحجة أنَّهم لا يُبعثون. وقد روى ابن جبير عن أبي بكر عن عاصم وحمادٌ عن عاصم كَسْرَ الياء والخاء والتشديد[819]

وبعد أن يعرض وجوه القراءة ويفصل القول في ذلك تبدأ عملية الشرح للكشف عن علاقة وجوه القراءة ببعضها ببعض، لبيان أصل (اللفظة)، ليحكم بعد ذلك على الوجوه بالترجيح كعادة القرطبي، يقول: قال النحاس:« القراءةُ الأُولى أَبْيَنُها. والأصلُ فيها: يَخْتَصِمون، فأُدغمت التاءُ في الصاد، فقُلبتْ حركتُها إلى الخاء، وفي حَرفِ أبيّ: (وهم يَخْتَصمون). وإسكانُ الخاء لا يجوزُ؛ لأنَّه جمعٌ بين ساكنين وليس أحدُهما حرف مدٍّ ولِيْن فأمَّا (يَخِصِّمُون) فالأصلُ فيه أيضاً: يختصمون، فأُدغمت التاء في الصاد، ثم كُسِرت الخاءُ لالتقاءِ الساكنين» [820].

وقيل: أَسْكنوا الخاءَ على أصلها. والمعنى يَخصِم بعضُهم بعضاً، فحذف المضاف، وجاز أن يكون المعنى: يَخْصِمون مُجادِلَهم عند أنفُسِهم فحذف المفعول. قال الثعلبيُّ: وهي قراءةُ أبيّ بن كعب. وزعم الفرَّاء« أنَّ هذه القراءةَ أَجْودُ وأكثر»[821]؛ فَتَرَكَ ما هو أَوْلَى -من إلقاءِ حركة التاء على الخاء- واجْتَلَبَ لهَا حركةً أخرى، وجَمَع بين ياء وكسرة، وزعم أنَّه أجودُ وأكثر. وكيف يكونُ أكثرَ وبالفتح قراءةُ الخَلْق من أهل مكةَ وأهل البصرة وأهل المدينة وما روي عن عاصم من كسر الياء والخاء فللإتْباع [822].

ثمّ يدير القراءات في رحى النحو، فلا يكاد يفلت وجها نحويا إلا أتى به، فهو بإدارته لوجوه النحو يعرض القرطبي حراكا علميا كأنه الحرب، يدير العراك الخلافي الموجود في النظر للقراءات بين النحاة، ومثاله دراسته للآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ (آل عمران: 178)، الإملاء: طولُ العُمُرِ، ورغَدُ العَيْشِ. والمعنى: لا يحسبنَّ هؤلاء الَّذين يُخَوِّفون المسلمين، فإنَّ الله قادرٌ على إهلاكهم، وإنَّما يُطوِّلُ أعمارَهم ليعملوا بالمعاصي، لا لأنَّه خيرٌ لهم. ويقالُ: ﴿أَنَّمَا نُمْلِى

[819] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص458-459-460.
[820] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص269.
[821] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص379
[822] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص459-460،

لَهُمْ﴾ بما أصابوا من الظَّفَر يومَ أُحُدٍ، لم يكن ذلكَ خيراً لأنفُسِهم، وإنَّما كان ذلك ليزدادوا عقوبة. وروي عن ابن مسعود أنَّه قال: ما مِنْ أحدٍ بَرٍّ ولا فاجرٍ إلاَّ والموتُ خيرٌ له؛ لأنَّه إن كان بَرًّا فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ (آل عمران: 198)، وإنْ كان فاجراً فقد قال الله :﴿ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ (آل عمران: 178).

وقرأ ابن عامر و عاصم: (ولا يَحْسَبنَّ) بالياءِ ونصب السِّين وقرأ. حمزةُ: بالتاء ونَصْبِ السِّين، والباقون: بالياء وكسر السِّين. فمن قرأ بالياء فالذين فاعلون؛ أي: فلا يحسبنَّ الكفار (أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ) تسدُّ مَسَدَّ المفعولين و (ما) بمعنى الذي، والعائد محذوف، و (خيرٌ) خبر (أنَّ) ويجوز أن تقدِّر (ما) والفعلَ مصدرًا والتقدير. ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنَّ إملاءَنا لهم خيرٌ لأنفسهم. ومن قَرأ بالتاء فالفاعلُ هو المخاطبُ وهو محمد ﷺ و (الذِّين) نصب على المفعول الأوَّل لتحسبُ وأنَّ وما بعدَها بدل من الذين، وهي تسدُّ مسدَّ المفعولين، كما تسدُّ لو لم تكن بدلاً. ولا يصلح أن تكون (أنَّ) وما بعدَها مفعولاً ثانياً لتحسب؛ لأنَّ المفعول الثاني في هذا الباب هو الأوَّلُ في المعنى: لأنَّ حَسِبَ وأخواتها داخلة على المبتدأ والخبرِ، فيكون التقدير: ولا تحسبنَّ أنَّما نُملي لهم خيرٌ. هذا قول الزجاج. وقال أبو علي: لو صحَّ هذا لقالَ: (خيراً) بالنَّصبِ؛ لأنَّ (أنَّ) تصيرُ بدلاً من (الذين كفروا)؛ فكأنَّه قال: لا تحسبنَّ إملاءَ الذين كفروا خيراً. فقوله: (خيراً) هو المفعولُ الثاني لحسبَ. فإذاً لا يجوزُ أن يُقرأ (لا تَحْسَبنَّ) بالتاء إلاَّ أنْ تكسرَ (إنَّ) في (أنَّما) وتنصبَ خيراً، ولم يُرْوُ ذلك عن حمزة. والقراءة عن حمزة بالتاء؛ فلا تصحُّ هذه القراءة إذاً.

وقال الفرَّاء:« ومن قرأ «ولا تحسبن» قال «إنما» وقد قرأها بعضهم «ولا تحسبن الذين كفرا أنما» بالتاء والفتح على التكرير: لا تحسبنهم لا تحسبن أنما نملي لهم، وهو كقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ على التكرير: هَلْ ينظرون إلا أن تأتيهم» [823].

[823] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص248.

قال القرطبي: قال الكسائي: قراءة حمزة جائزة على التكرير، تقديرهُ: ولا تحسبنَّ الذين كفروا ولا تحسبنَّ أنَّما نملي لهم خيرٌ؛ فسدَّتْ (أنَّ) مسدَّ المفعولين لتحسب الثاني، وهي وما عمِلَت مفعول ثانٍ لتحسب الأولُ. قال القُشيريُّ: وهذا قريبٌ مما ذكره الزَّجاج في دعوى البَدَل، والقراءة صحيحة.

قال القرطبي: قال النحاس: وزَعَم أبو حاتم أنَّ قراءة حمزة بالتاء هنا، وقوله:﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ لحن لا يجوز وتبعه على ذلك جماعة.

قال القرطبي : وهذا ليس بشيءٍ، لمَا تَقَدَّم بيانُه من الإعراب، ولصحَّة القراءةِ وثبوتِها نقلاً. وقرأ يحيى بن وثَّاب (إنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ) بكسر (إنَّ) فيهما جميعا. قال أبو جعفر: وقراءةُ يحيى حسنة، كما تقول: حسبت عمراً أبوه خارج. قال أبو حاتم: وسمعتُ الأخفش يذكُر كسر (إنَّ) يحتجُّ به لأهل القدَر؛ لأنَّه كان منهم، ويجعل على التَّقديم والتَّأخير: (ولاَ يحسبنَّ الذين كفروا إنَّما نُملي لهم ليزدادوا إثمًا إنَّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم). قال: ورأيتُ في مصحفٍ في المسجد الجامع قد زادوا فيه حرفا فصار إنَّمَا نُمْلي لهُم [ليزدادوا] إيماناَ) فنظر إليه يعقوب القارئ فتبين اللَّحن فحكَّه»[824]. والآية نصٌّ في بطلان مذهب القدريَّة؛ لأنَّه أخبرَ أنَّه يطيل أعمارَهم ليزدادوا الكفرَ بعمل المعاصي، وتوالي أمثالهِ على القلب. كما تقدَّم بيانُه في ضدَّه، وهو الإيمان. وعن ابن عباس قال: ما من بَرٍّ ولا فاجر إلاَّ والموتُ خيرٌ لهُ ثم تلا: ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ﴾ وتلا ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾ (آل عمران: 198)، أخرجه رزين[825].

المطلب الثالث: حكم القرطبي على القراءات المتواترة:

الحكم على القراءات أمر معلوم عند القراء والنحاة على السواء، والحكم أحكام ويكون بحسب الجهة التي ينظر إليها العالم أهي جهة السند أم جهة اللغة أم جهة المعنى وهناك أوصاف وأحكام عامة وصف بها العلماء القراءات منها مثلا قول ابن الجزري: «أحمد بن عبد الله أبو العباس الطنافسي البغدادي شيخ عارف، قرأ على أصحاب أبي أيوب الخياط صاحب اليزيدي، قرأ عليه أبو أحمد عبد

[824] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص190.
[825] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص432-434.

الله بن الحسين السامري، روينا عنه أنه قال من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبي عمرو ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير ومن أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة ومن أراد أظـــــرف الـقراءات فـعليه بقراءة الكسائي ومن أراد السنة فعليه بقراءة نافع» [826].

في الحقيقة هو نص جامع شمل القراءات إجمالا وظهرت من خلاله أوصاف للقراءات (أحسن) و(أفصح)و(أغرب)و(أظرف)و(أنها السنة) وهي مصطلحات يعلمها أهل الفن والصنعة ولذلك أنا وقفت عند القرطبي على أوصاف وسم بها القراءات منها ماهو واضح ك(الصحيحة) والصحيحة قرآن ومنها ما يلتبس ك(حسنة) فالحكم هنا على القراءة من ناحية سندها وطريقها أم من ناحية لغتها ؟ يتبين ذلك بعد عرض النصوص من التفسير وتتبعها والنظر فيها .

*** صحيحة:**

كلمة صحيحة في القراءات القرآنية هو حكم على كل قراءة توفرت فيها الشروط التي ذكرها العلماء، فهل يقصد القرطبي عند إطلاقه لكلمة صحيحة، أنها توفرت فيها شروط الصحة؟

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ﴾ (الأعراف: 190)، وقرأ أهلُ المدينةِ وعاصم: (شِرْكاً) على التوحيد. وأبو عمرو وسائرُ أهلِ الكوفة بالجمع، على مثل: فُعَلاَء، جمعُ شريك. وأنكرَ الأخفشُ سعيدٌ القراءةَ الأُولى وهي صحيحةٌ على حذفِ المضاف؛ أي: جعلا له ذا شِرْك مثل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف: 82)، فيرجعُ المعنى إلى أنَّهم جعلوا له شُركاء [827].

---

[826] ابن الجزري شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ) ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء مكتبة ابن تيمية(دب)، (دط) عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر، ج1، ص75.

[827] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص412. نقلها القرطبي عن النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص84.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ (الكهف: 76)، قال الكسائي: معناه فلا تتركني أصحبُك (قَدْ بَلَغْتَ منْ لَدُنِّي عُذْرًا)؛ أي: بلغتَ مبلغاً تُعذر به في تركِ مصاحبتي. وقرأ الجمهور: (مِنْ لَدُنِّي) بضمِّ الدال، إلاَّ أنَّ نافعاً وعاصماً خفَّفا النون، فهي (لدن) اتصلت بها ياءُ المتكلم التي في غُلامي وفرَسي، وكُسر ما قبلَ الياء كما كُسر في هذه. وقرأ أبو بكر عن عاصم: (لَدْنِي) بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون، وروي عن عاصم: (لُدْنِي) بضمِّ اللام وسكون الدال، قال ابنُ مجاهد[828]: وهي غلطٌ. قال أبو علي: هذا التغليطُ يُشبه أن يكونَ من جهة الروايةِ، فأمَّا على قياسِ العربية؛ فهي صحيحة وقرأ الجمهور: (عُذْرًا)، وقرأ عيسى: (عُذُرًا) بضمِّ الذال، وحكى الداني أنَّ أُبيًّا روى عن النبيِّ ﷺ (عُذْري) بكسرِ الراء وياءٍ بعدها[829].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ (يس: 29)، جعلوا الكَوْنَ بمعنى الوقوعِ والحدوثِ، فكأنَّه قال: ما وقعتْ عليه إلاَّ صيحةٌ واحدة. وأَنْكَر هذه القراءة أبو حاتم وكثير من النَّحويِّين بسبب التأنيثِ فهو ضعيف، كما تكون: ما قامت إلاَّ هندٌ ضعيفاً، من حيث كان المعنى: ما قام أحدٌ إلاَّ هندٌ. قال أبو حاتم: فلو كان كما قرأ أبو جعفر لقال: إنْ كان إلاَّ صيحةٌ[830].

قال النحَّاس:« لا يمتنع شيءٌ من هذا، يقال: ما جاءتني إلاَّ جاريتُك، بمعنى: ما جاءتني امرأةٌ أو جاريةٌ إلاَّ جاريتُك. والتقديرُ في القراءة بالرفع ما قاله أبو إسحاق، قال: المعنى: أنْ كانت عليهم صيحةٌ إلاَّ صيحةٌ واحدةٌ. وقدَّره غيره: ما وقعت عليهم إلاَّ صيحةٌ واحدةٌ. وكان بمعنى وقَع كثيرٌ في كلام العرب. وقرأ عبد الرحمن بنُ الأسود- ويقال: أنه في حَرْفِ عبد الله كذلك – (إنْ كانت إلاَّ زَقْيَةً واحِدةً). وهذا مخالفٌ للمصحف. وأيضاً فإنَّ اللغة المعروفةَ: «»زَقَا يَزْقُو: إذَا صاح »[831]ومنه المثلُ: أثقلُ من الزَّوَاقي، فكان يجب على هذا أن يكون: زَقْوَةً. وقال الجوهري:« الزَّقْوُ والزَّقْيُ مصدر، وقد زَقَا الصَّدَى

---

[828] ابْنُ مُجَاهِد وَتُوُفِّيَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ إلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي زَمَانِهِ فِي الْقِرَاءَةِ، و وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَبَّعَ السَّبْعَةَ، وَكَانَ ثِقَةً دَيِّنًا خَيِّرًا ضَابِطًا حَافِظًا وَرِعًا. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر،ج1،ص122.

[829] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص333.

[830] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص434-435.

[831] ابن جني، المحتسب، ج 2، ص 207 .

يَزْقُو [ويَزْقِي] زُقَاءً: أي صاح، وكلُّ صائِح زَاقٍ» [832]، والزَّقْيةُ: الصَّيحة. وعلى هذا يقال: زَقْوة وزَقْية لغتان، فالقراءةُ صحيحةٌ لا اعتراضَ عليها » [833].

قال القرطبي في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾؛ أي: ميّتون هامِدون؛ تشبيهاً بالرَّماد الخامِد. وقال قتادةُ: هَلْكَى. والمَعْنى واحدٌ [834].

قال القرطبي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ (ص: 23)، أي: قال المَلَك الذي تكلَّم عن أوريا (إِنَّ هَذَا أَخِي)؛ أي: على ديني، وأشَار إلى المُدَّعى عليه. وقيل: أخي؛ أي: صاحبي (لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُون نَعْجَةً).

قال النحاس:« وقرأ الحسن تسع وتسعون نعجة بفتح التاء فيها، وهي لغة شاذة وهي الصحيحة من قراءة الحسن. وعن عبد الله بن مسعود رحمه الله أنه قرأ وعازّني في الخطاب» [835].

قال النحاس:«والعرب تَكْنى عن المرأة بالنعجة والشاة » [836]. لِمَا هي عليه من السكون والمَعْجَزة وضَعْف الجانب. [837] قال ابن عون:

أنـــــا أبُـــوهـــنَّ ثـلاثٌ هُنَّـهْ *** رابعةٌ في البيْت صُغْرا هُنَّهْ

ونَعْجـــــتِي خَمْـــساً تُوفِّيهـنَّـه *** أَلاَ فـتىً سَمحٌ يُغـذِّيهـنَّـهْ [838]

طَـيّ النَّقَـا في الجُـوعِ يَطْـوِيهِنَّـهْ *** ويـلُ الرَّغيـفِ ويلَـهُ مِنْهُنَّهْ [839]

وقال عنترة:

يَا شَـاة ما قَنَـصٍ لِمن حَلَّـتْ لَهُ*** حَـرُمتْ علـيَّ وَليتَـها لَمْ تَحْـرُمِ

---

[832] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 6، ص2368.

[833] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص264.

[834] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص434-435.

[835] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص309.

[836] النحاس معاني القرآن، ج6، ص97.

[837] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص163.

[838] أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ -1998م، ج 16،ص397. و ذكره السمين الحلبي في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج 9، ص369.

[839] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص164، أورد البيتان الاول والثاني الالوسي في روح المعاني، ج23، ص180.

فَبَعَثْتُ جَارِيتِي فَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي *** فَتَجَسَّسِي أَخْبَارَهَا لِي واعْلَمِي
قَالت رَأَيْتُ مِن الأَعَادي غِرَّةً*** والشَّاةُ مَمْكِنَةٌ لِمَن هُو مُرْتَمِ
فَكَأَنَّمَا التَفَتَتْ بِجِيدِ جَدَايةٍ *** رَشَأٍ مِنَ الغِزْلانِ حَرِّ أَرْثَمِ [840]

وقال آخر :

فرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ *** فأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِها وطِحَالَها. [841]

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ (فصلت: 44)، وقرأ أبو بكر و حمزة والكسائي: (أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) بهمزتين مُحقَّقتين، والعجميّ الذي ليس من العرب كان فصيحاً أو غيرَ فصيح، والأعجميُّ الذي لا يفصح كان من العرب أو من العجم. فالأعجم ضدُّ الفصيح، وهو الذي يُبين كلامه. ويقال للحيوان غير الناطق: أعجم ومنه (صلاةُ النهار عَجْماء) [842]؛ أي: لا يُجهر فيها بالقراءة، فكانت النسبة إلى الأعجم آكَدَ، لأنَّ الرجل العجمي الذي ليس من العرب قد يكون فصيحاً بالعربية، والعربيّ قد يكون غيرَ فصيح؛ فالنسبة إلى الأعجميّ آكدُ في البيان. والمعنى أقرآن أعجميٌّ ونبيٌّ عربي؟ وهو استفهامُ إنكار. وقرأ الحسن و أبو العالية ونصر بن عاصم و المغيرة و هشام عن ابن عامر: (أَعْجَمِيٌّ) بهمزة واحدة على الخبر. والمعنى (لولا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) فكان منهم عربيّ يفهمه العرب، وأعجميٌّ يفهمه العَجَم. وروى سعيد بن جُبير قال: قالت قريش: لَوْلا أُنزِلَ القرآن أعجميًّا وعربيًّا، فيكون بعضُ آيَاتِه عجميًّا وبعضُ آياته عربيًّا، فنزلت الآيةُ. وأُنزل في القرآن من كل لغة فمنه (السِّجِّيل) وهي فارسيةٌ، وأصلُها سنكَيل؛ أي: طين وحجر، ومنه (الفِرْدَوس) رومية، وكذلك (القِسْطَاسُ). وقرأ أهلُ الحجاز وأبو عمرو و ابن ذكوان و حفص على الاستفهام، إلاَّ أنهم ليَّنُوا الهمزة على أصولهم والقراءة الصحيحة قراءة الاستفهام [843].

---

[840] ديوان عنترة للخطيب التبريزي، ص178. الجداية: الغزال. والرشأ: الظبي إذا قوى ومشى مع أمه. القاموس (جدي) و(رشأ).

[841] قائله الأعشى الكبير ميمون بن قيس، وهو في ديوانه تح: محمد حسين، المطبعة النموذجية الجماميز، مصر، 1377هـ، 1966م، ص27.

[842] الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت 377هـ) الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2، 1413 هـ - 1993م، ج6، ص120و ابن سلام أبو عبيد القاسم الهروي، غريب الحديث، تح: حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404 هـ - 1984 م، ج3، ص257.

[843] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص429-430.

قوله تعالى:﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ (النجم:19)، و القراءة الصحيحة (اللَّاتَ) بالتخفيف، اسم صنم، والوقوف عليها بالتاء، وهو اختيار الفرّاء.

قال الفرّاء:« وقوله عزَّ وجلَّ: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، قرأها الناسُ بالتخفيف فِي لفظِ قوله: وَلاتَ حِينَ مَناصٍ - وفي وَزْنِ- شاةٍ، وكان الكسائيُّ يَقِفُ عليها بالهاء أفرأيتم اللّأه وقد رأيت الكسائيَّ سأل أبا فَقْعس الأسَدي فقال: ذاه لذات، ولاه للات. وقرأ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاهَ) وكذا قرأ الدُّوري [844] عن الكسائيّ، و البَزّي[845]عن ابن كثير (اللَّاه) بالهاء في الوقف، ومن قال: إنَّ (اللَّات) من الله، وقَف بالهاء أيضاً. وقيل أصلها لاه مثل شاه، وهي من لَاهَت، أي: اختفَت» [846]. قال الشاعر:

لاَهَتْ فَمَا عُرِفت يوْماً بخارجَةٍ *** يَا لَيْتَهَا خَرجتْ حتَّى رَأَيْنَاهَا[847]

وقف الكسائي بالهاء والباقون بالتاء اتباعا للرسم[848]،

وفي الصحاح[849]: اللَّات اسم صنم كان لِثَقيف وكان بالطَّائف. وبعض العرب يقف عليها بالتاء، وبعضهم بالهاء، قال الأخفش:« سمعنا من العرب من يقول: اللَّات والعُزَّى، ويقول: هي اللَّات، فيجعلها تاء في السّكوت، وهي اللَّاتٍ فاعلم أنَّه جرَّ في موضع الرفع، فهذا مثل: أمْسِ، مكسورٌ على كلِّ حال، وهو أجودُ منه، لأنَّ الألف واللام اللَّتين في اللات لا تسقطان وإن كانتا زائدتين. وأمَّا ما

---

[844] الدُّوري شَيْخُ الْمُقْرِئِيْنَ، أَبُو عُمَرَ حَفْصُ بنُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ صُهْبَانَ الأَزْدِيُّ مَوْلاَهُمْ، الدُّوْرِيُّ، الضَّرِيْرُ.وُلِدَ سَنَةَ بِضْعٍ وَخَمْسِيْنَ ومائَةٍ، وَتَلاَ عَلَى إِسْمَاعِيْلَ بنِ جَعْفَرٍ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَتَلاَ عَلَى الكِسَائِيِّ بِحَرْفِهِ، وَعَلَى يَحْيَى اليَزِيْدِيِّ بِحَرْفِ أَبِي عَمْرٍو، وَعَلَى سُلَيْمٍ بِحَرْفِ حَمْزَةَ، وَجَمَعَ القِرَاءاتِ، وَصَنَّفَهَا. وَحَدَّثَ أَيْضاً عَنْ سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ، وَطَائِفَةٍ. رَوَى عَنْهُ: الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِهِ، وَنَصْرُ بنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ،مان سنة ست وأربعين. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج9، ص423.

[845] البزي هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع ابن أبي بزة المكي، كان إماما في القراءة محققا ضابطا لها ثقة فيما؛ انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة وكان مؤذن المسجد الحرام. ولد سنة مائة وسبعين ومات سنة مائتين وخمسين. شرح طيبة النشر في القراءات،ص9.

[846] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص97.

[847] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص35. و الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج1، ص98.

[848] ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص144.

[849] صحيح البخاري، ج 8، ص 141، رقم 4859. وجاء بلفظ «كان اللات رجلا يلت سويق الحاج». وأما في صحيح مسلم لم نقف عليه في متنه، بل جاءت في الهامش قاله الشارح للصحيح، ج 3، ص 1267، رقم 1647.

سمعنا من الأكثر في اللَّات والعُزَّى في السَّكوت عليها فاللّاه؛ لأنّها هاء فصارت تاءً في الوصل »[850].

وهي مسألة تخص التاء المفتوحة والمربوطة التي أكّد عليها عثمان بن عفان ﷺ عندما اختلف زيد والكَتبة في كتابة كلمة (التابوت). قال عثمان : اكتبوه على لغة قريش. وقريش تكتبها بالتاء المفتوحة و«اما لغة الانصار فيقولون : (التابوه) بالهاء، ومنق ال بهذه الغة وقف على الهاء وصل او قطع»[851].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ (القلم: 9)، قال ابن عباس و عطية والضحاك والسُّدي: ودَّوا لو تكفر فيتمادَوْنَ على كفرهم. وعن ابن عباس أيضاً: ودُّوا لو تُرَخِّص لهم فَيُرخِّصون لك. وقال الفرَّاء و الكلبيُّ: لو تلين فيلينون لك. والإدْهان: التَّليين لمن لا ينبغي له التَّليين. قاله الفرَّاء وقوله: « وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ» .

يُقال: ودوا لو تلينُ فِي دينك، فيلينون فِي دينهم، وقَالَ بعضهم: لو تكفر فيكفرون، أي:فيتبعونك عَلَى الكفر»[852].

وقال مجاهد: المعنى: ودُّوا لو رَكَنْتَ إليهم وتَرَكْت الحقَّ فيُمالئونك. وقال الربيع بن أنس: ودُّوا لو تكذب فيكذبون. وقال قتادة: ودُّوا لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك. الحسن: ودُّوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم. وعنه أيضاً: ودّوا لو ترفض بعضَ أمرك فيرفضون بعضَ أمرهم. زيد بن أسلم[853]: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون. وقيل: ودُّوا لو تضعف فيضعفون. قاله أبو جعفر. وقيل: ودُّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. قال القتبيُّ. وعنه: طلبوا منه أن يعبدَ آلهتهم مدَّة ويعبدوا إلهه مدَّة. فهذه اثنا عشر قولاً. ابن العربيّ: ذكر المفسرون فيها نحو عشرة أقوال

---

[850] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص35-36. نقلا عن النحاس، معاني القرآن، ج1، ص11.

[851] أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير(ت 231ه)، الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح: أبو بشر محمد بن خليل الزروق، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، 1423ه/2002م، ص201.

[852] معاني القرآن، الفراء،ج3، ص173.

[853] زيدُ بنُ أسلم الإمام، أبو عبد الله العُمريُّ، المدنيُّ، الفقيه.روى عن: مولاه عبدِ اللَّه بن عمر،وجابرِ بنِ عبد الله، وأنسِ بن مالك، وعِدَّة.وعنه: مالكٌ، وهِشام بن سعد، والسفيانان، والدَّراوَرْدي، وخلق. وكانت له حلقةٌ للعلم بمسجد النبي ﷺ. ولزيدٍ "تفسيرٌ" يرويه عنه ابنه عبد الرحمن. وكان زيدٌ من العلماء العاملين. مات سنةَ ستٍ وثلاثين ومئة. رحمةُ اللهِ عليه. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت 744 هـ)، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1417 هـ - 1996 م، ج1، ص 211.

كلُّها دعاوَى على اللغة والمعنى. أمثلُها قولهم: ودُّوا لو تكذب فيكذبون، ودُّوا لو تكفر فيكفرون. قال القرطبي: كلُّها إن شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى؛ فإنَّ الإدْهان: اللينُ والمصانَعة. وقيل: مجاملة العدُوّ ومُمايلته. وقيل: المقاربة في الكلام والتَّليين في القول. قال الشاعر:

لَبَعضُ الغَشْمِ أحزمُ في أمورٍ*** تنُوبُك من مداهنَةِ العدوِّ[854]

وقال: المفضَّل: « الإدهان ترك المناصحة »[855]، فهي على هذا الوجه مذمُومة، وعلى الوجه الأول غيرُ مذمومة، وكلُّ شيء منها لم يكن. قال المبرد: يقال: أدهن في دينه وداهن في أمره؛ أي: خان فيه وأظهر خلاف ما يُضمر. وقال قومٌ: داهنت بمعنى: ورأيت، وقال الجوهري: « أدهنت بمعنى: غششت»[856]. وقال: (فَيُدْهِنُونَ) فساقه على العطف، ولو جاء به جواب التمني لقال: فيدهنوا. وإنَّما أراد: إنَّهم تمنُّوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك، عطفاً لا جزاءً عليه ولا مكافأة، وإنما هو تمثيل وتنظير[857].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾، قال الأخفش سعيد:« (الْمُزَّمِّلُ) أصله: المتزمِّل فأدغمت التاء في الزاي، وكذالك (المدَّثر)»[858]، وقرأ أُبَيّ بن كعب على الأصل: (الْمُتَزَمِّل) و(المتدثِّر)، وسعيد: (الْمُزَمِّلُ). وفي أصل: (المزَّمِّل) قولان: أحداهما أنه المحتمِّل، يقال: زَمَل الشيء: إذا حمله، ومنه الزَّاملة، لأنَّها تحمِلُ القُمَاش. الثاني: أنَّ المزَّمِّل هو المتلفِّف، يقال: تزمَّل وتدثَّر بثوبه إذا تغطى. وزمَّل غيره إذا غطَّاه، وكلُّ شيء لُفِّف فقد زُمِّل ودُثِّر، قال امروء القيس:

كَبِيرُ أناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ[859]

---

[854] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص146- في (م) العده، والمثبت من (د) و (ظ)، وهو الموافق لما في تفسيرالنكت والعيون للماوردي، ج6، ص63، والبيت فيه. الغَشْم: الظلم. اللسان (غشم).

[855] المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت نحو 290هـ)، الفاخر، تح: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1380 هـ، ص205.

[856] الجوهري، الكتاب: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ص2116.

[857] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص148.

[858] الأخفش، معاني القرآن، ج 2، ص552.

[859] ديوان امرئ القيس، ص122. شطر البيت : كأن أبانا في أفانين وَدْقِه .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وفيه ثلاثة أقوال:

الأوّل: قول عكرمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ بالنبوَّة والملتزم للرسالة. وعنه أيضاً: يا أيها الذي زمّل هذا الأمر، أي: حُمِّلَه ثم فتر، وكان يقرأ: (يَا أَيُّها المزَمَّل) بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول، وكذلك (المُدَثَّر). والمعنى المزمِّل نفسه والمدثِّر نفسه، أو الذي زَمَّله غيره.

الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ بالقرآن، قاله ابن عباس.

الثالث: المزَّمِّل بثيابه، قاله قتادة وغيره. قال النخعيّ: كان متزمِّلاً بقَطِيفةٍ. عائشة: بمِرطٍ طوله أربعة عشر ذراعاً، نصفه عليَّ وأنا نائمة، ونصفه على النبيّ ﷺ وهو يصلي، والله ما كان خَزًّا ولا قَزًّا ولا مِرعِزاءَ ولا إبريسماً ولا صُوفاً، كان سَداه شَعراً، ولُحْمَتُه وَبَراً، ذكره الثعلبيُّ. قال القرطبي: وهذا القول من عائشة يدلُّ على أن السورة مدَنيَّة؛ فإن النبيَّ ﷺ لم يَبْنِ بها إلاَّ في المدينة، وما ذُكر من أنها مكية لا يصحُّ. وقال الضحاك: تزمَّلَ بثيابه لمنامه. وقيل: بلغة من المشركين سوء قولٍ فيه، فاشتدَّ عليه فتزمَّل في ثيابه وتدثَّر، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾. وقيل: كان هذا في ابتداء ما أوحي إليه، فإنَّه لَمَّا سَمِع قول المَلَك ونظر إليه؛ أخذَتْه الرَّعدة، فأتَى أهْلَه. فقال: (زمِّلوني دثِّروني) روي معناه عن ابن عباس. وقالت الحكماء: إنَّما خاطبه بالمزَّمل والمدَّثر في أوّل الأمر، لأنَّه لم يكن بعدُ أدَّثر شيئاً من تبليغ الرسالة. قال ابن العربي: واختلف في تأويل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ فمنهم من حملَه على حقيقته، قيل له: يا من تلفَّف في ثيابه، أو في قطيفته، قُمْ، قاله إبراهيم وقتادة. ومنهم من حمله على المجاز، كأنَّه قيل له: يا من تزمَّل بالنبوَّة، قاله عكرمة. وإنَّما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشدَّدة بصيغة المفعول الذي لم يسمَّ فاعله وأما هو بلفظ الفاعل فهو باطل. قال القرطبي: وقد بيَّنَّا أنَّها على حذف

المفعول، وقد قرئ بها، فهي صحيحة المعنى. قال: وأما من قال: أنَّه زُمِّل القرآن فهو صحيح في المجاز، لكنه قد قدَّمنا أنَّه لا يُحتاج إليه [860].

*** حسنة:**

وقبل أن استعرض الأحكام، التي أطلقها القرطبي على القراءات، أبيّن أن هذه الأحكام في حدود اطلاعي يقصد بها اللغة، فهو يحكم على اللغة، لأنه لا توجد في الدرس القرائي كلمة حسنة وجيدة، وأجود، وأبين، إلا أن يراد بها معنى القراءة أو لغة القراءة ولا يقصد بها ذات القراءة من حيث حروفها أو طريقها.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ (البقرة: 140)، بمعنى قالوا[861].

قال النحاس:«وقرأ حمزة و الكسائيّ وعاصمٌ في رواية حفص: (تقولون) بالتاء، وهي قراءة حسنة، لأنّ الكلام متَّسق كأنّ المعنى: أتحاجُّوننا في الله، أم تقولون إن الأنبياء كانوا على دينكم؟ فهي(أم) المتَّصلة. وهي على قراءة منْ قرأ بالياء منقطعةٌ؛ فيكون كلامَين، وتكون (أمْ) بمعنى (بل). ﴿هُودًا﴾ خبر (كان)، وخبر (إنَّ) في الجملة. ويجوز في غير القرآن رفع (هُود) على خبر (إنَّ)، وتكون (كان) مُلغاة » [862]. يقول القرطبي رحمه الله" وهي قراءة حسنة" ثم "يبين لأنّ الكلام متَّسق" ليوصلنا إلى بيت القصيد وهو "كأنّ المعنى" فالمسألة مسألع معنى فهو يحسن المعنى بتتبعه لأنه متسق ومنسجم .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (البقرة: 210)، وقرأ معاذ بن جبل: (وقَضَاءُ الأمْرِ) وقرأ يحيى بن يعمر: (وقُضِي الأمورُ) بالجمع. والجمهور: (وقُضِي الْأَمْرُ) فالمعنى: وقعَ الجزاءُ، وعُذِّب أهل العصيان. وقرأ ابن عامر و الكسائي: (تَرْجِعُ الأمورُ) على بناء الفعل

[860] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص 313-314-315.
[861] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص 424.
[862] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص82.

للفاعل، وهو الأصل، دليله ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾(الشورى: 53)، ﴿ إِلَىَّ ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ (المائدة: 48)، وقرأ الباقون: (تُرْجَعُ) على بنائه للفعول، وهي أيضا قراءة حسنة دليلهُ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ ﴾، (التوبة: 94) ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (الأنعام : 62) ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (الكهف: 36)، والقراءتان حسَنتان بمعنًى، والأصل الأولى وبناؤه للمفعول تَوَسُّعٌ وفَرْعٌ، والأمور كلُّها راجعةٌ إلى الله قبلُ وبعدُ، وإنما نبَّه بذكر ذلك في يوم القيامة على زوال ما كان منها إلى الملوك في الدنيا [863].وفي هذا النص القرطبي قد حسن كل القراءات التي أوردها .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ﴾ (النساء:11)، قرأ نافع وأهل المدينة:(وَاحِدَةٌ) بالرفع على معنى: وقعتْ وحدثتْ، فهي (كان) التامة؛ كما قال الشاعر:

إذا كان الشِّتاءُ فَأَدْفِئُونِي *** فإنَّ الشيخَ يُهرِمُه الشِّتَاءُ[864]

والباقون بالنصب قال النحاس:« وهذه قراءة حسنة »[865].

قال القرطبي في قوله تعالى :﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾، (الأنعام: 14)، مفعولان، لَمَّا دعَوْه إلى عبادة الأصنام دينِ آبائه، أنزل الله تعالى: (قل) يا محمد: (أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيًّا)؛ أي: ربًّا ومعبُوداً وناصِراً دونَ الله. ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالخفض على النعت لاسم الله،« وأجاز الأخفش الرفع على إضمار مبتدأ. وقال ابو اسحاق: ويجوز النصب على المدح »[866].أبو عليّ الفارسيّ: ويجوز نصبه على فعلٍ مضمَر، كأنَّه قال: أتركُ فاطرَ السماوات والأرض؟ لأنَّ قوله: ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ﴾،

---

[863] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص398-399.

[864] الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص107، و ابن منظور في لسان العرب، ج 13، ص 365 قائله الربيع بن ضبع الفزاري كما في الجمل للزجاج، ص49، و وتهذيب اللغة للأزهري، ج10، ص205، والخزانة، ج7، ص381، وغيرهم، ووقع في أغلب الرويات: يهدمه، بدل: يهرمه، ويروى بالوجهين كما ذكر صاحب الدرر،ج 2،ص 61، ووقع في (ظ): تهدمه.

[865] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص203.

[866] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 332، نقلا عن: النحاس، إعراب القرآن، ج 2، ص 5.

يدلُّ على ترك الوِلاية له، وحَسُن إضماره لقوَّة هذه الدِّلالة. ﴿ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ ﴾ كذا قراءةُ العامَّة؛ أي: يَرزُق ولا يُرزَق دليله قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ (الذاريات: 57)،« وقرأ سعيد بن جبير و مجاهد و الأعمش: (وهُو يُطْعِمُ ولاَ يَطْعَمُ)» [867]، وهي قراءةٌ حسنة؛ أي: أنَّه يرزق عباده، وهو سبحانه غير محتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوقون من الغِذاء. وقُرِئ بضم الياء وكسر العين في الفِعلين؛ أي: إن الله يطعم عباده ويرزقُهم، والوليُّ لا يُطعِم نفسه ولا مَن يتخذه. وقُرئ بفتح الياء والعين في الأول؛ أي: الوليّ، (ولا يُطْعِم) بضم الياء وكسر العين وخصَّ الإطعام بالذكر دون غيره من ضروب الإنعام، لأنَّ الحاجة إليه أمسُّ لجميع الأنام [868].

قال النَّحاس:«وهي قراءةٌ حسنةٌ، وهذه الواو أكثرها تتبعها الأسمَاء، والأفعال بعد. وأتباع جمع تَبع، وتَبع يكون للواحد والجمع » [869].

قال الشاعر:

لهُ تَبَعٌ قدْ يَعلَمُ النَّاسُ أنَّهُ*** عَلى منْ يُدَاني صَيِّفٌ ورَبِيعُ [870].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ (سبأ: 52)، يقول: أنَّى لهم تَنَاولُ الإيمانِ في الآخرة وقد كفروا في الدنيا. وقرأ أبو عمرو و الكسائيُّ و الأعمش وحمزة: (وأنَّى لهُم التَّناؤش) بالهمز.

قال النحاس:« وأبو عبيدة يستبعد هذه القراءة؛ لأنَّ (التناؤش) بالهمز: البُعْدُ، فكيف يكون: وأَنَّى لهم البعدُ من مكان بعيد. قال أبو جعفر: والقراءةُ جائزةٌ حسنة، ولها وجهان في كلام العرب. ولاَ

---

[867] النحاس إعراب القرآن، ج 2، ص5 .

[868] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 333-334.

[869] النحاس، معاني القرآن، ج5، ص 90

[870] ديوان مالك و متمم ابنا نويرة اليربوعي، تح: ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الارشاد بغداد العراق، ط 1، 1968، ص 103. والبيت نُسب للمتمّم بن نويرة .

يُتَناوَلُ بها هذا المُتناوَلُ البعيد. فأحدُ الوجهين أن يكون الأصلُ غيرَ مهموز، ثم هُمزت الواو لأنَّ الحركة فيها خَفِيَّة، وذلك كثيرٌ في كلام العرب» [871].

وفي المصحَفِ الذي نقلته الجماعةُ عن الجماعة: ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ (المرسلات: 11)، والأصل قال النحاس: (وُقِّتت)؛ لأنَّه مشتقٌّ من الوقت. ويقال في جمع دار: أُدْؤُر. والوجهُ الآخَر ذكره أبو إسحاق؛ قال: يكون مشتقًّا من النئيش، وهو الحركةُ في إبطاء؛ أي: من أيْن لهُم الحركةُ فيما قد بَعُد» [872]. يُقال: نَأَشْتُ الشَّيء: أخذْتُه من بُعْدٍ، والنئيشُ: الشيءُ البطيء. قال الجوهري: التناؤشُ –بالهمز-: التأخُّر والتباعُد. وقد نَأَشْتُ الأمْر أَنَأَشُه نَأشًا: أَخَّرته، فانْتَأَشَ. ويقال: فَعَلَه نئيشًا؛ أي: أخيراً. [873]

قال الشاعر:

تَمنَّى نئيشًا أنْ يكونَ أطَاعَني *** وقدْ حَدَثَتْ بعدَ الأمور أمورُ [874]

وقال آخر:

قَعدتَ زماناً عن طِلابِكَ للعُلا *** وجئْتَ نئيشًا بعدَ مَا فَاتَكَ الخبر [875]

وقال الفرَّاء:«الهمزُ وتَرْكُ الهمزِ في التناؤش مُتقارِبٌ، مثل: ذِمْتُ الرجلَ وذَأَمْته؛ أي: عبتهُ» [876]. ﴿مِنۡ مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: من الآخرة. وروى أبو إسحاق عن التميميّ عن ابن عبَّاس قال:

---

[871] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص242.

[872] المصدر نفسه، ج3، ص243.

[873] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ح3، ص1020.

[874] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص338، معاني القرآن للفرّاء، ج2، ص 325، والصحاح للجوهري (نأش)، ونسبه البصري في الحماسة، ج2، ص37، والزمخشري في المستقصى، ج1، ص302، وصاحب اللسان ابن منظور (نأش) لنهشل بن حريّ.

[875] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص338، وتفسير الطبري، ج20، ص 425. وتهذيب اللغة للازهري، ج11، ص286، ولسان العرب لابن منظور، ج 6، ص 361 .

[876] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص 365.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ﴾ قال: الردّ، سألوه وليس بحينِ ردّ [877].

قال الفراء:« وَأَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ قرأ الأعمش وَحَمْزَة وَالْكِسَائِي بالهمز يَجعلونه من الشيء البطيء من نأشت من النئيش، وقد ترك همزها أهل الحجاز وغيرهم، جَعلوها من نُشْته نَوْشًا وهو التناول: وهما متقاربان، بمنزلة ذِمْتُ الشيء وذأمته أي عبته: وقال الشاعر:

فهْي تَنُوش الحوض نَوْشًا من عَلَا ... نَوْشًا بِهِ تقطع أجواز الْفَلَا [878].

وتناوش القومُ فِي القتال إِذَا تناول بعضهم بعضًا ولم يتدانوا كل التداني. وقد يَجوز همزها وهي من نُشت لانضمام الواو، يعني التناوش مثل قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ)» [879].

*** جيدة:**

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (الأنفال: 59)؛ أي: من أفْلتَ من وقعة بدر سَبَقَ إلى الحياة. ثم استأنف فقال: ﴿لَا يُعْجِزُونَ﴾؛ أي: في الدُّنيا حتى يُظْفِرك الله بهم. وقيل: يعني في الآخرة. وهو قول الحسن. وقرأ ابن عامر و حفص و حمزة: (يَحْسَبَنَّ) بالياء، والباقون بالتاء، على أنْ يكون في الفعل ضميرُ الفاعل، و(الذين كفروا) مفعول أوّل و(سَبَقُوا) مفعول ثان. وأما قراءة الياء فَزَعَم جماعة من النحويين -منهم أبو حاتم- أنَّ هذا لحنٌ لا تَحِلُّ القراءة به، ولا يُسمع لمن عَرَف الإعراب أو عُرِّفه. قال أبو حاتم: لأنه لم يأت لـ (يحسبنَّ) بمفعول، وهو يحتاج إلى مفعولين. قال النحاس:« وهذا تَحامُلٌ شديد، والقراءة تجوز، ويكون المعنى: ولا يحسبنَّ مَن خَلْفَهم الذين كفروا سبقوا فيكون الضمير يعود على ما تقدَّم، إلاَّ أنَّ القراءة بالتاء أَبْيَن» [880].

---

[877] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص337-338.

[878] ديوان ابي النجم العجلي الفضل بن قدامة ت 130هـ، جمعه وشرحه محمد اديب عبد الواحد حمدان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1427هـ 2006 م، ص 461-462.

[879] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص365.

[880] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص102.

المهدويُّ: ومَن قرأ بالياء احْتَمَل أن يكون في الفعل ضميرُ النبيّ ﷺ، ويكون (الذين كفروا سبقوا) المفعولين. ويجوز أن يكون (الذين كفروا) فاعلاً، والمفعول الأوّل محذوف، المعنى: ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنفُسَهم سبقوا. مكّي: ويجوز أن يُضمَر مع (سبقوا): أنْ، فيسدَّ مسدَّ المفعولين، والتقدير: ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنْ سبقوا؛ فهو مثل: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ (العنكبوت: 2)، في سدِّ أنْ مسدَّ المفعولين. وقرأ ابن عامر: (أنَّهم لا يُعجزون) بفتح الهمزة، واستبعد هذه القراءةَ أبو حاتم و أبو عُبيد. قال أبو عبيد: وإنَّما يجوز على أن يكون المعنى: ولا تحسبنَّ الذين كفروا أنهم لا يُعجزون [881].

قال النحاس:«الذي ذكره أبو عبيد لا يجوز عند النحويين البصريين، لا يجوز: حسبت زيداً أنَّه خارج، إلا بكسر إنَّ، وإنَّما لم يجز لأنَّه في موضع المبتدأ، كما تقول: حسبت زيداً أبوه خارج. ولو فتحتَ لصار المعنى: حسبت زيداً خروجَه. وهذا محال. وفيه أيضا من البعد أنَّه لا وجهَ لِمَا قاله يصحُّ به معنًى، إلا أنْ يجعل (لا) زائدة، ولا وجهَ لتوجيه حرفٍ في كتاب الله ﷻ إلى التطوُّل بغير حجة يجب التسليمُ لها. والقراءة جيدةٌ على أن يكون المعنى: لأنَّهم لا يعجزون» [882].

مكّي: فالمعنى لا يحسبنَّ الكفارُ أنفسَهم فاتوا لأنَّهم لا يُعْجِزون؛ أي: لا يفوتون. فـ(أنَّ) في موضع نصبٍ بحذفِ اللام، أو في موضع خفضٍ على إعمال اللام؛ لكثرة حَذْفِها مع (أنَّ)، وهو يُروَى عن الخليل و الكسائيّ. وقرأ الباقون بكسر (إن) على الاسْتئناف والقطعِ مما قبله، وهو الاختيار؛ لِمَا فيه من معنى التأكيد، ولأنَّ الجماعة عليه. ورُوي عن ابن مُحيصِن أنَّه قرأ: (لا يُعجِّزونِ) بالتشديد وكسر النون. النحاس: وهذا خطأ من وجْهين: أحدهما: أنَّ معنى عجَّزه: ضعَّفه وضعَّف أمره. والآخر: أنَّه كان يجب أن يكون بنونين. ومعنى أعجزه: سبقَه وفاتَه حتَّى لم يقدر عليه [883].

﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ (يوسف: 23)؛ وكذلك من قرأ: (هِيتُ لَكَ). وأنكر أبو عمرو هذه القراءة؛ قال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى: سئل أبو عمرو عن قراءة من قرأ بكسْر الهاء وضمِّ التاء

---

[881] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص53.
[882] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص102.
[883] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص54-55.

مهموزا، فقال أبو عمرو: باطل، جعلها من تهيَّأتُ، اذهبْ فاستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن؛ هل تعرف أحدا يقول هذا ؟ وقال الكسائي أيضا: لم تُحكَ (هِئتُ) عن العرب قال عكرمة: (هِئتُ لَكَ) أي: تهيَّأتُ لك وتَزيَّنْتُ وتَحسَّنتُ، وهي قراءة غير مرضيَّة؛ لأنها لم تسمع في العربية.

قال النحاس:«هي جيدة عند البصريّين؛ لأنه يقال: هَاءَ الرجلُ يَهَاءُ ويَهِيءُ هَيْئَةً فهاء يَهِيء مثل جاء يجيء، وهِئْت مثل جئت »[884].

وكسْرُ الهاء في (هِيت) لغة لقوم يؤْثرون كسر الهاء على فتحها. قال الزجاج: أجود القراءات: (هَيْتَ) بفتح الهاء والتاء[885]. قال طرفة :

ليس قَومي بالأبْعَدِينَ إذَا مَا *** قَالَ دَاعٍ من العَشِيرة هَيْتُ [886]

جاء في الحجة: « يقرأ بفتح الهاء وكسرها، وبضم التاء وفتحها. فالحجة لمن فتح الهاء، وضم التاء: أنه شبهه بـ(حيث). ومن كسر الهاء وفتح التاء، فإنما كسرها لمكان الياء. والحجة لمن فتح الهاء والتاء: أنه جعلها مثل الهاء في (هَلُمَّ) وفتح التاء، لانها جاءت بعد الياء الساكنة كما قالوا: (أيْنَ) و(ليْتَ) و (كيْفَ) »[887].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: 34)؛ أي: وإن يشأ يجعل الرياحَ عواصفَ فيُوبق السفن؛ أي: يُغرقهن بذنوب أهلها. وقيل: يُوبق أهلَ السُّفن ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ من أهلها فلاَ يُغرقهم معها؛ حكاه الماوردي. وقيل: (ويعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)؛ أي: ويتجاوز عن كثير من الذُّنوب فَيُنجيهم الله من الهلاك. قال القشيريَّ: والقراءة الفاشية: (وَيَعْفُ)

---

[884] النحاس، معاني القرآن، ج3، ص110.

[885] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص307.

[886] ديوان طرفة بن العبد شرح الاعلم الشمنتري، مصدر سبق ذكره، ص 147.

[887] ابن خالويه(أبي عبد الله الحين بن أحمد)،الحجة، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/1999م، ص111.

بالجزم، وفيها إشكال؛ لأنَّ المعنَى: إنْ يشَأ يُسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكدَ ويُهلكها بذُنوب أهلها فلا يحسن عطف (يَعْفُ) على هذا لأنَّه يصير المعنَى: إنْ يشأ يعفُ، وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المَشيئة، فهو إذًا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى. وقد قرأ قوم: (ويَعفُو) بالرفع، وهي جيدة في المعنى [888].

*** أجود:**

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: 2) (فيه) الهاء في (فيه) في موضع خفض بـ(في)، وفيه خمسةُ أوجه: أجودُها: فيهِ هُدًى. ويليه: فيهُ هُدًى، بضمِّ الهاء بغير واو، وهي قراءةُ الزُّهريّ، وسلاَّم أبي المنذر [889].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ (البقرة:7)، وقال بعض المفسرين: الغِشاوةُ على الأسماع والأبصار، والوقفُ على (قلوبهم). وقال آخرون : الخَتْمُ في الجميع، والغِشاوةُ هي الخَتْم، فالوقفُ على هذا على (غِشاوة). وقرأ الحسن: (غُشاوة) بضم الغين، وقرأ أبو حيوَة بفتحها. ورُوِيَ عن أبي عمرو: (غَشْوة) ردَّه إلى أصل المصدَر. قال ابنُ كَيْسان: ويجوز: غَشْوة، وغِشْوة، وأجودُها غِشاوةٌ، كذلك تستعملُ العربُ في كل ما كان مشتملاً على الشيء، نحو عِمامة وكنانة، وقِلادة، وعِصابة وغير ذلك [890].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾ (البقرة: 13)، وأصل السَّفَهِ في كلام العرب: الخفَّةُ والرِّقَّةُ، يقال: ثوبٌ سَفِيهٌ: إذا كان رديءَ النَّسجِ خفيفَه، أو كان بالياً رقيقاً. وتسفَّهَت الريحُ الشجرَ: مالَتْ به، قال ذو الرُّمَّة:

---

[888] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص482.
[889] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص246.
[890] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص292.

مَشَيْنَ كَمَا اهتزَّتْ رِمَاحٌ تَسفَّهَتْ *** أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ [891]

وتسفَّهت الشيء: استخْفَرْتُه، والسَّفَهُ: ضِدَّ الحِلْم، ويقال: إنَّ السَّفَهَ أنْ يُكْثِرَ الرَّجلُ شُربَ المَاء، فَلا يَرْوَى. ويجوزُ في همزتَي (السُّفهاء) أربعةُ أوجه: أجودُها أن تُحقَّقَ الأُولى، وتقلبَ الثانيةَ واواً خالصة، وهي قراءةُ أهل المدينة والمعروف من قراءة أبي عمرو، وإن شئتَ خفَّفتَهما جميعاً، فجعلت الأولى بين الهمزة والواو وجعلت الثانية واوا خالصة، وإن شئت خفَّفتَ الأولى وحقَّقْتَ الثانيةَ، وإن شئتَ حقَّقْتَهما جميعاً [892].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (البقرة: 51)، قرأ أبو عمرو: (وَعَدْنا) بغير ألفٍ، واختاره أبوعُبيد ورجَّحه، وأنْكر (وَاعَدْنا)؛ قال: لأنَّ المواعدةَ إنَّما تكونُ البشر فأمَّا الله ﷻ، فإنَّما هو المنفردُ بالوعْد والوعيد، على هذا وجَدْنا القرآن، كقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ (إبراهيم: 22)، وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ﴾ (النور: 55)، وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ (الأنفال: 7)، قال مكيّ: المُواعدةُ أصلُها من اثنين، وقد تأتي المُفاعلةُ من واحدٍ في كلام العرب، قالوا: طارقتُ النَّعلَ، وداوَيْتُ العليلَ، وعاقَبْتُ اللصَّ، والفعلُ من واحدٍ، فيكون لفظُ المُواعدةِ من الله خاصَّةً لموسى، كمعنى (وَعَدنا) فتكون القراءتان بمعنًى واحدٍ، والاختيارُ (واعدنا) بالألف لأنَّه بمعنى (وَعَدْنا) في أحد معنييه، ولأنَّه لا بدَّ لموسى من وعد، أو قَبولٍ يقومُ مَقامَ الوعد، فتصحَّ المُفاعلة [893].

قال النَّحاس:« وقراءةُ (واعدنا) بالألف أجودُ وأحسنُ، وهي قراءة مجاهدٍ و الأعرج و ابن كثير و نافع والأعمش و حمزة و الكسائي » [894].

---

[891] ديوان ذي الرمة، ص 271، وفيه: رويداً، بدل: مَشَيْن.

[892] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص311-312.

[893] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص98-99.

[894] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص53.

وقرأ عبد الله بن عامر وعيسى بن عمر إلا قليلا على الاستثناء وكذلك هو في مصاحف أهل الشام الباقون بالرفع والرفع أجود عند جميع النحويين وقيل: انتصب على إضمار فعل تقديره إلا أن يكون قليلا منهم وإنما صار الرفع أجود لأن اللفظ أولى من المعنى وهو أيضا يشتمل على المعنى [895].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الكهف: 88)، قال الفرَّاء: «قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم:(فَلَهُ جَزاءُ الْحُسْنَى) بالرفع على الابتداء أو بالاستقرار. و(الحسنى) في موضع خفض بالإضافة، ويحذف التنوين للإضافة؛ أي: له جزاء الحسنى عند الله تعالى في الآخرة وهي الجنة، فأضاف الجزاء إلى الجنَّة كقوله: ﴿ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ (الواقعة:95)، و﴿ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (يوسف:109) » [896].

ويحتمل أن يريد: بـ (الحُسنى) الأعمال الصالحة. ويمكن أن يكون الجزاء من ذي القرنين؛ أي: أعطيه وأتفضَّل عليه. ويجوز أن يحذف التنوين لالتقاء الساكنين، ويكون (الحسنى) في موضع رفع على البدل عند البصريين، وعلى الترجمة عند الكوفيين، وعلى هذا قراءة ابن أبي إسحاق: (فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى) إلا أنَّك لم تحذف التنوين، وهو أجود. وقرأ سائر الكوفيين:(فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى) منصوباً منوَّناً؛ أي: فله الحسنى جزاءً. قال الفرَّاء: (جزاءً) منصوب على التمييز. وقيل: على المصدر، وقال الزجَّاج: هو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجزياً بها جزاء. وقرأ ابنُ عبَّاس و مسروق:(فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى) منصوباً غيرَ منوَّن. وهي عند أبي حاتم على حذف التنوين، لالتقاء الساكنين، مثل: (فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى) في أحد الوجهين [897].

قال النحَّاس:«وهذا عند غيره خطَأ؛ لأنَّه ليس موضعَ حذف تنوين؛ لالتقاء الساكنين، ويكون تقديره: فله الثواب جزاءَ الحُسنى » [898].

---

[895] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص295.
[896] الفراء، معاني القرآن، ج، 2ص159.
[897] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص374.
[898] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص306.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ (طه: 22)، يجوز في غير القرآن: ضُمَّ، بفتْح الميم وكسرها؛ لالتقاء الساكنين، والفتحُ أجودُ؛ لِخِفَّته، والكسرُ على الأصل. ويجوز الضمُّ على الإتباع. ويَدٌ أصلها: يَدْيٌ على فَعْل، يدلُّ على ذلك: أَيْدٍ. وتصغيرُها: يُدَيَّة. والجَناح: العَضُد؛ قاله مجاهد، وقال: (إلى) بمعنى تحت. قُطرب[899]: (إلَى جَنَاحِكَ) إلى جَنْبِك، ومِنْه قول الرَّاجز:

أَضُمُّه للصدرِ والجَنَاحِ [900]

قال القرطبي في قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ (الزمر: 38)، قرأ نافع وابن كثير والكوفيون ماعدا عاصما (كَاشفَاتُ ضُرِّه) بغير تنوين. وقرأ أبو عمرو و شيبة -وهي المعروفة من قراءة الحسن- و عاصم: (هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتٌ ضُرَّهُ)، (مُمْسِكَاتٌ رَحْمَتَهُ) بالتنوين على الأصل، وهو اختيار أبي عُبيد و أبي حاتم؛ لأنَّه اسم فاعل في معنى الاستقبل، وإذا كان كذلك كان التنوين أجودَ. قال الشاعر:

الضَّاربون عُمَيْراً عن بيوتهم *** بالليْل يَوم عُمَير ظالمٌ عادي [901]

ولو كان ماضيا لم يجز فيه التنوين وحذف التنوين على التحقيق فإذا حذفت التنوين لم يبق بين الاسمين حاجز فخفضت الثاني بالإضافة وحذف التنوين كثير في كلام العرب موجود حسن [902].

قال القرطبي في قول الله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ (فصلت: 16)، وقرأ نافع وابن كثير و أبو عمرو: (نَحِسَاتٍ) بكسر الحاء؛ أي: ذوات نحس. ومِمَّا يدلُّ على أنَّ

---

[899] قطرب محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي البصري النحوي اللغوي: سمي قطربا لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه، فإذا خرج سيبويه سحرا رآه على بابه، فقال له يوما: ما أنت إلا قطرب ليل، والقطرب دويبة تدبّ ولا تفتر، فلقب بذلك. وهو أحد أئمة النحو واللغة، أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عنه ابن السكيت.توفي سنة ست ومائتين. ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج6، ص2646.

[900] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص49، وتفسير الطبري، ج16، ص49، والمحرر الوجيز، ج4، ص42، وزاد المسير، ج5، ص280.

[901] قائله القطامي، وهو في ديوانه تح: ابراهيم السامرائي و أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط1، 1960م، ص88.

[902] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص283.

النَّحس مصدر قوله: ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: 19) ولو كان صفةً لم يُضف اليوم إليه. وبهذا كان يحتجُّ أبو عمرو على قراءته؛ واختاره أبو حاتم. اختار أبو عبيد القراءة الثانية وقال: لا تصحُّ حُجَّةُ أبي عمرو؛ لأنَّه أضاف اليوم إلى النحس فأسكن، وإنَّما كان يكون حُجَّة لو نوَّن اليوم ونعت وأسكن؛ فقال: في يَوْمٍ نَحْسٍ، وهذا لم يَقْرأْ به أحدٌ نعلمه. وقال المهدوي: ولم يُسْمَعْ في (نَحْسٍ) إلا الإسكان. قال الجوهري:« وقُرئ في قوله: (في يَوْمِ نَحْسٍ) على الصفة، والإضافة أكثرُ وأجودُ. وقد نَحِسَ الشيء -بالكسر- فهو نَحِسٌ أيضاً» [903]. قال الشاعر:

أَبْلِغْ جُذاماً ولَخْماً أنَّ إخوتهم*** طَيًّا وبَهْرَاءَ قومٌ نصرُهم نَحِسُ [904].

ومنه قيل: أيَّام نَحِسَات ﴿لِّنُذِيقَهُمْ﴾ أي: لكي نذيقهم ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالريح العقيم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أي: أعظم وأشدُّ ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [905].

ويعرض القرطبي القراءة في قول الله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ:19)، قراءة العامة ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على أنَّه نداء مضاف وهو منصوب لأنَّه مفعول به لأنّ معناه: نَاديت ودعَوْت. ﴿بَـٰعِدْ﴾ سألوا المباعدة في أسفارهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن وهشامٌ عن ابن عامر: (رَبَّنَا) كذلك على الدعاء (بَعِّد) من التبعيد [906].

قال النحَّاس:« وباعِدْ وبعِّد واحدٌ في المعنى، كما تقول: قارِبْ وقَرِّبْ» [907].

---

[903] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 3، ص 981.
[904] ذكره الطبري في تفسيره، ج 21 ص، 447 .وابن عطية في تفسيره، ج 5، ص 9.
[905] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص402-403.
[906] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص300.
[907] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص234.

وقرأ أبو صالح ومحمد بن الحنفية وأبو العالية ونصر بن عاصم ويعقوب، ويُروى عن ابن عباس: (رَبُّنَا) رفعاً (بَاعَدَ) بفتح العين والدال على الخبر، تقديره: لقد باعَدَ ربُّنا بين أسفارنا، كأنَّ الله تعالى يقول: قرَّبْنا لهم أسفارَهم فقالوا: أَشَرًا وبَطَرًا: لقد بُوعِدَتْ علينا أسفارُنا. واختار هذه القراءة أبو حاتم قال: لأنَّهم ما طلبُوا التَّبْعيد إنَّما طلبوا أقربَ من ذلك القربِ بَطَرًا وعُجْبًا مع كفرهم. وقراءة يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر، وتُروى عن ابن عباس: (ربُّنَا بَعِّدَ بينَ أسفَارِنَا) بشدِّ العين من غير ألف، وفسَّرها ابن عباس قال: شَكَوْا أنَّ ربَّهم بَاعَدَ بين أسفارهم [908].

وقراءةُ سعيد بن أبي الحسن[909] أخو الحسن البصريّ: (ربَّنا بَعُدَ بَيْنَ أسفَارِنَا)، (رَبَّنَا) نداءٌ مضاف، ثم أَخبروا بعد ذلك فقالوا: (بَعُدَ بينُ أَسْفَارنَا)، ورُفع (بينُ) بالفعل؛ أي: بعُدَ ما يتَّصلُ بِأسْفَارنا. وروى الفرَّاء و أبو إسحاقَ قراءةً سادسةً مثلَ التي قبلها في ضمِّ العين إلاَّ أنَّك تنصب (بينَ) على ظرفٌ، وتقديره في العربية:« بَعُدَ سيرُنا بينَ أسْفَارِنَا»[910].

قال النحَّاس:« وهذه القراءات إذا اختلفت معَانيها، لم يجزْ أن يقال: إحداها أجودُ من الأخرى، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفَتْ مَعَانِيها»[911]. القرطبي رحمه الله في هذه القراءة لم يفاضل ولكنه تبنى رأي الفراء أنه لا يجوز المفاضلة بين القراءات إذا اختلفت معانيها .

والقراءات قد اختلفت على أربعة أوجه؛ باعِدْ وبعِّد وجهان على الدعاء و لها معنى واحد .

بَاعَدَ و بَعُد بفتح العين والدال وبفتح الباء وضم العين ؛ وجهان على الخبر.

وإن لم يجز المفاضلة بينها فإنها قراءات صحيحة تعتبر تعدد في الآيات يستعملها أصحاب التاريخ لبيان مراحل تاريخية مرت بها مملكة سبأ

---

[908] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص301.

[909] سَعِيد بن أَبِي الْحَسَن، واسمه يسار، الأَنْصارِيّ مولاهم، البَصْرِيّ، أخو الْحَسَن البَصْرِيّ. رَوَى عَن: علي بْن أَبِي طَالِب، وأَبِي بكرة الثَّقَفِيّ، وأَبِي هُرَيْرة .رَوَى عَنه: أيوب السختياني، وأخوه الْحَسَن البَصْرِيّ، وقتادة.
ذكره خليفة بْن خياط فِي الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة . مات قبل الْحَسَن سنة مئة. روى له الجماعة. الكلبي،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج10، ص 385.

[910] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص359-360.

[911] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص234.

المبحث الثاني: عرض القرطبي للقراءات الشاذة والحكم عليها.

المطلب الأول: القراءات الشاذة في تفسيره.

إن مصطلح الشذوذ في العلوم الإسلامية بوجه عام وفي العربية والفقه والقراءات بوجه خاص مُسْتَغْلَقٌ أَمْرُهُ وغامض مفهومُه، ومضطرب القولَ فيه؛ إذ إنه مرتبط عند كثير من الناس بالرداءة والقبح [912].

وبالرجوع إلى مادة (شذذ) في معجم لسان العرب والقاموس المحيط، نجد أنَّ : شَذَّ ويَشِذُ شَذًّا وشُذُوذًا: انفرد عن الجمهور وندر فهو شاذ، وأشذه غيره وقوم شذاذ: إذا لم يكونوا في منازلهم ولا حيهم، وشذان الناس ماتفرق منهم، وشذان جمع شاذ مثل شاب وشُبان، ويُروى بفتح الشين(شَذّان) وهو المتفرق من الحصى وغيره، وشُذّان الإبل وشُذانُها: ما افترق منها، وشذ الرجل : إذا انفرد عن أصحابه، وكذلك كل شيء منفرد فهو شاذ نادٍّ، ويُقال: شاذ .أي مُتنح [913].

«فقد جرى معنى الشذوذ بين الانفراد والندرة والتفرق والافتراق [...] إن ظهور المصحف الإمام كان إيذانا بالحكم بالشذوذ على ما خرج عنه، والواقع أن هذا هو المعنى المقصود من وصف القراءة بالشذوذ؛ أي بالانفصال عن نهج المصحف العام دون تجريح » [914]. فالشذوذ عند أهل اللغة هو التفرد والتفرق [915]، وهو الغرابة والندرة [916]، وهو المخالفة وهو القلة[917]، وقال الإمام أبو الحسن السخاوى- رحمه الله-إن الشاذ مأخوذ من قولهم:

شذ الرجل يشذ، ويشذ، شذوذا، إذا انفرد عن القوم واعتزل عن جماعتهم، وكفى بهذه التسمية تنبيها على انفراد الشاذ وخروجه عما عليه الجمهور، والذى لم يزل عليه الأئمة الكبار والقدوة فى

---

(912) عبد العلي المسئول، القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، دار ابن عفان، مصر ودار ابن القيم، السعودية، ط 1، 1429هـ، 2008م، ص6.

(913) اللسان، ج3، ص414، والقاموس المحيط،ج 1، ص354 .

(914) عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص215- 216.

(915) عبد العلي المسئول، القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، ص20

(916) المرجع نفسه، ص21.

(917) المرجع نفسه، ص 22، 23

جميع الأمصار من الفقهاء والمحدّثين وأئمة العربية: توقير القرآن، واتباع القراءة المشهورة، ولزوم الطرق المعروفة فى الصلاة وغيرها، واجتناب الشواذ ؛ لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذى ثبت به القرآن وهو التواتر.

وقال ابن مهدى: لا يكون إماما فى العلم من أخذ بالشاذ [918].

قال ابن الجزري في النشر: « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحل إنكارها . بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة» [919].

وقال أبو حاتم السجستانى[920]: أول من تتبع بالبصرة وجوه القرآن وألفها، وتتبع الشواذ منها فبحث عن إسنادها، هارون بن موسى الأعور، وكان من القراء، فكره الناس ذلك وقالوا: قد أساء حين ألفها؛ وذلك أن القراءة إنما يأخذها قرون وأمة عن أفواه أمة ولا يلتفت منها إلى ما جاء من وراء ذلك . وقال الأصمعى[921] عن هارون الأعور: كان ثقة مأمونا.

إنه حرص المتقدمين على كتاب الله تعالى والتزام نقل الأمة، حتى يقول أبو عمرو: لو سمعت الرجل الذى يقول: سمعت رسول الله ﷺ، ما أخذته. وكان إجماعهم منعقدا على هذا حتى أنكروا كلهم على من ألفه مع اشتهار ثقته وعدالته، وأحبوا أن يضرب على ذلك، مع أنه جائز عند المتأخرين اتفاقا.

---

[918] النُّوَيْري محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين (ت 857هـ)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، تقديم وتح: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط1، 1424 هـ - 2003 م، ج1، ص123.

[919] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص 19.

[920] هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستانى صاحب إعراب القرآن وغير ذلك، توفى سنة خمسين- أو خمس وخمسين- أو أربع وخمسين أو ثمان وأربعين ومائتين، وقد قارب التسعين. ينظر: البغية، ج1، ص606 - 607.

[921] هو عبد الملك بن قريب بن على أبو سعيد الأصمعى، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ولد سنة122 هـ، وكان هارون الرشيد يسميه " شيطان الشعر"، قال الأخفش: ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعى. وتصانيفه كثيرة منها: (الإبل) مطبوع، و(الأضداد) مخطوط، (خلق الإنسان) مطبوع، وغيرها، توفى سنة 216 هـ، ابن خلكان، ج1، ص 288، تاريخ بغداد، ج10، ص 41.

وأما أبو شامة فقال فى «شرحه للشاطبية»: « وذكر المحققون من أهل العلم بالقراءة ضابطا حسنا فى تمييز ما يعتمد عليه من القراءات وما يطرح، فقالوا: كل قراءة ساعدها خطّ المصحف، مع صحة النقل فيها، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب، فهى قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختل أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة ضعيفة، وأشار إلى ذلك الأئمة المتقدمون، ونص على ذلك أبو محمد مكى فى تصنيف له مرارا، وهو الحق الذى لا محيد عنه» وكلامه صريح كما ترى فى أنه لم يجد نصّا بذلك لغير أبى محمد مكى، وحينئذ يجوز أن يكون الإجماع انعقد قبله، بل هو الراجح؛ لما تقدم من اشتراط الأئمة ذلك كأبى عمرو». [922]

عرضه للقراءة الشاذة:

يبسط القرطبي رحمه الله القراءة ثم يحكم عليها بالشذوذ مبينا له علته . وقد اختلفت علل الشذوذ عنده ولعل في استعراض النصوص للقراءات الشاذة يتضح شيء من تعليله للقراءة الشاذة

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 179) تقدم معناه. والمراد هما: تتقون القتلَ، فتسلمون من القِصاص، ثم يكون ذلك داعيةً لأنواع التَّقوى في غير ذلك فإنَّ الله يثيب بالطاعة على الطاعة.

وقرأ أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الرَّبعيّ [923]: (ولكم في القَصَص حياة).

قال النحاس:« قراءة أبي الجوزاء شاذَّة » [924]. قال غيره: يحتمل أن يكون مصدرا كالقِصاص. وقيل: أراد بالقَصَص القرآن؛ أي: لكم في كتاب الله الذي شرعَ فيه القصاص حياةٌ؛ أي: نجاة. [925]

---

[922] أبو شامة أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665هـ) ،إبراز المعاني من حرز الأماني ، دار الكتب العلمية،دت ،دط ،ص5

[923] أَبُو الجوزاء أوس بن عَبد اللَّهِ الربعي، أَبُو الجوزاء البَصْرِيّ، من ربعة الأزد، رَوَى عَن: وعبد اللَّه بْن عباس، وعبد الله بْن عَمْرو بْن العاص، وأبي هُرَيْرَة، وعائشة أم المؤمنين . رَوَى عَنه: أبان بْن أَبي عياش، وغالب القطان، وقتادة، ومحمد بن جحادة،.قال البخاري: فِي إسناده نظر، ويختلفون فيه.وذكره خليفة بْن خياط فِي الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة. مات سنة ثلاث وثمانين.روى له الجماعة. الكلبي،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج3، ص 393.

[924] النحاس إعراب القرآن، ج1، ص92.

[925] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص90.

في هذه القراءة التي حكم عنها القرطبي بأنها شاذة تناسب تعريف القراءة الشاذة، وهي كل قراءة خالفت الرسم العثماني. وفي قراءة أبي الجوزاء مخالفة للرسم ،جاء في مختصر التنزيل« وكتبوا: القصاص بألف ثابتة بين الصادين إجماع من المصاحف والقراء» [926]

ومن الأمثلة على القراءة الشاذة قول القرطبي في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (البقرة: 212)، على ما لم يُسمَّ فاعلُه. والمراد رؤساءُ قريش. وقرأ مجاهد و حُميد بن قيس على بناء الفاعل. قال النحاس:« وهي قراءةٌ شاذَّة؛ لأنَّه لم يتقدَّم للفاعل ذِكْر»[927] وفي هذا المثال كان الاعتماد على سياق القراءة وليس على موافقتها للخط . وقرأ ابنُ أبي عبلة: (زُيِّنت) بإظهار العلامة، وجاز ذلك لكون التأنيث غير حقيقيّ، والمزيِّنُ هو خالقها ومخترعها وخالقُ الكفرِ، ويُزيِّنُها أيضًا الشيطانُ بوسوسته وإغوائِه وخصَّ الذين كفروا بالذكر لقَبولهم التزيينَ جُملةً، وإقبالِهم على الدنيا وإعراضِهم عن الآخرة بسببها، وقد جعل الله ما على الأرض زينةً لها ليَبلُوَا الخلقَ أيُّهم أحسنُ عملاً فالمؤمنون الذي هم على سَنَن الشَّرعِ لم تفتنْهم الزينةُ، والكفارُ تملَّكَتْهم؛ لأنَّهم لا يعتقدون غيرَها. وقد قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه حين قُدِم عليه بالمال: اللَّهمَّ إنَّا لا نستطيع إلا أنْ نَفْرح بمَا زيَّنْتَ لنَا [928].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (البقرة: 213)، نصبٌ على الحال، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ اسمُ جنسٍ بمعنى الكُتُب. وقال الطبري:« وإنما عني بـ "الكتاب": التوراة، ولذلك أدخلت فيه "الألف واللام" لأنه قصد به كتاب معروف بعينه» [929]. و﴿لِيَحۡكُمَ ﴾ مسندٌ إلى الكتاب في قول الجمهور، وهو نصب بإضمار أن؛ أي: لأن يَحكُمَ، وهو مجاز مثل ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ

[926] ابن نجاح أبو داود، سليمان بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي (ت 496هـ)، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة،1423 هـ ـ 2002 م ،ج2ص245

[927] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص106.

[928] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص401-402.

[929] الطبري، جامع البيان، ج2، ص260.

عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ (الجاثية: 29) قيل: أي: ليحكُم كلُّ نبيٍّ بكتابه، وإذا حكم بالكتاب فكأنَّما حكم الكتابُ. وقراءةُ عاصم الجحْدَريّ: (ليُحكَم بين الناس) على ما لم يُسَمِّ فاعلهُ، وهي قراءةٌ شاذَّةٌ؛ لأنَّه قد تقدَّم ذكر الكتاب. وقيل: المعنى: ليَحكُمَ الله. والضمير في (فيه) عائدٌ على (ما) من قوله: (فيما) والضمير في (فيه) الثانية يحتمل أن يعودَ على الكتاب؛ أي: وما اختلف في الكِتابِ إلا الذين أُوتُوه موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع بفعلهم و﴿أُوتُوه﴾ بمعنى أعطُوه. وقيل: يعود على المُنزَّل عليه، وهو محمدٌ ﷺ قاله الزجاج؛ أي: وما اختلف في النبيِّ عليه السلام إلا الذين أعطُوا علمَه. ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ نصب على المفعول له؛ أي: لم يختلفوا إلا للبَغْي [930].

في التعليل الذي ذكره القرطبي إشارة إلى معنى الآية قال (وهي قراءة شاذة لأنه تقدم ذكر الكتاب) قال ابن عطية: « وقرأ الجحدري «ليحكم» على بناء الفعل للمفعول .قال القاضي أبو محمد: وأظنه تصحيفا لأنه لم يحك عنه البناء للمفعول كما حكى الناس، والضمير في فِيهِ عائد على مَا من قوله: فِيمَا، والضمير في فِيهِ الثانية يحتمل العود على الكتاب ويحتمل على الضمير الذي قبله، والذين أوتوه أرباب العلم به والدراسة له، وخصهم بالذكر تنبيها منه تعالى على الشنعة في فعلهم والقبح الذي واقعوه» [931]

وذكر ابن الجزري بناء(ليحكم) للمفعول في مواطن أخرى قال : «يعني قوله تعالى: (ليحكم بين الناس) قرأه أبو جعفر بضم الياء وفتح الكاف وكذا في حرف آل عمران وموضعي النور، والباقون بفتح الياء وضم الكاف كما فهم من ضده، ووجه قراءة أبي جعفر ما روى كثير من نحو ذلك في القرآن كقوله تعالى: (زين للذين كفروا)، (وعلمتم ما لم تعلموا) وكله من أفعال الله تعالى، وقد اختلفوا: أي المفسرون في معناه هنا على قراءة الجماعة، فقيل ليحكم الكتاب، وقيل كل نبي لكتابه، وهما محتملان، وقراءة أبي جعفر تدل على المعنيين جميعا» [932] قال وإذا كانت القراءة لأنها تخالف الرسم فإن هذه

---

[930] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص406-407.

[931] ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،ج1،ص286.

[932] ابن الجزري شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ) ،شرح طيبة النشر في القراءات ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة دار الكتب العلمية - بيروت ط2 ، 1420 هـ - 2000 م. ص195.

القراءة (ليحكم)بضم الياء وفتح الكاف توافق الرسم وتُنسب إلى عاصم الجحدري فهي أقرب لإلى الصحيحة منها إلى الشاذة ـ وأهل العلم أدرى ـ

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا﴾ (البقرة: 283)، قرأ الجمهور: (كاتبًا) بمعنى رجل يكتُبُ. وقرأ ابن عباس وأُبيّ و مجاهد والضَّحاك و عِكرِمةُ وأبو العالية: (ولمْ تَجِدُوا كتابًا). قال أبو بكر الأنبَاري: فسَّره مجاهد فقال: معناه فإنْ لم تجدوا مِدادًا يعني في الأسفار. ورُوي عن ابن عباس: (كُتَّابًا).

قال النحاس:« هذه القراءةُ شاذَّة، والعامَّةُ على خلافها، وقلَّما يخرجُ شيءٌ عن قراءة العامة إلا وفيه مَطْعَن؛ ونَسقُ الكلام على كاتب» [933]؛ قال الله ﷻ قبل هذا: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ وكُتَّابٌ يقتضي جماعةً. قال ابن عطية: كُتَّابًا يحسُن من حيثُ لكلِّ نازلةٍ كاتب، فقيل للجماعة: ولم تجدُوا كتَّابًا. وحكى المهدويُّ عن أبي العالية أنَّه قرأ: (كُتُبًا)، وهذا جمعُ كِتاب من حيثُ النوازلُ مختلفة. وأمَّا قراءةُ أبيّ وابن عباس: (كُتَّابًا)، فقال النحَّاس و مكيّ: هو جمعُ كاتب كقائم وقِيام. مكيّ: المعنى وإنْ عدِمت الدَّواة والقلم والصحيفة. ونفْيُ وجود الكاتب يكون بعدم أيّ آلة اتّفَق، ونفْيُ الكاتب أيضًا يقتضي نفي الكتاب؛ فالقراءتان حسنتان إلا من جهة خطِّ المصحف [934].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ (الأعراف: 20)، وقرأ ابن عباس: (مَلِكَيْن) بكسرِ اللاَّم، وهي قراءة يحيى بن أبي كثير [935] و الضحَّاك. وأنكر أبو عمرو بن العلاء كسرَ اللام، وقال: لم يَكُنْ قبلَ آدمَ ﷺ مَلِكٌ فيصيرا مَلِكَيْن.

---

[933] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص139.

[934] الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص465-466.

[935] يَحْيَى بنُ أَبِي كَثِيْرٍ أَبُو نَصْرٍ الطَّائِيُّ ، الحَافِظُ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ، رَوَى عَنْ: أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ،وَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، وَعِدَّةٍ.كَانَ طَلاَّبَةً لِلْعِلْمِ، حُجَّةً. رَوَى عَنْهُ: ابْنُهُ؛ عَبْدُ اللهِ، وَمَعْمَرٌ، وَالأَوْزَاعِيُّ، وَخَلْقٌ كثر. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: هُوَ إِمَامٌ، لاَ يَرْوِي إِلاَّ عَنْ ثِقَةٍ. تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ، الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج6، ص31.

قال النحَّاس:« ويجوز على هذه القراءة إسْكانُ اللاَّم، ولا يجوز على القراءة الأُولى لِخِفَّة الفتحة»[936].

قال ابن عبَّاس: أتاهما الملعونُ من جِهة المُلْك؛ ولهذا قال: ﴿أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (طه: 120). وزعَم أبو عُبيد أنَّ احتجاجَ يحيى بن أبي كثير بقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ حُجَّة بَيِّنةٌ، ولكن النَّاس على تَرْكها، فلهذا تركناها.

قال النحَّاس:« (إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ) قراءةٌ شاذَّة. وقد أُنكِرَ على أبي عُبيد هذا الكلامُ، وجُعِل من الخطأ الفَاحش. وهل يجوز أنْ يَتوهَّم آدمُ عليه السلام أنَّه يَصِلُ إلى أكثر من ملك الجنة، وهي غاية الطالبين. »[937] وإنَّما معنى (وَمُلْك لا يبلى): المُقام في مُلك الجنَّة. والخُلودُ فيه[938].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ (يونس: 92)؛ أي: نُلْقِيك على نَجْوة من الأرض. وذلك أن بني إسرائيل لم يصدِّقُوا أنَّ فِرعون غَرِق وقالوُا: هو أعظم شأنًا من ذلك فألقاه الله على نَجْوة من الأرض؛ أي: مكان مرتفع من الأرض حتى شاهدوه. قال أوس بنُ حَجَر يصف مطرًا:

فَمَن بِعَقْوَتِه كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ*** والْمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْواحِ[939].

وقرأ اليزيدي و ابن السَّميقع: (نُنَحِّيك) بالحاء، من التنحية، وحكاها علقمة عن ابن مسعود؛ أي: تكون على ناحية من البحر. قال ابن جُريج: فَرُمِيَ به على ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل، وكَان قصيرًا أحمرَ كأنَّه ثور. وحكى علقمة عن عبد الله أنَّه قرأ: (بِنِدَائِك) من النداء.قال ابن عطية

---

[936] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص47.

[937] المصدر نفسه، ج2، ص48.

[938] القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص176-177.

[939] ديوان أوس بن حجر، تح: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1400ه/1980م، ص 16 .

«أي بقولك آمَنْتُ إلخ الآية، ويشبه أن يكتب بندائك بغير ألف في بعض المصاحف، ومعنى الآية أنّا نجعلك آية مع ندائك الذي لا ينفع »[940].

قال أبو بكر الأنباري: وليْسَ بمخالِف لهجاء مصحفنا، إذْ سبيلُه أن يكتب بياء وكاف بعد الدَّال؛ لأنَّ الألِف تسقط من نِدائك في ترتيب خطِّ المصحف كما سقط من (الظلمات) و(السموات) فَإذَا وقَع بها الحذف؛ استوى هجاء بدنك ونِدَائِك على أن هذه القراءة مرغُوبٌ عنهَا لشُذُوذِهَا وخِلافها ما عليه عامَّةُ المسُلمين، والقراءة سُنّة[941] يأخذها آخِرٌ عن أوَّل، وفي معناها نقصٌ عن تأويل قراءتِنا، إذ ليس فيها للدِّرع ذِكْر، الذي تتابعَت الآثَارُ بأنَّ بني إسرائيلَ اختلفُوا في غَرَق فرعون وسألُوا الله تعالى أن يُريَهم إيَّاهُ غَريقًا، فَألْقَاه على نَجوة من الأرضِ ببدنه، وهو درعُه التي يلبَسُها في الحروب. قال ابن عباس ومحمد بن كعبٍ القُرظي: وكانت درعُه من لؤلؤ منظوم. وقيل: من الذهب وكان يُعرف بها وقيل: من حديد، قاله أبو صخر: والبَدَن: الدِّرع القصيرة. وأنْشَد أبو عبيدة للأعشى:

وبيْضَاءَ كالنِّهْيِ مَوْضُونةً*** لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ [942].

وأنشد أيضاً لعمرو بن معد يكرب:

وَمَضَى نِسَاؤهمَ بِكُلِّ مُفَاضَةٍ *** جَدْلاَءَ سَابغَةٍ وبِالأبْدَان [943].

وقال كعب بن مالك:

تَرَى الأبْدَانَ فِيهَا مسبغَاتٍ *** عَلَى الأبْطَالَ واليَلَب الحَصِينَا[944].

---

(940) ابن عطيه، المحرر الوجيز، ج3، ص142.

(941) قال أبو عمرو الداني(ت444هـ): «وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت من الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات ط1، 1428 هـ - 2007 م، ج2ص860.

(942) ديوان الأعشى الكبير، ص75، والنِّهْي: أو شبهه. والموضونة: الدِّرع المنسوجة حلقتين حلقتين، أو بالجواهر. والقونس: أعلى بيضة الحديد.القاموس المحيط (نهى) و (وضن) و (قنس).

(943) ديوان عمرو بن معد يكرب، ص173. وجاءت في الديوان بلفظ وسعت بدلا من ومضى.

(944) الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص49. ونسبه لكعب بن مالك الانصاري و بعد العود الى ديوانه لم نقف عليه، ونسبه ابن هشام في السيرة، ج2، ص254، لضرار بن الخطاب الفهري وهو في ديوانه، جمع وتح: و شرح فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص 90.

أرَاد بالأَبْدَان الدُّرُوع واليَلَبُ الدُّروع اليَمَانية، كانتْ تُتَّخَذُ من الجُلود؛ يُخْرَزُ بَعْضُها إلى بَعْضٍ، وهو اسم جنس، الواحد: يَلَبة. قال عمرو بن كُلثوم:

عَلينا البَيضُ واليَلَبُ اليَمَانِي *** وأَسْيَافٌ يُقَمْنَ ويَنْحَنِينَا [945].

وقيل:« (ببَدَنِكَ) بجسد لا رُوح فيه» [946]؛ قاله مجاهد. قال الأخفش: «وأمَّا قولُ مَن قال: بِدِرْعِكَ، فليْسَ بشيء. » [947] قال أبُو بكر: لأَنَّهُم لَمَّا ضَرَعُوا إلى الله يسْألُونه مشاهدة فرعونَ غَريقًا أبرزه لهم فرأَوا جسدًا لا رُوح فيه، فلمَّا رأَتْه بنُو إسرائيل قالوا نعم يا موسى، هذا فرعون وقد غَرِقَ، فَخَرَجَ الشكُّ من قلُوبهم، وابتلع البحر فرعونَ كما كَان. فعَلَى هذا ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ احتمل معنيين: أحدهما: نُلْقِيكَ على نَجْوةٍ من الأرض. والثاني: نُظْهر جسدك الذِّي لا روحَ فيهِ. والقراءة الشَّاذَّة (بندائِكَ) يرجع معناها إلى معنى قراءة الجماعة، لأنَّ النِّدَاء يُفسَّر تفسيرين. أحدهما: نُلقيك بصياحك بكلمة التوبة، وقولِك -بعد أن أُغلق بابُها ومضى وقتُ قبولها ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ على موضع رفيع. والآخر: فاليوم نعزِلك عن غامض البحر بندائك لمَّا قلت: أنَا ربُّكم الأعْلى، فكانت تَنْجيتُه بالبَدَن معاقبةً من ربِّ العَالَمِين لَهُ علَى ما فرَّط من كُفره الذي منه نداؤه بالذي افترى فيه وبَهت، وادَّعَى القُدرة والأمر الذي يَعلم أنَّه كاذب فيه، وعاجزٌ عنه، وغير مستحِق له. قال أبو بكر الأنباري: فقراءتنا تتضمن ما في القراءة الشاذة من المعاني وتزيد عليها [948].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾؛ أي: لبني إسرائيلَ، ولمن بقيَ من قومِ فرعون ممن لم يُدْركه الغرق، ولم ينته إليه هذا الخبر. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا

---

(945) عمرو بن كلثوم، الديوان-معلقة-، جمع وتح: و شرح: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1411هـ-1991م، ص 84.

(946) الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص378.

(947) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ص2077.

(948) الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص50.

لَغَـٰفِلُونَ﴾ أي: معرِضون عن تأمُّل آيَاتنا والتفكُّر فيها. وقُرِئ: (لمن خَلَفَك) -بفتح اللام- أي: لَمَن بقيَ بعدك يخلُفُك في أرضك. وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ: (لمن خلقَك) بالقاف أي: تكون آية لخَالقك.[949]

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ (مريم: 26) الأصلُ في (تَرَيِنَّ): (تَرْأَيِين)، فُحذِفت الهمزةُ كما حُذفت من (ترى)، ونُقِلت فتحتُها إلى الراء فصارَ (ترِيين)، ثم قُلِبت الياءُ الأولى ألفًا لتحركها وانفتاحِ ما قبلها، فاجتمعَ ساكنان الألفُ المنقلبةُ عن الياءِ وياءُ التَّأنيث، فحُذفت الألفُ؛ لالتقاءِ الساكنين، فصَار (تَرَيْنَ) ثم حُذِفت النونُ علامةً للجزم؛ لأنَّ (إن) حرفُ شرطٍ و(ما) صلةٌ فبقي تَرَىْ، ثم دخله نونُ التوكيدِ وهي مثقلةٌ، فكُسِر ياءُ التأنيثِ؛ لالتقاءِ الساكنين؛ لأنَّ النونَ المثقلة بمنزلةِ نوني الأُولى ساكنةٌ، فصار تَرِينَ. وعلى هذا النحوِ قولُ ابنِ دُريد

إِمَّا تَرَيْ رأْسِيَ حَاكَى لونُهُ[950]

وقولُ الأفوهِ : إِمَّا تَرَيْ رأسيَ أَزْرَى به [951]

وإنَّما دخلتِ النون هنا بتوطئة (ما) كما يوطِّيء لدخولها أيضًا لامُ القسم، وقرأَ طلحةُ وأبو جعفر وشيبةُ:(تَرَيْنَ) بسكون الياء وفتح النون خفيفة[952]. قال أبو الفتح بن جني:« وهي شاذةٌ»[953].

والقرطبي رحمه الله ينقل رأي ابن جني في القراءة بأنها شاذة وهو ينقل من كتابه المحتسب ، والقراءة لطلحة وأبو جعفر وشيبة . والقرطبي يجعل كلام ابن جني حجة في الحكم على القراءة وهو من أوائل من ألفوا في القراءات الشاذة .

---

[949] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص50-51.

[950] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص438. وهي في شرح مقصورة بن دريد للخطيب التبريزي، تح: فخر الدين فبادة مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط 1، 1414 هـ/1994 م، ص14. وشطره الثاني (طُرَّةُ صبح تحت أذيالِ الدُّجى) .

[951] ديوان الأفوه الأودي، شرح وتح: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، ص 82. وشطره الثاني (مأس زمان ذي انتكاس مؤوس).

[952] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص439.

[953] ابن جني، المحتسب، ج2، ص42

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ (طه: 15)،قال النحَّاس:« وأجودُ من هذا الإسناد ما رواه يحيى القطّان[954]، عن الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير أنه قرأ: (أَكَادُ أُخفيها) بضم الهمزة» [955].

قال الفراء: وأمَّا قراءة ابنِ جُبير (أُخَفِيهَا) بفتح الهمزة بالإسناد المذكور فقال أبو بكر الأنباري: قال الفرَّاء:« معناه: أُظهرها، من خَفيتُ الشيءَ أَخفيه: إذا أظهرتَه» [956]. وأنشد الفرَّاء لامرئ القيس:

فَإِنْ تَدفِنُوا الدَّاءَ لاَ نَخْفِهِ *** وإِنْ تَبْعثُوا الحَربَ لا نَقْعُدِ [957].

أراد: لا نُظهره، وقد قال بعض اللغويين: يجوز أن يكون (أُخْفِيهَا) بِضَمِّ الهمزة معناه: أُظهرها؛ لأنَّه يقال: خَفيتُ الشيء وأَخْفَيتُه: إذَا أظْهرتَه فأَخفيْته من حروف الأضداد يقع على الستر والإظهار. وقال أبو عُبيدة: خَفيت وأَخفيت بمعنى واحد. النحاس: وهذا حسن، وقد حكاه عن أبي الخَطَّاب، وهو رئيسٌ من رؤساء اللغة لا يُشكُّ في صدقه.

كذا رواه أبو عُبيدة، عن أبي الخطَّاب بضم النون. وقال امرؤ القيس أيضا:

خَفَاهُنَّ مِن أَنفاقِهِنَّ كَأَنَّمَا *** خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ [958]

أي: أَظهرَهُنَّ. وروي: (من سحاب مركَّب) بدل: (من عَشيٍّ مجلِّب). وقال أبو بكر الأنباريُّ: وتفسيرٌ للآية آخرُ: (إِنَّ الساعَةَ آتيةٌ أكاد) انقطع الكلام على (أكاد) وبعده مضمر: أكاد، آتي بها، والابتداء: (أُخفِيها لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ). قال ضَابِىء البُرْجميُّ:

---

[954] يحيى القطان هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي، من تابعي التابعين قال ابن منجويه: يحيى القطان من سادات أهل زمانه حفظًا، وورعًا، وفقهًا، وفضلاً، وعلمًا، وعلمًا، وهو الذى محمد لأهل العراق رسم الحديث، وأمعن فى البحث عن الثقات، وترك الضعفاء.مات سنة ثمان وتسعين ومائة، رحمه الله ، النووي ، تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص155.

[955] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص25.

[956] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص176.

[957] ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي، ص54.

[958] الديوان نفسه، ص36.

هَمَمْتُ ولمْ أَفعلْ وكِدتُ وليتَنِي *** تَرَكْتُ علَى عُثْمَان تَبْكِي حَلاَئِلُهْ [959].

أراد: وكدت أفعل، فأضمر مع (كدت) فعلاً كالفعل المضمر معه في القرآن.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى ﴾ (طه: 32)؛ أي: في النُّبوَّة وتبليغِ الرسالة. (وَأَشْرِكْهُ) بفتح الهمزة على الدعاء؛ أي: اشدد يا ربِّ أزري، وأَشْركه معي في أمري. وقَرأ ابن عامر ويحيى بنُ الحارث وأبُو حَيْوة و الحسنُ وعبد الله بنُ أبي إسحاق: ﴿ٱشْدُدْ﴾ بقطع الألف، ﴿وأُشْرِكْهُ﴾ بضم الألف؛ أي: أنا أفعل ذلك،أُشْدِدْ أنا به أَزْري (وأُشرِكْه) أنا يا ربِّ ﴿فِيٓ أَمْرِى ﴾. قال النحاس: «جعلوا الفعلين في موضع جزمٍ جوابًا لقوله: ﴿وَٱجْعَلْ لِّى وَزِيرًا ﴾ وهذه القراءةُ شاذَّةٌ بعيدة؛ لأنَّ جواب مِثْلِ هذا إنَّما يتخرَّج بمعنى الشرطِ والمجازاة؛ فيكون المعنى: إن تجعل لي وزيرًا من أهلي أَشدُدْ به أزري، وأُشركْه في أمري. وأمرُه النبوةُ والرِّسالة، وليس هذا إليه ﷺ فيخبِرَ به، إنَّما سأل الله ﷻ أنْ يُشركه معه في النبوَّة» [960].

قال الطبري: « والقراءة (وأُشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) بضم الألف من أشركه، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء، وإذا قرئ ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء، أو جواب الدعاء، وذلك قراءة لا أرى القراءة بها، وإن كان لها وجه مفهوم، لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها» [961].

القرطبي يسمها بالشذوذ والطبري يراها مخالفة للقراءة الصحيحة التي عليها العامة فهو لا يُجيزها .

---

[959] ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 5، ص 125 . والماوردي في تفسير النكت و العيون، ج 3، ص397. و ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 166.

[960] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص27.

[961] الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن،تح أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط1، 1420 هـ - 2000 م ج 18، ص301.

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ (الفرقان: 61)؛ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا ﴾ قال ابن عباس: يعني الشمس؛ نظيره: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: 16). وقراءة العامة: (سِرَاجاً) بالتوحيد. وقرأ حمزة و الكسائي: (سُرُحاً)، يريدون النجوم العِظَام الوَقَّادة. والقراءةُ الأُولى عند أبي عبيدٍ أولى، لأنَّه تأوَّل أنَّ السُّرُج: النجومُ وأنَّ البروج النجوم، فيجيء المعنى: نجُومًاونجوماً.قال النحَّاس:« ولكنَّ التأويلَ لهم أنَّ أبانَ بن تغلب[962] قال: السُّرُج: النجومُ الدراري. الثعلبي: كالزُّهَرَة والمشترِي وزُحَل والسمَاكَين ونحوها»[(963)]، ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ ينير الأرضَ إذَا طَلَع. ورَوى عِصْمَةُ [(964)]، عن الأعمش: (وَ قُمْرًا) بضمِّ القاف وإسكَان الميم، وهذه قراءةٌ شاذة، ولو لم يكنْ فيها إلاَّ أنَّ أحمدَ بن حنبل وهو إمامُ المسلمين في وقته قال: لا تكتبوا ما يحكيه عِصمة الذي يروي القراءات، وقد أُولِع أبُو حاتم السِّجستاني بذكرِ ما يرويه عصمةُ هذا [(965)]. وهنا القرطبي يشذذ القراءة وينقل قول الإمام أحمد في هذا الرجل ..قد ذكر القرطبي أن القراءة رواها الأعمش وهو صاحب إسناد عال وهو من شيوخ حمزة «وقرأ سليم على حمزة، وقرأ حمزة على جماعة منهم: أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الكاهليّ، وقرأ الأعمش على أبي محمد يحيى بن وثّاب الأسدي، وقرأ يحيى على أبي شبل علقمة بن قيس بن عبد الله النّخعي وعلى ابن أخيه عبد الرحمن الأسود بن

---

(962) أبان بن تغلب بن رياح الجريري أبو سعيد البكري. ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في مصنفي الإمامية ومات أبان في سنة إحدى وأربعين ومائة. قال أبو جعفر: هو ثقة لقي أبا محمد علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم، كان قارئا فقيها لغويا نبيها، وصنف كتاب الغريب في القرآن ولأبان أيضا كتاب الفضائل. ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، ص38.

(963) النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص115.

(964) عصمة بْن مُحَمَّد بْن فضالة بْن مسعود الأنصاري الخزرجي حدث عَنْ موسى بْن عقبة، وهشام بْن عروة، ويحيى بْن سعيد الأنصاري، وغيرهم. روى عنه شعيب بْن سلمة الأنصاري والسري بْن عاصم.قَالَ: يحيى بْن معين: كان كذابا، قَالَ: الدارقطني، قَالَ: عصمة بْن مُحَمَّد بْن فضالة الأنصاري متروك. تاريخ بغداد، ج14، ص224.

(965) الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص460-461.

يزيد بن قيس، وعلى أبي عمرو عبيدة بن عمرو السّلمانيّ ومسروق بن الأجدع الهمداني، وقرأ هؤلاء على ابن مسعود وقرأ ابن مسعود على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ»[966].

وكان الأعمش إذا أبلغوه أن أصحاب العربية يخطئونه في حروف، افتخر بسنده ويقول وهل لهم إسناد كإسنادي، قرأت على سليمان «وقرأ سليمان على يحيى بن وثّاب، وقرأ يحيى على أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه»[967].

وشذوذ القراءات في الغالب معناها مخالفة الرسم العثماني ففي قبول القراءة السند وحده لايكفي والله أعلم .

المطلب الثاني: الحكم عليها

*** ضعيفة:**

اهتم القراء والنحاة بالقراءة التي تخالف العربية وتخرج عن قواعد النحاة ووسموها بالضعف ، وإن علا سندها ووافقت الرسم العثماني .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ (النحل: 66) (نُّسْقِيكُم) قراءة أهل المدينة وابن عامر، وعاصمٍ في رواية أبي بكر: بفتح النون، مِنْ سَقَى يَسْقى. وقرأَ الباقُونَ وحفصٌ عن عاصم بضم النونِ، من أَسْقَى يُسْقِي وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة قيل: هما لغتان وقال لبيد:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقَى*** نَمَيْرًا والقَبَائلَ مِن هِلالِ [968]

---

[966] الواسطي أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه (ت 741هـ) الكنز في القراءات العشر، تح خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ط1، 1425 هـ - 2004 م، ج1، ص156.

[967] ابن السَّلَّار عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، الشافعي (ت 782هـ) طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تح: أحمد محمد، عزوز المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1423 هـ - 2003 م، ص173

[968] ديوان لبيد ابن ربيعة، ص168.

وقيل : يُقال لما كان من يدكَ إلى فيه: سَقيتُه، فإذا جعلت له شُرْبًا، أو عَرَّضتَه لأَن يَشْرَبَ بفِيهِ، أو بزرعه، قال القرطبي: أَسقيتُه، قاله ابنُ عزيز [969] وقد تقدم. وقرأت فرقةٌ: (تسقِيكم) بالتاء، وهي ضعيفة، يعني: الأنعامَ، وقُرئ باليَاء؛ أي: يَسقِيكم الله ﷻ. والقُراء على القراءتين المتقدِّمتين، ففتحُ النونِ لغة قريش، وضمُّها لغة حِمير [970].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ (الكهف: 97) بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور وقيل: هي لغة بمعنى استطاعوا وقيل: بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا: اسطاعوا وحذف بعضهم منه الطاء فقال: استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة وقرأ حمزة وحده (فما اسطاعوا) بتشديد الطاء كأنه أراد استطاعوا ثم أدغم التاء في الطاء فشددها وهي قراءة ضعيفة الوجه قال أبو علي: هي غير جائزة وقرأ الأعمش (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) بالتاء في الموضعين [971].والقرطبي يضعف قراءة حمزة والعلة هي الجمع بين الساكنين ؛ السين ساكنة والطاء الآلى من التضعيف ساكنة قال ابن خالويه : «أدغم حمزة التاء في الطاء ، لأنهما أختان ، وجمع بين ساكنين السين والطاء المدغمة .فقال النحويون جميعا : إنه أخطأ لجمعه بين ساكنين »[972] ويقابلها بقراءة الأعمش الذي يظهر التاء في كلتا الحالتين . وتبقى قراءة حمزة قراءة سبعية متواترة وإن ضعفها النحاة .شأنها شأن الخفض في القراءة (والأرحام).

---

[969] مُحَمَّد بن عَزِيز أَبُو بكر السجسْتانِي العزيزي كَانَ أديباً فَاضلا متواضعاً، أَخذ عَن أبي بكر بن الْأَنْبَارِي، وصنف غَرِيب القرآن الْمَشْهُور فجوده؛ رَوَاهُ عَنهُ أَبُو حسنون وَغَيره. مَاتَ سنة ثَلَاثِينَ وثلثمائة. وَقَالَ ابْن النجار: كَانَ عبدا صَالحا، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا،ج1، 1326هـ، ص172.

[970] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص350.

[971] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص389.

[972] ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد الهمذاني النحوي الشافعي (ت370هـ) ، إعراب القراءات السبع وعللها ، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ،مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 1413،1هـ، 1992م ،ج1، ص421.

وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم﴿ دُرِّيٌّ ﴾ (النور: 35) بضم الدال وشد الياء ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدُّرِّ لبياضه وصفائه، وإما أن يكون أصلُه دُرِّيءٌ –مهموز- فُعِّيل من الدَّرء وهو الدفع وخفِّفت الهمزة. ويقال للنجوم العظام التي لا تعرف أسماؤها: الدَّراريُّ بغير همز فلعلهم خففوا الهمزة والأصل من الدَّرء الذي هو الدفع. وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم (دُرِّيءٌ) بالهمز والمد وهو فُعِّيل بمعنى من الدَّرء، بمعنى أنه يدفع بعضها بعضا وقرأ الكسائي وأبو عمرو(دِرِّيءٌ) بكسر الدال والهمز من الدرَّء والدفع مثل السِّكِّير والفِسِّيق، قال سيبويه: أي يدفع بعض ضوئه بعضا من لمعانه.

قال النحاس:« وضعف أبو عبيد قراءة أبي عمرو و الكسائي تضعيفا شديدا، لأنه تأوّلها من دَرأتُ أي دفعتُ أي كوكب يجري من الأفق إلى الأفق. وإذا كان التأويل على ما تأوله لم يكن في الكلام فائدة ولا كان لهذا الكوكب مزيَّة على أكثر الكواكب، ألا ترى أنه لا يقال: جاءني إنسانٌ من بني آدم؟ ولا ينبغي أن يتأوّل لمثل أبي عمرو و الكسائي مع علمهما وجلالتهما هذا التأويل البعيد، ولكن التأويل لهما على ما روي عن محمد بن يزيد أن معناهما في ذلك : كوكب مندفع بالنور، كما يقال: اندرأ الحريق أي اندفع وهذا تأويل صحيح لهذه القراءة» [973].

وحكى سعيد بن مسعدة أنه يقال:« (كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} اذا جعله من "الدُرّ" و (دِرِّيء) من "دَرَأَ" همزها وجعلها "فِعِّيل" وذلك من تَلأْلُئِهِ. وقال بعضهم (دَرِّيٌ) مثل (فَعِّيل) . دَرَأ الكوكبُ بضوئه إذا امْتدَّ ضوءه وعلا»[974] وقال الجوهري في الصحاح: « ودرأَ علينا فلان يدرأُ دروءًا أي طلع مفاجأة، ومنه (كوكب دِرِّيء) على فعِّيل مثل سِكِّير وخِمِّير لشدة توقده وتلألئه وقد درأَ الكوكب دُروءًا.» [975] قال أبو عمرو بن العلاء: سألت رجلا من سعد بن بكر من أهل ذات عِرق فقلت:هذا الكوكبُ الضَّخم ما تسمونه ؟ قال:الدِّرِّيء وكان من أفصح الناس [976].

---

[973] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص95.

[974] الأخفش الاوسط، معانى القرآن، 2 ج، ص 456.

[975] الجوهري، الكتاب: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ح 1، ص 48.

[976] الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص262-264.

قال النحاس:« فأما قراءة حمزة فأهل اللغة جميعا قالوا: هي لحن لا تجوز لأنه ليس في كلام العرب اسمٌ على فُعْيل وقد اعترض أبو عبيد في هذا فاحتجّ لحمزة فقال: ليس هو فُعْيل وإنما هو فُعُّول مثل سُبُّوح أبدل من الواو ياء. كما قال: عُتِيٌّ، وهذا الاعتراضُ والاحتجاجُ من أعظم الغلط وأشده. لأن هذا لا يجوز البتة ولو جاز ما قال لقيل في سبُّوح سُبِّيح وهذا لا يقوله أحد، وليس عُتِيٌّ من هذا، والفرق بينهما واضح بيّن لأنه ليس يخلو عُتِيٌّ من إحدى جهتين: إما أن يكون جمع عاتٍ فيكون البدل فيه لازما، لأن الجمع باب تغيير والواو لا تكون طرفا في الأسماء وقبلها ضمة فلما كان قبل هذه ساكن وقبل الساكن ضمة والساكن ليس بحاجز حصين، أُبدل من الضمة كسرة فقلبت الواو ياء، وإن كان عُتِيٌّ واحدًا كان بالواو أوْلى وجاز قلبها لأنها طرف والواو في فُعول ليست طرفا فلا يجوز قلبها»[977].

وفي الحجة: « يقرأ بكسر الدال والهمز والمدّ، وبضمها والهمز والمد، وبضمها وتشديد الياء. فالحجة لمن كسر وهمز: أنه أخذه من الدَّر وهو: الدفع في الانقضاض وشدّة الضوء. وكسر أوله تشبيهاً بقولهم: سِكِّيت: أي كثير السكوت. والحجة لمن ضَمَّ أوَّلَهُ أنه شبّهه بـ(مُرِّيق) وإن كان عَجَميًّا، والحجة لمن ضمَّ وشدد: أنه نسبه الى الدُّر لشدة ضوئه»[978].

إني أسمع أصواتهم وهم يتخاصمون حول القراءة ؛في ردها ورفضها وقبولها والاحتجاج لها. ينقلني هذا النص إلى فتوح أرمينيا وآذربيجان، عندما كان المسلمون من الشام والعراق يرد بعضهم قراءة بعض. ويفزع من ذلك حذيفة بن اليمان ، ويُبلّغ عثمان للخطر الذي يُحدق بالأمة فقد اختفوا في القرآن .فجمع عثمان القرآن وكان الجمع إظهارا للقراءات لعوام المسلمين، درءا للاختلاف أي ألا يختلف العوام والسبب الذي من أجله جمع عثمان القرآن يبقى قائما ، فعلماؤنا مازالوا مختلفين. فمتى يرفع من الأمة هذا الخصام والخلاف؟ وإن كان ولابد موجودا فبالتي هي أحسن .

---

[977] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص95.

[978] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص161.

*** باطلة:**

المعلوم أنّ القراءة الباطلة هي القراءة التي اختل فيها شرط صحة السند ،فبطلت لبطلان طريقها ولكن القرطبي رحمه الله يجعل البطلان مرتبط بمعنى القراءة فيبطلها

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ (البقرة: 184)، قرأ الجمهور بكسر الطّاء وسكون الياء وأصله: يُطْوِقُونَه، نقلت الكسرة إلى الطاء، وانقلبتِ الواو ياءً، لإنكسار ما قبلها. وقرأ حُميد على الأصل من غير اعتلال. والقياسُ الاعتلال. ومشهور قراءة ابن عباس: (يُطَوَّقُونَه) بفتح الطاء مخففةً وتشديد الواو. بمعنى: يُكَلَّفُونه. وقد روى مجاهد: (يَطِيقُونه) بالياء بعد الطاء على لفظ (يكيلونه)، وهي باطلة ومحال لأنَّ الفعلَ مأخوذ من الطَّوْق، فالواو لازمةٌ واجبة فيه، ولا مدخلَ للياء في هذا المثال قال أبو بكر الأنباريُّ: وأنشدنا أحمد بن يحيى النحويُّ لأبي ذؤيب:

فَقِيلَ تَحَمَّلْ فَوقَ طَوْقِكَ إنَّهَا *** مُطَبَّعَةٌ مَنْ يَأْتِهَا لا يَضِيرُهَا .[979]

فأظهرَ الواوَ في الطَّوق، وصحَّ بذلك أنّ واضع الياء مكانها يفارق الصواب. وروى ابن الأنباري عن ابن عباس: (يَطَّيَّقُونه) بفتح الياء وتشديد الطاء والياء مفتوحتين، بمعنى: يُطيقونه، يقال: طَاق وأَطَاق وأُطيق بمعنًى. وعن ابن عباس أيضًا وعائشة و طاوس[980] وعمرو بن دينار (يَطَّوَّقُونه) بفتح الياء وشدّ الطّاء مفتوحة وهي صواب في اللغة لأن الأصل: يَتَطَوَّقُونه، فأُسكنتِ التّاء وأدْغمت في الطّاء فصارت طاء مشدَّدة، وليست من القرآن، خلافًا لمن أثبتها قرآنًا، وإنَّما هي قراءة على التفسير[981]. قال أبو حيان: « وَقَرَأَتْ عائشة، ومجاهد، وطاووس، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: يَطَّوَّقُونَهُ مِنَ

---

(979) ديوان ابي ذؤيب الهذلي، ص115، ومطبعة: أي مملوءة.

(980) طاوس بن كيسان، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَمَانِيُّ الْجَنَدِيُّ أَحَدُ الْأَعْلَامِ. سَمِعَ: زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَائِشَةَ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، وابن عباس، وزيد بن أرقم، وطائفة. قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: " مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مثل طاوس. تُوُفِّيَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ هِشَامٌ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ صَلَّى هِشَامٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج3، ص 65.

(981) الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص143-144.

اطَّوَّقَ، وَأَصْلُهُ تَطَوَّقَ عَلَى وَزْنِ تَفَعَّلَ، ثُمَّ أَدْغَمُوا التَّاءَ فِي الطَّاءِ،. قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: هُوَ تَفْسِيرٌ لَا قِرَاءَةٌ، خِلَافًا لِمَنْ أَثْبَتَهَا قِرَاءَةً، وَالَّذِي قَالَهُ النَّاسُ خِلَافُ مَقَالَةِ هَذَا الْقَائِلِ، وَأَوْرَدَهَا قِرَاءَةً»[982].

لقد حوّمت على بعض التفاسير التي يعتمدها أبو حيان فلم أجد هذه المقالة إلا عند شيخي القرطبي رحمه الله فلمست هذا التعالي من أبي حيان على القرطبي وهو من يسلخ تفسيره سلخا ويعتمد عليه اعتمادا واضحا .ثم يومئ له بهذه الطريقة. ماباله أبو حيان؟ وقد وجدت المقالة الفصل عند الطبري الذي يرى أن قراءة ابن عباس منسوخة قال: «حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة في قوله:"وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين"، قال: كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم نصف صاع مسكينًا، فنسخها:"شهرُ رَمَضَان" إلى قوله:"فمن شَهد منكم الشهر فليصمه» [983] قال الشوكاني: « إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَتْ رُخْصَةً عِنْدَ ابْتِدَاءِ فَرْضِ الصِّيَامِ» [984].

قال الطبري: «وأماقوله:"وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طَعامُ مسكين"، فإنّ قراءة كافة المسلمين:"وعلى الذين يُطيقونه"، وعلى ذلك خطوط مصاحفهم. وهي القراءة التي لا يجوز لأحد من أهل الإسلام خلافُها، لنقل جميعهم تصويبَ ذلك قرنًا عن قرن. وكان ابن عباس يقرؤها فيما روي عنه:"وعلى الذين يُطوَّقونه". ثم اختلف قُرّاء ذلك:"وَعلى الذين يُطيقونه" في معناه »[985].

---

[982] أبو حيان ، البحر المحيط ،ج2،ص188.

[983] الطبري ،جامع البيان ،ج3،ص420

[984] الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت 1250هـ) ،فتح القدير دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1 ، 1414 هـ، ج1،ص208.

[985] الطبري ، المصدر السابق ،ج3،ص418.

وبعد هذه السياحة في سفر القرطبي رحمه الله التي ابتدأتُها بعرضه لمسائل القراءات في مقدمته الجامعة، التي احتوت على علوم متكاملة تشمل تاريخ القرآن من حيث حفظه وجمعه وكتابته، وحديث الأحرف السبعة والأقوال التي كثرت حول تفسير هذا الحديث العظيم.

ثم عرجت على طريقته في عرض القراءات المتواترة والشاذة وإن كانتا ليستا متقابلتين ؛فالمتواترة تقابلها الآحاد والشاذة تقابلها الصحيحة وكان ذلك باعتبار النظر للقرآن الكريم فالقرآن متواتر والقراءات فيها الصحيحة والشاذة ولأني تناولت الأحكام؛ فالصحيحة حكم على قراءة، والشاذة حكم على قراءة ؛فكل قراءة متواترة هي قراءة بالضرورة صحيحة والعكس غير صحيح ،ليس كل قراءة صحيحة هي قراءة متواترة قد تكون قراءة صحيحة ولكنها انتقلت آحادا ؛ يعني لم تتعدد طرقها فلها طريق واحد فقط.

أما الأحام التي أطلقها القرطبي رحمه الله على القراءات الصحيحة (الجيدة والأجود والحسنة) فهي أحكام باعتبار المعنى أو اللغة . وفيما يخص القراءة الشاذة ؛فإن علماء القراءات يجعلون كل قراءة اختل فيها شرط من شروط الصحة ، فهي قراءة شاذة ، وفي مواطن كثيرة يفصلون في مسألة الشاذة أنها الي لم توافق خط المصحف يعني لم تطابق الرسم العثماني ولو احتمالا . والقراءة الضعيفة هي القراءة التي لم توافق العربية ولو بوجه.

الفصل الثالث:

توجيه القرطبي للقراءات القرآنية

المبحث الأول: التوجيه ومصطلحاته

المطلب الأول: التوجيه

المطلب الثاني: التعليل

المطلب الثالث:الاحتجاج

المطلب الرابع: الترجيح

المطلب الخامس: الاختيار

المبحث الثاني: توجيه القرطبي للقراءة بالنقل

المطلب الأول: توجيه القراءة بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: توجيه القراءة بالحديث النبوي الشريف

المطلب الثالث: توجيه القراءة بكلام العرب

المبحث الثالث: توجيه القرطبي للقراءة بعلوم اللغة

المطلب الأول: توجيه القراءة بالصوت

المطلب الثاني: توجيه القراءة بالصرف

المطلب الثالث: توجيه القراءة بالنحو.

المطلب الرابع: توجيه القراءة بالدلالة.

المبحث الأول: التوجيه ومصطلحاته:

«إن الباحث في توجيه القراءات، يجد أن لهذا الفن أسماء أخر طالما يوافقها الدارس في المؤلفات وعبارات المهتمين به، من مثل: (حجة القراءات) و (وجوه القراءات) و(معاني القراءات) و(إعراب القراءات) و(علل القراءات) واجتمعت هذه الأسماء كلها تحت مصطلح (الاحتجاج) الذي كان أعمّها دلالة، وأشيعها انتشاراً في محيط الدراسات اللغوية، فما معنى كل من الاحتجاج والتوجيه في اللغة والاصطلاح؟»[(986)]. لا يمكن أن نفهم معنى التوجيه إذا لم نكن نعلم ماهي مصطلحاته، الاختيار والتعليل والترجيح، والاحتجاج.

وإن كانت هذه المصطلحات تبدو متشابهة وكلها تعني التوجيه، إلا أنه بينها اختلاف واضح لأن كل مصطلح من هذه المصطلحات يؤدي دورا ومرحلة من مراحل التوجيه على عمومه، فالتوجيه هو النظر في القراءة أو سوقها إلى جهة بذاتها محتجين لها بالحجج المتاحة لبيان صوابها وانسجامها مع اللغة، ولذلك وجب معرفة المصطلحات الأخرى لأنه لا تتم عملية التوجيه، إلا إذا علمنا ما الاختيار وما الاحتجاج وما الترجيح وما التعليل.

«فقد ظهر الترجيح ملاحظات أولية تروى عن بعض الصحابة والتابعين والقراء، مفرقة لا تستوعب قراءة بعينها ولا عدداً من القراءات، وإنما ترد عند الحاجة، ويدعو إليها اختيارهم وجهاً قرائياً على آخر، وكانت تعتمد في الغالب على حمل لفظ القَراءة على نظيره من القرآن الكريم، ثم أخذت تتجه مع ذلك إلى شيء من التعليل والتفسير من ذلك ما يروى عن ابن عباس –رضي الله عنهما– (ت68هـ) أنه كان يقرأ (ننشرها) بالراء المهملة وضم النون من قول الله تعالى: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ (البقرة: 259) ويحتج لقراءته بقوله الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾

(986) عبد الرحمن الجمل، منهج الطبري في القراءات، ص130. نقلا: جمال أبو سحلوب، عن القرطبي ومنهجه في القراءات، جمال أبو سحلوب، القرطبي ومنهجه في القراءات، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة غزة، فلسطين، إشراف الدكتور: أحمد عبد الرحمن الجمل، (دت)، ص185.

(عبس:22) وكأنه يذهب بذلك إلى أن معناها نُحييها» [987]. وهما (ننشزها وننشرها) قراءتان متواترتان.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ (البقرة: 214) فإذا كان ذلك جاء نصر الله للرسل وورد عن ابن عبّاس أيضاً أنه فسّر قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ (يوسف:110) أن الرسل ظنت أنهم قد كُذبوا فيما وُعدوا من النصر، وكانوا بشراً فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا كما قال تعالىّ، ونقِلَ عن عائشة رضي الله عنها أنها ردّت هذا التفسير.

قال ابن أبي مليكه: وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت: ما وعد الله

سوله من شيء إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم، وكانت تقرؤها: (وظنوا أنهم قد كذبوا) مثقلة للتكذيب"[988].

وهما (التخفيف والتشديد) قراءتان متواتران.

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ (المائدة: 112). كان الحواريّون أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربُّك، إنما قالوا: هل تستطيع أنت ربَّك؟ هل تستطيع أن تدعوه؟

وفي الآية قراءتان متواترتان هما: (هل يستطيعُ ربُّك) و(هل تستطيعُ ربَّك)

---

[987] عبد الرحمن الجمل، منهج الطبري في القراءات، ص130. نقلا عن القرطبي ومنهجه في القراءات،جمال أبو سحلوب، ص185.

[988] سعيد إبراهيم النمارنة، مصادر علم توجيه القراءات.Ahl Etafsir.com : // http .

المطلب الأول: التوجيه:

لغة: التوجيه لغة:

مأخوذ من وجه قال ابن فارس : الوجه: مستقبل كل شيء، وربما عبر عن الشيء بوجهه، تقول: وجهي إليك. وتقول واجهت فلاناً أواجهه، إذا جعلت وجهك تلقاء وجهه، ووجهت الشيء جعلته على جهة، والتوجيه في الشعر: الحرف الذي بين ألف التأسيس وحرف الروي [989].

اصطلاحاً: مفهوم توجيه القراءات:

هو بيان الوجه المقصود من القراءة، أو تلمس الأوجه المحتملة التي يجرى عليها التغاير القرآني في مواضعه، سواء كانت هذه الوجوه –كما سيتضح – نقلية أم عقلية، وهو بذلك المفهوم لا يكاد يختلف عن سابقه كبير اختلاف، سوى أن بعض علمائنا المتأخرين قد آثروا استعماله على مصطلح الاحتجاج، وأظن أن الذي حملهم على ذلك –حسبما يتبادر إلى الذهن – هو شيوعه في مجال الدرس اللغوي، وارتباطه بأكثر من مصدر من مصادره؛ فعمدوا إلى تمييز القراءات من ذلك بمصطلح التوجيه، بل ذهبوا إلى تخصيصه بالبحث في وجوه المعاني المترتبة على اختلاف القراءات.وكان "الاحتجاج" بالقراءات -لدى القدامى- لإثبات قواعد النحو وعلم اللغة[990].

من خلا ل التعريف اللغوي لكلمة التوجيه ولربطه بالقراءات فهو بيان وجه القراءة وذكر الحجج لها للأخذ بها في اتجاه وجه من وجوه العربية،

وبيان وجه اختيار القارئ للقراءة من دون القراءات الأخرى التي تلقاها عن شيوخه، فهي تعليل اختيار لا دليل صحة القراءة لأن دليل القراءة صحة اسنادها وتواترها

---

[989] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986 م، ج1 ص917.

[990] السندي أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور، صفحات في علوم القراءات المكتبة الأمدادية ط1، 1415 هـ، ص289.

فالزركشي (ت794هـ) يجعل النوع الثالث والعشرين من علوم القرآن في (معرفة توجيه القراءات، وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ) ويرى أنه "فن جليل" وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى به الأئمة وأفردوا فيه كتباً... وفائدته كما قال الكواشي (ت680هـ): أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجِّحاً" [991].

التوجيه بالضرورة عمل قام النحاة، وهو في الأصل نشأ ليكون سياجا يحمي القراءة ويعضدها ويقويها ويجعل لها مكانتها التي تليق بها في العربية، فهو ليس النظر في أسانيد القراءة ورسمها فذلك عمل القراء لأن هناك فاصل يفصل بين عمل النحاة وعمل القراء، وحتى وإن كان الذي يتناول القراءة بالتوجيه قارئا يعمل عمل النحاة فسينظر إليه في توجيهه على أنه نحوي إن صنع صنيع النحاة، وينظر إليه أنه قارئ إن قال قول القراء كأبي العلاء مثلا، القارئ شيخ النحاة.

المطلب الثاني: التعليل:

العلة لغة هي السبب، والتعليل هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر [992]. فالإنسان بطبيعته يميل إلى تعليل الأشياء ، ولا تخلو المعرفة مهما كان نوعها من نزعة تبريرية ، وعلم النحو يُبرز ما للقواعد التركيبية من وجاهة ، وقد أيد النحاة فكرة البحث عن تلك الأسباب التي تختفي وراءها الظاهرة اللغوية ، فالتعليل ركيزة الدرس النحوي ، وهو أعرق الأصول التي اعتمد عليها النحاة السابقون حيث عُرفوا بأنهم معللون[993] والمعروف أن من علل للقراءات هم النحاة ولذلك كان التعليل في توجيه القراءات أُسًّا ومحورا تدور عليه مسائل النظر في القراءات لغويا .

---

[991] الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت 794هـ) البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط1، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،ج 1،ص 339 .

[992] الجرجاني، التعريفات، ص61.

[993] انظررشيد حليم، أصول النحو عند ابن جني، دراسة لسانية في كتابيه الخصائص والمحتسب، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2010م، ص169.

وإن أجمل ما يعجبني في العلة مانسب إلى الخليل قال الزجاجي: وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله، سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال:"إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها. وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه. فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست. وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك. فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعاول فليأت بها" [994].

والعلة في علم التوجيه لا تخرج عن العلل التي ذكرها النحاة ولكن لها خصوصية تعلقها بالقراءة القرآنية، فإن العلة تظهر وتدور في فلك القراءة بقدر قدرة النحوي على إدارة المسألة اللغوية احتجاجا وتقوية للقراءة إن ردها النحاة أو الكشف عن سبب اختيار القارئ لها، فالنحوي يعمل على التبرير للقارئ في اختياره للقراءة هذه وتركه للقراءة تلك .

ففي الآية مثلا : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ (الأحزاب: 21)،قال القرطبي رحمه الله : وَالْأُسْوَةُ الْقُدْوَةُ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ" أُسْوَةٌ" بِضَمِّ الْهَمْزَةِ. الْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ، وَهُمَا لُغَتَانِ. وَالْجَمْعُ فِيهِمَا وَاحِدٌ عِنْدَ الْفَرَّاءِ. وَالْعِلَّةُ عِنْدَهُ فِي الضَّمِّ عَلَى لُغَةِ مَنْ كَسَرَ فِي الْوَاحِدَةِ: الْفَرْقُ بَيْنَ ذَوَاتِ الْوَاوِ وَذَوَاتِ الْيَاءِ، فَيَقُولُونَ كِسْوَةً وَكُسًا، وَلِحْيَةً وَلُحًى.

[994] أبو القاسم الزَّجَّاجي (ت 337 هـ) الإيضاح في علل النحو تح: مازن المبارك دار النفائس - بيروت ط5، 1406 هـ -1986 م. ص66.

الْجَوْهَرِيُّ: وَالْأُسْوَةُ وَالْإِسْوَةُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ لُغَتَانِ. وَالْجَمْعُ أُسًى وَإِسًى [995].هذان مثالان عن التعليل عند القرطبي وهما فيض من غيض .

المطلب الثالث: الاحتجاج :

لغة: الاحتجاج في اللغة؛ افتعال من الحَجَّ، وهو القصد، والحجّة: الدليل والبرهان، وهي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، أو ما دُلَّ به على صحة الدعوى، والجمع حُجَجٌ وحِجاج.

قال الأزهري: "إنما سميت حُجة؛ لأنها تُحجُّ، أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها". واحتج بالشيء: اتخذه حجة فالاحتجاج على ذلك هو تلمس الحجّة، ثم الإبانة عنها وإيضاحها.

الاحتجاج اصطلاحاً:

قد ضنت مصادر هذا الفن، بتقديم تعريف جامع مانع له، وأغلب الظن أنهم استعاضوا عن ذلك بعناوين كتبهم التي تكشف عن مادته وهدفه، ويكفي أن معرفة مثل (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها) لمكي ابن أبي طالب (ت437هـ)، و(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لابن جني (ت392هـ) ،لنهتدي به في اقتراح تعريف له يمتاز به من سائر مجالات البحث الأخرى التي يرد فيها ولعل أقرب ما يعرف به أنه : فن يُعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، وبيانها والإيضاح عنها.

والاحتجاج يكون معناه إيراد الشاهد الذي يُعضَّد به بيان العلة المفضية إلى الحكم ومثاله قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ (الأنعام:158) وقرئ (يوم يأت) لأن الياء تحذف إذا كان قبلها كسرة تقول: لا أدر ذكره القشيري قال النحاس:« قرأه أهل المدينة وأبو عمرو و الكسائي» [996] بإثبات الياء في الإدراج وحذفها في الوقف وروي أن أبيا وابن مسعود قرأ: (يوم يأتي) بالياء في الوقف

[995] القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ) الجامع لأحكام القرآن ،تح :أحمد البردوني وابراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية - القاهرة ،ط2، 1384هـ - 1964 م ،ج14، ص155.

[996] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص 182

والوصل وقرأ الأعمش وحمزة (يوم يأت) بغير ياء في الوقف والوصل قال أبو جعفر النحاس:«الوجه في هذا ألا يوقف عليه وأن يوصل بالياء لأن جماعة من النحويين قالوا: لا تحذف الياء ولا يجزم الشيء بغير جازم فأما الوقف بغير ياء ففيه قول الكسائي قال: لأن الفعل السالم يوقف عليه كالمجزوم فحذف الياء كما تحذف الضمة وأما قراءة حمزة فقد احتج أبو عبيد لحذف الياء في الوصل والوقف بحجتين إحداهما: أنه زعم أنه رآه في الإمام الذي يقال له إنه مصحف عثمان ﷺ بغير ياء والحجة الأخرى - أنه حكى أنها لغة هذيل تقول: ما أدر. قال النحاس: أما حجته بمصحف عثمان ﷺ فقيل لي ذهب وأما حجته بقولهم: (ما أدر) فلا حجة فيه لأن هذا الحذف قد حكاه النحويون القدماء ذكروا علته وأنه لا يقاس عليه»[997] وأنشد الفرَّاء في حذف الياء[998]:

كفاك كف ما تليق درهما *** جودا وأخرى تعط بالسيف الدما [999]

وفي الغالب تعني إيراد الدليل للاحتجاج به والدليل يعني الشاهد سواء كان نقليا؛والأدلة النقلية هي القرآن والحديث وكلام العرب شعرا ونثرا أو يكون الدليل عقليا وأغلبه القواعد المعروفة في اللغة التي تحكم أنظمة علوم اللغة الصوتية والصرفية والنحوية ويكاد يكون علم التوجيه كله احتجاج يعني إحاطة القراءة بكوكبة من النصوص النقلية و القواعد اللغوية والنحوية للتعليل والترجيح وإن كثيرا من علماء القراءات يرى ذلك دفاعا عن القراءات وبعضهم يرى ذلك بيان حجة الاختيار فقط وليس حجة لبيان صحة القراءة قال سعيد الأفغاني: وأكرر التنبيه هنا إلى أن كلمة (الحجة)في هذه المؤلفات لا يراد بها الدليل ، لأن دليل القراءة صحة إسنادها وتواترها ، وإنما يراد به وجه الاختيار ، لماذا اختار القارئ لنفسه قراءته من بين الصحيحة المتواترة التي أتقنها ؟يكون هذا الوجه تعليلا نحويا حينا،ولغويا حينا .ومعنويا تارة ، ونقليا تارة يراعى أخبارا أو أحاديث استأنس بها في اختياره ، فهي تعليل الاختيار لا دليل صحة القراءة إذ القراءة صحيحة في نفسها لتواترها لا لعلل اختيار قراء لها .ولا

---

[997] النحاس، إعراب القرآن، ص 183.

[998] معاني القرآن، الفراءج2ص27

[999] تفسير الطبري، ج 15،ص478.و الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان عن تفسير القرآن ج3 ص63.وابن منظور في لسان العرب، ج 10، ص 330.و ابن جني في الخصائص، ج3،ص92.

بد من هذا التنبيه لأن عددا من الباحثين البعيدين عن الاطلاع على هذا الفن تورطوا في مزالق ومزلات حين جهلوا المقصود من هذا المصطلح .كما انزلق قديما الإمام الزمخشري وهو لا يحسن فن القراءة [...]حين ظن أن القارئ حر في اختيار قراءته أو أنه أسير الرسم فانتقد بعض القراءات وغاب عنه أن القراءة سنة متبعة تتلقى تلقيا بالتواتر فمهما تمر بك في هذا الكتاب أو غيره من كتب حجج القراءات كلمة (حجة)فلا تفهمن منها إلا تعليلا لاختيار خاص[1000] .

والحقيقة التي تبينها كتب أدلة النحو، أن القراءات القرآنية دليل وحجة على اللغة والعكس غير صحيح ولكن جمهورا من النحاة أقحم القراءة فيما يحتاج إلى دليل صحتها إذا خرجت على قواعد النحو التي وضعها النحاة.وهذه المسألة بؤرة توتر في الدرس القرائي وهو ما أدى إلى كثرة الآراء وتضخم اللغة بسبب اختلاف رؤى العلماء في ما خرج عن مقاييسهم من القراءات القرآنية التي لابد لها من معايير خاصة بها لا تحشر القراءة مع أي كلام عربي .والمسألة مازالت تلد تنوعا واصطداما بين الدارسين والدائرة مازالت تتسع لتضم عبر الأزمنة آراء جديدة مدافعة وآراء رادّة للقراءة

المطلب الرابع: الترجيح :

تعريفه لغة:

قال ابن فارس: «(رَجَحَ) الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى رَزَانَةٍ وَزِيَادَةٍ. يُقَالُ: رَجَحَ الشَّيْءُ، وَهُوَ رَاجِحٌ، إِذَا رَزَنَ، وَهُوَ مِنَ الرُّجْحَانِ»[1001] .

تعريفه اصطلاحا :

عرفه الزركشي في البحر المحيط قال: «وَهُوَ تَقْوِيَةُ إحْدَى الْإِمَارَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى بِمَا لَيْسَ ظَاهِرًا مَأْخُوذٌ مِنْ رُجْحَانِ الْمِيزَانِ وَفَائِدَةُ الْقَيْدِ الْأَخِيرِ أَنَّ الْقُوَّةَ لَوْ كَانَتْ ظَاهِرَةً لَمْ يَحْتَجْ إلَى التَّرْجِيحِ قَالَ إلْكِيَا: التَّرْجِيحُ إظْهَارُ الزِّيَادَةِ لِأَحَدِ الْمِثْلَيْنِ عَلَى الْآخَرِ أَصْلًا مَأْخُوذٌ مِنْ رَجَّحْت الْوَزْنَ إذَا زِدْتَ جَانِبَ

[1000] ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد رحمه الله، حجة القراءات، مقدمة المحقق، ص35.

[1001] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399ه / 1979م، ج2، ص 489.

الْمَوْزُونِ حَتَّى مَالَتْ كِفَّتُهُ، وَلَوْ أَفْرَدْتَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْوَزْنِ لَمْ يَقُمْ بِهَا الْوَزْنُ فِي مُقَابِلَةِ الْكِفَّةِ الْأُخْرَى قُلْت: هَذَا حَدٌّ لِلْمُرَجِّحِ لَا لِلتَّرْجِيحِ، وَقِيلَ: بَيَانُ اخْتِصَاصِ الدَّلِيلِ بِمَزِيدِ قُوَّةٍ عَنْ مُقَابِلِهِ لِيَعْمَلَ بِالْأَقْوَى وَرَجَحَ عَلَى الْأَوَّلِ، لِأَنَّ التَّرْجِيحَ يَجْرِي فِي الظَّوَاهِرِ وَالْأَخْبَارِ تَارَةً، وَفِي الْمَعَانِي أُخْرَى فَالتَّعْرِيفُ الْأَوَّلُ يَخْرُجُ مِنْهُ الْأَخْبَارُ وَالظَّوَاهِرُ، لِاخْتِصَاصِ اسْمِ الْأَمَارَةِ بِالْمَعَانِي، وَهَذَا مُنْدَفِعٌ بِالْغَايَةِ» [1002].

ففي قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، يقول: « اختلف العلماء أيّهما أبْلغ: مَلِكِ أو مَالِكِ؟ والقراءتان مرويتان عن النبيّ ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ذكرهما الترمذي: فقيل:(مَلِك) أعمُّ، وأبلغُ من (مَالِك) إذ كلُّ مَلِك مالِكٌ، وليس كلُّ مالِك مَلِكًا؛ ولأنَّ أمْرَ المَلِكِ نافذٌ على المَالك في مِلكِهِ، حتى لا يتصرَّف إلا عن تدبير المَلِكِ. قاله أبو عبيدة والمبرّد، وقيل (مالك) أبلغُ، لأنه يكونُ مالكاً للناس وغيرهم، فالمالكُ أبلغُ تصرُّفاً وأعظمُ، إذ إليه إجراءُ قوانينِ الشرع، ثم عنده زيادةُ التملُّكِ، وقال أبو عليّ: حكى أبو بكر بن السرَّاج [1003] عن بعض من اختارَ القراءَة بـ(مَلِك) أنَّ الله سبحانه قد وصف نفسه بأنَّه مالِكُ كلِّ شيء بقوله:﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فلا فائدة في قراءة مَن قرأ: (مالك) لأنها تكرارٌ، قال أبو عليّ: ولا حجَّة في هذا لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة. تقدم العالم ثم ذكر الخاص كقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: 24)، فالخَالقُ يَعُمُّ، وذكر المصوِّر، لما فيه من التَّنبيه على الصَّنعةِ، ووجود الحكمةِ، وكما قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: 4)، بعد قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ والغيبُ يعُمُّ الآخرةَ وغيرَها، ولكن ذكرها لعظمها، والتنبيه على وجوب اعتقادها، والرَّدَّ على الكفرة الجاحدين لها، وكما قال: (الرحمن الرحيم) فذَكَرَ (الرحمن) الذي هو عامٌّ،

[1002] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1، 1414هـ - 1994م، ج8، ص145.

[1003] ابن السراج هو أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، فإنه كان أحد العلماء المذكورين، وأئمة النحو المشهورين. أخذ عن أبي العباس المبرد، وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد، وأخذ عنه أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. وله مصنفات حسنة، وأحسنها وأكبرها كتاب الأصول؛ فإنه جمع فيه أصول علم العربية. وكان ثقة. توفي سنة ست عشرة وثلثمائة، الأنباري،نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص187.

وذَكَرَ (الرحيم) بعده لتخصيصِ المؤمنين به في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: 43)، وقال أبو حاتم إن (مالكاً) أبلغُ في مدح الخالق من (مَلِكِ) و(مَلِكِ) أبلغ في مدح المخلوقين من (مَالِكِ)، والفرق بينهما: أن المالكَ من المخلوقين قد يكون غيرَ (مَلِكِ) وإذا كان الله تعالى مالكاً كان مَلِكاً، واختار هذا القول القاضي أبو بكر بن العربي وذكر ثلاثة أوجهٍ: الأوَّل: أنك تضيفه إلى الخاصِّ والعامِّ، فتقول، مالكُ الدَّار والأرضِ والثَّوب. كما تقول: مالِكُ المُلوك، الثاني، أنَّه يُطلق على مالِك القليل والكثير، وإذا تأمَّلت هذين القولين وجدْتَهما واحداً، والثالث: أنك تقول: مالِكُ المُلْكِ ولا تقول مَلِكُ المُلْكِ.

قال ابن الحصَّار [1004]، إنما كان ذلك لأن المراد من (مالك) الدلالة على المِلْكِ -بكسر الميم- وهو لا يتَضَمَّنُ المُلك -بضم الميم- و(مَلِكِ) يتضمَّنُ الأمرَين جميعاً، فهو أوْلى بالمبالغة. ويتضمَّن أيضاً الكمالَ، ولذلك استحقَّ المُلك على من دونه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ (البقرة: 247).

وارتضى القرطبي ذلك فقال في تعقيبه على من قال إن مالكا أبلغ لزيادة حروفه التي تقتضي زيادة ثواب من قرأ به. إن« مَالِكِ» أبلغ معنى من «مَلِكِ». يقول القرطبي: «وقد احتجَّ بعضهم على أن (مَالِكًا) أبلغُ، لأنَّ فيه زيادة حرف، فلقارئه عَشرُ حسنات زيادة على من قرأ: (مَلِكِ). قال القرطبي: هذا نظرا إلى الصِّيغةِ، لا إلى المعنى، وقد ثَبت القراءةُ بـ (مَلِكِ)، وفيه من المعنى ما ليس في (مالك) على ما بيَّنَّا والله أعلم» [1005].

[1004] ابن الحصار عليُّ بن محمد بن محمد بن إبراهيمَ بن موسى الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ، رَوى عن أبيه وأبي الجَيْش مُجاهدِ بن محمد،رَوى عنه أبو العبّاس بن أحمد بن عبدِ الله ابن العَرّام، وأبو عليّ حَسَنُ بن عليّ الماقَري. وكان محدّثًا راويةً فقيهًا عارفًا بأصُولِ الفقه، متحقّقًا بعلم الكلام، ذا حظٍّ وافر من علوم اللّسان وقَرض الشّعر. وله مصنَّفاتٌ أفاد بها، منها: مقالةٌ في إعجازِ القرآن، و"الناسخ والمنسوخ"، وهو ثلاثةُ أوضاع: الأكبرُ والأوسَطُ والأصغر. توفي نحوِ العشرين وست مئة . المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج5، ص70.

[1005] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 216-217-218.

فإنه لم ينتقص من الأخرى، بل لقد امتدحها بقوله والقراءتان حسنتان. على أنه بعد أن عرض آراء العلماء وموقفهم من قراءتي «مَالِكِ» و«مَلِكِ»، جاء ترجيحه بعد أن كشف ما في القراءتين من وجود الحسن والبلاغة. ولم يعمد الترجيح قبل ذلك، أو بعد أن كشف وجوه الترجيح في القراءة التي اختارها دون أخرى. ثم إنه قال في ترجيحه بعد أن استعرض آراء العلماء: وقد تثبتت القراءة بملك وفيه من المعنى ما ليس في الملك على ما بينا والله أعلم. وليس في هذا ما يعيب القراءة الأخرى.

وقال السمين الحلبي : «قال الشيخ شهابُ الدين أبو شامةَ: وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيحِ بين هاتين القراءتين، حتى إنَّ بعضَهُم يُبالِغُ في ذلك إلى حدٍّ يكاد يُسْقِطُ وجهَ القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمودٍ بعد ثبوتِ القراءتين وصحةِ اتصافِ الربِّ تعالى بهما، ثم قال: حتى إني أُصَلِّي بهذه في رَكْعةٍ وبهذه في رَكْعةٍ، ذكر ذلك عند قوله: مَلِك يوم الدين ومالِك»[1006].

قال أبو حيان: « وَهَذَا التَّرْجِيحُ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْمُفَسِّرُونَ وَالنَّحْوِيُّونَ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ لَا يَنْبَغِي، لِأَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ وَمَرْوِيَّةٌ ثَابِتَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا وَجْهٌ ظَاهِرٌ حَسَنٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَلَا يُمْكِنُ فِيهَا تَرْجِيحُ قِرَاءَةٍ عَلَى قِرَاءَةٍ»[1007]، فالترجيح للقراءة هو الاعتقاد بصحة القراءة الأخرى، وعدم الطعن فيها أو تهوينها.

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ (البقرة: 49)، قَرَأَ الْجُمْهُورُ: "يُذَبِّحُونَ" بِالتَّشْدِيدِ عَلَى المبالغة وقرا ابن محيصن" يذبحون" بالتخفيف والأولى أَرْجَحُ إِذِ الذَّبْحُ مُتَكَرِّرٌ وَكَانَ فِرْعَوْنُ عَلَى مَا رُوِيَ قَدْ رَأَى فِي مَنَامِهِ نَارًا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَحْرَقَتْ بُيُوتَ مِصْرَ فَأُوِّلَتْ لَهُ رُؤْيَاهُ أَنَّ مَوْلُودًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَنْشَأُ فَيَكُونُ خَرَابُ مُلْكِهِ عَلَى يَدَيْهِ وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ[1008].

[1006] السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،ج 1، ص48، 49.

[1007] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص588.

[1008] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص386.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (آل عمران: 11). البتة دئب، وإنما يقال: دأب يدأب دءوبا و (دأبا)، هَكَذَا حَكَى النَّحْوِيُّونَ، مِنْهُمُ الْفَرَّاءُ حَكَاهُ فِي كِتَابِ الْمَصَادِرِ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

كَدَأْبِكِ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ[1009].

فَأَمَّا الدَّأَبُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ، كَمَا يُقَالُ: شَعْرٌ وَشَعَرٌ وَنَهْرٌ وَنَهَرٌ، لِأَنَّ فِيهِ حَرْفًا مِنْ" حُرُوفِ الْحَلْقِ". وَاخْتَلَفُوا فِي الْكَافِ، فَقِيلَ: هِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ تَقْدِيرُهُ دَأْبُهُمْ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ، أَيْ صَنِيعُ الْكُفَّارِ مَعَكَ كَصَنِيعِ آلِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى. وَزَعَمَ الْفَرَّاءُ أَنَّ الْمَعْنَى: كَفَرَتِ الْعَرَبُ ككُفْرِ آلِ فِرْعَوْنَ. قَالَ النَّحَّاسُ: لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْكَافُ مُتَعَلِّقَةً بِكَفَرُوا، لِأَنَّ كَفَرُوا دَاخِلَةٌ فِي الصِّلَةِ. وَقِيلَ: هي متعلقة ب" فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ"، أي أخذهم أخذا كما أخذا آلَ فِرْعَوْنَ. وَقِيلَ: هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ" لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ ... " أَيْ لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ كَمَا لَمْ تُغْنِ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ عَنْ آلِ فِرْعَوْنَ. وَهَذَا جَوَابٌ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْجِهَادِ وَقَالَ: شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا. وَيَصِحُّ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ فِعْلٌ مُقَدَّرٌ مِنْ لَفْظِ الْوَقُودِ، وَيَكُونُ التَّشْبِيهُ فِي نَفْسِ الِاحْتِرَاقِ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى". وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ". وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَرْجَحُ، وَاخْتَارَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ. قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ:" كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ" أَيْ كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ. يَقُولُ: اعْتَادَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ الْإِلْحَادَ وَالْإِعْنَاتَ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَمَا اعْتَادَ آلُ فِرْعَوْنَ مِنْ إِعْنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ مَعْنَاهُ الْأَزْهَرِيُّ. فَأَمَّا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ (الْأَنْفَالِ) " كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ" فَالْمَعْنَى جُوزِيَ هَؤُلَاءِ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ كَمَا جُوزِيَ آلُ فِرْعَوْنَ بِالْغَرَقِ وَالْهَلَاكِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (بِآياتِنا) يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ الْآيَاتِ الْمَتْلُوَّةَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ الْآيَاتِ الْمَنْصُوبَةَ لِلدِّلَالَةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ. (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ).

وَكُلُّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ رَدُّهُ وَلَزِمَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِنَّ كُلَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ

[1009] الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص23.

بِهَا كُلِّهَا وإتباع مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إِحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِقَوْلِهِ: " لَا تَخْتَلِفُوا فِي القرآن وَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَسَاقَطُ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ، حُدُودُهَا وَقِرَاءَتُهَا وَأَمْرُ اللَّهِ فِيهَا وَاحِدٌ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ الْآخَرُ كَانَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَةٍ فَلَا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: لِأَحَدِ الْمُخْتَلِفِينَ: " أَحْسَنْتَ "، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: " أَصَبْتَ "، وَفِي الْآخَرِ: " هَكَذَا أُنْزِلَتْ ". فَصَوَّبَ النَّبِيُّ ﷺ قِرَاءَةَ كُلٍّ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ، وَقَطَعَ بِأَنَّهَا كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِهَذَا افْتَرَقَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ مِنَ اخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ كُلٌّ حَقٌّ وَصَوَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلَامُهُ لَا شَكَّ فِيهِ وَاخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ اخْتِلَافٌ اجْتِهَادِيٌّ وَالْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِيهِ وَاحِدٌ، فَكُلُّ مَذْهَبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى حَقٌّ وَصَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَقْطَعُ بِذَلِكَ وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْنَى إِضَافَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الِاخْتِلَافِ إِلَى مَنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ أَضْبَطَ لَهُ وَأَكْثَرَ قِرَاءَةً وَإِقْرَاءً بِهِ، وَمُلَازَمَةً لَهُ، وَمَيْلًا إِلَيْهِ، لَا غَيْرَ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ إِلَى أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ وَرُوَاتِهِمُ الْمُرَادُ بِهَا أَنَّ ذَلِكَ الْقَارِئَ وَذَلِكَ الْإِمَامَ اخْتَارَ الْقِرَاءَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ اللُّغَةِ حَسْبَمَا قَرَأَ بِهِ، فَآثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ حَتَّى اشْتَهَرَ وَعُرِفَ بِهِ، وَقُصِدَ فِيهِ، وَأُخِذَ عَنْهُ ؛ فَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةُ اخْتِيَارٍ وَدَوَامٍ وَلُزُومٍ لَا إِضَافَةَ اخْتِرَاعٍ وَرَأْيٍ وَاجْتِهَاد[1010].

قال أبو حيان الأندلسي: «وحكى أبو عمر الزاهد في كتاب" اليواقيت " أن أبا العباس أحمد بن يحي ثعلبا كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع، وقال : قال ثعلب ـ من كلام نفسه ـ : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعرابا على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى

[1010] ابن الجزري، النشر، ج1، ص51.

الكلام ـ كلام الناس ــ فضّلت الأقوى» [1011]. لقد أكثرت من أقوال العلماء في هذا المبحث لخصوصيته ولخطورته وقد اتضح ذلك مما قد بينته ونقلته .

المطلب الخامس: الاختيار:

الاختيار في اللغة: الاختيار في اللغة الاصطفاء والانتقاء، واختار الشيء على غيره، فضّله عليه. وكذلك التخير بين الشيئين، جاء في اللسان (فخار واختار وتخير وما ألحق بها يراد بها في اللغة الانتقاء والتفضيل والجودة، فخار الشيء واختاره وتخيره: انتقاه)[1012]، قال ابن فارس: الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه [1013].

الاختيار في الاصطلاح: وهو: « انتقاء من مجموعة متاحة وفق ضوابط شرعية، وهذا المصطلح هو السبب في نسبة القراءات لبعض الأئمة دون غيرهم وفق ضوابط ومعايير معينة، وهي ليست مبنية على الاجتهاد أو الرأي أو الاختراع بقدر ما تعتمد على المداومة والملازمة والاشتهار بالإقراء والبراعة فيه وما إلى ذلك من المعايير التي وضعت في زمن ابن مجاهد . والاختيار أيضا كان بين الرواة» [1014].

وقال القرطبي : «وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار ممّا روي وعلم وجْهُهُ من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به، ونسب إليه، فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير» [1015].

قال الإمام الطبري: «الاختيار هو أن يأخذ القارئ من مجموع القراءات التي رواها حروفا يفضلها لسبب يذكره، أو لا يذكره، قد يكون حرف منها قراءة في حين يكون الحرف الآخر من قراءة أخرى، وهكذا إلى آخر القرآن الكريم ...فالقراءة هي الطريقة التي يقرأ بها كل واحد من قراء الصحابة

[1011] أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص42 . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص339.

[1012] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص264.

[1013] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص385.

[1014] من برنامج أضواء القرآن الكريم مدخل إلى علم القراءات ttps://vb.tafsir.net/tafsir30132/

[1015] القرطبي، الجامع، ج1، ص79.

مثل قراءة زيد بن ثابت، وقراءة أبي بن كعب، والاختيار هو تأليف علماء القراءة من التابعين قراءة من قراءات الصحابة، وتأليف علماء تابعي التابعين قراءة من قراءة التابعين، بحيث لا يخرج أحد على شيء مما روي من قراءات الصحابة» [1016].

قال ابن الجزري: «إِنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ كُلٌّ حَقٌّ وَصَوَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلَامُهُ لَا شَكَّ فِيهِ وَاخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ اخْتِلَافٌ اجْتِهَادِيٌّ وَالْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِيهِ وَاحِدٌ، فَكُلُّ مَذْهَبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى حَقٌّ وَصَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَقْطَعُ بِذَلِكَ وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْنَى إِضَافَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الِاخْتِلَافِ إِلَى مَنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ أَضْبَطَ لَهُ وَأَكْثَرَ قِرَاءَةً وَإِقْرَاءً بِهِ، وَمُلَازَمَةً لَهُ، وَمَيْلًا إِلَيْهِ، لَا غَيْرَ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ إِلَى أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ وَرُوَاتِهِمُ الْمُرَادُ بِهَا أَنَّ ذَلِكَ الْقَارِئَ وَذَلِكَ الْإِمَامَ اخْتَارَ الْقِرَاءَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ اللُّغَةِ حَسْبَمَا قَرَأَ بِهِ، فَآثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ حَتَّى اشْتَهَرَ وَعُرِفَ بِهِ، وَقُصِدَ فِيهِ، وَأُخِذَ عَنْهُ ؛ فَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةُ اخْتِيَارٍ وَدَوَامٍ وَلُزُومٍ لَا إِضَافَةَ اخْتِرَاعٍ وَرَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ» [1017].

قال ابن الجزري: «ليس المراعى في الأحرف السبعة المنزلة عددا من الرجال دون آخرين ولا الأزمنة والأمكنة، وأنه لو اجتمع عدد لا يحصى من الأمة فاختار كل واحد منهم حروفا بخلاف صاحبه، وجرّد طريقا في القراءة على حدى في أي مكان كان، وفي أي أوان أراد بعد الأئمة الماضين في ذلك، بعد أن كان ذلك المختار بما اختاره من الحروف ملتزما بشرط الاختيار لما كان بذلك خارجا عن الأحرف السبعة المنزلة، بل فيها متسع إلى يوم القيامة » [1018].

وقد ظن بعض النحاة أن الاختيار مبني عن الفصاحة فذموا بعض القراءات «وإنما وقف الزمخشري من قراءة ابن عامر (والأرحامِ) موقف المستنكر، لاعتقاده بأن "القراءات اختيارية، تدور

[1016] زيد بن علي بن محمدي مهارش، منهج الإمام الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه [تبيان]، ص143 .

[1017] ابن الجزري، النشر، ج1، ص52.

[1018] المصدر نفسه، ص142.

مع اختيار الفصحاء، واجتهاد البلغاء»[1019]، على الرغم من أنها « قراءة متواترة صحيحة وقارئها ابن عامر أعلى القراء السبعة سندا وأقدمهم هجرة، من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء ومعاوية وفضالة بن عبيد، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب، وكلامه حجة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللحن»[1020].

فالاختيار له ضوابطه وقوانينه التي نص عليها أصحاب الفن.

قال القرطبي في الآية: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ (البقرة :34).« وَهَذَا السُّجُودُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ قَدِ اتَّخَذَهُ جُهَّالُ الْمُتَصَوِّفَةِ عَادَةً فِي سَمَاعِهِمْ وَعِنْدَ دُخُولِهِمْ عَلَى مَشَايِخِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ، فَيُرَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا أَخَذَهُ الْحَالُ بِزَعْمِهِ يَسْجُدُ لِلْأَقْدَامِ لِجَهْلِهِ سَوَاءٌ أَكَانَ لِلْقِبْلَةِ أَمْ غَيْرِهَا جَهَالَةً مِنْهُ، ضَلَّ سَعْيُهُمْ وَخَابَ عَمَلُهُمْ. الْخَامِسَةُ- قَوْلُهُ: (إِلَّا إِبْلِيسَ) نُصِبَ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمُتَّصِلِ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ: ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ، وَرَجَّحَهُ الطَّبَرِيُّ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ[1021].

وقال في الآية: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ (البقر:

[1019] صبحي إبراهيم الصالح (ت 1407هـ)، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين،ط1، 1379هـ - 1960م، ص134

[1020] الدمياطيّ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، ط3، 2006م - 1427هـ، ص274.

[1021] الجامع لاحكام القرآن، ج1، ص291.

196)؛ وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يَلْزَمُ الْعَبْدَ الدَّمُ. وَهُوَ كَالْحُرِّ عِنْدَهُمْ فِي تَجَاوُزِ الْمِيقَاتِ، بِخِلَافِ الصَّبِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ فَإِنَّهُمَا لَا يَلْزَمُهُمَا الْإِحْرَامُ لِدُخُولِ مَكَّةَ لِسُقُوطِ الْفَرْضِ عَنْهُمَا. فَإِذَا أَسْلَمَ الْكَافِرُ وَبَلَغَ الصبي كان حكمهما حكم المكي، ولا شي عَلَيْهِمَا فِي تَرْكِ الْمِيقَاتِ. قَوْلُهُ تَعَالَى:" فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ" فيه اثْنَتَا عَشْرَةَ مَسْأَلَةً: الْأُولَى- قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: هَذِهِ آيَةٌ مُشْكِلَةٌ، عُضْلَةٌ مِنَ الْعُضَلِ. قُلْتُ: لَا إِشْكَالَ فِيهَا، وَنَحْنُ نُبَيِّنُهَا غَايَةَ الْبَيَانِ فَنَقُولُ: الْإِحْصَارُ هُوَ الْمَنْعُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تقصده بالعوائق جملة، ف" جملة" أَيْ بِأَيِّ عُذْرٍ كَانَ، كَانَ حَصْرُ عَدُوٍّ أَوْ جَوْرُ سُلْطَانٍ أَوْ مَرَضٌ أَوْ مَا كَانَ. وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَعْيِينِ الْمَانِعِ هُنَا على قولين: الأول: قال علقمة وعروة ابن الزُّبَيْرِ وَغَيْرُهُمَا: هُوَ الْمَرَضُ لَا الْعَدُوُّ. وَقِيلَ: العدو خاصة، قاله ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَأَنَسٌ وَالشَّافِعِيُّ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهُوَ اخْتِيَارُ عُلَمَائِنَا. وَرَأَى أَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَمُحَصِّلِيهَا عَلَى أَنَّ "أُحْصِرَ" عُرِّضَ لِلْمَرَضِ، وَ" حُصِرَ" نَزَلَ بِهِ الْعَدُوُّ. قُلْتُ: مَا حَكَاهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَنَّهُ اخْتِيَارُ عُلَمَائِنَا فَلَمْ يَقُلْ بِهِ إِلَّا أَشْهَبُ وَحْدَهُ، وَخَالَفَهُ سَائِرُ أَصْحَابِ مَالِكٍ فِي هَذَا وَقَالُوا: الْإِحْصَارُ إِنَّمَا هُوَ الْمَرَضُ، وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهِ: حَصِرَ حَصْرًا فَهُوَ مَحْصُورٌ، قَالَهُ الْبَاجِيُّ فِي الْمُنْتَقَى.

قال: وَحَكَى أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ أَنَّهُ كَذَلِكَ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْكِسَائِيُّ:" أُحْصِرَ" بِالْمَرَضِ، وَ" حُصِرَ" بِالْعَدُوِّ. وَفِي الْمُجْمَلِ لِابْنِ فَارِسٍ عَلَى الْعَكْسِ، فَحُصِرَ بِالْمَرَضِ، وَأُحْصِرَ بِالْعَدُوِّ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يُقَالُ أُحْصِرَ فِيهِمَا جَمِيعًا مِنَ الرُّبَاعِيِّ، حَكَاهُ أَبُو عُمَرَ. قال القرطبي: وَهُوَ يُشْبِهُ قَوْلَ مَالِكٍ حَيْثُ تَرْجَمَ فِي مُوَطَّئِهِ" أُحْصِرَ" فِيهِمَا، فَتَأَمَّلْهُ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي الْمَرَضِ وَالْعَدُوِّ. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ أَبُو نَصْرٍ: وَادَّعَتِ الشَّافِعِيَّةُ أَنَّ الْإِحْصَارَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْعَدُوِّ، فَأَمَّا الْمَرَضُ فَيُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْحَصْرُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا يُسْتَعْمَلَانِ فِيهِمَا. قال: مَا ادَّعَتْهُ الشَّافِعِيَّةُ قَدْ نَصَّ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ عَلَى خِلَافِهِ. قَالَ الْخَلِيلُ: حَصَرْتُ الرَّجُلَ حَصْرًا مَنَعْتُهُ وَحَبَسْتُهُ، وَأُحْصِرَ الْحَاجُّ عَنْ بُلُوغِ الْمَنَاسِكِ مِنْ مَرَضٍ أو نحوه [1022].

[1022] الجامع لاحكام القرآن، ج2، ص271.

لقد حذفت هذا النص ثم رددته؛ حذفته لأنه لا علاقة له بالتوجيه اللغوي للقراءة القرآنية وأعدته لأنه اختيار لغوي يفك مسألة فقهية، فأحببت أن أبين المسألة لأن مصطلح الاختيار عام في علوم الشريعة لأن الفقه مثلا مبني على الاختلاف، الذي يفضي إلى التنوع فيُباح الاختيار . ومتى يكون الاختيار؟ يكون الاختيار عند ما تكون الكثرة، فالمرأ لا يستطيع أن يختار إذا كان المعروض عليه شيء واحد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾ (آل عمران: 116)؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِقَدْرِ ثَوَابِهِمْ. وَقِيلَ: يُبَادِرُونَ، بِالْعَمَلِ قَبْلَ الْفَوْتِ. (وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) أَيْ مَعَ الصَّالِحِينَ، وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْجَنَّةِ. (وما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) قَرَأَ الْأَعْمَشُ وَابْنُ وَثَّابٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ وَخَلَفٌ بِالْيَاءِ فِيهِمَا، إِخْبَارًا عَنِ الْأُمَّةِ الْقَائِمَةِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَاخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا عَلَى الْخِطَابِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:" كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (آل عمران: 110). وَهِيَ اخْتِيَارُ أَبِي حَاتِمٍ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو يَرَى الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا الْيَاءَ وَالتَّاءَ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: وما تفعلوا من خير فإن تُجْحَدُوا ثَوَابَهُ بَلْ يُشْكَرُ لَكُمْ وَتُجَازَوْنَ عَلَيْهِ [1023].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أَوْ دَيْنٍ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٍ يُوصَى بِفَتْحِ الصَّادِ. الْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ، وَكَذَلِكَ الْآخَرُ. وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِيهِمَا عَنْ عَاصِمٍ. وَالْكَسْرُ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ وَأَبِي حَاتِمٍ، لِأَنَّهُ جَرَى ذِكْرُ الْمَيِّتِ قَبْلَ هَذَا. قَالَ الْأَخْفَشُ: وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (يُوصِينَ) و (تُوصُونَ) [1024]. ففي المثال اختيار وتعليل الاختيار .

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ (النساء: 94)؛ أي تأملوا. و (فَتَبَيَّنُوا) قِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ وَأَبِي حَاتِمٍ،[...]وَمَنْ أُمِرَ بِالتَّبَيُّنِ. فَقَدْ أُمِرَ بالتثبت، يُقَالُ: تَبَيَّنْتُ الْأَمْرَ وَتَبَيَّنَ الْأَمْرُ بِنَفْسِهِ،

[1023] الجامع لاحكام القرآن، ج4، ص177.
[1024] الجامع لاحكام القرآن، ج5، ص73.

فَهُوَ مُتَعَدٍّ وَلَازِمٍ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ (فَتَثَبَّتُوا) مِنَ التَّثَبُّتِ بالثاء مثلثة وبعدها باء بواحدة [1025]. قال ابن خالويه : «والأمر بينهما قريب ، وذلك أن العرب تقول :تثبتُّ في أمري وتبينتُ»[1026]وكأن في هذا المثال تعليلا للاختيار وقد ظهرت المساواة بين القراءتين .

قال القرطبي قوله تعالى: ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ﴾ (البقرة: 184)، وقرأ أهل المدينة والشام (فديةُ طعامِ) مضافاً، (مساكينَ) جمعاً، وقرأ ابن عباس: (طعامُ مسكين) بالإفراد، فيما ذكر البخار و أبو داود و النسائي عن عطاء عنه وهي قراءة حسنة، لأنَّها بيَّنت الحكم في اليوم، واختارها أبو عبيد، وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي [1027].

قال النحاس:«هذه قراءة أهل المدينة وابن عامر رواها عنه عبيد الله عن نافع، وقرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ. وهذا اختيار أبي عبيد وزعم أنه اختاره لأن معناه لكلِّ يوم إطعامَ واحدٍ، فالواحد مترجم عن الجميع، وليس الجميع بمترجم عن الواحد. وجمع المساكين لا يدرى كم منهم في اليوم إلاَّ من غير الآية» [1028].(فِدْيَةٌ طَعَامُ) مضاف (مِسْكِينٍ) جمع: نافع وابن ذكوان. وافقهما هشام في (مِسْكِينٍ) . (1029)

وتخرج قراءة الجمع في (مساكين): لمَّا كان الذين يطيقونه جمعٌ، وكلُّ واحد منهم يلزمه مسكين؛ فجمع لفظة كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ (النور:4)؛ أي: أجْلِدوا كلَّ واحد منهم ثمانين جلدة، فليست الثمانون متفرقة في جميعهم، بل

[1025] الجامع لاحكام القرآن، ج5، ص337.

[1026] ابن خالويه ،إعراب القراءات السبع وعللها ج1، ص136.

[1027] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص144-145.

[1028] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص95.

[1029] ابن خلف الأنصاري أحمد بن علي بن أحمد الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (ت 540هـ) ،الإقناع في القراءات السبع دار الصحابة للتراث (دت)(دط)ص303

لكل واحد ثمانون، قال معناه أبوعلي. واختار قراءة الجمع النحاس، قال: وما اختاره أبو عبيد مردود؛ لأنَّ هذا إنما يعرف بالدلالة، فقد علم أنَّ معنى: (وعَلى الَّذينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكين): أنَّ لكلِّ يوم مسكيناً، فاختيار هذه القراءة لتردَّ جمعاً على جمع[1030]. وجه القرطبي القراءة بعد أن ذكر وجوهها بالأفراد والجمع في (مسكين) ثم احتج لها بآية من القرآن وقوى الجمع ورجحها ثم انتقل إلى الاختيار قال القرطبي : قال النحاس:« واختار أبو عبيد أن يقرأ: (فديةُ طعامُ) قال: لأنَّ الطعامَ هو الفديةُ ولا يجوز أن يكون الطعام نعتاً، لأنه جوهر، ولكنه يجوز على البدل، وأَبْيَنُ منه أن يُقرأ: (فِدْيةُ طعام) بالإضافة، لأنَّ (فدية) مبهمةٌ، تقع للطعام وغيره فصار مثل قولك : هذا ثوب خزّ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ شرط وجوابه وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ابتداء وخبر أي فالصوم خير لكم» [1031]. هو مثالٌ جامعٌ لكل عناصر عملية التوجيه .

المبحث الثاني: توجيه القرطبي للقراءة بالنقل:

وإن من أهم العلوم التي يحتضنها علم القراءات علم توجيه القراءات، فهو علم يبين وجوه القراءة القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة؛ تحقيقا وإقرارا بالركن المعروف للقراءة الصحيحة وهو موافقتها ولو بوجه للعربية... ويدلل ويستشهد على ذلك بآي من القرآن وبأشعار العرب وأمثالهم وأقوالهم [1032].

كيف تتم عملية التوجيه؟ عندما يعالج النحوي القراءة فإنه يتعرض لمسائل توجيها.

أولا: ذكر اختيارها، يعني من قرأ بها من القراء ثم يحتج، وقد يستند في احتجاجه إلى ذكر ما يعضد القراءة من قرآن أو حديث أو بيت شعر، ويعلل بذكر مناط العلة التي تجمع بين الشاهد المحتج به والقراءة، ليحكم بعد ذلك على القراءة بأن ينتصر لها فيرجحها على غيرها أو بأن يقويها بغيرها، إن

[1030] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص144-145.

[1031] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص95.

[1032] سعيد إبراهيم النمارنة، مصادر علم توجيه القراءات.http // : Ahl Etafsir.com

كانت ضعيفة أو شاذة، أو يردها ويحكم عليها بأنها قليلة رديئة وبعضهم يتجاوز ذلك القدر من الحكم فيصف القراءة بأوصاف لا تليق.

وعلى هذا فإن: « التّوجيه ضرب من الدّراسة التّأويلية ذات المنزع اللغوي إذ تقوم على بحث وجه القراءة من جانب العربيّة، على ماذا تحمل وبأيّ مذاهب العربية تفسّر، فالمشتغل بالتّوجيه يلزمه أن يكون جامعا لعلوم العربية وفقهها حتى يحمل كل رواية على ما يناسبها من مذاهب التّفسير النّحوي والصّرفي أو الصّوتي أو البلاغي الدلاّلي في بعض الأحيان»[1033].

إن القرطبي يسير في ركب الأولين الذين أوصوا بالنظر في القراءات، وإن ما قاله ابن مجاهد يعتبر دافعا للوقوف دائما للقراءة لحماية حدودها . ولقد كنت أستغرب كثيرا ولا أستطيع فهم قول النحاة في القراءة وردهم لها، وقد اطلعت على ما قاله أبو حيان وابن حزم؛ فهما لا يقبلان بأي حال القول في القراءة الصحيحة ولا يردانها وهما يخطئان النحاة الذين يتنكرون للقراءة .حتى وقفت على كلام ابن مجاهد وهو يبرر لعلم التوجيه و أنه لحماية القراءات قال: «اخْتلف النَّاس فِي الْقِرَاءَة كَمَا اخْتلفُوا فِي الْأَحْكَام وَرويت الْآثَار بالاختلاف عَن الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ توسعة وَرَحْمَة للْمُسلمين وَبَعض ذَلِك قريب من بعض.

وَحَملَة الْقُرْآن متفاضلون فِي حمله ولنقلة الْحُرُوف منَازِل فِي نقل حُرُوفه وَأَنا ذَاكر مَنَازِلهمْ ودال على الْأَئِمَّة مِنْهُم ومخبر عَن الْقِرَاءَة الَّتِي عَلَيْهَا النَّاس بالحجاز وَالْعراق وَالشَّام وشارح مَذَاهِب أهل الْقِرَاءَة ومبين اخْتلَافهمْ واتفاقهم إِن شَاءَ الله وإياه أسأَل التَّوْفِيق بمنه.

ثم بدأ في التفصيل والبيان لهؤلاء الحاملين للقرآن : فَمن حَملَة الْقُرْآن المعرب الْعَالم بِوُجُوه الْإِعْرَاب والقراءات الْعَارِف باللغات ومعاني الْكَلِمَات الْبَصِير بِعَيْب الْقِرَاءَات المنتقد للآثار فَذَلِك الإِمَام الَّذِي يفزع إِلَيْهِ حفاظ الْقُرْآن فِي كل مصر من أَمْصَار الْمُسلمين وَمِنْهُم من يعرب وَلَا يلحن وَلَا علم لَهُ بِغَيْر ذَلِك فَذَلِك كالأعرابي الَّذِي يقْرَأ بلغته وَلَا يقدر على تَحْوِيل لِسَانه فَهُوَ مطبوع على كَلَامه

وَمِنْهُم من يُؤَدِّي مَا سَمعه مِمَّن أَخذ عَنهُ لَيْسَ عِنْده إِلَّا الْأَدَاء لما تعلم لَا يعرف الْإِعْرَاب. وَلَا غَيره فَذَلِك الْحَافِظ فَلَا يلبث مثله أَن ينسى إِذا طَال عَهده فيضيع الْإِعْرَاب لشدَّة تشابهه وَكَثْرَة فَتحه

[1033] إدريس مقبول، منهج سيبويه في الاحتجاج بالقراءات ولها، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، أربد، 2009 م، ص 240.

وضمه وكسره فِي الْآيَة الْوَاحِدَة لِأَنَّهُ لَا يعْتَمد على علم بِالْعَرَبِيَّةِ وَلَا بصر بالمعاني يرجع إِلَيْهِ وَإِنَّمَا اعْتِمَاده على حفظه وسماعه وَقد ينسى الْحَافِظ فيضيع السماع وتشتبه عَلَيْهِ الْحُرُوف فَيقْرَأ بلحن لَا يعرفهُ وَتَدْعُوهُ الشُّبْهَة إِلَى أَن يرويهِ عَن غَيره ويبرىء نَفسه وَعَسَى أَن يكون عِنْد النَّاس مُصدقا فَيحمل ذَلِك عَنهُ وَقد نَسيَه وَوهم فِيهِ وجسر على لُزُومه والإصرار عَلَيْهِ أو يكون قد قَرَأَ على من نسى وضيع الْإِعْرَاب ودخلته الشُّبْهَة فَتوهم فَذَلِك لَا يُقَلّد الْقِرَاءَة وَلَا يحْتَج بنقله، وَمِنْهُم من يعرب قِرَاءَته ويبصر الْمعَانِي وَيعرف اللُّغَات وَلَا علم لَهُ بالقراءات وَاخْتِلَاف النَّاس والْآثَار فَرُبمَا دَعَاهُ بَصَره بالإعراب إِلَى أَن يقْرَأ بِحرف جَائِز فِي الْعَرَبِيَّة لم يقْرَأ بِهِ أحد من الماضين فَيكون بذلك مبتدعا» [1034].

لقد جعل النحاة أنفسهم حراس حدود القراءات وجعلوا القواعد التي يعلمونه هي الحكم على فقبول القراءة أو ردها من منظور الآيات القرآنية التي تبين أن القرآن عربي . ولذلك وسعوا علم التوجيه حماية للقراءات فكان توجيههم بالمنقول والمعقول؛ والمنقول هو الأدلة السماعية؛ القرآن والحديث وكلام العرب. والمعقول هو أقيستهم التي أقاموا بها صرح علوم اللغة صوتا وصرفا ونحوا.

ولقد اعتنى الإمام القرطبي في توجيه القراءات القرآنية من: القرآن الكريم و الحديث الشريف واللغة نحوا وصرفا وصوتا، والشعر، وسأبين توجيهه للقراءات بها:

المطلب الأول: توجيه القراءة بالقرآن الكريم:

ولأن القرآن يفسّر بعضه بعضا، فإن توجيه القراءة بالقرآن أعلى أنواع الاحتجاج، قال الله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾(البقرة: 9)

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو:" يُخَادِعُونَ" فِي الْمَوْضِعَيْنِ، لِيَتَجَانَسَ اللَّفْظَانِ. [1035]وجه القرطبي القراءة على «أنها جاءت على لفظ فاعل وإن لم يكن الفعل إلا من واحد طلبا للمشاكلة بين اللفظين ، ففاعل هنا بمعنى فعل، كما التمس للقراءة وجها آخر وهو أن ينزل الإنسان ما يخطر بباله من

[1034] ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر البغدادي (ت 324هـ)، كتاب السَّبْعَة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص45 -46.

[1035] الجامع لأحكام القرآن، ج1 ، ص196 .

الهواجس والأفكار منزلة شخص آخر يجاذبه ذلك ويفاوضه إياه ، فيلزمه على ذلك أن يقول (فاعل) وهو مذهب معروف في العربية يسمى(التجريد) »[1036].

ومن ذلك توجيهه للقراءة من قول الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران: 39).

قال القرطبي في قراءة: (يُبَشِّرُكَ)." يُبَشِّرُكَ" بِالتَّشْدِيدِ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ" يَبْشُرُكَ" مُخَفَّفًا، وَكَذَلِكَ حُمَيْدُ بْنُ الْقَيْسِ الْمَكِّيُّ إِلَّا أَنَّهُ كَسَرَ الشِّينَ وَضَمَّ الْيَاءَ وَخَفَّفَ الْبَاءَ. قَالَ الْأَخْفَشُ: هِيَ ثَلَاثُ لُغَاتٍ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. دَلِيلُ الْأُولَى هِيَ قِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ أَنَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا مِنْ فِعْلٍ مَاضٍ أَوْ أَمْرٍ فَهُوَ بِالتَّثْقِيلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:" فَبَشِّرْ عِبادِ" (الزمر: 17) " فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ" (يس: 11) " فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ" (هود: 71) " قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ" (الحجر: 55) (1037).

قال القرطبي «في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً﴾ (الزخرف: 19) قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ" عِبادُ" بِالْجَمْعِ. وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، لِأَنَّ الْإِسْنَادَ فِيهَا أَعْلَى، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا كَذَّبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ عَبِيدٌ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِبَنَاتِهِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ" عِبادُ الرَّحْمنِ"، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جبير: إن في مصحفي" عبد الرَّحْمَنِ" فَقَالَ: امْحُهَا وَاكْتُبْهَا" عِبادُ الرَّحْمنِ". وَتَصْدِيقُ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:" بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ" (الأنبياء: 26). وَقَوْلُهُ تَعَالَى:" أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ" (الكهف: 102). وَقَوْلُهُ تَعَالَى:" إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ" (الأعراف: 194). وَقَرَأَ الْبَاقُونَ" عِنْدَ الرَّحْمَنِ" بِنُونٍ سَاكِنَةٍ، وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمٍ. وَتَصْدِيقُ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:" إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ وَقَوْلُهُ" وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ" (الأنبياء: 19). والمقصود إيضاح كذبهم وبيان جهلهم فِي نِسْبَةِ الْأَوْلَادِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ فِي تَحَكُّمِهِمْ بِأَنَّ

(1036) شعبان صلاح ، مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،2005م ،ص266

(1037) الجامع لاحكام القرآن، ج4، ص74.

الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ وَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ. وَذِكْرُ الْعِبَادِ مَدْحٌ لَهُمْ، أَيْ كَيْفَ عبدوا من هو في نِهَايَةُ الْعِبَادَةِ، ثُمَّ كَيْفَ حَكَمُوا بِأَنَّهُمْ إِنَاثٌ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ. وَالْجَعْلُ هُنَا بِمَعْنَى الْقَوْلِ وَالْحُكْمِ، تَقُولُ: جَعَلْتُ زَيْدًا أَعْلَمَ النَّاسِ، أَيْ حَكَمْتُ لَهُ بِذَلِكَ." أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ" أَيْ أَحَضَرُوا حَالَةَ خَلْقِهِمْ حَتَّى حَكَمُوا بِأَنَّهُمْ إِنَاثٌ) » [1038].

ففي النص ثلاثة وجوه لهذه القراءة : الوجه الأول (عباد) والوجه الثاني (عبد)والوجه الثالث (عند)أما الوجه الأول والثالث فلهما ما يعضدهما ويقويهما من القرآن وأما الوجه الثاني فيظهر أنه خطأ في الكتابة في مصحف سعيد بن جبير وقد أرشده ابن عباس إلى تصحيحه . وليأذن لي القرطبي رحمه الله والعلماء أن أقول هذه الكلمة من باب التساؤل حول كيفية تلقي الصحابة للقرآن .ألم يتلقى الصحابة القرآن من فيه النبي صلى الله عليه وسلم تلقيا مباشرا ؛ القرآن ينزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم فيتلوه على الصحابة بالطريقة التي هو تلقاها من جبريل عليه السلام . فلا دخل لمقابلة آية بآية في التلقي، المقابلة تكون في التفسير نعم لكن في قبول القراءة الأمر يحتاج إلى إعادة التدقيق في هذه النصوص التي ينقلها المفسرون في زعمهم أنهم يدققون القراءة ويدافعون عنها....سمع الصحابة ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً﴾ لا تحتمل في سماعها إلا وجها واحدا والقراءة (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثا) لا تحتمل إلا وجها واحدا في أدائها والله أعلى وأعلم .

المطلب الثاني: توجيه القراءة بالحديث النبوي الشريف:

وهو الاعتماد على أقوال النبي ﷺ في بيان الوجه المقصود من القراءة وإن كان للحديث النبوي الشريف مع النحاة شأن؛ حيث أن الأوائل أبعدوه عن الاستشهاد في إقامة قواعدهم وهناك أسباب مبثوثة في كتب الأصول ولكن الذي أرتاح له أن النحاة وعلى رأسهم سيبويه لم يستشهدوا بالحديث النبوي الشريف ـ صراحة ـ عند التقعيد للنحو لأنهم ليسوا أهل حديث، فاحترموا ثقافة عصرهم أنه لا يتحدث في الحديث إلا أهل الحديث. ولم يكن سيبويه صاحب سند ولذلك سكت عن الحديث احتراما للحديث وصيانة لقدر نفسه، جاء في أخبار النحويين أن (سيبويه كان يستملي على حماد فقال

(1038) الجامع لاحكام القرآن، ج16، ص73

حماد يوماً : قال رسول الله صلى الله عليه: ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء. فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء: فقال حماد: لحنت يا سيبويه. فقال سيبويه لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً. فطلب النحو ولزم الخليل) [1039]. وجفا الحديث ولم يقم عليه قواعد النحو ثم جاءت قوافل النحاة بعده وتعصبوا للحديث وبالغوا في الاستشهاد به. ولكن النحاة في توجيه القراءات القرآنية عمدوا إلى الحديث ووجهوا به القراءات.

وللقرطبي في تفسيره توجيهات كثيرة للقراءات القرآنية بالحديث النبوي الشريف .

من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤﴾ (الأحزاب:14)، وَهِيَ الْبُيُوتُ أَوِ الْمَدِينَةُ، أَيْ مِنْ نَوَاحِيهَا وَجَوَانِبِهَا، الْوَاحِدُ قُطْرٌ، وَهُوَ الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ. وَكَذَلِكَ الْقُتْرُ لُغَةٌ فِي الْقُطْرِ. (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا) أَيْ لَجَاءُوهَا، هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ بِالْقَصْرِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْمَدِّ، أَيْ لَأَعْطَوْهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ وَأَبِي حَاتِمٍ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي اللَّهِ وَيُسْأَلُونَ الشِّرْكَ، فَكُلٌّ أَعْطَى مَا سَأَلُوهُ إِلَّا بِلَالًا. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى قِرَاءَةِ الْمَدِّ، مِنَ الْإِعْطَاءِ. وَيَدُلُّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقَصْرِ قَوْلُهُ:" وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ "[1040]

ومن أمثلة ذلك عنده الآية﴿ وَرِءۡيٗا﴾ (مريم: 74) ذكر قراءة (وزيّا) فوجها بالحديث قال :

وَأَمَّا قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأُبَيّ بْنِ كَعْبٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ والأعسم المكي وَيَزِيدَ الْبَرْبَرِيّ" وَزِيًّا" بِالزَّايِ فَهُوَ الْهَيْئَةُ وَالْحُسْنُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ زَوَيْتُ أَيْ جَمَعْتُ، فَيَكُونُ أَصْلُهَا زَوِيًّا فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: (زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ) [1041]؛ أَيْ جُمِعَتْ، أَيْ فَلَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ

[1039] السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد (ت 368هـ)، أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، مصر، (دط)، 1373 هـ - 1966 م، 35..

[1040] الجامع لاحكام القرآن، ج14 ص149

[1041] ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ)، سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون دار الرسالة العالمية،ط1، 1430 هـ - 2009 م ج5 ص99 رقم الحديث 3952، وقد صححه الألباني.

تَعَالَى، فَلْيَعِشْ هَؤُلَاءِ مَا شَاءُوا فَمَصِيرُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ وَالْعَذَابِ وَإِنْ عُمِّرُوا. في هذا التوجيه بيان للمعنى وتوضيح وكان الحديث هو الدعامة لبيان معنى القراءة.

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (الانشقاق: 19)

قال: قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائي (لتركَبُنَّ) بضم الباء خطابا للناس و اختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قال: لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبي ﷺ لما ذكر قبل هذه الآية فمن أتي كتابه بيمينه و من أوتي كتابه بشماله. أي لتركبن حالا بعد حال من شدائد القيامة، أو لتركبن سنة من جاءت بذلك أحاديث فروى أبو نعيم الحافظ عن جابر –رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله عز وجل؛ إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه و أثره و أجله، و اكتب شقيا أو سعيدا، ثم يرفع ذلك الملك، و يبعث الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته و سيئاته، فإذا جاء الموت ارتفع ذانك الملكان، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسانه و سيئاته، فإذا جاء الموت ارتفع ذانك الملكان، ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه، فإذا أدخل حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات و ملك السيئات، فأنشطا كتابا معقودا في عنقه، ثم حضرا معه، واحد سائق و الآخر شهيد، ثم قال الله عز وجل ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: 22) قال رسول الله ﷺ (لتركبن طبقا عن طبق) (حالا بعد حال) ثم قال النبي ﷺ: (أن قدامكم أمر عظيم فاستعينوا بالله العظيم) [1042] فقد اشتمل هذا الحديث على أحوال تعتري الإنسان، من حين يخلق إلى حين يبعث، و كله شدة بعد شده، حياة ثم موت، ثم بعث ثم جزاء، و في كل حال من هذه شدائد.

[1042] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، ج 3ص 190 عقب المؤلف على الحديث بقوله(هذا حديث غريب من حديث أبي جعفر وحديث جابر، تفرد به عنه جابر بن يزيد الجعفي وعنه المفضل) .و ذكر هذا الحديث ابن كثير في تفسيره و قال "هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء و لكن معناه صحيح"، ج4، ص491.

قال ﷺ (لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر، و ذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود و النصارى؟ قال: فمن؟)[1043]، يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين.[1044] و وجههما من حيث المعنى و ذكر للثانية معنيين و احتج لكل معنى منهما بحديث للنبي صلى الله عليه و سلم ليؤكد على هذين المعنيين.

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ (المدثر: 34).

قال: و قراءة العامة (أسفر) بالألف. و قرأ ابن السميقع: (سَفَرَ). و هما لغتان. يقال: سفر وجه فلان وأسفر: إذا أضاء. و في الحديث: (أسفروا بالفجر، فإنه أعظم للأجر)[1045]؛ أي صلوا صلاة الصبح مسفرين و يقال: طولوها إلى الأسفار و الإسفار: الإنارة. القضية هنا لغوية والنص يدور حول بيان معنى اللفظة .

المطلب الثالث: توجيه القراءة بكلام العرب:

أولا: الشعر:

ويكاد يكون هو الأكثر والغالب في عملية التوجيه؛ وهو إحاطة القراءة بكوكبة من الأبيات الشعرية للاستشهاد على ما يقتضيه علم التوجيه .

« عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (القلم: 42) قَالَ: «إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ» أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

اصْبِرْ عَنَاقَ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقِ ... قَدْ سَنَّ قَوْمَكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقْ[1046].

[1043] صحيح البخاري، ج4، ص 169، ح 3456.

[1044] ابن خلف الأنصاري، الإقناع، ص482.

[1045] ذكره محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 هـ / 1988 م، ج 4، ص 357، رقم1490. وفي سنن الترميذي، ج1، ص223، رقم 154،حديث حسن صحيح.

[1046] ذكره السيوطي في الدر المنثور، دار الفكر، بيروت ج9، ص 254.

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّة»[1047].

و لعل هذا القول وغيره من الأقوال التي قيلت بحق الشعر العربي جعلته يحتل مرتبة الصدارة في الاستشهاد، فهو المصدر الأول والرئيس الذي اعتمده اللغويون في تقعيد علوم العربية، ولا شك في أهمية الشاهد، إذ هو وثيقة لغوية يحرص عليها اللغوي ... فالشاهد في عصور الاحتجاج اللغوي حجة . حتى و إن لم يعرف قائل هذا الشاهد أو أسند إلى أكثر من قائل، و في هذا دليل على أن اللغويين العرب قد حققوا عن وعي أهم شروط المنهج المعياري والتاريخي والوصفي، و قد تأثر علماء القراءات بهذا، إذ أخذوا يبحثون في شعر العرب عما يفسر لهم معاني بعض القراءات و يقوي وجهها [1048].

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ (سبأ: 14).

قال: قرأ نافع و أبو عمرو (تأكل منساته) بألف بين السين و التاء من غير همز. الباقون بهمزة مفتوحة موضع الألف، لغتان إلا أن ابن ذكوان أسكن الهمزة تخفيفا، قال الشاعر في ترك الهمزة:

إذا دبب على المنسأة من كبر*** فقد تباعد عنك اللهو و الغزل[1049].

[1047] الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهاني النيسابوري (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين تحق،مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط،1، 1411م، 1990ه ج2،ص 542. الحديث رقم 3845، وقال الحاكم :هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت: 458هـ)، شعب الإيمان حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تخ: مختار أحمد الندوي، - الهند،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط1، 1423 هـ / 2003 م، ج 3، ص212، رقم الحديث 1560.

[1048] أمل شفيق العمري. التوجيه النحوي للقراءات الواردة في التفسير الكبير للإمام الطبراني سنة 360 هـ. دراسة تحليلية تأصيلية، ط1، 1431 هـ/ 2010 م. المملكة الأردنية الهاشمية وزارة الثقافة عمان الأردن، ص58 -ص59.

[1049] ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 169.والزبيدي في تاج العروس، ج1، ص 458. و الجوهري في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 1، ص 76.

و قال آخر فهمز و فتح:

أمن أجل حبل لا أباك ضربته*** بمَنْسَأة قد جر حبلك أحبلا [1050]

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين و وجه كل منهما بالشعر.

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبأ: 15)

قال: (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية) قرأ نافع [1051]. و غيره بالصرف و التنوين على أنه اسم حي، و هو الأصل اسم رجل. و قرأ ابن كثير و ابن عمرو (لسبأ بغير صرف، جعله اسما للقبيلة.

قال الشاعر في الصرف:

الواردون وتيم في ذرا سبإ *** قد عض أعناقهم جلد الجواميس [1052].

و قال آخر في غير الصرف:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ *** يبنون من دون سيلها العرما [1053].

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: 98).

[1050] الديوان لأبو طالب عم النبي ﷺ،تح: محمد التونجي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 1414ه 1994م، ص 61، و لكن جاء بلفظ (أمن أجل جبل ذي رمام علوته ***بمنسأة قد جاء حبل وأحبل). والبيت ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 1، ص 169، و الزبيدي في تاج العروس، ج 1، ص 458.

[1051] انظر: الصفاقسي –غيث النفع (231)

[1052] ديوان جرير، تح: وشرح محمد اسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي،القاهرة، مصر، (دت)، ص 325، جاء بلفظ (تدعوك تيم وتيم في قرى سبإ***قد عض أعناقهم جلد الجواميس). وهو نفس اللفظ في ديوان جرير، دون تح، دار بيروت للطباعة والنشر لبنان، ط1، 1406ه 1986م، ص 252. وذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 6، ص120، والطبري في تفسيره، ج 17، ص 219 . وكذا ابن عطية، ج 4، ص 255 بنفس لفظ القرطبي.

[1053] ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه و شرحه واضح عبد الصمد، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 1998م، ص 149.

قال: و لعلماء اللسان في جبريل و ميكائيل عليهما السلام لغات، فأما التي في جبريل فعشر: الأولى جبريل، و هي لغة أهل الحجاز، قال حسان بن ثابت: و جبريل رسول الله فينا. و الثالثة: جبريل –بياء بعد الهمزة) كما قرأ أهل الكوفة و أنشدوا:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة *** مدى الدهر إلا جبريل أمامها [1054].

و أما اللغات في ميكائيل فست: الأولى: ميكائيل، قراءة نافع، ميكائيل (بياء بعد همزة) قراءة حمزة. ميكائيل، لغة أهل الحجاز، و هي قراءة أبي عمرو و حفص عن عاصم. قال كعب بن مالك:

و يوم بدر لقيناكم لنا مدد*** فيه مع النصر ميكال و جبريلُ [1055].

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءات متواترة و وجه بعضها بالشعر.

بهذه الطريقة الجميلة وجه الإمام القرطبي القراءات القرآنية و معانيها بالشعر تأكيدا لهذه القراءات و تأكيدا لتلك المعاني التي ذكرها فأثرى بها تفسيره العظيم.

ثانيا: باللّهجة :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنفال 72) وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وَالْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ" مِنْ وَلايَتِهِمْ" بِكَسْرِ الْوَاوِ. وَقِيلَ هِيَ لُغَةٌ. وَقِيلَ: هِيَ مِنْ وَلِّيْتُ الشَّيْءَ، يُقَالُ: وَلِيٌّ بَيِّنُ الْوَلَايَةِ. وَوَالٍ بَيِّنُ الْوَلَايَةِ. وَالْفَتْحُ فِي هَذَا أَبْيَنُ وَأَحْسَنُ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى النُّصْرَةِ وَالنَّسَبِ. وَقَدْ تُطْلَقُ الْوَلَايَةُ والولاية بمعنى الإمارة.[1056] فصورة اللفظة اختلفت فهي بالفتح والكسر ولكل لفظ الأصل الذي يعود له ولكن المعنى واحد .قال ثعلب والإمارة : الوِلاية [1057] والأمارة الولاية .

[1054] ديوان كعب بن مالك الانصاري، ص93.وجاءت في الديوان بلفظ (نصرنا فما.....يد الدهر.....).

[1055] الديوان نفسه ، ص 83.

[1056] الجامع ،ج8، ص56

[1057] أبو العباس ثعلب (ت291هـ)، الفصيح،تحقيق ودراسة صبيح التميمي ، دار الشهاب باتنة الجزائر 1405هـ ،1985م، ص125.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (البقرة: 74)، (بغافلٍ) في موضع نصب على لغة أهلِ الحجاز، وعلى لغة تميم في موضع رفع والباء توكيد ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [1058].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ (النجم: 9)؛ أي: قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة أزد شنوءة أيضا وقال الكسائي قوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ (النجم: 9)، أراد قوسا واحدا كقول الشاعر:

ومُهمهين قذفين مرتين *** قطعته بالسمت لا بالسمتين [1059]

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾(الأنعام: 94) هذه عبارةٌ عن الحشر. و(فُرَادَى) في موضع نصب على الحال، ولم ينصرف لأن فيه ألفَ تأنيث. وقرأ أبو حَيْوة: (فُرادًا) بالتنوين، وهي لغةُ تميم، وهؤلاء يقولون في موضع الرفع: فُرَادٌ. وحكى أحمد بنُ يحيى (فُرَادَ) بلا تنوين، قال: مِثل ثُلاث ورُباع. و(فُرادى) جمع فَرْدان، كسُكارى جمع سكران.« وبنو أسد وتميم يقولون: كَسَالى في كُسَالى وهذا الضرب من الاتباع ذو أثر مدبر حيث تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني» [1060]. وكُسالى جمع كسلان [1061].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ (البقرة: 282) وهو المديون المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والإملاء والإملالُ لغتان أَمَلَّ وأَمْلَى فَأَمَلَّ لغة أهل الحجاز وبني أسد وتميم تقول: أَمْلَيْت وجاء القرآن باللغتين، قال ﷻ: ﴿فَهِىَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً

[1058] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص 210.

[1059] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص17. وابن منظور في لسان العرب، ج2، ص46. والزبيدي في تاج العروس، ج 4، ص56. والجوهري في الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، ج1، ص266. واختلف في قائله فنسبه سيبويه للراجز همیان بن قحافة، والفراء لخطام المجاشعي.

[1060] علي ناصر غالب، اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، دار الحامد، ط1،عمان، الأردن، 2010م، ص101.

[1061] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص462-463.

وَأَصِيلاً﴾ (الفرقان: 5) والأصل أمللت وأبدل من اللام ياء لأنه أخف فأمر الله تعالى الذي عليه الحق بالإملاء[1062].

وقال رحمه الله في الآية ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾(القصص: 32)، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ (فذانّك) بِتَشْدِيدِ النُّونِ وَخَفَّفَهَا الْبَاقُونَ. وَرَوَى أَبُو عُمَارَةَ عَنْ أَبِي الْفَضْلِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ،" فَذَانِّيكَ" بِالتَّشْدِيدِ وَالْيَاءِ. وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو أَيْضًا قَالَ لُغَةُ هُذَيْلٍ" فَذَانِيكَ" بِالتَّخْفِيفِ وَالْيَاءِ. وَلُغَةُ قُرَيْشٍ" فَذانِكَ" كَمَا قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ. وَفِي تَعْلِيلِهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ: قِيلَ شَدَّدَ النُّونَ عِوَضًا مِنَ الْأَلِفِ السَّاقِطَةِ فِي ذَانِكَ الَّذِي هُوَ تَثْنِيَةُ ذَا الْمَرْفُوعِ، وَهُوَ رَفْعٌ بِالِابْتِدَاءِ، وَأَلِفُ ذَا مَحْذُوفَةٌ لِدُخُولِ أَلِفِ التَّثْنِيَةِ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، لِأَنَّ أصله فذاانك فَحُذِفَ الْأَلِفُ الْأُولَى عِوَضًا مِنَ النُّونِ الشَّدِيدَةِ. وقيل:

التَّشْدِيدُ لِلتَّأْكِيدِ كَمَا أَدْخَلُوا اللَّامَ فِي ذَلِكَ. مَكِّيٌّ: وَقِيلَ إِنَّ مَنْ شَدَّدَ إِنَّمَا بَنَاهُ عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ فِي الْوَاحِدِ ذَلِكَ، فَلَمَّا بَنَى أَثْبَتَ اللَّامَ بَعْدَ نُونِ التَّثْنِيَةِ، ثُمَّ أَدْغَمَ اللَّامَ فِي النُّونِ عَلَى حُكْمِ إِدْغَامِ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُدْغَمَ الْأَوَّلُ أَبَدًا فِي الثَّانِي، إِلَّا أَنْ يَمْنَعَ مِنْ ذَلِكَ عِلَّةٌ فَيُدْغَمُ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ، وَالْعِلَّةُ الَّتِي مَنَعَتْ فِي هَذَا أَنْ يُدْغَمَ الْأَوَّلُ فِي الثَّانِي أَنَّهُ لَوْ فُعِلَ ذَلِكَ لَصَارَ فِي مَوْضِعِ النُّونِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّثْنِيَةِ لَامٌ مُشَدَّدَةٌ فَيَتَغَيَّرُ لَفْظُ التَّثْنِيَةِ فَأُدْغِمَ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ لِذَلِكَ، فَصَارَ نُونًا مُشَدَّدَةً.

وقد قيل: إنه لما تنأ في ذَلِكَ أُثْبِتَ اللَّامُ قَبْلَ النُّونِ ثُمَّ أُدْغِمَ الْأَوَّلُ فِي الثَّانِي عَلَى أُصُولُ الْإِدْغَامِ فَصَارَ نُونًا مُشَدَّدَةً. وَقِيلَ: شُدِّدَتْ فَرْقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظاهر التي تسقط لاضافة نُونَهُ، لِأَنَّ ذَانِ لَا يُضَافُ. وَقِيلَ: لِلْفَرْقِ بَيْنَ الِاسْمِ الْمُتَمَكِّنِ وَبَيْنَهَا. وَكَذَلِكَ الْعِلَّةُ فِي تَشْدِيدِ النُّونِ فِي" اللَّذَانِّ" وَ" هَذَانِّ". قَالَ أَبُو عَمْرٍو: إِنَّمَا اخْتَصَّ أَبُو عَمْرٍو هَذَا الْحَرْفَ بِالتَّشْدِيدِ دُونَ كُلِّ تَثْنِيَةٍ مِنْ جِنْسِهِ لقلة

[1062] الجامع لأحكام القرآن،ج4، ص434.

حروفه فقرأه بِالتَّثْقِيلِ. وَمَنْ قَرَأَ:" فَذَانِيكَ" بِيَاءٍ مَعَ تَخْفِيفِ النُّونِ فَالْأَصْلُ عِنْدَهُ" فَذَانِّكَ" بِالتَّشْدِيدِ فَأَبْدَلَ مِنَ النُّونِ الثَّانِيَةِ يَاءً كَرَاهِيَةَ التَّضْعِيفِ، كَمَا قَالُوا: لَا أَمْلَاهُ فِي لَا أَمَلُّهُ فَأَبْدَلُوا اللَّامَ الثَّانِيَةَ أَلِفًا. وَمَنْ قَرَأَ بِيَاءٍ بَعْدَ النُّونِ الشَّدِيدَةِ فَوَجْهُهُ أَنَّهُ أَشْبَعَ كَسْرَةَ النُّونِ فَتَوَلَّدَتْ عَنْهَا الْيَاءُ [1063].

المبحث الثالث: توجيه القرطبي للقراءة بعلوم اللغة:

المطلب الأول: توجيه القراءة بالصوت:

«وهو التوجيه الذي يُعنى باختلاف الأداء الصوتي في بعض عادات العرب تبعا لاختلاف اللهجات» [1064]؛ أي «بيان سبب توجيه القراء لهذه القراءات واثبات صوت أو حذفه، وما إلى ذلك» [1065].

إن ظاهرة تسهيل الهمز وتحقيقه من الظواهر اللغوية الشائعة في الدرس الصوتي، وفي القراءات بكثرة وذلك لأن «الهمز حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف ولا يشركه في مخرجه شيء ولا يدانيه إلا الهاء والالف» [1066].

ومن توجيهات الإمام القرطبي في تفسيره توجيهه لقراءات الهمز في قوله تعالى: (ولا الضالين)، يقول: «وقرأ أيوب السختياني: (ولا الضأين) بهمزة غير ممدودة كأنه فرّ من التقاء الساكنين»، وهي لغة حكى أبو زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) فظننته قد لحّن، حتى سمعت من العرب دأبة وشأبة.

[1063] الجامع لاحكام القرآن، ج13، ص286.

[1064] أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الأدب، ط1،(د ب)، 1997م، ص19.

[1065] إسراء ياسين حسن، التوجيه اللغوي لقراءات القرآنية في سورتي الرحمن والواقعة، مجلة العلوم الاسلامية، العدد 12،كلية التربية، جامعة السليمانية، قسم اللغة العربية،العراق، ع12، 2016،ص26.

[1066] المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، (ت285 ه)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1431ه/2010م، ج1، ص155.

قال القرطبي في: **(الضّالين)** الأصل في﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: 07)، الضالين: الضاللين حذفت حركة اللام الأولى ثم أدغمت اللام في اللام فاجتمع ساكنان مَدَّة الألف واللام المدغمة وقرأ أيوب السختياني[1067]: ولا (الضأّلين) بهمزة غير ممدودة كأنه فر من التقاء الساكنين وهو لغة . «حكى أبو زيد[1068] قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: (فيومئِذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) فظننته قد لحن. حتى سمعت من العرب دأبة وشأبة، قال: أبو الفتح بن جني: وعلى هذه اللغة قول كثير:

إِذَا مَا العَوَالِي بِالعَبِيطِ احْمَأرّت »[1069]

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ (البقرة: 16).

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ قال سيبويه: ضمت الواو في اشتروا فرقا بينها وبين الواو الأصلية نحو: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ (الجن: 16)، وقال ابن كيسان[1070]: الضمة في الواو أخف من غيرها لأنها من جنسها وقال الزجاج: حركت

[1067] أيوب السختياني هو الإمام التابعي أبو بكر أيوب بن أبي تميمة، رأى أنس بن مالك، وسمع عمرو بن سلمة، الجرمى، وأبا رجاء العطاردى،وغيرهم من كبار التابعين. كان أيوب ثقة، ثبتًا فى الحديث، جامعًا، كثير العلم، عدلاً، حجة. توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة. ، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص132.

[1068] أبو زيد الأنصاري، وهو سعيد بن أوس البصري اللغوي.كان من أئمة الأدب،وله في الأدب مصنفات مفيدة تقارب عشرين مصنفا.قال له الأصمعي: أنت رئيسنا وسيدنا منذ ثلاثين سنة. وكان الثوري يقول: الأصمعي أحفظ الناس، وأبو عبيدة أجمعهم، وأبو زيد الأنصاري أوثقهم. توفي سنة أربع-أو خمس-عشرة ومائتين، عمّر رحمه الله حتى قارب المائة. **بالمخرمة،** قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج2، ص414.

[1069] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط 2، 1420هـ- 1999م، ج1، ص47.

[1070] ابن كيسان أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، أخذ عن أبي العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب، وكيسان لقب لأبيه كذلك. له مصنفات كثيرة؛ منها المهذب في النحو، وشرح الطوال؛ إلى غير ذلك. وتوفي سنة تسع وتسعين ومائتين، الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص178.

بالضم كما فعل في نحن وقرأ ابن أبي إسحاق ويحيى بن يعمر[1071] بكسر الواو على أصل التقاء الساكنين وروى أبو زيد الأنصاري عن قعنب أبي السمال العدوي[1072] أنه قرأ بفتح الواو لخفة الفتحة وإن كان ما قبلها مفتوحا وأجاز الكسائي همز الواو وضمها كأدؤر واشتروا: من الشراء والشراء هنا مستعار والمعنى استحبوا الكفر على الإيمان كما قال: ﴿ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ (فصلت: 17)[1073].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ (البقرة: 62)، جمع صَابِىء، وقيل: صاب ولذلك اختلفوا في هَمْزِه. وهَمَزَهُ الجمهور إلا نافعا فمن همزه جعلة من صبأت النجوم إذا طلعت. وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت. ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو إذا مال فالصابىء في اللغة من خرج ومال من دين إلى دين. ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبأ، فالصابئون قد خرجوا من دين أهل الكتاب[1074].

ومن المواضع التي وجه فيها القرطبي قراءة الهمز قوله تعالى : (ويقتلون النبيين بغير الحق) (البقرة:61) وقرأ نافع (النبيئين) بالهمز، حيث وقع في القرآن إلا في موضعين في سورة الأحزاب، (إن وهبت نفسها للنبي إن أراد) (الأحزاب:50)، (ولا تدخلوا بيوت النبي) (الأحزاب:53)، فإنه قرأ بلا مد ولا همز، وإنما ترك همز هاذين لاجتماع همزتين مكسورتين، وترك الهمز في جميع ذلك الباقون.

(1071) يحي بن يعمر العدواني؛ ويكنى أبا سليمان، وهو رجل من عدوان بن قيس بن غيلان بن مضر، وكان عالماً بالعربية والحديث، وكان من الفصحاء، مات سنة تسع وعشرين ومائة. الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص26.

(1072) قَعْنَب، أَبُو السَّمَّال العَدويُّ، البصريُّ المقرئ. [ت 151 - 160 هـ] لَهُ قراءة شاذة فِي "الكامل" لأبي القاسم الهذلي، وَفِي غيره، رواها عَنْهُ أَبُو زَيْدُ سَعِيد بْن أوس الأَنْصَارِيّ، وهو قعنب بْن هلال بْن أَبِي قعنب. قَالَ الهذلي: إمام فِي العربية. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج4،ص187.

(1073) الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص318.

(1074) الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص161.

ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ (البقرة:61)، يقول: وقرأ نافع (النَّبِيئين) بالهمز حيث وَقَع في القرآن إلا في موضعين في سورة الأحزاب: ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ﴾ (الآية: 50) و ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ﴾ (الآية: 53)، فإنَّه قرأ بلا مدٍّ ولا همز، وإنما ترك همزَ هذين لاجتماع همزتين مكسورتين، وتَرَكَ الهمزَ في جميع ذلك الباقون. فأمَّا من هَمَز فهو عنده من (أنْبأَ): إذا أخبر، واسم فاعله مُنْبئ. ويُجمع نبيء: أنبئاء. وقد جاء في جمع نبيّ: نُبآء، قال العباس بن مرداس السلميّ يمدح النبي ﷺ:

يا خَاتـم النُّبـآء إنـــك مُــرْسَلٌ *** بالحقِّ كلُّ هُدَى السبيلِ هُداكَا [1075]

هذا معنى قراءة الهمز، واختلف القائلون بترك الهمز، فمنهم من اشتق اشتقاق من همز ثم سهل الهمز: ومنهم من قال: هو مشتق من نبا ينبو إذا ظهر فالنبي من النبوة وهو الارتفاع فمنزلة النبي رفيعة: والنبي بترك الهمز أيضا الطريق، فسمى الرسول نبيا لاهتداء الخلق به كالطريق.فالأنبياء لنا كالسبل في الأرض [1076].

و كان الإمام القرطبي يوجه القراءة بمراعاة الأصل أو القياس في اللغة.

المطلب الثاني: توجيه القراءة بالصرف

كان الإمام القرطبي يوجه القراءات بالصرف وقد أجاد في هذا الجانب مما يدل على رسوخ قدمه في علوم اللغة كلها و منها علم الصرف، و في الأمثلة التالية دليل واضح على هذا القول [1077].

و من الأمثلة التي وجه فيها الإمام القرطبي القراءة بالصرف.

(1075) ديوان العباس بن مرداس السلمي،تح: يحي الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1412ه، ص 122.

(1076) الجامع لاحكام القرآن،ج1، ص431.

(1077) جمال سحلوب، منهج القرطبي، ص 224.

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ (النساء: 135).

قال: قرئ (وإن تتلوا) من لويت فلانا حقه ليا إذا دفعته به، و الفعلى منه (لوى) قبلت الياء ألفا لحركتها و حركة ما قبلها، و المصدر (ليا) و الأصل لويا، و ليانا و الأصل لوياانا، ثم أدغمت الواو في الياء. و قيل: (تلووا) من اللي في الشهادة و الميل إلى أحد الخصمين. و قرأ ابن عامر و الكوفيون (تلوا) أراد قمتم بالأمر و أعرضتم، من قولك: و ليت الأمر، فيكون في الكلام معنى التوبيخ للإعراض عن القيام بالأمر. و قيل إن معنى (تلوا) الإعراض.

فالقراءة بضم اللام تفيد معنيين: الولاية و الإعراض، و القراءة بواوين تفيد معنى واحد و هو الإعراض. و زعم بعض النحويين أن من قرأ (تلوا) فقد لحن؛ لأنه لا معنى لها هنا.قال النحاس و غيره: و ليس يلزم هذا ولكن تكون (تلوا) بمعنى (تلووا) و ذلك أن أصله (تلووا) فاستثقلت الضمة على الواو بعدها واو أخرى، فألقيت الحركة على اللام و حذفت إحدى الوواوين لالتقاء الساكنين؛ و هي كالقراءة بإسكان اللام فصارت (تلوا) وأصلها تلووا. فتتفق القراءتان على هذا التقدير [1078]. يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءة متواترتين [1079]. ووجهها بالصرف و المعنى ثم ذكر اعتراض بعض النحويين على القراءة الثانية، ورد عليهم بما يبطل كلامهم، مستعينا بأقوال أهل اللغة، كل ذلك بأسلوب رائع جميل.

[1078] الجامع لاحكام القرآن، ج5، ص412.
[1079] ابن الجرزي، النشر،ج2،ص 190.

وأمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأنعام: 125).

قال: و نافع و أبو بكر (حرجا) بالكسر، و معناه الضيق. الباقون بالفتح. جمع حجرمة، و هو شدة الضيق أيضا، و الحرجة الغيضة؛ و الجمع حرج و حرجات. و منه فلان يتحرج أي يضيق على نفسه في تركه هواه للمعاصي. قال ابن عباس: الحرج موضع الشجر المتلف؛ كأنه قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره. و كل ضيق حرج و حَرَج. و قد حرج صدره يحرج حرجا. و الحرج الإثم. و الحرج: خشب يشد بعضه إلى بعض يحمل فيه الموتى [1080].

يلاحظ في هذا المثال أن القرطبي ذكر قراءتين متواترتين[1081] ووجهها بالمعنى و الصرف ثم بين أن كلمة (حرج) لفظ مشترك بعد أن ذكر عدة معاني لهذه اللفظة، و مثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ (القمر:7).

قال: (خاشعا أبصارهم) الخشوع في البصر و الخضوع و اللة، و أضاف الخشوع إلى الأبصار لأن أثر العز و الذل يتبين في ناظر الإنسان؛ قال الله تعالى: ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ (النازعات: 9) وقال تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾ (الشورى: 45). و يقال: خشع واخشع إذا ذل. و خشع ببصره أي غضه. و قرأ حمزة و الكسائي و أبو عمرو (خاشعا) بالألف. و يجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد، نحو: (خاشعا أبصارهم)، و يجوز الجمع نحو:

[1080] الجامع لاحكام القرآن، ج7، ص 83.

[1081] عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة،ص134.

(خاشعا أبصارهم) و (خاشعا) جمع خاشع. و قرئ (خشع أبصارهم) على الابتداء و الخبر و محل الجملة النصب على الحال [1082].

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (آل عمران: 39)؛ فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ) قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ" فَنَادَاهُ" بِالْأَلِفِ عَلَى التَّذْكِيرِ، وَيُمِيلَانِهَا لِأَنَّ أَصْلَهَا الْيَاءُ، وَلِأَنَّهَا رَابِعَةٌ. وَبِالْأَلِفِ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ. وَرُوِيَ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ الْمَلَائِكَةَ فِي [كُلِّ] القرآن. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: نَرَاهُ اخْتَارَ ذَلِكَ خِلَافًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. قَالَ النَّحَّاسُ: هَذَا احْتِجَاجٌ لَا يَحْصُلُ مِنْهُ شي، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: قَالَتِ الرِّجَالُ، وَقَالَ الرِّجَالُ، وَكَذَا النِّسَاءُ، وَكَيْفَ يُحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِالقرآن، وَلَوْ جَازَ أَنْ يُحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِالقرآن بِهَذَا لَجَازَ أَنْ يَحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى:" وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ" وَلَكِنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:" أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ" (الزخرف: 19) أَيْ فَلَمْ يُشَاهِدُوا، فَكَيْفَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ إِنَاثٌ فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ هَذَا ظَنٌّ وَهَوًى.

وَأَمَّا" فَنَادَاهُ" فَهُوَ جَائِزٌ عَلَى تَذْكِيرِ الْجَمْعِ،" وَنَادَتْهُ" عَلَى تَأْنِيثِ الْجَمَاعَةِ. قَالَ مَكِّيٌّ: وَالْمَلَائِكَةُ مِمَّنْ يُعْقَلُ فِي التَّكْسِيرِ فَجَرَى فِي التَّأْنِيثِ مَجْرَى مَا لَا يَعْقِلُ، تَقُولُ: هِيَ الرِّجَالُ، وَهِيَ الْجُذُوعُ، وَهِيَ الْجِمَالُ، وَقَالَتِ الْأَعْرَابُ. وَيُقَوِّي ذَلِكَ قَوْلُهُ:" وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ" وَقَدْ ذَكَرَ فِي موضع آخر فقال:" وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ" (الأنعام: 93) وَهَذَا إِجْمَاعٌ. وَقَالَ تَعَالَى:" وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ" (الرعد: 23) فَتَأْنِيثُ هَذَا الْجَمْعِ وَتَذْكِيرُهُ حَسَنَانِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: نَادَاهُ جِبْرِيلُ وَحْدَهُ، وَكَذَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَفِي التَّنْزِيلِ" يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ" يَعْنِي جِبْرِيلَ، وَالرُّوحُ الْوَحْيُ. وَجَائِزٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ يُخْبَرَ عَنِ الْوَاحِدِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ. وَجَاءَ فِي التَّنْزِيلِ" الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ" (آل عمران: 173)

[1082] الجامع لاحكام القرآن، ج17، ص 129.

يَعْنِي نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ، عَلَى مَا يَأْتِي. وَقِيلَ: نَادَاهُ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ. أَيْ جاء النداء من قبلهم [1083].

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود: 61)، فيها خَمْسُ مَسَائِلَ: الْأُولَى- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِلى ثَمُودَ) أَيْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ (أَخاهُمْ) أَيْ فِي النَّسَبِ. (صالِحاً). وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ" وَإِلَى ثَمُودٍ" بِالتَّنْوِينِ فِي كُلِّ القرآن، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ. وَاخْتَلَفَ سَائِرُ الْقُرَّاءِ فِيهِ فَصَرَفُوهُ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَصْرِفُوهُ فِي مَوْضِعٍ. وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ لَوْلَا مُخَالَفَةُ السَّوَادِ لَكَانَ الْوَجْهُ تَرْكَ الصَّرْفِ، إِذْ كَانَ الْأَغْلَبُ عَلَيْهِ التَّأْنِيثُ. قَالَ النَّحَّاسُ: الَّذِي قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ- رَحِمَهُ اللَّهُ- مِنْ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّأْنِيثُ كَلَامٌ مَرْدُودٌ، لِأَنَّ ثَمُودًا يُقَالُ لَهُ حَيٌّ، وَيُقَالُ لَهُ قَبِيلَةٌ، وَلَيْسَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْقَبِيلَةَ، بَلِ الْأَمْرُ عَلَى ضِدِّ مَا قَالَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ. وَالْأَجْوَدُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ فِيمَا لَمْ يَقُلْ فِيهِ بَنُو فُلَانٍ الصَّرْفُ، نَحْوَ قُرَيْشٍ وَثَقِيفٍ وَمَا أَشْبَهَهُمَا، وَكَذَلِكَ ثَمُودُ، وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ التَّذْكِيرُ الْأَصْلُ، وَكَانَ يَقَعُ لَهُ مُذَكَّرٌ وَمُؤَنَّثٌ كَانَ الْأَصْلُ الْأَخَفُّ أَوْلَى. وَالتَّأْنِيثُ جَيِّدٌ بَالِغٌ حَسَنٌ. وَأَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ فِي التَّأْنِيثِ:

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً ... وَكَفَى قُرَيْشَ الْمَعْضِلَاتِ وسادها[1084]

(آدم) قرأ ابن كثير: قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ (البقرة: 37)، والباقون بالرفع (لآدم) ونصب (كلمات) والقراءاتان ترجعان إلى معنًى، لأن آدم إذا تلقّى الكلمات فقد تلقّته، وقيل: لمّا كانت الكلمات هي المنقذة لآدم بتوفيق الله تعالى له لقبوله إياها ودعائه بها، كانت الكلمات فاعلة، وكأنّ الأصل على هذه القراءة: (فتلقّت آدم من ربّه كلماتٌ)، لكن لمّا بعُدَ مابين المؤنث وفعله، حَسُن حذف علامة التأنيث وهذا أصل يجري في كل القرآن والكلام، إذا جاء قول المؤنث بغير علامة، ومنه قولهم: حضر القاضي اليوم امرأةٌ. وقيل: إنَّ الكلمات لمّا لم يكن تأنيثه حقيقيا، حمل على

[1083] الجامع لاحكام القرآن، ج4، ص74.
[1084] الجامع لاحكام القرآن، ج9، ص51.

معنى الكَلِم، فذكِّر. قرأ ابن كثير بنصب ميم "آدم" ورفع تاء"كلمات" على إسناد الفعل إلى (كلمات) وإيقاعه على(آدم) فكأنه قال: (فجاءت آدم كلمات) ولم يؤنث الفعل لكون الفاعل مؤنثا غير حقيقي.

وقرأ الباقون برفع ميم(آدم) ونصب تاء (كلمات) بالكسرة، وذلك على إسناد الفعل إلى (آدم) وإيقاعه على (كلمات) أي أخذآدم كلمات من ربه بالقبول ودعا بها[1085] وهي قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ (البقرة : 37).

المطلب الثالث: توجيه القراءة بالنحو:

القرآن الكريم هو الكلام العربي الذي لا عوج فيه ولا التواء، أعجز الله به البلغاء وأبكم به الفصحاء، فنهل الكل من معينه، وخضع الجميع لعظمته وسموه. وقد جاء هذا الكتاب خطابا عامًّا للأمم كافَّة في كلّ زمان وفي أيّ مكان، لذلك راعى اختلاف عقول الناس، وما تستوعبه منه، فشمل ما يلبّي رغبات الخواص فألمح وأشار ونوه وعرض ونوع في أوجه الإعراب، فاشتمل على الحقائق التي لا يطلع عليها إلا بصير حصيف وإنه لم ينقل المؤرحون للقرآن أن الأوائل الذين سمعوا القرآن استصعبوا فهمه أو تداخلت ألفاظه فلم تسع المعنى أو رد ذوقهم اللغوي شيء منه وهم أصحاب اللغة والبيان، إنما تسرب في نفوسهم وتسلل بيسر وسهولة فأدهشهم[1086].

الإمام القرطبي نحوي بامتياز، وهو يدير المسائل النحوية بشغف العالم العارف المتبصر . وتكاد لا تخلو صفحة من سفره من اللطائف النحوية .

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ (المعارج: 16)، قال: قرأ أبو جعفر و نافع و عاصم في رواية أبي بكر عنه و الأعمش و أبو عمرو و حمزة و الكسائي (نزاعة) بالرفع، و روى أبو عمرو عن عاصم (نزاعة) بالنصب. فمن رفع فله خمسة أوجه: أحدهما: ان تجعل

(1085) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص 398.

(1086) رُبى ذَنون يونس، قوله تعالى: إن هذان لساحران [طه: 63] ((قراءة وتوجيه))، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، مجلد 9، العدد1، مديرية تربية نينوى، العراق، 2009، ص89.

(لظى) خبر (إن) و ترفع (نزاعة) بإضمار هي. و الوجه الثالث: أن تكون (لظى) و (نزاعة) خبران لأن. كما تقول: إنه خلق مخاصم. و الوجه الثالث: أن تكون (نزاعة) بدلا من (لظى) و (لظى) خبر (إنّ). والمعنى: أن القصة و الخبر لظى نزّاعة للشوى. و من نصب (نزاعة) حسن له أن يقف على (لظى) وينصب (نزاعة) على القطع من لظى. إذ كانت نكرة متصلة بمعرفة، و يجوز نصبها على الحال المؤكد؛ كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ (البقرة: 91). و يجوز أن تنصب على معنى أنها تتلقى نزّاعة؛ أي في حال نزعها للشوى. و العامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي. و يجوز أن يكون حالاً؛ على أنه حال للمكذبين بخبرها. و يجوز نصبها على القطع؛ كما تقول: مررت بزيد العاقل الفاضل. فهذه خمسة أوجه للنصب أيضا، و الشوى: جمع شواة و هي حلبة الرأس [1087].

كان القرطبي يوجه القراءة أحيانا بذكر قاعدة نحوية أو أقوال بعض النحاة البارزين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ (المائدة: 71).

قال: و قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائي (تكون) بالرفع؛ و نصب الباقون، فالرفع على أن حسب بمعنى على و تيقن. و (أن) مخففة من الثقيلة و دخول (لا) عوض من التخفيف، و حذف الضمير لأنهم كرهوا أن يليها الفعل و ليس من حكمها أن تدخل عليه ففصلوا بينهما (بلا)، و من نصب جعل (أن) ناصبة للفعل، و بقي حسب على بابه من الشك و غيره. قال سيبويه[1088]: حسبت ألا يقول ذلك؛ أي حسبت أنه قال ذلك. و إن شئت نصبت، قال النحاس[1089]: و الرفع عند النحويين في حسب و أخواتها أجود، و إنما صار الرفع أجود؛ لأن حسب و أخواتها بمنزلة العلم لأنه شيء ثابت [1090].

[1087] الجامع لاحكام القرآن، ج 18، ص275.
[1088] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 481.
[1089] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص 32.
[1090] الجامع لاحكام القرآن، ج6، ص235.

و من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب:16)

قال: "عن يعقوب الحضرمي (إذا لا يمتعون) بياء. و في بعض الروايات (و إذا لا تمتعوا) نصب بـ(إذا) و الرفع بمعنى و لا تمتعون. و (إذا) ملغاة، و يجوز إعمالها. فهذا حكمها إذا كان قبلها الواو والفاء، و إذا كانت مبتدأ نصبت بها فقلت: إذا أكرمك [1091].

في هذا المثال ذكر أن (إذا) ملغاة و يجوز إعمالها و أن هذا حكمها إذا كان قبلها الواو و الفاء، و إذا كانت مبتدأ نصبت، و هو بذلك يكون وجه القراءة بقاعدة نحوية.

يتضح من خلال الأمثلة السابقة و غيرها مما في تفسير القرطبي ما يدل على أن الإمام القرطبي كان عالما بالنحو متمكنا فيه، فتوجيهه القراءة بأربعة أو خمسة أوجه، و شرحه و بيانه في هذا الجانب و استشهاده بأقوال أئمة النحو و ما قعدوه من قواعد لتوجيه القراءة بها و ترجيحه لبعض الأوجه النحوية أحيانا لدليل واضح على ما وصل إليه من رسوخ في هذا العلم. و قد استخدم هذا العلم في خدمة القراءات القرآنية توجيها و بيانا لمعانيها من خلال الإعراب.

وبسبب هذه القراءات المشكلة أثرى النحو، وتعددت مسائله، وفاضت كتبه حتى امتلأت بالآراء المتعددة.

ونحن لا نستطيع في هذا المقام جمع هذه القراءات المشكلة، وآراء النحاة فيها، لأن ذلك يطيل أمد البحث، وقد لا نصل إلى الغاية منها، القراءات كانت مصدرا كبيرا لثروة نحوية، امتلأت بها خزائن النحو .

لقد جعل العلماء شرط موافقة العربية للقراءة ؛ أن يكون للقراءة وجه شائع في العربية. بمعنى أن توافق وجها مشهورًا، ومعتدًا به، مما قاله النحاة سواء أكان هو الوجه الأصح أم الصحيح؛ لأن القراءة

[1091] الجامع لاحكام القرآن، ج14، ص 149.

متى ثبتت بالسند المتواتر وموافقه رسم المصحف فلا ينبغي أن ترد، بل تصبح هي حجة على قواعد النحو لا أن تكون قواعد النحو حجة عليها.[1092]

يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾ (النساء: 1)، قرأ إبراهيم النخعيّ وقتادة والأعمش وحمزة: (والأَرْحَامِ) بالخَفْض. قال النَّحاس:« وقد تكلَّم النَّحْويون في ذلك؛ فأمَّا البصريون فقال رؤساؤهم: هو لَحْنٌ لا تَحِلُّ القراءة به. وأمَّا الكوفيون فقالوا: هو قبيحٌ،قال الفراء: «هُوَ كقولهم: بالله والرحم وفيه قبح لأن العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض وقد كنى عَنْهُ»[1093]، ولم يَزِيدُوا على هذا، ولم يذكُروا عِلَّة قُبْحِه؛ فيما علمتُ»[1094].و«البصريون المعارضون لهذا يقولون: أعيد الجار وحذف للعلم به، وجر على القسم تعظيما للأرحام حثا على صلتها رجوا به الله إلخ، وافقه المطوعي والباقون بالنصب عطفا على لفظ الجلالة، أو على محل به كقولك: مررت به وزيدا، وهو من عطف الخاص على العام، إذ المعنى اتقوا مخالفته، وقطع الأرحام مندرج فيها، فنبه سبحانه وتعالى بذلك(1095)

فالقراءة سنة متبعة، كما روي عن زيد بن ثابت.

وقد فسر البيهقي هذه العبارة بقوله: أراد -أي زيد بن ثابت- أن اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة، لا يجوز مخالفة خط المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة وإن كان غير ذلك سائغًا في اللغة".وقال أبو عمرو الداني: وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت من الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها".

[1092] السيد رزق الطويل (ت 1419هـ) ،مدخل في علوم القراءات ،المكتبة الفيصلية ،ط1، 1405هـ - 1985م، ص52

[1093] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص252

[1094] النحاس إعراب القرآن، ج1، ص197.

[1095] الدمياطيّ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت 1117هـ) ،إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر تح، أنس مهرة،دار الكتب العلمية - لبنان ط3، 2006م - 1427هـ ، ص236

وبرغم ما أكده القراء مما يفيد أن شرط الموافقة لوجه في العربية أي وجه هو لمجرد الاستئناس ومزيد من الاستيثاق ولا ترد القراءة؛ لأجله فإننا نرى مكيًّا يخالف هؤلاء في أمرين:

أولهما: اشتراطه موافقة القراءة لوجه شائعٍ في العربية

والآخر: أنه يرد القراءة التي لا توافق وجهًا في العربية، وإن وافقت خط المصحف، ونقلها ثقة»[1096]

وقال سيبويه:« لم يعطف على المضمَر المخفوض، لأنَّه بمنزلة التنوين، والتنوينُ لا يعطف عليه، وقال جماعة: هو معطوف على المَكْنِيِّ فإنهم كانوا يتساءلون بها، يقول الرجل: سألتك بالله والرَّحم. هكذا فسَّره الحسن والنَّخعيُّ ومجاهد، وهو الصحيح في المسألة. وضعفه أقوام منهم الزجَّاج. وقالوا: يَقْبُح عطفُ الاسم الظّاهر على المضمر في الخفض إلاّ بإظهار الخافض، كقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ (القصص:81)، ويقبح: مررتُ به وزيدٍ؛ قال الزجَّاج عن المازِنِيّ: لأنّ المعطوف والمعطوف عليه شريكان، يَحِلُّ كلّ واحد منهما محلَّ صاحبه، فكما يجوز: مررتُ بزيدٍ و(ك)، كذلك لا يجوز: مررتُ بك وزيدٍ.» [1097]، وأما سيبويه فهي عنده قبيحة لا تجوز إلاَّ في الشعر، كما قال:

فاليَوْمَ قرَّبْت تهجُونا وتشتِمُنا*** فاذهبْ فما بكَ والأيامِ من عَجَبِ[1098].

عطَفَ (الأيَّامَ) على الكاف في (بك) بغير الباء للضرورة.

ثمّ قال: قال الزجّاج: قراءة حمزة مع ضعفِها وقبحِها في العربية خطأٌ عظيمٌ في أصول أمرِ الدِّين؛ لأنَّ النّبي ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم»[1099]. فإذا لم يجُز الحَلف بغير الله؛ فكيف يجوز بالرحم؟

[1096] السيد رزق الطويل (المتوفى: 1419هـ) مدخل في علوم القراءات المكتبة الفيصلية ط1 1405هـ - 1985م،ص52

[1097] سيبويه، الكتاب، ج2، ص382- 283.

[1098] الجامع لاحكام القرآن، ج6، ص8، وذكره ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ح2 ص4.و الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ج 2، ص 7.

[1099] صحيح البخاري، ج4، ص 132،رقم6648 .وسنده حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا عبد الله بن دينار، قال: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم».

ورأيتُ إسماعيل بن إسحاق يذهب إلى أنّ الحلف بغير الله أمر عظيم، وأنّه خاصٌّ لله تعالى. قال النحّاس:« وقول بعضهم: (والْأَرْحَامِ) قَسَمٌ خطأ من المعنى والإعراب؛ لأنّ الحديث عن النبي ﷺ يدل على النصب، وَروي شعبة، عن عون بن أبي جحيفة، عن المنذر بن جرير، عن أبيه قال: كنت عند النبي ﷺ حتى جاء قومٌ من مصر حفاة عراة، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيّر لما رأى من فاقتهم. ثم صلَّى الظهر وخطب النَّاس فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾ إلى ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾بالنصب ،ثم قال: «تصدَّقَ رجل بديناره، وتصدّق رجل بدرهمه، تصدَّق رجل بصاع تمرِهِ» وذكر الحديث[1100]، فمعنى هذا النصب؛ لأنَّه حضَّهم على صلة أرحامهم، وأيضًا فقد صحَّ عن النبي ﷺ :« مَنْ كان حالفا فَليحْلِف بالله أو ليصمتْ»[1101]، فهذا يردُّ قول من قال: المعنى أسألك بالله وبالرَّحم»[1102]، وعلق القرطبي فقال: « هذا ما وقفتُ عليه من القول لعلماء اللسان في منع قراءة: (والأَرْحَامِ) بالخفض، واختاره ابنُ عطية، وردَّه الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القُشَيْري[1103]، واختار العطف فقال: ومثلُ هذا الكلام مردودٌ عند أئمة الدين (أي ردّ النحاة للقراءة تخريجها على قواعدهم)؛ لأنّ القراءات التي قَرأ بها أئمة القرّاء ثبتت عن النبي ﷺ تواترًا يعرفه أهلُ الصنعة، وإذا ثبَتَ شيء عن النبي ﷺ ؛ فمن ردَّ ذلك، فقد ردَّ على النبي ﷺ، واستَقْبَح ما قرأ به، وهذا مقامٌ محذور، ولا يُقلَّد فيه أئمةُ اللغة والنحو، فإنَّ العربية تتلقَّى من النبي ﷺ، ولا يشك أحد في فصاحته. وأمَّا ما ذكر من

[1100] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م، ج8،ص 101، رقم 3308.

[1101] صحيح البخاري ج3 ص180 رقم2679 . و سند الحديث حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية، قال: ذكر نافع عن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من كان حالفا، فليحلف بالله أو ليصمت».

[1102] النحاس إعراب القرآن، ج1، ص198.

[1103] عبد الرَّحِيم بن عبد الْكَرِيم بن هوزان : أَبُو نصر بن أبي الْقَاسِم الْقشيرِي. تخرج بوالده ثمَّ على إِمَام الْحَرَمَيْنِ وَسمع أَبَاهُ وَأَبَا عُثْمَان الصَّابُونِي وَغَيرهم .روى عَنهُ سبطه أَبُو سعد عبد الله بن عمر الصفار وَغَيرهم . ذكر صَاحب التِّيسَاق عبد الغافر الْفَارِسِي قال رباه وَالِده أحسن تربية وزقه الْعَرَبيَّة فِي صباه زقا حَتَّى برع فِيهَا وكمل فِي النّظم والنثر فحاز فيهمَا قصب السَّبق توفّي سنة أَربع عشرَة وَخَمْسمِائَة بنيسابور، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص 159.

الحديث ففيه نظرٌ؛ لأنّه ﷺ قال لأبي العُشَرَاء: «وأبِيكَ، لو طَعنتَ في خاصرته»[1104]. ثم النَّهي إنّما جاء في الحلف بغير الله. وهذا توسُّل إلى الغير بحقِّ الرَّحم، فلا نهيَ فيه. قال القشيريّ: وقد قيل: هذا إقسامٌ بالرّحم؛ أي: اتقوا الله وحقّ الرحم، كما تقول: افعل كذا وحقِّ أبيك، وقد جاء في التنزيل:«والنّجم» «والطُّور» «والتّين» « لَعمْرُك» وهذا تكُّلف.

وردّ القرطبي على القشيري في رفضه لهذا الرأي الأخير فقال: « لا تكلُّف فيه فإنّه لا يبعد أن يكون «وَالأَرْحَامَ» من هذا القبيل، فيكون أَقْسَم بها كما أقسم بمخلوقاته الدالَّة على وحدانيتِه وقدرتِه تأكيدًا لها حتى قرنَها بنفسه. ولله أن يُقسم بما شاء، ويمنعَ ما شاء، ويبيح ما شاء، فلا يَبْعُدُ أن يكون قَسَمًا، والعربُ تُقسم بالرَّحِم. ويَصِحُّ أن تكون الباء مُرادةً فحذفها كما حذفها في قوله:

مَشائيمُ ليسُوا مُصلحينَ عَشِيرةً *** ولاَ نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرابُها[1105]

فجرَّ وإن لم يتقدَّم باء.

. وقد أحسن الكوفيون باحتجاجهم بقراءات حمزة "وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ" بجر الأرحام على أنه يجوز العطف على المجرور دون إعادة الجار [1106] قال ابن الدَّهَّان أبو محمد سعيد ابن مبارك: والكوفيُّ يُجيزُ عطفَ الظاهرِ على المجرور، ولا يمنعُ منه. واستدل بكثير من الشعر منها قوله:

فاذْهَبْ فمَا بِكَ والأيَّامِ من عَجَبِ [1107]

وقوله: فحسبُك والضَّحَّاكِ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[1108]

[1104] النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت 303هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1421 هـ /2001 م، ج 4، ص353، رقم 4482. جاء بلفظ - أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن أبي العشراء، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في الحلق واللبة؟ قال: «لو طعنت في فخذها لأجزأك».

[1105] الجامع لاحكام القرآن، ج6، ص12، و ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 12، ص314.و الجوهري في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 2، ص 1957.و الزبيدي في تاج العروس، ج 32، ص 446 .

[1106] السيد رزق الطويل (ت 1419هـ) ،مدخل في علوم القراءات ،المكتبة الفيصلية ،ط1، 1405هـ - 1985م، ص52

[1107] الجامع لاحكام القرآن، ج6، ص8، وذكره ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ح2 ص4.و الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ج 2، ص 7. وشطره الاول(فاليَوْمَ قَرَّبْت تهجُونا وتشتِمُنا.....).

[1108] الجامع لاحكام القرآن، ج6، ص12، وذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 2، ص395. و ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 549. والأزهري في تهذيب اللغة، ج 4، ص192. وشطره الاول (إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا، ...)

وقوله: قَد رَامَ آفاقَ السَّماء فلمَ يَجِدَ *** لَهُ مَصعَدًا فيهَا ولاَ الأَرْضِ مَقْعَدَا[1109]

«ابن جني» في كتابه الخصائص:« من ذلك أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض ثم أرسله فتسمع صوتا فتقول: القرطاس والله.«أي» أصاب القرطاس». «فأصاب» الآن في حكم الملفوظ به البتة وإن لم يوجد في اللفظ.

غير أن دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به. وكذا قولهم لرجل مهو بسيف في يده: زيدا.أي«اضرب زيدا» فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من اللفظ به.

وكذلك قولهم للقادم من سفر: خير مقْدم. وقولك: قد مررت برجل إن زيد وإن عمرا؛ أي إن كان زيدا أو إن كان عمرا. وقولك للقادم من حجة: مبرور ومأجور، وكذلك قوله:

رَسْمُ دَار وقَفَتْ في طَلَلِهِ*** كِدْتُ أقْضِي الغَدَاةَ مِن جَلَلِهِ[1110]

أي ربَّ رسم دار. وكان رؤبة إذا قيل له كيف أصبحت يقول: خير وفّاك الله. أي بخير. ويحذف الباء لدلالة الحال عليها بجري العادة والعرف» [1111].

« وعلى نحو من هذا تتوجه قراءة حمزة وهي قوله سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ ثم يقول: « ليْست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشّناعة والضُّعف على ما رآه فيها، وذهب إليه أبو العباس المبرد. بل الأمر فيها دون ذلك، وأقرب وأخفُّ، وألطف، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العبّاس: إنّني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور بل اعتقدت أن تكون فيه «باء ثانية». حتّى كأنّي قلت: وبالأرْحام ثمّ حذفت الباء لتَقدم ذكرها كما حذفت لتقدم ذكرها في

[1109] الجامع لاحكام القرآن، ج6، ص13، ذكره الشوكاني في الفتح القدير، ج 1،ص 480.

[1110] ديوان جميل بثينة، لجميل بن عبد الله بن معمر، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت لبنان، ط1، 1402ه/1982م، ص 52.

[1111] ابن جني، الخصائص، ج1، ص285. وشعبان صلاح ، مواقف النحاة من القراءات القرآنية ،ص278.279

نحو قولك: يمن بمن تمرر أمرر، وعلى من تنزل أنْزل» [1112]. وكان المبرد يقول: لَو أَنِّي صليت خلف إِمَام فَقَرَأَ بهَا لَقطعت صَلَاتي[1113]

وهذا منتهى الرفض للقراءة أن لا تُعدّ قراءة ولا يُتعبد بها . وقد ورث الذرس النحوي الكثير أقوال النحاة التي تُزري بالقراءة

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾.(الأنعام: 137). برفع(قتل) ونصب(أولادهم) وجر (شركائهم) فقال: قال النحاس:« وأما ما حكاه أبو عبيد عن ابن عامر وأهل الشام فلا يجوز في كلام ولا في شعر وإنما أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه بالظرف لأنه لا يفصل، فأما بالأسماء غير الظرف فلحن» [1114]، قال مكي: وهذه القراءة فيها ضعف للتفريق بين المضاف والمضاف إليه لأنه إنما يجوز مثل هذا التفريق في الشعر مع الظروف لاتساعهم فيها وهو في المفعول به في الشعر بعيد. فإجازته في القراءة أبعد، وقال المهدوي: قراءة ابن عامر هذه على التفرقة بين المضاف والمضاف إليه. ومثله قول الشاعر:

فزججتها بمزجة *** زجة القلوص أبي مزاد[1115].

يريد زج أبي مزادة القلوص وأنشد:

[1112] ابن جني، الخصائص، ج1، ص286.

[1113] القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت 516هـ) ، درة الغواص في أوهام الخواص، تح عرفات مطرجي مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ط1، 1998/1418هـ ،ص74.

[1114] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص33.

[1115] ذكره ابن عطية في تقسيره ج 2 ص 212. و الشوكاني في الفتح القدير ج 2 ص 189.وابن جني في الخصائص، ج 2، ص 408. لزج ها هنا الطعن: والمزجة بكسر الميم: رمح قصير كالمزاريق، والقلوص بفتح القاف: الفتية من النوق. يخبر أنه زج امرأته بالمجزة، كما زج أبو مزادة القلوص وأبو مزادة كنية رجل.

تمر على ما تستمر وقد شفت ***غلائل عبد القيس منها صدورها[1116].

يريد شفت عبد القيس غلائل صدورها. وقال أبو غانم أحمد أبو حمدان النحوي:قراءة ابن عامر لا تجوز في العربية، وهي زلة عالم، وإذا زل العالم لا يجز إتباعه. ورد قوله إلى الإجماع. وكذلك يجب أن يرد من زل منهم أو منها إلى الإجماع.

فهو أولى من الإصرار على غير الصواب. وإنما أجازوا في الضرورة للشاعر أن يفرق بين المضاف والمضاف إليه بالظروف لأنه لا يفصل كما قال:

كما خط الكتاب بكف يوم*** يهودي يقارب أو يزيل[1117]

وقال آخر:

كأن أصوات من ابغالهن بنا***أواخر الميس أصوات الفراريج[1118]

وقال آخر: لما رأت ساتيدما استعبرت ... لله در اليوم من لامها [1119]

[1116] الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور و مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ /2002 م،ج 4،ص 194. والشوكاني في الفتح القدير، ج2، ص188 .و البغدادي في خزانة الأدب ، ج 4، ص 413.

[1117] ديوان ابي حية النميري، تح: يحي الجبوري، منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي دمشق سوريا، ط1، 1975،ص 164. الشاهد في البيت إضافة الكف إلى اليهودي مع الفصل بالظرف. وصف رسوم الدار فشبهها بالكتاب في دقتها والاستدلال بها. وخص اليهود لأنهم أهل كتاب، وجعل كتابته بعضها متقارب وبعضها مفترق متباين، لاقتضاء آثار الديار وتلك الصفة والحال.

[1118] ديوان ذي الرمة، ص 42. والشاهد في البيت إضافة الأصوات إلى أواخر الميس مع فصله بالمجرور وضرورة. والميس شجر تعمل منه الرجال. والأبغال سرعة السير. يقول كأن أصوات أواخر الميس من شدة سير الإبل بنا واضطراب رحالها عليها: أصوات الفراريج.

[1119] ديوان عمرو بن قميئة، تح: خليل ابراهيم العطية، دار صادرللطباعة والنشر بيروت لبنان، ط2، 1994م، ص 71. و البيت المذكور في تفسير القرطبي هو عبارة عن بيتين تم مزجهما معا، حيث تمام الشطرالاول للبيت (لما رأت ساتيدما استعبرت ***اخوالها فيها واعمامها)،امالشطر الثاني للبيت فتمامه الشطر الاول (تذكرت ارضا بها اهلها... لله در اليوم من لامها). والشاهد في البيت إضافة الدر إلى من مع جواز الفصل بالظرف ضرورة إذ لم يمكنه إضافة الدر إليه. وصف امرأة نظرت إلى(ساتيدما) وهو جبل يعينه بعيد عن ديارها فذكرت به بلادها فاستبرت شوقا إليها. **يريد**: لله دَرُّ مَنْ لامَها اليوم. و» ساتيد ما «قيل: هو مركب والأصل: ساتي دما، ثم سُمّي به هذا الجبلُ لأنه قُتِل عنده. قيل: ولا تبرح القتلى عنده. وقيل:» ساتيد «كلُّه اسمٌ و» ما «مزيدةٌ. السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف (ت 756هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج5ص169

ثم رد القرطبي ذلك بما نقله عن القشيري:فقال:وقال القشيري: وقال قوم هذا قبيح، وهذا محال، لأنه إذا ثبتت القراءة بالمتواترة عن النبي ﷺ فهو الفصيح لا القبيح وقد ورد ذلك في كلام العرب، وفي مصحف عثمان«شركائهم» بالياء وهذا يدل على قراءة ابن عامر. وأضيف القتل في هذه القراءة إلى الشركاء.لأن الشركاء هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه فالفعل مضاف أي (مسند) إلى فاعله على ما يجب في الأصل. لكنه فرق بين المضاف والمضاف إليه. قال الدمياطي: وهي قراءة متواترة صحيحة وقارئها ابن عامر أعلى القراء السبعة سندا وأقدمهم هجرة، من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء ومعاوية وفضالة بن عبيد، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب، وكلامه حجة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللحن، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وسمع ورأى، إذ هي كذلك في المصحف الشامي، وقد قال بعض الحفاظ: إنه كان في حلقته بدمشق أربعمائة عريف يقومون عليه بالقراءة، قال: ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئا على ابن عامر من قراءته ولا طعن فيها، وحاصل كلام الطاعنين كالزمخشري أنه لا يفصل بين المتضايفين إلا بالظرف في الشعر؛ لأنهما كالكلمة الواحدة أو أشبها الجار والمجرور، ولا يفصل بين حروف الكلمة ولا بين الجار ومجروره وهو كلام غير معول عليه، وإن صدر عن أئمة أكابر؛ لأنه طعن في المتواتر)[1120].

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ (إبراهيم: 22)

قال القرطبي : « وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ" بِمُصْرِخِيَّ" بِفَتْحِ الْيَاءِ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ" بِمُصْرِخِيِّ" بِكَسْرِ الْيَاءِ. وَالْأَصْلُ فِيهَا بِمُصْرَخِيينَ فَذَهَبَتِ النُّونُ لِلْإِضَافَةِ، وَأُدْغِمَتْ يَاءُ الْجَمَاعَةِ فِي يَاءِ الْإِضَافَةِ، فَمَنْ نَصَبَ فَلِأَجْلِ التَّضْعِيفِ، وَلِأَنَّ يَاءَ الْإِضَافَةِ إِذَا سُكِّنَ مَا قَبْلَهَا تَعَيَّنَ فِيهَا الْفَتْحُ مِثْلُ: هَوَايَ وَعَصَايَ، فَإِنْ تَحَرَّكَ مَا قَبْلَهَا جَازَ الْفَتْحُ وَالْإِسْكَانُ، مِثْلُ: غُلَامِي وَغُلَامَتِي، وَمَنْ كَسَرَ فَلِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ حُرِّكَتْ إِلَى الْكَسْرِ، لِأَنَّ الْيَاءَ أُخْتُ الْكِسْرَةِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَهَمٌ مِنْهُ، وَقَلَّ مَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ عَنْ خَطَإٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هَذِهِ قِرَاءَةٌ رَدِيئَةٌ وَلَا وَجْهَ لَهَا إِلَّا وَجْهٌ ضَعِيفٌ. وَقَالَ قُطْرُبٌ: هَذِهِ لُغَةُ بَنِي يَرْبُوعٍ يَزِيدُونَ

[1120] الدمياطيّ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2006م - 1427هـ، ص274.

عَلَى يَاءِ الْإِضَافَةِ يَاءً. قال الْقُشَيْرِيُّ: وَالَّذِي يُغْنِي عَنْ هَذَا أَنَّ مَا يَثْبُتُ بِالتَّوَاتُرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ هُوَ خَطَأٌ أَوْ قَبِيحٌ أو ردئ، بَلْ هُوَ فِي الْقُرْآنِ فَصِيحٌ، وَفِيهِ مَا هُوَ أَفْصَحُ مِنْهُ، فَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ أَرَادُوا أَنَّ غَيْرَ هَذَا الَّذِي قَرَأَ بِهِ حَمْزَةَ أَفْصَحُ»[1121]. نقل القرطبي مقالات النحاة وفيها تحامل واضح على قراءة حمزة ولم يكن مدافعا قويا على قراءة حمزة ولكنه كان يعترض بهدوء وبرودة أعصاب قال : « وَقَالَ الْفَرَّاءُ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَهَمٌ مِنْهُ، وَقَلَّ مَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ عَنْ خَطَأٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هَذِهِ قِرَاءَةٌ رَدِيئَةٌ وَلَا وَجْهَ لَهَا إِلَّا وَجْهٌ ضَعِيفٌ. وَقَالَ قُطْرُبٌ: هَذِهِ لُغَةُ بَنِي يَرْبُوعٍ يَزِيدُونَ عَلَى يَاءِ الْإِضَافَةِ يَاءً. قال الْقُشَيْرِيُّ: وَالَّذِي يُغْنِي عَنْ هَذَا أَنَّ مَا يَثْبُتُ بِالتَّوَاتُرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ هُوَ خَطَأٌ أَوْ قَبِيحٌ أو ردئ، بَلْ هُوَ فِي الْقُرْآنِ فَصِيحٌ، وَفِيهِ مَا هُوَ أَفْصَحُ مِنْهُ، فَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ أَرَادُوا أَنَّ غَيْرَ هَذَا الَّذِي قَرَأَ بِهِ حَمْزَةَ أَفْصَحُ»[1122]«وقراءة حمزة هذه لغة من اللغات وهي مطّردة في بني يربوع حكاها الفرّاء وقطرب وأجازها أبو عمرو بن العلاء ؛ لأن الأصل عنده أن في (مصرخيّ) ثلاث ياءات، ياء الجمع وياء الإضافة وياء للمدّ، ثم حذفت ياء المدّ وبقيت ياءان أدغمتا بالكسر الذى هو عوض عن الياء »[1123]

وقرئ: بمصرخي، بكسر الياء وهي ضعيفة، واستشهدوا لها ببيت مجهول:

قَالَ لَهَا هَلْ لَكِ يَا تَافِيّ ... قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالمَرْضِي

وكأنه قدّر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة، فحرّكها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صحيح، لأنَّ ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة، حيث قبلها ألف في نحو عصاي، فما بالها وقبلها ياء؟ فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحرّكت بالكسر على الأصل[1124].

[1121] القرطبي، الجامع، ج9، ص357

[1122] الجامع لاحكام القرآن، ج9، ص357

[1123] الواسطيّ الكنز في القراءات العشر، ج1 ،ص59

[1124] الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل دار الكتاب العربي - بيروت ط3 - 1407 هـ، ج 2، ص550.

«وقد قرأ نافع: محياي ومماتي، في الوصل بسكون ياء «محياي» كما ندر كسرها بعد الألف، وقد قرأ الأعمش والحسن البصري: «هي عصاي» بكسر الياء، على أصل التقاء الساكنين، والكسر مطرد في لغة بني يربوع في الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم، وعليه قراءة حمزة والأعمش: «وما أنتم بمصرخيّ» بكسر الياء، وبذلك سقط ما قاله المعري في رسالته: «أجمع أصحاب العربية على كراهة قراءة حمزة» »[1125].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ﴾ (طه: 63)، قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران ورويت عن عثمان وعائشة ﷺ هما وغيرهما من الصحابة وكذلك قرأ الحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم من التابعين ومن القراء عيسى بن عمر وعاصم الجحدري، فيما ذكر النحاس: « وهذه القراءة موافقة للإعراب مخالفة للمصحف وقرأ الزهري و الخليل بن أحمد و المفضل و أبان و ابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه (إن هذان) بتخفيف (إن) (لساحران) و ابن كثير يشدد نون (هذان) وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب ويكون معناها ما هذان إلا ساحران وقرأ المدنيون والكوفيون(إن هذان) بتشديد (إن) (لساحران) فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب »[1126]. فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة عن الأئمة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ إن هذان إلا ساحران وقال الكسائي في قراءة عبد الله: إن هذان ساحران بغير لام وقال الفرَّاء: « (وَفِي قراءة أُبَيّ (إنْ ذان إلا ساحران) فقراءتنا بتشديد (إنّ) وبالألف عَلَى جهتين.

إحداهما عَلَى لغة بني الحارث بن كعب: يجعلونَ الاثنين فِي رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف.

وأنشدني رجلٌ من الأسد عنهم» [1127] . يريد بني الحارث:

فأَطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مسَاغًا لِناباه الشجاعُ لصَمّما[1128].

[1125] درويش محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت 1403هـ) إعراب القرآن وبيانه دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، ط4، 1415 هـ، ج3، ص 292

[1126] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص31.

[1127] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص184.

[1128] الضبعي(جرير بن عبد المسيح)، ديوان المتلمس، رواية الاثرم وابي عبيدة عن الاصمعي، تح: حسن كامل الصيرفي، طباعة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية القاهرة، مصر،1390هـ 1970م، ص 34.

فهذه ثلاث قراءات أخرى تحمل على التفسير لا أنها جائز أن يقرأ بها لمخالفتها المصحف.

قال الفراء: وللعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة ستة أقوال ذكرها ابن الأنباري في آخر كتاب الرد له و النحاس في إعرابه و المهدوي في تفسيره وغيرهم أدخل كلام بعضهم في بعض وقد خطأهم قوم حتى قال أبو عمرو: إني لأستحي من الله أن أقرأ (إن هذان) : وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها سُئلت عن قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ (طه: 63)، ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ (المائدة: 69)، فقالت للسائل: يا ابن أختي ! الكُتَّاب أخطؤوا. وقال أبان بن عثمان[1129]: قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان فقال: لحن وخطأ، فقال له قائل: ألا تغيروه ؟ فقال: دعوه فإنّه لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما، القول الأول من الأقوال الستة أنها لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة بن زيد يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف يقولون: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ (يونس: 16)

وأنشد الفرَّاء : لرجل من بني أسد قال:« وما رأيت أفصح منه»[1130] .

ويقولون: كسرت يداه وركبت علاه بمعنى يديه وعليه قال شاعرهم :

تزود منا بين أذناه ضربة *** دعته إلى هابي التراب عقيم [1131]

وقال آخر: طاروا علاهن فطر علاها؛ أي عليهن وعليها

وقال آخر: إن أباها وأبا أباها... قد بلغا في المجد غايتاها[1132]

[1129] أبو سعيد أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القريشي الأموى المدنى التابعى الكبير، سمع أباه، وزيد بن ثابت. روى عنه الزهرى، وعمر بن عبد العزيز، وخلائق من التابعين وغيرهم.قال عمرو بن شعيب: ما رأيت أحدًا أعلم بحديث ولا فقه من أبان بن عثمان. واتفق العلماء على أنه ثقة، توفى بالمدينة سنة105هـ، النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ج1، ص97.

[1130] الفراء، معاني القرآن، ج2،ص184.

[1131] ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج8، ص 197 و نسبه لابن الحارث.وجاء في الفتح القدير للشوكاني، ج4، ص441. و في سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت،لبنان، ط1، 1421هـ- 2000م، ج2، ص 339.

[1132] ديوان أبي النجم العجلي،الفضل بن قدامة (ت 130هـ)، ص452.

أي إن أبا أيبها وغايتيها قال أبو جعفر النحاس:« وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية إذ كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاها من يرتضى بعلمه وأمانته منهم أبو زيد الأنصاري وهو الذي يقول: إذا قال سيبويه حدثني من أثق به . فإنما يعنيني و أبو الخطاب الأخفش [1133]، وهو رئيس من رؤساء اللغة و الكسائي و الفرَّاء كلهم قالوا هذا على لغة بني الحارث بن كعب [1134] وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن هذه لغة بني كنانة المهدوي : وحكى غيره أنها لغة لخثعم» [1135]، ومن أبين ما في هذا قوْلُ سيبويه:« واعلم أنك إذا ثنيت الواحد زدت عليه زائدتين؛ الأولى منهما حرف مد ولين وهو حرف الإعراب» [1136]. قال أبو جعفر: فقول سيبويه، وهو حرف الإعراب يوجب أن الأصل ألا يتغير فيكون (إن هذان) جاء على أصله ليعلم ذلك وقد قال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ (المجادلة: 19) ولم يقل استحاذ فجاء هذا ليدل على الأصل وكذلك (إن هذان) ولا يفكر في إنكار من أنكر هذه اللغة إذا كان الأئمة قد رووها .

القول الثاني: أن يكون (إن) بمعنى نعم كما حكى الكسائي عن عاصم قال: العرب تأتي بـ (أن) بمعنى نعم وحكى سيبويه أن:« (إن) تأتي بمعنى أجل. وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد وإسماعيل بن إسحاق القاضي يذهبان» [1137]. قال النحاس:« ورأيت أبا إسحاق الزجاج وعلي بن سليمان يذهبان إليه الزمخشري: وقد أعجب به أبو إسحاق النحاس: عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: لا أحصي كم سمعت رسول الله ﷺ يقول على منبره:(إن الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه) ثم يقول :« أنا أفصح قريش

[1133] أَبُو الْخَطَّابِ الأَخْفَشُ الْكَبِير، مولى قيس بن ثَعْلَبَة. أحد الأخافشة الثَّلَاثَة الْمَشْهُورين، كَانَ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّة قَدِيما، لَقِي الأعراب وَأخذ عَنْهُم، وَعَن أبي عَمْرو بن الْعَلَاء وطبقته. أَخذ عَنهُ سِيبَوَيْهِ وَالْكسَائِيّ، وَكَانَ ديّنا ورعا ثِقَة، وَهُوَ أول من فسر الشّعْر تَحت كل بَيت. (ت 171 ه)، السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص74.

[1134] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص184.

[1135] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص33.

[1136] سيبويه، الكتاب، ج1، ص17.

[1137] المصدر نفسه، ج3، ص151.

كلها وأفصحها بعدي أبان بن سعيد بن العاصي» [1138] قال أبو محمد الخفاف قال عمير: إعرابه عند أهل العربية والنحو (إن الحمد لله) بالنصب إلا أن العرب تجعل (إن) في معنى نعم كأنه أراد ﷺ نعم الحمد لله وذلك أن خطباء الجاهلية كانت تفتتح خطبها بنعم وقال الشاعر في معنى نعم:

قالوا غدرت فقلت إن وربما*** نال العلا وشفى الغليل الغادر [1139]

وقال عبد الله بن قيس الرقيات [1140] :

بكر العواذل في الصبا *** ح يلمنني وألومهنه

ويقلن شيب قد علا*** ك وقد كبرت فقلت إنه

فعلى هذا جائز أن يكون قول الله ﷻ:﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ بمعنى نعم ولا تنصب» [1141].

قال النحاس:« أنشدني داود بن الهيثم ؟ قال أنشدني ثعلب :

ليت شعري هل للمحب شفاء *** من جوى حبهن إن اللقاء [1142]

[1138] ذكره النحاس في إعراب القرآن، ج3، ص31. وأبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ) في الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح: الشاهد البوشيخي مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م، ج 7، ص 4658.

وذكره البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ)، شرح السنة،، تح: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م،ج 4، ص 202. وجاء بلفظ : فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ مَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ».

[1139] علي بن الحسن ابن هانئ الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت 309هـ)، المنتخب من غريب كلام العرب،تح: د محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1409هـ - 1989م، ص621.

[1140] أبو حيان الأندلسي التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداوي، دار القلم - دمشق، و دار كنوز إشبيليا، (دت)، ج 5، ص17.و ذكرها بعض المتأخرين في مؤلفاتهم د/علي النجدي ناصف، ابن قيس الرقيات شاعر السياسة و الغزل، مطبعة احمد مخيمر، القاهرة، مصر، ط1، (دت)، ص 97. وقد جاءت في المؤلف بلفظ (بكرت على عواذلي **يلحنني و الومهنه).(يلفني شيب قد علا**وقد كبرت فقلت :إنه).

[1141] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص31.

[1142] ذكره محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت 672هـ)، شرح تسهيل الفوائد، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ - 1990م، ج 2، ص 33.

ابو حيان الاندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل،ج 5،ص 129 .و الشوكاني، الفتح القدير، ج 3، ص 441.

وهذا قول حسن إلا أن فيه شيئا لأنه إنما يقال: نعم زيد خارج ولا تكاد تقع اللام هاهنا وإن كان النحويون قد تكلموا في ذلك فقالوا: اللام ينوى بها التقديم كما قال:

خالي لأنت ومن جرير خاله *** ينل العلاء ويكرم الأخوالا [1143]

آخر: أم الحليس لعجوز شهربه *** ترضى من الشاة بعظم الرقبه [1144]

أي لخالي ولأم الحليس وقال الزجاج : والمعنى في الآية إن هذان لهما ساحران ثم حذف المبتدأ» [1145]، المهدوي: وأنكره أبو علي وأبو الفتح بن جني قال أبو الفتح بن جني: «(هما) المحذوف لم يحذف إلا بعد أن عرف وإذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام ويقبح أن تحذف المؤكد وتترك المؤكد» [1146]، القول الثالث قاله الفرَّاء أيضا: «وجدت الألف دعامة ليست بلام الفعل فزدت عليها نونا ولم أغيرها كما قلت: (الذي) ثم زدت عليه نونا فقلت: جاءني الذين عندك ورأيت الذين عندك ومررت بالذين عندك » [1147].

القول الرابع قاله بعض الكوفيين قال: الألف في (هذان) مشبهة بالألف في يفعلان فلم تغير القول الخامس: قال أبو إسحاق: النحويون القدماء يقولون الهاء هاهنا مضمرة والمعنى: إنه هذان لساحران قال ابن الأنباري: فأضمرت الهاء التي هي منصوب (إن) و (هذان)خبر (إن) و (ساحران) يرفعها (هما) المضمر والتقدير إنه هذان لهما ساحران والأشبه عند أصحاب أهل هذا الجواب أن الهاء اسم (إن) و (هذان) رفع بالابتداء وما بعده خبر الابتداء .

قال الشاطبي رحمه الله : (حَمْلُ بَعْضِ الْعُلُومِ عَلَى بَعْضٍ فِي بَعْضِ قَوَاعِدِهِ؛ حَتَّى تَحْصُلَ الْفُتْيَا فِي أَحَدِهَا بِقَاعِدَةِ الْآخَرِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَجْتَمِعَ الْقَاعِدَتَانِ فِي أَصْلٍ وَاحِدٍ حَقِيقِيٍّ، كَمَا يُحْكَى عَنِ الْفَرَّاءِ

[1143] ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 510. وابن جني سر صناعة الإعراب ج2 ص56.و الشوكاني الفتح القدير،ج 6، ص130.

[1144] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه،ج3،ص 363. و الزبيدي، تاج العروس،ج 3،ص 169. و سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري في الإبانة في اللغة العربية، ج 2، ص 121.

[1145] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص32.

[1146] ابن جني، سر صناعة الإعراب،ج 2، ص 59.

[1147] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص184.

النَّحْوِيِّ؛ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ برع في علم واحد سهل عَلَيْهِ كُلُّ عِلْمٍ. فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي، وَكَانَ حَاضِرًا فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ، وَكَانَ ابْنَ خَالَةِ الْفَرَّاءِ: فَأَنْتَ قَدْ بَرَعْتَ فِي عِلْمِكَ، فَخُذْ مَسْأَلَةً أَسْأَلُكَ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمِكَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ سَهَا فِي صَلَاتِهِ، ثُمَّ سَجَدَ لِسَهْوِهِ فَسَهَا فِي سُجُودِهِ أَيْضًا؟قَالَ الْفَرَّاءُ: لَا شَيْءَ عَلَيْهِ.قَالَ: وَكَيْفَ؟

قَالَ: لِأَنَّ التَّصْغِيرَ عِنْدَنَا لَا يُصَغَّرُ؛ فَكَذَلِكَ السَّهْوُ فِي سُجُودِ السَّهْوِ لَا يُسْجَدُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ تَصْغِيرِ التَّصْغِيرِ؛ فَالسُّجُودُ لِلسَّهْوِ هُوَ جَبْرٌ لِلصَّلَاةِ، وَالْجَبْرُ لَا يُجْبَرُ، كَمَا أَنَّ التَّصْغِيرَ لَايُصَغَّرُ.

فَقَالَ الْقَاضِي: مَا حَسِبْتُ أَنَّ النِّسَاءَ يَلِدْنَ مِثْلَكَ.)[1148]

قال الشاطبي :فَأَنْتَ تَرَى مَا فِي الْجَمْعِ بَيْنَ التَّصْغِيرِ وَالسَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الضَّعْفِ؛ إِذْ لَا يَجْمَعُهُمَا فِي الْمَعْنَى أَصْلٌ حَقِيقِيٌّ فَيُعْتَبَرُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ.

فَلَوْ جَمَعَهُمَا أَصْلٌ وَاحِدٌ؛ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ جَارِيَةٌ عَلَى أَصْلٍ لُغَوِيٍّ لَا بُدَّ مِنَ الْبِنَاءِ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمَيْنِ.[1149]

قال الشاطبي الْمَسَائِلُ الَّتِي يُختلف فِيهَا؛ فَلَا يَنْبَنِي عَلَى الِاخْتِلَافِ فِيهَا فَرْعٌ عَمَلِيٌّ، إِنَّمَا تُعَدُّ مِنَ الْمُلَحِ وقال : وَفِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْهَا كَثِيرٌ؛ كَمَسْأَلَةِ اشْتِقَاقِ الْفِعْلِ مِنَ الْمَصْدَرِ[1150]، وَمَسْأَلَةِ اللَّهُم[1151]، ومسألة أشياء[1152]، ومسألة الأصل في لَفْظِ الِاسْمِ[1153]،قال الشاطبي :(وَإِنِ انْبَنَى

[1148] الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (ت 790هـ) ،الموافقات ،تح :أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،دار ابن عفان ،ط1 ،1417هـ/ 1997م ،ج1 ص120 ُ المحاورة بين الفراء ومحمد بن الحسن موجودة في "تاريخ بغداد" "14/ 151-152"، هاش الموافقات رقم 2ص118

[1149] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[1150] ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتقٌّ من الفعل وفرعٌ عليه، وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه. انظر تفصيل المسألة في: "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري "1/ 235"هامش رقم 4الموافقات للشاطبي ج1 ص115

[1151] ذهب الكوفيون إلى أن الميم المشددة في "اللهمَّ" ليست عوضا من "يا" التي للتنبيه في النداء، وذهب البصريون إلى أنها عوض من "ياء" التي للتنبيه في النداء، والهاء مبنية على الضم؛ لأنه نداء. انظر تفصيل المسألة في "الإنصاف" لابن الأنباري "1/ 341"،هامش رقم 5المصدر نفسه والصفحة نفسها

[1152] ذهب الكوفيون إلى أن "أشياء" وزنه "أفْعاء"، والأصل "أفعلاء"، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين، وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنه "أفعال"، وذهب البصريون إلى أن وزنه "لفعاء"، والأصل "فعلاء" انظر تفصيل المسألة في: "الإنصاف" لابن الأنباري "2/ 812" ،هامش رقم 6 المصدر نفسه والصفحة نفسها

[1153] ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوَسْم وهو العلامة، وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو.انظر تفصيل المسألة في: "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري "1/ 6" ،هامش رقم 1 الموافقات ج1ص116

الْبَحْثُ فِيهَا عَلَى أُصُولٍ مُطَّرِدَةٍ، وَلَكِنَّهَا لَا فَائِدَةَ تُجْنَى ثَمَرَةً لِلِاخْتِلَافِ فِيهَا؛ فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ صُلْبِ الْعِلْمِ.

وَمِنْ طَرِيفِ الْأَمْثِلَةِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا حَدَّثَنَاهُ بَعْضُ الشُّيُوخِ: أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ الْبَنَّاءِ[1154] سُئِلَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَمْ تَعْمَلْ إِنَّ فِي ﴿هَذَانِ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ الْآيَةَ (طه: 63) ؟فَقَالَ فِي الْجَوَابِ: لَمَّا لَمْ يُؤَثِّرِ الْقَوْلُ فِي الْمَقُولِ؛ لَمْ يُؤَثِّرِ الْعَامِلُ فِي الْمَعْمُولِ. ثم سأله سؤالا آخر على نسق الأول .

فَقَالَ لَهُ الْمُجِيبُ: يَا هَذَا! إِنَّمَا جِئْتُكَ بِنُوَّارَةٍ يَحْسُنُ رَوْنَقُهَا، فَأَنْتَ تُرِيدُ أَنَّ تَحُكَّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ، ثُمَّ تَطْلُبَ مِنْهَا ذَلِكَ الرَّوْنَقَ،

فَهَذَا الْجَوَابُ فِيهِ مَا تَرَى، وَبِعَرْضِهِ عَلَى الْعَقْلِ يَتَبَيَّنُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا هُوَ مِنْ صلب العمل)[1155].

قال الشاطبي : فَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ تُرْشِدُ النَّاظِرَ إِلَى مَا وَرَاءَهَا، حَتَّى يَكُونَ عَلَى بَيِّنَةٍ فِيمَا يَأْتِي مِنَ الْعُلُومِ وَيَذَرُ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهَا يَسْتَفِزُّ النَّاظِرَ اسْتِحْسَانُهَا بِبَادِئِ الرَّأْيِ، فَيَقْطَعُ فِيهَا عُمْرَهُ، وَلَيْسَ وَرَاءَهَا ما يتخذه مُعْتَمَدًا فِي عَمَلٍ وَلَا اعْتِقَادٍ، فَيَخِيبُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ سَعْيُهُ، وَاللَّهُ الْوَاقِي.[1156]

وقد اختلف النحاة والقراء في توجيه هذه القراءة اختلافات كثيرة وحفظت الكتب أقوالهم وكلما جاء لغوي إلا وزاد رأيا آخر حتى كانت هذه الآية من أكثر القراءات وجوها في الدرس النحوي . وقد أورد الشاطبي رأيا آخر على ما ذكره القرطبي من آراء :قال ابن البناء : لَمَّا لَمْ يُؤَثِّرِ الْقَوْلُ فِي الْمَقُولِ؛ لَمْ يُؤَثِّرِ الْعَامِلُ فِي الْمَعْمُولِ.وهل يصلح هذا الرأي في التفسير اللغوي للقاعدة ؟ هو نوع من الفلسفة الآنية التي خطرت على قلب ابن البناء ولذلك قال الشاطبي قولة جوهرية تصلح قاعدة عند الاختلاف : وَإِنِ انْبَنَى الْبَحْثُ فِيهَا عَلَى أُصُولٍ مُطَّرِدَةٍ، وَلَكِنَّهَا لَا فَائِدَةَ تُجْنَى ثَمَرَةً لِلِاخْتِلَافِ فِيهَا؛ فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ صُلْبِ الْعِلْمِ.

[1154] هو (أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العددي أبو العباس ابن البناء المراكشي) عالم في الرياضة والفلك مشارك في كثير من العلوم ولد بمراكش بقاعة ابن ناهض تاسع ذي الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكان أبوه بناءا وطلب هو العلم فنبغ في فنون شتى. أخذ عن قاضي الجماعة محمد بن علي المراكشي وأبي عبد الله محمد بن أبي البركات وأبي العباس أحمد بن محمد المدعو ابن أبي عطاء وأبي الحسين ابن أبي عبد الرحمن وغيرهم. قال الشوكاني: كان فاضلا عاقلا نبيها)،الكعبي السلمي محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني أبو الأرقم المصري المدني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426 هـ ،ج1، ص187.

[1155] الشاطبي، الموافقات، ج1، ص121.

[1156] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

قال أبو حيان الأندلسي: « وَلَسْنَا مُتَعَبَّدِينَ بِقَوْلِ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ وَلَا غَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ، فَكَمْ حُكْمٍ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْكُوفِيِّينَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ لَمْ يَنْقُلْهُ الْبَصْرِيُّونَ، وَكَمْ حُكْمٍ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْبَصْرِيِّينَ لَمْ يَنْقُلْهُ الْكُوفِيُّونَ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ لَهُ اسْتِبْحَارٌ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، لَا أَصْحَابُ الْكَنَانِيس[1157] الْمُشْتَغِلُونَ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعُلُومِ الْآخِذُونَ عَنِ الصُّحُفِ دُونَ الشُّيُوخِ » [1158].

وقال ابن حزم : « فَلَا يحل لأحد خلاف الله تَعَالَى فِيمَا أنزلهُ وَحكم بِهِ وَهُوَ تَعَالَى خَالق اللُّغَة وَأَهْلهَا فَهُوَ أملك بتصريفها وإيقاع أسمائها على مَا يَشَاء وَلَا عجب أعجب مِمَّن أوجد لأمريء الْقَيْس أَو لزهير أو لجرير أَو الحطيئة والطرماح أَو لأعرابي أسدي بن سلمي أَو تميمي أَو من سَائِر أَبنَاء الْعَرَب بوال على عَقِبَيْهِ لفظا فِي شعر أَو نثر جملَة فِي اللُّغَة وَقطع بِهِ وَلم يعْتَرض فِيهِ ثمَّ إِذا وجد لله تَعَالَى خَالق اللُّغَات وَأَهْلهَا كَلَاما لم يلْتَفت إِلَيْهِ وَلَا جعله حجَّة وَجعل يصرفهُ عَن وَجهه ويحرفه عَن مواضعه ويتحيل فِي إحالته عَمَّا أوقعه الله عَلَيْهِ وَإِذا وجد لرَسُول الله ﷺ كَلَاما فعل بِهِ مثل ذَلِك وتالله لقد كَانَ مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الْمطلب بن هَاشم قبل أَن يُكرمهُ الله تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ وَأَيَّام كَونه فَتى بِمَكَّة بِلَا شكّ عِنْد كل ذِي مسكة من عقل أعلم بلغَة قومه وأفصح فِيهَا وَأولى بِأَن يكون مَا نطق بِهِ من ذَلِك حجَّة من كل خندفي وقيسي وربيعي وإيادي وتميمي وقضاعي وحميري فَكيف بعد أَن اختصه الله تَعَالَى للنذارة واجتباه للوساطة بَينه وَبَين خلقه وأجى على لِسَانه كَلَامه وَضمن حفظه وَحفظ مَا يَأْتِي بِهِ» [1159].

فالتوجيه يراد به في النحو، بيان أن رواية البيت أو القراءة القرآنية لها وجه في العربية وموافقة لقواعد النحو [1160].

[1157] بحثت عن معنى هذه الكلمة فلم أجد لها ذكرا في المعاجم ،ولعلها لفظة استحدثها الأندلسيون وتعني : الْمُشْتَغِلُونَ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعُلُومِ الْآخِذُونَ عَنِ الصُّحُفِ دُونَ الشُّيُوخِ.

[1158] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل،دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، ج3، ص500.

[1159] ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري (ت 456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي القاهرة، ج3، ص 108.

[1160] محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011، ص295.

المطلب الرابع: توجيه القراءة بالدلالة:

وقد كان للمعاني المختلفة للفظة الواحدة دور كبير في تعدد القراءات، ليس معنى ذلك أن القراءات أوجدتها الاختلافات، ولكن وُجدت القراءات وبان الاختلاف في معاني القراءة، فكان تعدد القراءات القرآنية لاختلاف معاني اللفظة الواحدة.

وفي الآية :﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً﴾ (المائدة: 13)؛ أَيْ صُلْبَةً لَا تَعِي خَيْرًا وَلَا تَفْعَلُهُ، وَالْقَاسِيَةُ وَالْعَاتِيَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ وَحَمْزَةُ:" قَسِيَّةً" بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالنَّخَعِيِّ وَيَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ. وَالْعَامُ الْقَسِيُّ الشَّدِيدُ الَّذِي لَا مَطَرَ فِيهِ. وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْقَسِيَّاتِ أَيِ الْفَاسِدَةِ الرَّدِيئَةِ، فَمَعْنَى" قَسِيَّةً" عَلَى هَذَا لَيْسَتْ بِخَالِصَةِ الْإِيمَانِ، أَيْ فِيهَا نِفَاقٌ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ، لِأَنَّهُ يُقَالُ: دِرْهَمٌ قَسِيٌّ إِذَا كَانَ مَغْشُوشًا بِنُحَاسٍ أَوْ غَيْرِهِ. يُقَالُ: دِرْهَمٌ قَسِيٌّ (مُخَفَّفُ السِّينِ مُشَدَّدُ الْيَاءِ) مِثَالُ شَقِيٍّ أَيْ زَائِفٍ، ذَكَرَ ذلك أبو عبيد وأنشد:

لَهَا صَوَاهِلُ فِي صُمِّ السِّلَامِ كَمَا ... صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّيَارِيفِ

يَصِفُ وَقْعَ الْمَسَاحِي فِي الْحِجَارَةِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدٍ: دِرْهَمٌ قَسِيٌّ كَأَنَّهُ مُعَرَّبُ قَاشِي. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَهَذَا بَعِيدٌ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي القرآن مَا لَيْسَ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ، بَلِ الدِّرْهَمُ الْقَسِيُّ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالشِّدَّةِ أَيْضًا، لِأَنَّ مَا قَلَّتْ نَقْرَتُهُ يَقْسُو وَيَصْلُبُ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ:" قَسِيَةٌ" بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ عَلَى وَزْنِ فَعِلَةٍ نَحْوَ عَمِيَةٍ وَشَجِيَةٍ، مِنْ قَسَى يَقْسِي لَا مِنْ قَسَا يَقْسُو. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ عَلَى وَزْنِ فَاعِلَةٍ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَهُمَا لُغَتَانِ مِثْلُ الْعَلِيَّةِ وَالْعَالِيَةِ، وَالزَّكِيَّةِ وَالزَّاكِيَةِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: أَوْلَى مَا فِيهِ أَنْ تَكُونَ قَسِيَّةً بِمَعْنَى قَاسِيَةٍ، إِلَّا أَنَّ فَعِيلَةً أَبْلَغُ مِنْ فَاعِلَةٍ. فَالْمَعْنَى: جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ غَلِيظَةً نَابِيَةً عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْفِيقِ لِطَاعَتِي، لِأَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُوصَفُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْإِيمَانِ فَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ مَوْصُوفَةً بِأَنَّ إِيمَانَهَا خَالَطَهُ كُفْرٌ، كَالدَّرَاهِمِ الْقَسِيَّةِ الَّتِي خَالَطَهَا غِشٌّ. قَالَ الرَّاجِزُ:

قَدْ قَسَوْتِ وَقَسَتْ لِدَاتِي.[1161]

قال ابن خالويه : «والأصل في قسية : قسيوة فقلبوا من الواو ياء ، لأنه إذا اجتمع واو وياء والسابق ساكن قلبوا من الواو ياء وأدغموا الياء في الياء »[1162]

لقد ثوّر علم التوجيه العلوم العربية وأثراها من كل جوانبها صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا، ومن جوانب كثيرة من علوم أخرى كتاريخ الكتابة العربية بالنظر إلى رسم المصحف وتتبع رسم القراءات، لان الرسم العثماني عار من كل نقد وشكل، والمصاحف التي تملاها الرموز إضافة إلى نقد وشكل لكلماتها وما تلك الرموز إلا علوم أوجدها علماء القرآن لتثبيت علم التجويد، وبيان علم الوقف. وقد ظهرت في عصرنا مصاحف متطورة مكتوبة بالألوان لبيان كل أحكام التجويد، فكل لون يعبر عن حكم، وما ذلك إلا عناية المسلمين بالمصاحف.

يعتبر سفر القرطبي من المؤلفات الكبيرة في علم التوجيه، وإن كان جامعا وقد حوى علوما كثيرة، ولكنه تفسير اهتم بالجوانب اللغوية الكثيرة التي بثها القرطبي في أثناء تناوله للقراءات وقد عمق النظر في مدونات القراء والنحاة ونقل مادة خصبة صوتية في جوانب الإدغام والهمز والإبدال بين أصوات العربية، وهناك علوم كثيرة أخرى صوتية لم أشر إليها كالإمالة والإشمام والروم والفاصلة. أما في الجانب الصرفي فقد ظهرت براعة القرطبي في إدارة هذا العلم وقدرته على تناول المسائل الصرفية كالاشتقاق والتذكير والتأنيث والجمع والإفراد، وهناك مالم أشر إليه كتناوله لمسألة أصل الكلمة، فما من لفظ درسه القرطبي إلا وبحث في أصله وأوصله بدقة العالم البصير، وهي مادة خصبة تصلح أن تكون رسالة كاملة (أصل الكلمة في تفسير القرطبي).

لقد أظهر القرطبي براعة في مسائل النحو في كل التفسير الذي أفرغ فيه آراء المدرسة البصرية وآراء المدرسة الكوفية، وتجرد ليدلي بآرائه مجتهدا غير مقلد، صاحب رأي مقنع مع كل ما قيل في تفاسير وكتب اللغة.

[1161] الجامع لاحكام القرآن، ج6، ص115.

[1162] ابن خالويه ، إعراب القراءات السبع وعللها ، ج1، ص144.

يكاد يكون تفسير القرطبي معجما كاملا لألفاظ القرآن الكريم لأنه ما من لفظة تمر عليه إلا ويبين معناها من المعاجم العربية مستشهدا لها ما أمكنه ذلك، مرجحا بمعاني اللفظة كثير من القراءات القرآنية، فهو بارع أيضا في المجال الدلالي، ولا يمكن لصاحب اللغة أن يكون مجتها عارفا في مجال جاهلا في مجال آخر، فالقرطبي قد جمع علوم العربية بل انه قد جمع علوم الشريعة، وتفوق على أقرانه، وعلى اللذين نقل منهم، لأنه كان كثيرا ما ينقد آرائهم ويفندها ويبين الصواب في مجال الفقه والعقيدة والعربية....،ولذلك يعد كتابا جامعا في مجال التوجيه للقراءات القرآنية.

وقد رأينا كيف كان القرطبي يدير مسائل الصوت والصرف والنحو وكذا الدلالة، وإن كنت لا استطيع الالمام وبسط كل ما قاله لكثرته واتساعه، ولكن يكفيني ما عرضته فالبحث كله نماذج تطبيقية للقضايا المدروسة.

وقد أغنى القرطبي كل دارس بكثرة التجوال بين الكتب وقد جاء تفسيره يعج بالنقول الواسعة والكثيرة والمستثمرة ، ولذلك فرضت طريقته على كل دارس أن يكون مُحَقِّقًا، ويعود إلى الأصول ليتحقق من دقة نقل القرطبي لأنه اشترط الأمانة في النقل .

الباب الثالث:

اللهـــجـــــات

تمهيد

الفصل الأول: اللهجات الأكثر ورودا في الجامع

الفصل الثاني: اللهجات الأقل ورودا

الفصل الثالث: لغة القرآن الكريم

تعريف اللغة لغة :

قال ابن منظور: « (لغا: اللَّغْو واللَّغا: السَّقَط وَمَا لَا يُعتدّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ وَلَا يُحصَل مِنْهُ عَلَى فَائِدَةٍ ولا نَفْعٍ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ (المائدة: 89)

واللَّغَا: الصَّوْتُ مِثْلَ الوَغَى. وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: لَا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ

قَالَ الْكِسَائِيُّ: لَغا فِي الْقَوْلِ يَلْغَى، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ يَلْغُو، ولَغِيَ يَلغَى، لُغةٌ، ولَغا يَلْغُو لَغْواً: تَكَلَّمَ.

واللُّغَة: اللِّسْنُ، وحَدُّها أَنها أَصوات يُعبِّر بها كل قَوْمٍ عَنْ أَغراضِهم، وَهِيَ فُعْلةٌ مِنْ لَغَوْت أَي تكلَّمت، أَصلها لُغْوة ككُرةٍ وقُلةٍ وثُبةٍ، كُلُّهَا لَامَاتُهَا وَاوَاتٌ، وَقِيلَ: أَصلها لُغَيٌ أَو لُغَوٌ، وَالْهَاءُ عِوَضٌ، وَجَمْعُهَا لُغًى مِثْلَ بُرة وبُرًى، وَفِي الْمُحْكَمِ: الْجَمْعُ لُغات ولُغونَ. قَالَ ثَعْلَبٌ: قَالَ أَبو عَمْرٍو لأَبي خيرة يَا أَبا خيرةَ سمعتَ لُغاتِهم، فَقَالَ أَبو خَيْرَةَ: وَسَمِعْتُ لُغاتَهم، فَقَالَ أَبو عَمْرٍو: يَا أَبا خِيرَةَ أُريد أَكْتَفَ مِنْكَ جِلداً جِلْدُك قَدْ رقَّ، وَلَمْ يَكُنْ أَبو عَمْرٍو سَمِعَهَا، وَالنِّسْبَةُ إِليها لُغَوِيّ وَلَا تَقُلْ لَغَوِيٌّ.

واللَّغْو: النُّطق. يُقَالُ: هَذِهِ لُغَتهم الَّتِي يَلْغُون بِهَا أَي يَنْطِقُون. ولَغْوى الطيرِ: أَصواتُها. والطيرُ تَلْغَى بأَصْواتِها أَي تَنْغَم.

ولَغِيَ بِالشَّيْءِ يَلْغَى لَغاً: لهِجَ. ولَغِيَ بِالشَّرَابِ: أَكثر مِنْهُ، ولَغِيَ بِالْمَاءِ يَلغَى بِهِ لَغاً: أَكثر مِنْهُ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَا يَرْوَى» [1163].

التعريف الاصطلاحي للغة:

قال ابن جني: «هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [1164].هذا هو التعريف الذي ارتضاه القدامى والمحدثون لتعريف اللغة فإن كلمة (أصوات) تُوجِد في الذهن بالضرورة إنسانا له جهاز صوت سليم، وله في المقابل من يسمع أصواتَه؛ شخصا آخر له جهاز سمع ليتلقى هذه الأصوات فكلمة

[1163] ابن منظور، لسان العرب، مادة (لغا)، ج15، ص 250 ـ 252.

[1164] ابن جني، الخصائص، ج1، ص33.

أصوات جامعة لمؤدى اللغة؛ قال دي سوسير: (فالصوت ليس له وجود إلا بفضل جانب النطق وجانب السمع) [1165]. أما كلمة ألفاظ فتأحذنا للمعجم لأن المعجم ألفاظ .

قال ابن حزم: (واللغة ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها ولكل أمة لغتهم)[1166]قال الله عز وجل ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ (إبراهيم: 4)

جاء في تاج العروس :(هُوَ الكَلامُ المُصْطَلحُ عَلَيْهِ بينَ كلِّ قَبِيلٍ)[1167]

(وهذه التعريفاتُ مُتقاربةٌ في الدلالةِ على اللغةِ اصطلاحاً، وإن اختلفتْ تعبيراتُ المعبِّرين عنها.

ويُلاحظُ أنهم جعلوا اللُّغةَ الطريقَ الذي يحصلُ به التَّفاهمُ بين اثنين عن طريقِ النُّطقِ بالألفاظِ؛ أي: أنَّ عمدةَ اللُّغةِ الألفاظُ التي يتداولُها القومُ الذين اصطلحوا عليها، بحيثُ لو حُدِّثوا بغيرِها لم يحصل بينهم تفاهم)[1168]

تحدث "أرسطو" عن ماهية اللغة ووظيفتها وهي عنده وظيفة عضوية في الإنسان ورموز لمعاني الأشياء. . بدأت حسيَّة ثم صارت تجريدية فهى رموز لتجارب أفادها الإنسان في حياته[1169] وإن علاقة المنطق باللغة تظهر في أن اللغة حاملة للمعنى ، والصلة بينهما هي أن اللغة وعاء الفكر، والمنطق أسلوب منهجي يبحث في قوانين الفكر الذي يعبر عنه باللغة التي هي نشاط دائم يخضع لعدة أنظمة لسانية وعادات خطابية تختلف باختلاف الشعوب (1170)وأما تعريف - علماء النفس فهو:

[1165] فردينا ندي سوسير، علم اللغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية ، الأعظمية ،بغداد 1985م ص 26

[1166] ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ) الإحكام في أصول الأحكام تح: أحمد محمد شاكر قدم له: إحسان عباس دار الآفاق الجديدة، بيروت ج1ص46

[1167] الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية(دت)،(دط)،ج39،ص462.

[1168] مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط1 ، 1432هـ ،ص34.

[1169] المطعني عبد العظيم إبراهيم محمد (ت 1429هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية مكتبة وهبة ،القاهرة ،ط1، 1413 هـ - 1992 م، ج1،ص31.

[1170] رشيد حليم ، أصول النحو عند ابن جني ـ دراسة لسانية في كتابيه الخائص والمحتسب ،ص105.

" اللغة هي الوسيلة التي يمكن بها تحليل صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها بعيث يمكن بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا أو أذهان غيرنا بوساطة تأليف كلمات في وضع خاص [1171].

إن اللغة هي الحياة . فالطفل الذي يخرج للحياة ولا يصيح ولا يُسمع له صوت ميت. والأسرة التي تخفُت لغتها ميتة، والعلاقات أيا كانت، إذا غاب ا الحوار منها وسكتت فيها اللغة، فقد ماتت.

اللغة هي القضية الأولى التي رفع الله بها شأن آدم في الجنة ثم أنزله إلى الأرض مُزودا بها . فباللغة تنقل معارف الأجيال من جيل إلى جيل و لاشيء أقدر على تحمل العلم من اللغة .

إنه لا حدود لمجالات اللغة ،فهي المُحرك وهي المُفعِل لكل متطلبات الحياة .(ففي حياة الأفراد والمجتمعات تعد اللغة أهم من أي شيء آخر) [1172] .

تعريف اللهجة لغة :

جاء في لسان العرب :(لهج: لَهِجَ بالأَمرِ لَهَجاً، ولَهْوَجَ، وأَلْهَجَ كِلَاهُمَا: أُولِعَ بِهِ واعْتادَه، وأَلْهَجْتُه بِهِ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ مُلْهَجٌ بِهَذَا الأَمْر أَي مُولَعٌ بِهِ؛ وأَنشد:

رَأْساً بِتَهْضاضِ الرُّؤوسِ مُلْهَجا

واللَّهَجُ بِالشَّيْءِ: الوُلوعُ بِهِ. واللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ: طَرَفُ اللِّسان. واللَّهْجةُ واللَّهَجةُ: جَرْسُ الكلامِ، والفتحُ أَعلى. وَيُقَالُ: فُلَانٌ فصيحُ اللَّهْجَةِ

ولَهَّجْتُ القومَ تَلْهِيجاً إِذا لَهَّنْتَهم وسَلَّفْتَهم. والْهاجَّ اللبنُ الْهِيجاجاً: خَثَرَ حَتَّى يَخْتَلِطَ بعضُه بِبَعْضٍ وَلَمْ تَتِمَّ خُثورَتُه. وَكَذَلِكَ كَلُّ مُخْتَلِطٍ. والْهاجَّتْ عينُه: اخْتَلَطَ بِهَا النُّعاسُ. والفَصِيلُ يَلْهَجُ أُمَّه إِذا تَناوَل ضَرْعها يَمْتَصُّه. ولَهِجَتِ الفِصالُ: أَخَذَتْ فِي شُرب اللَّبَنِ. ولَهِجَ الفَصيلُ بأُمّه يَلْهَجُ إِذا اعتادَ رَضاعَها، فَهُوَ فَصِيلٌ لاهِجٌ، وَفَصِيلٌ راغِلٌ لاهِجٌ بأُمّه.اللسان [1173] .

[1171] المطعني، المرجع السابق ،ج1،ص32.

[1172] فردينا ندي سوسير، علم اللغة العام ، ص 26.

[1173] ابن منظور، لسان العرب، مادة لهج، ج2، ص359.

وقال الخليل: لهج: لَهِجَ فلانٌ بكذا وكذا: أي: أُولِعَ به. ولَهِجَ الفصيلُ بأمّه يلهج، إذا تناول ضرعَها يمتصُّ، وهو فصيلٌ لاهج. وألهجتُ الفصيلَ إذا جعلت في فيه خلالاً كي لا يصل إلى الرضاع.

واللهجة: طَرَفُ اللّسان، ويُقالُ: جَرْس الكلام، ويُقال: فصيح اللَّهْجَة واللَّهَجة. وهي لغته التي جُبِلَ عليها فاعتادها، ونشأ عليها،ورجلٌ مُلْهجٌ بكذا، أي: مُولَعٌ به [1174].

وجاء في الجمهرة : لهج ولهجت بالشَّيْء ألهج لهجا ولهجا إذا غريت بِهِ والمصدر اللهج.

وَيُقَال: فلَان صَادِق اللهجة [1175].

تعريف اللهجة اصطلاحا: قال ابن منظور :(واللَّهَجةِ، هِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فاعتادَها ونشأَ عَلَيْهَا) [1176]. قال الْجَوْهَرِيُّ: (واللَّهْجةُ: اللِّسَانُ،... وَفِي الْحَدِيثِ: مَا مِنْ ذِي لَهْجةٍ أَصدَقَ مِنْ أَبي ذَرٍّ) [1177]. و«اللهجة عند علماء العربية هي اللغة »[1178]

لا يكاد الباحثون يخرجون عن تعريف إبراهيم أنيس الاصطلاحي للهجة يقول : «وهي تدل على طائفة من المميزات اللغوية ذات النظام الصوتي تنتمي الى بيئة خاصة، ويشترك في هذه المميزات جميع أفراد تلك البيئة فهي أعم وأشمل» [1179].

جاء في لسان العرب أن: «لسن: اللِّسانُ: جَارِحَةُ الْكَلَامِ، وَقَدْ يُكْنَى بِهَا عَنِ الْكَلِمَةِ فَيُؤَنَّثُ حِينَئِذٍ؛ قَالَ أَعشى بَاهِلَةَ:

إِنِّي أَتَتْنِي لسانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا ... مِنْ عَلْوَ، لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ

[1174] لفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت 170هـ)، العين، تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ج3ص390و الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج6، ص193.

[1175] ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، ج1، ص494.

[1176] ابن منظور، لسان العرب، مادة لهج، ج2، ص359.

[1177] الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت 393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تح :أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت، ط1407،4 هـ - 1987 م، ج1، ص339.

[1178] الواسطيّ ، الكنز في القراءات العشر ،ص58 .

[1179] ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص13

قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: اللِّسان هُنَا الرِّسالة وَالْمَقَالَةُ؛ وَمِثْلُهُ:

أَتَتْني لسانُ بَنِي عامِرٍ، ... أَحاديثُها بَعْد قَوْلٍ نُكُرْ

قَالَ: وَقَدْ يُذَكَّر عَلَى مَعْنَى الْكَلَامِ: قَالَ الْحُطَيْئَةُ:

نَدِمْتُ عَلَى لسانٍ فاتَ مِنِّي، ... فلَيْتَ بأَنه فِي جَوْفِ عَكْمِ

وَشَاهِدُ أَلْسِنَةِ الْجَمْعِ فِيمَنْ ذَكَّر قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ﴾

وإِن أَردت بِاللِّسَانِ اللُّغَةَ أَنثت. يُقَالُ: فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ بِلِسانِ قَوْمِهِ. قَالَ اللِّحْيَانِيُّ: اللِّسَانُ فِي الْكَلَامِ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. يُقَالُ: إِن لسانَ النَّاسِ عَلَيْكَ لَحَسنة وحَسَنٌ أَي ثناؤُهم. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: هَذَا نَصُّ قَوْلِهِ وَاللِّسَانُ الثَّنَاءُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ؛ مَعْنَاهُ اجْعَلْ لِي ثَنَاءً حَسناً بَاقِيًا إِلى آخِرِ الدَّهْرِ؛ وَقَالَ كُثَيِّرٌ:

نَمَتْ لأَبي بكرٍ لسانٌ تتابعتْ، ... بعارفةٍ مِنْهُ، فَخَصَّتْ وعَمَّتِ

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ؛ أَي بِلُغَةِ قَوْمِهِ؛

ابْنُ سِيدَهْ: وَاللِّسَانُ اللُّغَةُ، مُؤَنَّثَةٌ لَا غَيْرُ. واللِّسْنُ، بِكَسْرِ اللَّامِ: اللُّغة. وَحَكَى أَبو عَمْرٍو: لِكُلِّ قَوْمٍ لِسْنٌ أَي لُغَة يَتَكَلَّمُونَ بِهَا. وَيُقَالُ: رَجُلٌ لَسِنٌ بَيِّنُ اللَّسَن إِذا كَانَ ذَا بَيَانٍ وَفَصَاحَةٍ. فاللسان -كما عرفه دوسوسير- " اللغة هي نتاج اجتماعي لملكة اللسان ".[1180]

(فالفرق ليس في اللسان -الألفاظ وقواعد تركيبها- المستعمل، وإنما الفرق في الكلام الذي " هو استعمال هذا البناء -اللسان- ووضعه موضع التنفيذ من قبل المتكلمين "، ومن ثم نجد الحق تبارك وتعالى ينسب لنفسه الكلام، وينسب اللسان للعرب، فقال: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) " فالذي يحرف هو الكلام ذاك التركيب الصادر من المبلغ

(1180) علم اللغة العام ، فردينا ندي سوسير، ص27.

ليغير معناه، ويبطل أثره المقصود به، أما تحريف اللسان فهو مسبة للمحرف وسلب عليه؛ لأنه حرف الرموز المتواضع عليها بين أُولَئِكَ المخاطبين وقطع طريق التواصل معهم، فلم يعد يفهمه أحد منهم) [1181]

واللِّسْنُ: الْكَلَامُ واللُّغة. ولاسَنه: ناطَقه » [1182].فقد جعل ابن سيده اللسان هو اللغة.

قال إبراهيم أنيس: «إن الكلام عملية عضوية لا تؤدي دائما بشكل واحد ، فلا تلبث الأجيال المتعاقبة أن تتوارث صورا مختلفة منه ثم تتراكم تلك الاختلافات حتى تصبح صفة خاصة» تنتمي تلك الصفة لمجموع اللهجة . [1183]

وفي الأخير هناك مكونات يتداخل بعضها في بعض (اللسان، اللغة،اللهجة ، الكلام) فاللسان هو البناء العام الذي يشمل الألفاظ وقواعد تركيبها، واللغة هي مجموعة من الأداءات لهذا اللسان العام، وكل أداء هو لهجة، والكلام هو التركيب الصادر من المبلغ .

[1181] الماتريدي أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، (ت 333هـ)،تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م ج1ص291

[1182] ابن منظور، لسان العرب، ص386 - 385.

[1183] في اللهجات العربية ، ص35

الفصل الأول:

اللهجات الأكثر ورودا في الجامع.

المبحث الأول: لغة تميم و لغة أهل الحجاز

المطلب الأول: لغة تميم

المطلب الثاني: لغة أهل الحجاز

المبحث الثاني: لغة هذيل و لغة قيس و لغة أسد.

المطلب الأول: لغة هذيل

المطلب الثاني: لغة قيس

المطلب الثالث: لغة أسد.

المبحث الثالث: لغة طيء و لغة ربيعة و لغة هوازن

المطلب الأول: لغة طيء

المطلب الثاني: لغة ربيعة

المطلب الثالث: لغة هوازن

المبحث الرابع: لغة أزد و لغة حمير

المطلب الأول: لغة أزد

المطلب الثاني: لغة حمير

إن القرطبي ناقل للهجات من المصادر التي اعتمد عليها، فهو لا يملك حق الإضافة لأنه متأخّر، وزمن الفصاحة قد مضى وولى، وهو معتكف في بيته ينقلُ مما وقع بين يديه ما يعينه على النظر في اللهجات، من كتب التفاسير واللغة ككتب المعاني، وإن أهم من اهتم باللهجات وعنه نقل القرطبي؛ الفراء .فمادة اللهجات وإن كانت قد حفظتها القراءات فهي بالضرورة مادة واحدة تتحرك بحركة القراءات، فحيثما سارت القراءة فاللهجة بها ملتصقة ومجال الدرس اللهجي عند القرطبي هو العرض والحكم على القراءة مستعينا بما قاله الأولون ممن ينقل عنهم.

ولقد نقل القرطبي مادة ثرية للهجات العربية .وعند ما جمعت النصوص أدهشتني غزارة المادة فاستغربت من قول الدكتور الجندي الذي يقول: «والحقيقة القاسية أن اهتمام اللغويين بالحجاز وتميم ضيع علينا أكثر من نصف اللغة وما جاءنا من اللهجات العربية غير لغتي تميم والحجاز ـ أضاعوه وشردوه ، تارة مهمل العزو ، وأخرى تحت الشذوذ ، وأحيانا باسم" الندور" أو" الندرة ".وطورا بين المسموع الذي يسمع ولا يقاس عليه! حتى جاءتنا بقية اللهجات وليدا مشوه اليدين والقدمين محروما من النسب لأمه وأبيه! ومصداق ذلك ما حكاه الصغاني من أن في (هيهات)ستا وثلاثين لغة ثم لا يعزو منها إلا صيغتين واحدة لتميم، والأخرى للحجاز دون غيرهما . والمسئولية الكبرى تقع على الرواة أحيانا، وعلى جامعي اللغة حينا آخر ، ذلك الجمع المبتور الأشل، ولم يكن الخروج إلى البادية لجمع اللغة ولهجاتها أمرا جادا ولا مقصودا فيه إلى الجمع بمعناه الذي يراد عندما يقصد استيعاب اللغة وجمع مادتها واستقراء أحوالها. ولا يمكن لجمع اللغة أن يتحقق بمثل خرجات الأصمعي وما أفنى من قنينات مداده المعدودة» [1184].

لقد كنت أُعظِّم كتاب الجندي منبهرة بعمله الضخم الذي تتبع نتف القراءات من بطون الأمهات ونسج بها بحثه فاستوى عملا علميا أشاد به العلماء حتى قال إبراهيم أنيس في مقدمة كتابه في اللهجات العربية: «وإنه لما ألف علم الدين الجندي كتابه ،فقد انتهى البحث في اللهجات » ولكن هذا النص الذي ينتقص به عمل العلماء الكبار الذين مسحوا الجزيرة العربية مسحا وعلم الدين الجندي ثوّرته كلمة نقلها عن رابين [1185] قال الجندي :« ثم أرى رابين ممعنا في تجاهله اللهجات الأخرى غير لهجات

[1184] الجندي ، اللهجات العربية في التراث، ج1، ص59 .

[1185] المستشرق الذي ألف كتابا حول اللهجات العربية وقسمه إلى قسمين شرق الجزيرة وغربها وقد ابتدأ الجندي عمله بنقد الكتاب "اللهجات العربية في التراث"، من ص52 إلى 79.

تميم واليمن والحجاز حيث يقول :"وفيما عدا لهجات الحجاز وتميم واليمن ـ فالمعلومات التي لدينا طفيفة جدا ـ تحملنا على أن نتجاهلها مؤمنين بأننا لا نعرف عنها شيئا" »[1186] .

لقد ألّف العلامة عبد الرحمن الحاج صالح، كتابه (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة) وهو من بدايته إلى نهايته إشادة وتعظيم وبيان وشرح لمنهج العرب في جمع المادة وتمحيصها وتدوينها.مثلا قوله: « لقد رحل اللغويون العرب إلى كل صقع من أصقع شبه الجزيرة ، وكانت رحلاتهم للسماع من أفواه العرب واسعة جدا وخاصة في العصور الأولى، فكان ينتقل بعضهم من البصرة أو الكوفة إلى وسط نجد وغربيه وإلى العالية ثم الحجاز ومنه إلى ما يتاخمه شرقا كالبحرين ومن الحجاز إلى شمال اليمن فيقطعون المسافات البعيدة بعزيمة قويه جدا »[1187]. ثم قال :« وأكبر دليل على تغطية أبي عمرو بن العلاء وتلاميذه وفريق المفضل الضبي الكوفي ...هو ما جاء في كتب اللغة والنحو من ذكر أسمائهم بكثرة عجيبة ـ ولاسيما الأصمعي ـ وأسماء القبائل والبطون والأقاليم والقرى كلها مع عزو المتحرين إليها لما سمعوه ودونوه مباشرة من أفواه فصحاء العرب ... »[1188] .

والسؤال إذا لم يقم الأوائل بدورهم في جمع اللغة فمن أين جاءت المدونات الضخمة والمعاجم العظيمة ؟تفسير القرطبي كتاب جامع ويعود له كل دارس للهجات العربية وتفسير البحر المحيط وارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي كتابان ضخمان جمعا ودرسا اللهجات العربية .

المبحث الأول: لغة تميم ولغة أهل الحجاز

حينما تذكر تميم تذكر الحجاز، وتميم تمثل البداوة والخشونة، والحجاز تعبّر عن الحضارة والليونة، واعتبرت الحضارة والبداوة تعليلا مقنعا عند اللغويين لكثير من الظواهر اللغوية التي درست. ولذلك فإن كل ما سيأتي يدور في الحقيقة بين فئتين عظيمتين وإن كثرت التسميات فالقبائل كلها منقسمة بالضرورة إلى نوعين : نوع منضو تحت البداوة ونوع منغمس في الحضارة فهما اثنان .

[1186] الجندي ، اللهجات العربية في التراث، ج1، ص59 .

[1187] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية (موفم للنشر) ، الجزائر، 2007، ص347.

[1188] المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

المطلب الأول: لغة تميم:

وتميم من القبائل العربية الكبيرة المعروفة، وقد نعتهم ابن حزم بقوله: "وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب". وتعد في مقابل قيس وربيعة، وهي الممثلة لمجموعة مضر في بعض الأحيان. وهي أقرب جغرافيًا وتأريخيًا إلى قيس وربيعة منها إلى كنانة.

تميم قبيلة عربية بدوية، موغلة في القدم ترجع في نسبها إلى عاد، وتميم نسبة إلى « تميم بن مزين بن ادبن طانجة بن الياس بن مضر، وهي إحدى قبائل مضر، وقيل نسبة إلى تميم بن مرة بن مضر وبطونها كعب وكلاب ونمير» [1189]، وتميم في اللغة تعني« التام الخلق والشديد من الناس» [1190].

« وشواهد كتب النحو والصرف تشير إلى وجود فوارق ومميزات في هذه اللهجة تميزها عن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم. وقد أخرجت هذه القبيلة عددًا من الشعراء في الجاهلية والإسلام. وللاستشهاد بلهجة تميم أهمية كبيرة في دراسة اللهجات العربية، وعلاقاتها بلهجة القرآن الكريم.

وبطون تميم عديدة، تفرعت على رأي النسابين من الحارث، وعمرو، وزيد مناة أولاد تميم. ومن ولد عمرو: العنبر، والهجيم، وأسيد، ومالك، والحارث، وقليب. والحرماز، وكعب على رواية أخرى. ومن بطون بني كعب بنو فهد. وقد عرف نسل الحارث بالحَبِطات. ومن بطون بني مالك بن عمرو بن تميم: مازن، والحرماز، وغيلان، وغسان. ومن بني أسيد بن عمرو بن تميم بنو كاهل.ومن بني مالك بن زيد مناة بن تميم البراجم، وبنو دارم، ومن بني حنظلة بنو يربوع، ومن بني يربوع بنو ثعلبة، ومن بني الحارث بن يربوع بنو سليط، ومن نسل مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم: بنو فُقَيْم، وبنو نهشل، وبنو مجاشع، وفي بني رياح بن يربوع كانت ردافة قبل الإسلام، ومن بني العنبر بن يربوع كانت سجاح» [1191].

[1189] كحالة عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشق (ت 1408هـ)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414 هـ - 1994 م ، ج1، ص 126.

[1190] ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص 96.

[1191] كحالة عمر رضا، معجم القبائل العربية، ج1، ص 126.

جاء في تفسير الطبري: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغِفَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَلْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ، قَالَ: «قَرَأَ عَلَى رَسُولُ ﷺ مِنْ كُلِّ خَمْسٍ رَجُلٌ، فَاخْتَلَفُوا فِي اللُّغَةِ، فَرَضِيَ قِرَاءَتَهُمْ كُلِّهِمْ، فَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ أَعْرَبَ الْقَوْمِ» [1192].

ولقد ورد اسم تميم في التفسير كثيرا ولو أن« المصادر القديمة لم تكن تعنى كثيرا بتدقيق المصطلحات التي تدل على الجماعات اللغوية فكثيرا ما كانت تسمي الجزء باسم الكل أو العكس فتنسب اللغة إلى قيس أو تميم أو أهل الحجاز أو ربيعة أو قضاعة، ولا تريد ما تدل عليه هذه الأسماء؛ لأنها تشمل طوائف تنتشر في أصقاع متفرقة من الجزيرة ، ليس من الممكن أن تكون كلها متفقة في جميع الخصائص اللغوية .لكنها كانت تعني معنى أخص من معناها الأصل ، وقد تعنى معنى أعم منه. فلغة تميم في المصادر القديمة لا يراد بها القبيلة المعروفة ، على الدوام ، بل كان يعنى بها أهل نجد غالبا ونجد فيها قبائل غير تميم» [1193]؛ وتفسير القرطبي يعتبر مصدرا قديما تشمله هذه الملاحظة.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قرأ يحيى بن وثاب والأعمش: (نِسْتَعِين) بكسر النون وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة ليدل على أنه من استعان، فكسرت النون كما تكسر ألف الوصل، وأصل نستَعينُ نَسْتَعون قلبت حركة الواو إلى العين فصارت ياء والمصدر استعانة والأصل استعوان، قلبت حركة الواو إلى العين فانقلبت ألفا ولا يلتقي ساكنان فحذفت الألف الثانية لأنها زائدة وقيل الأولى لأن الثانية للمعنى ولزمت الهاء عوضا [1194].(نستعين) بكسر النون. قال الفرّاء: تميم وقيس وأسد وربيعة يكسرون علامات المستقبل إلّا الياء، فيقولون إستعين ونستعين ونحوها، ويفتحون الياء لأنها أخت الكسرة. وقريش وكنانة يفتحونها كلّها وهي الأفصح والأشهر [1195].

[1192] الطبري، تفسير الطبري، ج،1ص45،وقد ذكره ابن خواستي العبسي أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت 235هـ) في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ، ج 6، ص414.

[1193] مختار الغوث، لغة قريش، ص19.

[1194] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 226.

[1195] الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 427هـ) ،الكشف والبيان عن تفسير القرآن تح: الإمام أبي محمد بن عاشور،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1 ،1422، هـ - 2002 م، ج1، ص118.

عرفت تميم كسر أوائل الحروف المضارعة، وأبرز مثال على ذلك (نستعين) وتبعها في ذلك القبائل الأخرى هي : أسد وقيس وربيعة، وهي قبائل عرفت بالبداوة، فكسر حروف المضارعة مظهر من مظاهر اللهجات البدوية وقد سماه اللغويون بالتلتلة، واعتبروه لغة رديئة، وتميزت الحجاز ممثلة في قريش بفتح حروف المضارعة : (نَستعين)، وكذلك القول على القراءة (تَبيّض).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: 106) ويجوز (تِبْيَضُّ وتِسْوَدُّ) بكسر التاءين، لأنَّك تقول: ابيضَّتْ، فتكسر التاءَ كما تكسر الألف، وهي لغة تميم، وبها قرأ يحيى بن وثاب. وقرأ الزهريُّ: (يوم تَبياضُّ وتسوادُّ)، ويجوز كسر التاء أيضا ويجوز (يوم يَبَيَّضُّ وجوهٌ) بالياء على تذكير الجمع ويجوز (أُجوه) مثل: (أُقِّتت). وابْيِضَاضُ الوجوه: إشراقُها بالنَّعيم واسْوْدادُها: هو ما يُرهِقُها من العذابِ الأليم [1196]

وهي لُغَةٌ مطردةٌ في حروف المُضَارعة. وذلك بشرط ألا يكن حرفُ المضَارعة ياءً؛ لثقل ذلك، على أنَّ بعضَهُم قال:» ييجَلُ «، مضارع» وَجَلَ «، وكأنه قصد إلى تَخْفِيفِ الواو إلى الياء، فكسر ما قبلها لتنقلب؛ وقد قُرِىءَ: (فإنَهم ييلَمُون) (النساء: 104) ، وهي هادمةٌ لهذا الاستثناءِ [1197].

وكسر حروف المضارعة ظاهرة لهجية تحدث عنها اللغويون فيما يسمونه بالعيوب اللهجية أو اللهجات الملقبة والحقيقة أنها مظهر لهجي يميز قبيلة بدوية على قبيلة حضرية.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿الصاعقة﴾ (الذاريات: 44)، حكى الخليل عن قوم: الساعقة (بالسين) وقال أبو بكر النقاش : يقال ساعقة وصعقة وصاعقة بمعنى واحد وقرأ الحسن : من الصواقع (بتقديم القاف) ومنه قول أبي النجم:

يحكون بالمصقولة القواطع ... تشقق البرق عن الصواقع [1198]

[1196] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص254-255.

[1197] أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1419 هـ -1998م ،ج1، ص201.

[1198] ديوان ابي النجم العجلي- الفضل بن قدامة (ت 130هـ)، ص 268.

قال النحاس: «وهي لغة تميم وبعض بني ربيعة ويقال: صعقتهم السماء إذا ألقت عليهم الصاعقة)»[1199]. والصاعقة أيضا صيحة العذاب قال الله ﷻ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ ﴾ [1200]. وهذا يندرج في ظاهرة الإبدال والقبائل تبدل الأصوات بعضها من بعض وما أكثر الإبدال بين حروف الصفير. وقد نسبت كلمة (الصاعقة) الى تميم وإن تفسير القرطبي مثل التفاسير وكتب اللغة كأنها تبني اللهجة من جديد بجمع كل مايتصل بها من ألفاظ وتراكيب.

﴿حَيْثُ﴾ (البقرة:35) «مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها الظروف في أنها لا تضاف فأشبهت قبل وبعد إذا أفردتا فضمت قال الكسائي: لغة قيس وكنانة الضم ولغة تميم الفتح »[1201].

والمقصود في شرح المثال هو (قبل وبعد)وليس (حيث) لأنها لها حالة واحدة البناء على الضم سواء في لغة تميم أو في غيرها .

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ (البقرة: 47)، و « قرأ الحسن و الزهريُّ بغير همز ولا مد» [1202]. وإسرائل بغير ياء بهمزة مكسورة. وإسراءَل بهمزة مفتوحة. وتميمٌ يقولون: « إسرائين بالنون» [1203]. وهي قضية أخرى من قضايا الإبدال فقد أبدلت اللام نونا. وقد مر على المثال في فصل الإبدال فكلمة (إسرائين) تميمية .

وفي إسكان وسط الكلمة وتحريكها فارق واضح بين اللغتين ففي الآية: ﴿ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًا ﴾ (البقرة: 60)، قال القرطبي: « قرأ مجاهدٌ وطلحة وعيسى: (عَشِرة) بكسر الشين ، وهي لغة بني تميم، وهذا من لغتهم نادر»[1204]؛ لأن سبيلهم التخفيفُ. ولغةُ أهل الحجاز (عَشْرة) وسبيلهم التثقيل، قال

[1199] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص 48.
[1200] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص 501.
[1201] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص 46.
[1202] ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة، ص5، ونسبها للحسن فقط.
[1203] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص48.
[1204] الجامع، ج1، ص 420 .

جميعه النحاس» [1205]. نسب أبو حيان« إسكان الشين إلى الحجاز و كسرها إلى تميم [1206]، وعن ابن خالويه:« أن كسر الشين قراءة الأعمش »[1207]. و في الآية: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة: 280)، قراءة الجماعة (نَظِرَةٌ) بكسر الظاء. وقرأ مجاهد وأبو رجاء و الحسن: (فَنَظْرَةٌ) بسكون الظاء، وهي لغةٌ تميميَّةٌ، وهم الذين يقولون: « كَرْمُ زيدٍ، بمعنى: كَرَم زيد، ويقولون: كبْد في كَبِد » [1208]، وقرأ نافع وحده: (مَيْسُرَةٍ) بضم السِّين والجمهور بفتحها [1209]. وفي الآية قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ (المؤمنون: 44) ويقال: رسل بضم السين ورسل بإسكانها ؛ لغتان الأولى لغة الحجاز والثانية لغة تميم وسواء كان مضافا أو غير مضاف وكان أبو عمرو يخفف إذا أضاف إلى حرفين ويثقل إذا أضاف إلى حرف واحد [1210].قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ (المائدة:1) يعني الإحرام بالحجّ والعمرة، يقال: رجلٌ حرامٌ، وقومٌ حُرُمٌ: إذا أحرموا بالحجّ، ومنه قول الشاعر:

فقُلتُ لهَا فِيئِي إليْكِ فَإنَّني *** حرامٌ وإنِّي بَعْدَ ذَاكَ لَبِيبُ [1211].

أي: مُلَبِّ. وسُمّي ذَلك إحْرَامًا لما يُحرِّمه من دخلَ فيه على نفسه من النساء والطّيب وغيرهما. ويقال: أحرمَ: دَخَلَ في الحَرَم؛ فيحرمُ صَيْدُ الحَرَم أيضًا. وقرأ الحسنُ وإبراهيم ويحيى بن وثَّاب: (حُرْم) بسكون الرَّاء، وهي لغةٌ تميميَّةٌ، يقولون في رُسُل: رُسْل، وفي كُتُب: كُتْب، ونحوه [1212].

[1205] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص56.

[1206] أبو حيان، البحرالمحيط: ج1، ص391.

[1207] ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة ، ص 5، 6.

[1208] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص376. وذكر القراءة ابن جني في المحتسب، ج1، ص143.

[1209] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص418-419، وأبو حيان البحر المحيط، ج2، ص 355.

[1210] الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص 45.

[1211] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص253، و البيت للمخبل السعدي، حياته وما تبقى من شعره،حاتم الضامن، مجلة المورد العراقية، المجلد الثاني، العدد الاول، بغداد، العراق، 1973، ص 4.

[1212] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص253.

و في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ (البقرة: 196)، الهَدْيُ والهَدِيُّ لغتان. وهو ما يُهْدَى إلى بيت الله من بَدَنة أو غيرها. والعرب تقول: كم هَدِيُّ بني فلان؛ أي: كم إبلهم. وقال أبو بكر: سُمِّيت هَدِيًّا لأنّ منها ما يُهْدَى إلى بيت الله، فسمِّيتْ بما يلحق بعضَها،. وقال الفرَّاء: أهل الحجاز وبنو أسد يُخَفِّفون الهَدْي، قال : وتميم وسُفلى قيس يثقِّلون فيقولون: هَدِيّ. قال الشاعر:

حَلَفْتُ بِربِّ مكةَ والمُصَلَّى *** وأعْناقِ الهَدِيِّ مُقَلَّداتِ [1213]

قال: وواحدُ الهَدْي هَدْيَة ويقال في جمع الهَدْي: أهداء [1214].

وافقت لهجة أهل الحجاز لهجة بني أسد في تخفيف الهدي ينطقونه (الهدِي). ووافقت تميم سفلى قيس في تقيل الهدي يقولون(الهديّ) [1215]

وفي الآية: ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ (البقرة: 282)، قال القرطبي: وهو المديونُ المطلوب؛ يُقرُّ على نفسه بلسانه ليُعلم ما عليه. والإمْلاء والإملالُ لغتان، أمَلَّ وأمْلَى فأمَلَّ لغةُ أهلِ الحجازِ وبني أسد، وتميمُ تقول: أَمْلَيْت. وجاء القرآن باللغتين [1216].[الإملال والإملاء: لُغَتَانِ فصيحتان مَعْنَاهُمَا وَاحِد جَاءَ بهما الْقُرْآن: ﴿فَهِيَ تملى عَلَيْهِ بكرَة وَأَصِيلا﴾ من الْإِمْلَاء، ﴿وليملل الَّذِي عَلَيْهِ الْحق﴾ من الإملال ،وَلما قلبت اللَّام يَاء فِي (أمللت) تبعه الْمصدر فِي ذَلِك فَصَارَ (إملايا) فَقلب حرف الْعلَّة الْوَاقِع بعد الْألف الزَّائِدَة همزَة]([1217].

جاءت القراءة (وليملل) بلغة الحجاز وبلغة تميم، وقد وافق بنو أسد في لغتهم (املَّ) لغة أهل الحجاز. وتميم لغتها (الاملاءُ)، وأهل الحجاز وبنو أسد لغتهم الإملال.

[1213] الفرزدق، الديوان، ص100.

[1214] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 283.

[1215] على ناصر غالب، اللهجات العربية ـ لهجة قبيلة أسد، ص151.

[1216] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص434،و أبو حيان البحر المحيط، ج2، ص 385-386.

[1217] الكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،(دط)،(دت)،ص187 .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ (الأنعام:55) ، والسبيل يذكَّر ويؤنَّث فتميمٌ تُذكِّره، وأهل الحجار تؤنّثه [1218]. ذكر القرطبي أن تيم تذكر (السبيل) وأهل الحجاز يؤنثونه، ولكنهم لم يختلفوا في معناه، فالسبيل عندهم واحد.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾ (الأنعام: 56)؛ أي: قد ضللت إن اتّبعت أهواءكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (الأنعام: 56)؛ أي: على طريق رشْد وهدًى. وقرئ : (ضَلِلْتُ) بفتح اللام وكسرها، وهما لغتان قال أبو عمرو بن العلاء:« ظَلِلْتُ بكسر اللام لغةُ تميم، وهي قراءة يحيى بن وثّاب وطلحة بن مصرِّف» [1219]، والأُولى هي الأصح والأفصح؛ لأنها لغة أهل الحجاز، وهي قراءةُ الجمهور. وقال الجوهري:« والضَّلال والضَّلالة ضدّ الرشاد، وقد ضَلَلْتُ أَضِلُّ، وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِ ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِي﴾ (سبأ: 50)، فهذه لغة نجدٍ وهي الفصيحة» [1220] وأهلُ العالية يقولون: ضَلِلْتُ –بالكسر- أَضِلُّ [1221].

عدّ القرطبي (ضللت) بفتح اللام أفصح اللغات، وهي لغة نجد، ولغة الحجاز، أما تميم فانهم يكسرون اللام (ضلِلْتُ)، وقد قرئ بهما.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ (الأنعام: 94) هذه عبارةٌ عن الحشر. و(فُرَادَى) في موضع نصب على الحال، ولم ينصرف لأن فيه ألفَ تأنيث. وقرأ أبو حَيْوة: (فُرادًا) بالتنوين، وهي لغةُ تميم، وهؤلاء يقولون في موضع الرفع: فُرَادٌ. وحكى أحمد بنُ يحيى (فُرَادَ) بلا تنوين، قال: مِثل ثُلاث ورُباع. و(فُرادى) جمع فَرْدان، كسُكارى جمع سكران.« وبنو أسد وتميم يقولون:

[1218] الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص396-397.
[1219] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص70.
[1220] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 5، ص 1748.
[1221] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص397، البحر المحيط، ج7، ص 278.

كَسَالى في كُسَالى وهذا الضرب من الأتباع ذو أثر مدبر حيث تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني»[1222]. وكُسالى جمع كسلان[1223].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ ﴾ (الأنعام:99)، ابتداء وخبر. وأجاز الفرَّاء في غير القرآن: قِنْوانًا دانيةً، على العطف على ما قَبْلَه. قال سيبويه: ومن العرب من يقول: قُنوان. قال الفراء: « مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ الوجه الرفع فِي القنوان لأن المعنى: ومن النخل قِنوانه دانية. ولو نصب: وأخرج من النخل من طلعها قنوانًا دانية لَجَازَ فِي الكلام، ولا يقرأ بِهَا لمكان الكتاب»[1224]. قال الفرَّاء: هذه لغةُ قيس. وأهل الحجاز يقولون: قِنْوان، وتميم يقولون: قُنْيان. ثم يجتمعون في الواحد فيقولون: قِنْوٌ وقُنْوٌ. والطَّلْع: الكُفُرَّى قبل أن ينشقَّ عن الإغريض. والإغريضُ يُسمَّى طَلْعًا أيضا. والطَّلْعُ ما يُرى من عِذْق النخلة. والقِنوان: جمع قِنو، وتثنيتُه قِنْوان، كصِنو وصِنوانِ بكسر النون، وجاء الجمع على لفظ الاثنين[1225]. ففي هذا المثال قد مالت قيس إلى لغة أهل الحجاز وهو من التداخل الرابط بين اللهجات.

ذكر القرطبي أن مفرد قنوان (قِنو)، وأهل الحجاز يكسرون القاف من قِنوان، أما تميم فإنهم يقولون (قُنيان) ووافقتهم لغة قيس (قُنوان).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ (الأعراف:130)، وحكى الفرَّاء عن بني عامر أنهم يقولون: أقمتُ عندهُ سِنينًا يا هذا، مصروفًا. قال: وبنو تميم لا يَصْرِفون، ويقولون: مَضَتْ له سنينُ يا هذا. وسنين: جمعُ سَنَة، والسَّنة هنا بمعنى الجَدْب، لا بمعنى الحَوْل. ومنهُ أَسْنَتَ القومُ، أي: أجْدَبُوا. قال عبدُ الله بنُ الزَّبعَري :

[1222] علي ناصر غالب، اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، دار الحامد، ط1،عمان، الأردن، 2010م، ص101.
[1223] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص462-463.
[1224] الفراء،معاني القرآن، ج1، ص347.
[1225] الفراء، الكتاب: كتاب فيه لغات القرآن، ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، 1435هـ، ص62.

عَمرو العُلاَ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَومِه *** ورِجالُ مَكَّةَ مُسنِتُون عِجَافُ[1226].

بنى بنو تميم كلمة (سنين) على حالة واحدة فهم لا يصرفونها، و صرف السنين في العربية معروف، ففي حالة الرفع سُنون، وفي حالتي النصب والجر: سِنين.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف:137). يقال: عَرَش يَعْرِش: إذَا بَنَى. قال ابن عباس و مُجاهد: أي ما كانوا يَبنُون من القُصُور وغيرِها. وقال الحسن: هو تعريشُ الكَرْم. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: (يَعْرِشُون) بضمّ الرَّاء. قال الكسائي: هي لغةُ تميم وقرأ إبراهيم بنُ أبي عبلة: (يُعرِّشون) بتشديد الراء وضمّ اليَاء[1227].

قال أبو حيان: « لقد قرأها ابن عامر و أبو بكر بضم الراء، و باقي السبعة و الحسن و مجاهد و أبو رجاء بكسر الراء- و هي لغة الحجاز»[1228].

ورد في الجامع للقرطبي أن قراءة (يعرشون) بالضم لغة تميم، وبكسر الراء لغة الحجاز فهما هيئتان ثنتان لكلمة واحدة تؤديان المعنى نفسه.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال: 61)، وقرأ الأعمش و أبو بكر و ابن مُحيصن والمفضَّل: (لِلسِّلمِ) بكسر السين. الباقون بالفتح. وقَدْ يَكون السَّلام من التَّسْليم. وقرأ الجمهور: (فاجْنَح) بفتح النون، وهي لغة تميم. وقرأ الأشهب و العقيلي: (فاجنُح) بضم النُّون، وهي لغة قيس. قال ابن جني: وهذه اللغةُ هي القياس[1229].قال الطبري «جنح

[1226] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص304، شعر عبد الله بن الزبعري، تأليف: يحي الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1401ه/ 1980م، ص53.

[1227] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص316-317.

[1228] البحر المحيط، ج4، ص 376.

[1229] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص62 -63، البحر المحيط، ج 4، ص 509.

الرجل إلى كذا يجنح إليه جنوحًا"، وهي لتميم وقيس، فيما ذكر عنها، تقول: "يجنُح"، بضم النون، وآخرون: يقولون: "يَجْنِح" بكسر النون، وذلك إذا مال، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا.... مَا التَقَى الجْمعانِ أَوَّلُ غَالِبِ

جوانح: موائل» [1230].

قال القرطبي (اجنح) بفتح النون لغة تميم، ولم يخصص لها ذكرا لغة أهل الحجاز في هذه المسألة، فقد نسبها (فاجنُح) بضم النون إلى قيس، وجعلها هي القياس.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ (التوبة: 40)؛ أي كلمةَ الشرك ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ (التوبة: 40) قيل: لا إله إلا الله، وقيل وعدُ النصر. وجَمْعُ الكَلِمة: كَلِم. وتميم تقول: هي كِلْمَة بكسر الكاف. وحَكَى الفرَّاء فيها ثلاث لغات: «كَلِمة وكِلْمة وكَلْمة، مثل: كَبِد وكِبْد وكَبْد، ووَرِق ووِرْق ووَرْق» [1231]. «والكلمة أيضاً: القصيدةُ بطولها، قاله الجوهري » [1232].

يبين القرطبي أ ن (كِلمة) بكسر الكاف لغة تميم، ولم ينسب إلى الحجاز هيأة معينة في هذه اللفظة، وذكر ثلاث لغات قالها الفراء (كِلمة) و (كَلِمة) و(كَلْمة).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ (التوبة: 123) أي شدة وقوة وحمية وروى الفضل عن الأعمش و عاصم غلظة بفتح الغين وإسكان اللام قال الفراء: لغة أهل الحجاز وبني أسد بكسر الغين ولغة بني تميم غلظة بضم الغين [1233].

[1230] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج14،ص40.

[1231] معاني القرآن، الفراء،ح، 1ص438.

[1232] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م، ج5، ص 2023.

[1233] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص435-436، البحر المحيط، ج 5، ص 118.

نسب القرطبي (غِلظة) بكسر الغين إلى أهل الحجاز، و(غُلظة) بضم الغين إلى تميم، وقد وافقت بنو أسد لغة الحجاز بكسر الغين (غِلظة)، فهما هيئتان اشتركت فيهما العرب والمعنى واحد.

قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ (يوسف: 12) قرأ يزيد بن القعقاع وعمرو بن عبيد و الزهري (لا تأمنا) بالإدغام وبغير إشمام وهو القياس لأن سبيل ما يدغم أن يكون ساكنا وقرأ طلحة بن مصرف (لا تأمننا) بنونين ظاهرتين على الأصل وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين - وروي عن الأعمش - (لا تيمنا) بكسر التاء وهي لغة تميم يقولون: أنت تضرب، وقرأ سائر الناس بالإدغام والإشمام ليدل على حال الحرف قبل إدغامه [1234].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا﴾ (يوسف: 31) (ما) بمنزلة ليس تقول: ليس زيد قائمًا ومنع نصا النصب ولا نعلم بين النحويين اختلافا أنه جائز: ما فيك براغب زيد وما إليك بقاصد عمرو ثم يحذفون الباء ويرفعون وحكى البصريون والكوفيون ما زيد منطلق بالرفع وحكى البصريون أنها لغة تميم وأنشدوا :

أتيما تجعلون إليَّ نِدَا... وما تيم لذي حسب نديد [1235].

جاء في الجامع ﴿ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ (الرعد: 6)؛ قال مجاهد يعني الأمثال وقال قتادة يعني العقوبات قال أبو جعفر:« وهذا القول أولى لأنه معروف في اللغة أن يقال للعقوبة الشديدة مثلة ومثلة » [1236].

العقوبات، الواحدة مَثُلَة. وروي عن الأعمش أنه قرأ: (المُثُلاَت) بضم الميم و الثَّاء، وهذا جمع: مُثْلَة. وروي عنه أنه قرأ: (المُثْلاَت) بضم الميم وإسكان الثاء، وهذا أيضا جمع مُثْلَة. ويجوز (المَثَلاَت) تبدل الضمة فتحة لِثقلِها، وقيل: يُؤتى بالفتحة عوضا من الهاء. وروي عن الأعمش أنه قرأ: (المَثْلاَت) بفتح الميم وإسكان الثاء؛ فهذا جمعُ مَثْلة، ثم حَذف الضمةَ لثقلها؛ ذكره جميعه النحاس رحمه الله. وعلى

[1234] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص272.
[1235] ديوان جرير، ص129.
[1236] النحاس، معاني القرآن، ج11، ص472.

قراءة الجماعة واحده: مَثُلة، مثل صَدُقة وصَدُقات. وتميمٌ تضم الثاءَ والميم جميعًا، واحدُها على لغتهم مُثْلة، بضم الميم وجزم الثاء؛ مثل: غُرْفة وغُرُفات؛ والفعلُ منه: مَثَلْتُ به أَمْثُلُ مَثْلاً، بفتح الميم وسكون الثَّاء[1237].

وفي(ربما) لغتان أهل الحجاز يخففون و وتميم وقيس وربيعة يثقلونها قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ (الحجر: 2)؛ (ربّ) لا تدخل على الفعل فإذا لحقتها (ما) هيأتها للدخول على الفعل تقول : ربما قام زيد وربما يقوم زيد ويجوز أن تكون (ما) نكرة بمعنى شيء و (يود) صفة له أي رب شيء يود الكافر وقرأ نافع وعاصم (ربما) مخفف الباء الباقون مشددة وهما لغتان قال أبو حاتم: أهل الحجاز يخففون ربما قال الشاعر:

ربما ضربة بسيف صقيل ... بين بصرى وطعنة نجلاء[1238]

وتميم وقيس وربيعة يثقلونها وحكي فيها: ربما وربما وربتما وربتما بتخفيف الباء وتشديدها أيضا وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير[1239].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ (النحل: 59)؛ أي: يختفي ويتغيَّب ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ (النحل: 59)؛ أي: من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنت.

﴿أَيُمۡسِكُهُۥ﴾ (النحل: 59) ذكر الكناية؛ لأنّه مردودٌ على (ما) ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ (النحل: 59)؛ أي: هَوانٍ وكذا قرأ عيسى الثقفي: (على هوان).

[1237] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص15-16.

[1238] محسن عبد المعطي محمد عبد ربه، ديوان ابن الرعلاء -عدي الغساني- العصر الجاهلي، مقال منشور على الموقع: https://pulpit.alwatanvoice.com/، تاريخ التصفح 2018/07/22، الساعة 12:38 قبل الظهر.

[1239] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص5.

والهُون الهوان بلغة قريش؛ قاله اليزيديّ وحكاه أبو عبيد عن الكسائي [1240].

وقال الفرَّاء:« هو القليل بلغة تميم »[1241] وقال الكسائيّ : هو البلاء والمشقَّة وقال الخَنْسَاءُ :

نُهِين النُّفُوس وهُونُ النفُو *** س يومَ الكَرِيهة أبْقَى لَهَا [1242].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿عَضُدًا﴾ (الكهف:51) بفتح العين وضم الضاد وهي قراءة الجمهور وهي أفصحها و (عضدا) بفتح العين وإسكان الضاد وهي لغة بني تميم[1243]. في هذا المثال يقابلها ربما أهل الحجاز يقولون عضد بفتح العين وضم الضاد.لأنها إن تفردت تميم بطريقة في القول فالطريقة الأفصح للحجاز ويُقصد بها قريش في مواطن كثيرة.

سحت وأسحت لغتان قال تعالى :﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ (طه: 61) قال القرطبي :من عنده أي يستأصلكم بالإهلاك يقال فيه : سحت وأسحت بمعنى وأصله من استقصاء الشعر وقرأ الكوفيون (فيسحتكم) من أسحت، الباقون :(فيسحتكم) من سحت وهذه لغة أهل الحجاز والأولى لغة بني تميم [1244].

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ (طه:66) في الكلام حذف أي فألقوا دل عليه المعنى وقرأ الحسن ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾ (طه:66) بضم العين قال هارون القارئ : لغة بني تميم ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾ (طه:66) وبها يأخذ الحسن والباقون بالكسر إتباعا لكسرة الصاد ونحوه دلي وقسي [1245].

[1240] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص341.
[1241] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص106
[1242] ديوان الخنساء، شرح حمدو طماس، دار المعرفة بيروت لبنان،ط2، 1425ه 2004م، ص100.
[1243] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص305 ص306.
[1244] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص88.
[1245] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص99.

قال القرطبي في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ (النمل: 25) حكى سيبويه عن قوم من بني تميم وبني أسد أنهم يقولون:« هذا الخبؤ يضمون الساكن إذا كانت الهمزة مضمومة ويثبتون الهمزة ويكسرون الساكن إذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن إذا كانت الهمزة مفتوحة، وحكى سيبويه أيضا أنهم يكسرون وإن كانت الهمزة مضمومة إلا أن هذا عن بني تميم فيقولون: الرديء وزعم أنهم لم يضموا الدال لأنهم كرهوا ضمة قبلها كسرة لأنه ليس في الكلام فعل »[1246].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ﴾ (الروم: 54) قال الفراء: الضم لغة قريش والفتح لغة تميم الجوهري:[1247].

إن في المصادر القديمة والمعجمات اللغوية ما يشير إلى أن كثيرًا من قواعد اللهجة التميمية أقوى قياسًا من بعض القواعد القرشية، بل فيها ما يكاد الباحث يستنتج منه باطمئنان أن لهجة تميم كانت في كثير من مفرداتها وتراكيبها هي التي ينطق بها غالبًا أبناء اللغة العربية[1248]، فهذا سيبويه يذكر كيف يراعي التميميون القياس في كسر أوائل الأفعال المضارعة[1249]، ويقرر بوضوح أن "ذلك في لغة جميع العرب إلّا أهل الحجاز وتِعْلم -بالكسر- لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون: تَعْلم، والقرآن عليها. قال: وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلّا تِعلم، قال: نقلته من نوادر أبي زيد".

وفي الباب الذي يعقده ابن جني في "خصائصه" لتعارض السماع والقياس، يعترف بأن التميمية أكثر مراعاة للقياس من القرشية، ويبين الفرق بين ما كان أقوى قياسًا وما كان أكثر استعمالًا، فيقول: "وإن شذَّ الشيء في الاستعمال وقوي في القياس، كان استعمال ما كثر استعماله أولى، وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله". من ذلك اللغة التميمية في "ما"، هي أقوى قياسًا وإن كانت

(1246) سيبويه، الكتاب، ج4،ص178.

(1247) الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص450.

(1248) صبحي الصالح، دراسات في علم اللغة، ص72

(1249) سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (ت 180هـ) الكتاب، تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3، 1408 هـ - 1988 م، ج4، ص110.

الحجازية أيسر استعمالًا، وإنما كانت التميمية أقوى قياسًا؛ من حيث كانت عندهم كـ"هَلْ"، في دخولها على الكلام مباشرة، كل واحد من صدري الجملتين الفعل والمبتدأ، كما أن "هَلْ" كذلك. إلّا أنك إذا استعملت أنت شيئًا من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله، وهو اللغة الحجازية، ألا ترى أن القرآن بها نزل! وأيضًا فمتى رابك في الحجازية ريب من تقديم خبر، أو نقضٍ لنفي، فزعت إذا ذاك إلى التميمية، فكأنك من الحجازية على حرد، وإن كثرت في النظم والنثر"

وهذا الذي ذكره ابن جني عن "ما" التميمية، وكونها أقوى قياسًا من الحجازية، وهي فوارق ذات بال، يحسن أن تجمع وينبه عليها، فمن المعلوم أن النحاة يقسمون ما "النافية" إلى حجازية وتميمية، فالخبر في الحجازية منصوب، بينما هو في التميمية مرفوع، والقرآن في قوله "ما هذا بشرًا"جاء طبعًا على لهجة الحجاز [1250]. ما الحجازية في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (البقرة: 74)، قال القرطبي رحمه الله :(بغافلٍ) في موضع نصب على لغة أهلِ الحجاز، وعلى لغة تميم في موضع رفع والباء توكيد ﴿ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [1251].

وفي (ما)تكلم اللغويون عن الفروق الحقيقية بين لغتي تميم والحجاز وهم يجعلون لغة تميم أكثر فصاحة .والعلامة عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه السماع يفصل في الأمر إذ يجعل اختيار الفصاحة لتميم في هذه الجزئية فقط وليس الأمر تعميما لكل لغتها.

المطلب الثاني: لغة أهل الحجاز:

«أما الحجاز، فالظاهر أن الطائف منه، كانت القرية أو المدينة الوحيدة المحاطة بجدار أو حائط، يمكن أن نسميه سورًا. وكان يحيط بالمدينة وبه مواضع يتحصن فيها، وفيها تحصنت ثقيف يوم قاومت الرسول في أثناء حصاره لها. وكانت له أبواب أغلقوها عليهم، وامتنع على المسلمين عندئذ الدخول منها، والاقتراب من الجدار. ولما اختفى المسلمون تحت دبابة، ثم زحفوا بها إلى جدار

[1250] صبحي الصالح، دراسات في علم اللغة، ص75.
[1251] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص 210.

الطائف، أرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل، وقتلوا رجالا من المسلمين. وأما مكة، فيظهر من وصف أهل الأخبار لها أنها لم تكن مسوّرة. وإنما كانت ذات منافذ وطرق تؤدي إلى داخل المدينة وتمر بالشعاب. وعلى كل شعب حماية حد شعبه من الأطراف عند دنو عدو من مكة. وأما المدينة، فلم يكن لها سور كذلك.

ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بقية قرى الحجاز.

ولا نجد في وصف أهل الأخبار لقرى أهل الحجاز وبيوتها، ما يفيد بوجود أبنية ضخمة فيها على طراز أبنية اليمن. فلم يتحدث أهل الأخبار عن وجود قصور فيها تشبه "قصر غمدان" أو "قصر ذو ريدان" أو غير ذلك من القصور.

حتى مكة وهي أم القرى لا يشير أهل الأخبار إلى وجود بناء ضخم فيها على طراز أبنية اليمن، ولا وجد بيت كبير فيها على طراز بيوت سراة اليمن.

و"دار الندوة"، وهي دار قصي، مؤسس ملك قريش، لم تكن دارًا ضخمة ولا كبيرة على ما يظهر من روايات أهل الأخبار ويظهر أن أهل الأخبار لم يحفلوا كثيرًا بالنواحي العمرانية من الجاهلية، لذلك صارت معلوماتنا بسيطة جدًّا عنها من هذه الناحية. فلا نكاد نعرف شيئًا عن بيوت مكة أو غيرها قبل الإسلام» [1252].

فكان "سيبويه" مثلًا إذا استشهد بشاهد أشار إلى أنه من "العرب الذين ترضى عربيتهم" أو من "العرب الموثوق بعربيتهم"، أو من "العرب الموثوق بهم"، أو من "فصحاء العرب". وكان يرى أن لسان أهل الحجاز هو"الأول والأقدم"[1253]. «وأهل الحجاز في التراث اللغوي مشكلة لابد لمن همه دراسة لغة قريش أن يتنه لها كلما وردت فيعين دلالتها حتى تتميز لغة قريش من لغة سواها ؛ فإنها

[1252] جواد علي (ت 1408هـ)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م، ج6، ص 16.
[1253] المصدر نفسه، ج 7، ص277.

ربما أطلقت على بعض القبائل الحجازية غير قريش، كما تطلق على بعض أهل نجد القريبين من الحجاز؛ لأن الدلالة الجغرافية للحجاز لم تبرح فكر اللغويين براحا تاما»[1254].

نستطيع إخراج المقابلات اللفظية بين اللغتين على الأقل تميم والحجاز وسيظهر انفراد لغة أهل الحجاز بصيغ لا توجد في لغة تميم وقد توجد في لغات أخرى (الهدى) لفظ مؤنث عند بعض بني أسد

و(هدى) فعل يتعدى بغير حرف لغة الحجاز؛ قال القرطبي في قوله تعالى ﴿فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2) الهدى لفظ مؤنث قال الفرَّاء: بعض بني أسد تؤنث الهدى فتقول: هذه هدى حسنة وقال اللحياني: هو مذكر ولم يعرب لأنه مقصور والألف لا تتحرك ويتعدى بحرف وبغير حرف[1255] . تقول:« هديته الطريق وإلى الطريق والدار وإلى الدار أي عرفته الأولى لغة أهل الحجاز والثانية حكاها الأخفش» [1256].

الإمالة في (استوى) لغة أهل نجد فيها الإمالة وفي لغة أهل الحجاز التفخيم ،قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ (البقرة: 29)، أهلُ نَجْد يُميلون لِيَدُلُّوا على أنَّه من ذوات الياء. وأهل الحجاز يُفخِّمون [1257].

برأت برءا بالفتح لغة ولغة أهل الحجاز برأت بُرءا ،قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ بَارِئِكُمۡ ﴾ (البقرة: 54)، وأصل بَرَأ من: تبرَّى الشيءُ من الشيء، وهو انفصالُه منه. فالخلق قد فُصِلُوا من العدم إلى الوجود، ومنه بَرَأتُ من المرض بَرْءًا، بالفتح. كذا يقول أهلُ الحجاز. وغيرُهم يقول: بَرِئتُ من

[1254] مختار الغوث ، لغة قريش، دار المعارج الدولية للنشر ، المملكة العربية السعودية الرياض ،ط1 ،1418هـ 1997م ص10.

[1255] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص247.

[1256] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص247.نقله عن الجوهري من الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6،ص2533.

[1257] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص389.

المرض بُرْءاً، بالضم، وبَرِئتُ منك ومن الديون والعيوب براءة، ومنه المبارأةُ للمرأة. وقد بارأ شريكه وامرأته [1258].

وأن كلمة برءًا بالفتح لم ينسبها القرطبي؛ لان الدرس في اللهجات العربية لا يقبل التخمين والاجتهاد، ولكن المسألة نقلية سماعية.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾ (البقرة: 60)، (اثنتا) في موضع رفع بـ (انفجرت) وعلامةُ الرفع فيها الألفُ. وأُعربت دون نظائرها؛ لأنَّ التثنيةَ معربَة أبداً لصحة معناها. (عَيْناً) نُصب على البيان [1259]. « وقرأ مجاهدٌ وطلحة وعيسى: (عَشِرة) بكسر الشين، وهي لغة بني تميم، وهذا من لغتهم نادرٌ؛ لأنَّ سبيلهم التخفيفُ. ولغةُ أهل الحجاز (عَشْرة) وسبيلُهم التثقيل» [1260].

وفي كلمة عَشْرةَ تظهر لغة أهل الحجاز، وفي لغة تميم عَشِرَة، وقد ظهر في هذه اللفظة ملاحظة عكسية، فأهل الحجاز يثقلون، فخففوا اللفظة (عشرِرة)، وأهل تميم أهل تخفيف فثقلوا فقالوا (عَشِرة).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (البقرة:74)؛ بغافل في موضع نَصْبٍ على لغةِ أهلِ الحجاز، وعلى لغة تميم في مَوْضع رفع والباء توكيد. ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: عملكم، حتى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها عليكم [1261].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ (البقرة: 196)، ﴿مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ الهَدْيُ والهَدِيُّ لغتان. وهو ما يُهْدَى إلى بيت الله من بَدَنة أو غيرها. والعرب تقول: كم هَدِيُّ بني فلان؛ أي: كم إبلهم. وقال أبو بكر: سُمِّيت هَدِيًّا لأنّ منها ما يُهْدَى إلى بيت الله، فسمِّيتْ بما يلحق

[1258] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص113.
[1259] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص139.
[1260] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص230.
[1261] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص210.

بعضَها، كما قال تعالى: ﴿أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (النساء: 25). أراد فإنْ زنى الإماء؛ فعلى الأَمَة منهنَّ إذا زَنَت نصفُ ما على الحُرَّة البِكْر إذا زَنَت، فذَكر الله المحصناتِ وهو يريد الأبكار، لأنَّ الإحصانَ يكون في أكثرهنَّ، فَسمِّين بأمرٍ يوجد في بعضهنَّ، والمُحْصَنة من الحرائر هي ذات الزوج، يجب عليهم الرَّجْم إذا زنت، والرجم لا يتبعَّض فيكون على الأمَة نصفُه، فانكشف بهذا أن المُحصناتِ يُراد بهنَّ الأبكار، لا أُولاتُ الأزواج. وقال الفرَّاء: أهل الحجاز وبنو أسد يُخفِّفون الهَدْي، قال : وتميم وسُفلى قيس يثقِّلون فيقولون: هَدِيّ. قال الشاعر:

حَلَفْتُ بِربِّ مكةَ والمُصَلَّى *** وأعْناقِ الهَدِيِّ مُقَلَّداتِ[1262]

قال : وواحدُ الهَدْي هَدْيَة ويقال في جمع الهَدْي: أهداء[1263].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران: 37)؛ وقرأ حفص وحمزة والكسائيُّ: (زكريا) بغير مدّ ولا همز. ومدَّه الباقون وهمزُوه، وقال الفَرَّاء: « من شدد جعل زكرياء فِي موضع نصب كقولك: ضمنها زكرياء، ومن خفف الفاء جعل زكرياء فِي موضع رفع. وفي زكريا ثلاث لغات: القصر في ألفه، فلا يستبين فيها رفع ولا نصب ولا خفض، وتمد ألفه فتنصب وترفع بلا نون لأنه لا يجرى، وكثير من كلام العرب أن تحذف المدة والياء الساكنة فيقال: هذا زكرى قد حاء فيجرى لأنه يشبه المنسوب من أسماء العرب»[1264].

«أهل الحجاز يمدُّون (زكرياء) ويَقْصُرونه، وأهل نَجْد يحذفون منه الألف ويصرفونه فيقولون: زكريٌّ. قال الأخفش: فيه أربعُ لغات: المدُّ، والقصر، وزكريٌّ بتشديد الياء والصَّرف، وزكَرٍ، ورأيتُ زكرِيًا. قال أبو حاتم: زكرىٌّ بلا صرفٍ؛ لأنَّه أعجميٌّ. وهذا غلط؛ لأنَّ ما كانت فيه يا مثل هذا انصرف، مثل: كرسيّ ويحيى، ولم ينصرف زكرياء في المدِّ والقصر لأنَّ فيه ألفَ تأنيث والعُجمةَ

[1262] ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي الفاعور، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط1، 1407ه1987م، ص100.
[1263] الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 283.
[1264] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص208.

والتعريف »[1265]. ذكر صاحب الإتحاف: « أن المد و القصر فيها لغتان فاشيتان عند أهل الحجاز، ويلاحظ أن القراء السابقين- و الذين قرؤوا بالقصر – كوفيون، و قد يعلل ذلك لتأثرهم بقبائل أسد وتميم و قيس هؤلاء الذين شاعت فيهم الصيغ المقصورة »[1266].

وقد مرّ هذا النص في مباحث القراءات، لأن الهمز نوّع القراءات في (زكريا).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (آل عمران: 157)، وأهل الحجاز يقولون: مِتُّم، بكسر الميم مثل نِمتم، من: مات يَمات، مثل خِفتُ يَخاف. وسُفْلى مُضر يقولون: مُتّم، بضمّ الميم، مثل ضُمْتُم، من مات يَموت، كقولك: كان يكون، وقال يقول. هذا قولُ الكوفيين، وهو حسن[1267].« فعزو الكسر للهجة الحجاز الحضرية، و الضم للهجة تميم البدوية –مما يؤكد أن القبائل البدوية بوجه عام- مالت إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، كذلك مالت اللهجة الحجازية إلى الكسر لأنه دليل التحضر والرقة»[1268]«لأن الكسرة هي حركة المؤنث باللغة العربية، والتأنيث محل الرقة بل إن من المحدثين من يرى أن الكسرة تعبر عن صغر الحجم، و الرقة و قصر الوقت »[1269].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (آل عمران: 180)، والبُخْل والبَخَل في اللغة: أن يَمنع الإنسانُ الحقَّ الواجِب عليه، فأمَّا مَنْ مَنَع ما لا يجبُ عليه؛ فليسَ ببخيل؛ لأنَّه لا يُذَمُّ بذلك. وأهل الحجاز يقولون: يَبْخُلُون وقد بَخُلُوا، وسائر العرب يقولون: بَخِلوا يَبْخَلون، حكاه النَّحاس. وبَخِل يَبْخَل بُخْلاً وَبَخَلاً، عن ابن فارس[1270].

[1265] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص107.نقله عن النحاس إعراب القرآن، ج 1، ص 155.
[1266] إتحاف فضلاء البشر، ص 173.
[1267] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص377.
[1268] في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 81.
[1269] المرجع نفسه،ص 80.
[1270] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص440.

«قرأ أهل المدينة وأكثر القراء: وَلا يَحْسَبَنَّ بالياء في الموضعين جميعا وقرأ حمزة بالتاء فيهما، وزعم أبو حاتم: أنه لحن لا يجوز وتابعه على ذلك جماعة، وقرأ يحيى بن وثاب أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ (آل عمران: 178) بكسر «إن» فيهما جميعا. قال أبو حاتم: وسمعت الأخفش يذكر كسر «إن» يحتجّ به لأهل القدر لأنه كان منهم ويجعله على التقديم والتأخير أي ولا يحسبنّ الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثما إنما نملي لهم خير لأنفسهم. قال: ورأيت في مصحف في المسجد الجامع قد زادوا فيه حرفا فصار: إنّما نملي لهم ليزدادوا إيمانا، فنظر إليه يعقوب القارئ فتبيّن اللحن فحكّه»[1271].

قال أبو جعفر:« التقدير على قراءة نافع أنّ «أنّ» تنوب عن المفعولين، وأما قراءة حمزة فزعم الكسائي والفراء أنّها جائزة على التكرير أي ولا تحسبنّ الذين كفروا لا تحسبنّ إنما نملي لهم. قال أبو إسحاق: «أنّ» بدل من الذين أي ولا يحسبن أنما نملي لهم خير لأنفسهم أي إملاءنا للذين كفروا خيرا لأنفسهم »[1272]كما قال الشاعر:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنّه بنيان قوم تهدّما[1273]

(حوبا) وفيها ثلاث لغات، حَوبا بفتح الحاء لغة تميم، قالها الأخفش، وقال مقاتل: هي لغة الحبش، وحُوبا بالضم قراءة العامة وهي لغة أهل الحجاز. أما الحبش فقد يكون يقصد لغة اليمن، لان الأحباش سكنوا اليمن. قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء: 2)، إنه أي الأكل ﴿ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء: 2)؛ أي: إثما كبيرا عن ابن عباس والحسن وغيرهما يقال: حاب الرجل يحوب حوبا إذا أثم وأصله الزجر للإبل فسمي الإثم حوبا لأنه يزجر عنه وبه ويقال في الدعاء: اللهم أغفر حوبتي؛ أي: إثمي والحوبة أيضا الحاجة ومنه في الدعاء: إليك أرفع حوبتي أي حاجتي والحوب الوحشة ومنه قوله عليه السلام لأبي أيوب إن طلاق أم أيوب لحوب] وفيه ثلاثة لغات حُوبًا بضم الحاء

(1271) الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص441. نقلا عن النحاس إعراب القرآن، ج1، ص190.
(1272) النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص190.
(1273) يحي الجبوري، شعر عبدة بن الطيب، دار التربية للطباعة و النشر بغداد العراق، ط1، 1391هـ 1971م، ص88.

وهي قراءة العامة ولغة أهل الحجاز وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء[1274]، وقال الأخفش: «وهي لغة تميم[1275]، مقاتل: لغة الحبش»[1276].

(الثلث) بضم اللام لغة أهل الحجاز، يقولون الثلث والربع والخمس، وبإسكان اللام لغة تميم وربيعة، قال القرطبي قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ (النساء: 176) لغة أهل الحجاز وبني أسد الثلث والربع إلى العشر ولغة بني تميم وربيعة الثلث بإسكان اللام إلى العشر ويقال: ثلثت القوم أثلثهم وثلثت الدراهم أثلثها إذا تممتها ثلاثة وأثلثت هي إلا أنهم قالوا في المائة والألف: أمأيتها وآلفتها وأمات وآلفت[1277]. وقد ظهر في هذا النص اسم ربيعة وهي القبيلة المقابلة لمضر، وقد اشتركت تميم وربيعة في كلمة ثلث، ويدل ذلك على اتساع شيوع الكلمة (ثلْث).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ (النساء: 40)؛ أي: يكثر ثوابها وقرأ أهل الحجاز حسنة بالرفع والعامة بالنصب فعلى هذا الأول تك بمعنى تحدث فهي تامة، وعلى الثاني هي الناقصة أي أن تك فعلته حسنة[1278]، في هذا النص يراد القراءة بضم حسنة أن(كان) تامة، تعني تحدثُ ، وبنصب حسنة تكن (كان) ناقصة وهو مثال مختلف لان العرب تتفق في إعمال كان عندما تكون ناقصة.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ (النساء: 101)، قال الفرَّاء:« أهل الحجاز يقولون فتنت الرجل وربيعة وقيس وأسد وجميع أهل نجد يقولون أفتنت الرجل »[1279] وفرق الخليل سيبويه بينها فقالا:« فتنته جعلت فيه فتنة مثل أكحلته وأفتنته جعلته مفتتنا»[1280].

[1274] الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص22.
[1275] النحاس، إعراب القرآن، ج 1،ص 199.
[1276] الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص22.
[1277] الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص106 ص 107..
[1278] الجامع لأحكام القرآن،ج6، ص322.
[1279] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص394.
[1280] سيبويه، الكتاب، ج4، ص56.

قال القرطبي وفي قوله تعالى: ﴿ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا ﴾ (الأنعام: 56)؛ أي: قد ضللت إن اتبعت أهواءكم .« وقُرئ: (ضَلِلْتُ) بفتح اللام وكسرها، وهما لغتان قال أبو عمرو بنُ العلاء: ظَلِلْتُ بكسر اللام لغةُ تميم، وهي قراءة يحيى بن وثّاب وطلحة بن مصرّف »[1281]. والأولى هي الأصح والأفصح، لأنّها لغة أهل الحجاز، وهي قراءةُ الجمهور[1282].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ (الأنعام:99)، ابتداء وخبر. وأجاز الفرَّاء في غير القرآن:« قِنْوانًا دانيةً، على العطف على ما قَبْلَه وقوله: مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ الوجه الرفع فِي القنوان لأن المعنى: ومن النخل قِنوانه دانية. ولو نصب: وأخرج من النخل من طلعها قنوانًا دانية لَجَازَ فِي الكلام، ولا يقرأ بِهَا لمكان الكتاب »[1283]. قال سيبويه: ومن العرب من يقول: قُنوان. قال الفرَّاء: هذه لغةُ قيس. وأهل الحجاز يقولون: قِنْوان، وتميم يقولون: قُنْيان. ثم يجتمعون في الواحد فيقولون: قِنْوٌ وقُنْوٌ. والطَّلْع: الكُفُرَّى قبل أن ينشقَّ عن الإغريض. والإغريضُ يُسمَّى طَلْعًا أيضا. والطَّلْعُ ما يُرى من عِذْق النخلة. والقِنوان: جمع قِنو، وتثنيتُه قِنْوان، كصِنو وصِنوانِ بكسر النون، وجاء الجمع على لفظ الاثنين[1284].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ (الأنعام: 150)؛ أي: قل لهؤلاء المشركين: أحْضرُوا شُهداءَكم على أنَّ الله حرَّم ما حرَّمتم. و ﴿هَلُم﴾ كلمة دعوة إلى شيء، ويَستوي فيه الواحدُ والجماعة والذَّكر والأُنثى عند أهل الحجاز، إلا في لغة نَجْد، فإنَّهم يقولون: «هَلُمَّا، هَلُمُّوا، هَلُمِّي، يأتُون بالعلامة كما تكون في سائر الأفعال»[1285]. وعلى لغة أهل الحجاز جاء القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَا ﴾ (الأحزاب: 18)، يقول: هَلُمَّ؛ أي: أُحْضُر أو أُدْنُ. وهَلُمَّ

[1281] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص70، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة، ص37.
[1282] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص397.
[1283] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص347.
[1284] الفراء، الكتاب: كتاب فيه لغات القرآن، ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، عام النشر: 1435هـ، ص62 .
[1285] النحاس، معاني القرآن، ج2، ص515.

الطعامَ؛ أي: هاتِ الطَّعامَ. و«المعنى هاهنا: هاتُوا شُهداءَكم، وفُتحت الميم لالتقاء الساكنين، كما تقول: رُدَّ يا هذا، ولا يجُوز ضَمُّها ولا كسرُها»[1286]. والأصْل عند الخليل (ها) ضُمَّت إليها (لُمَّ) ثم حُذفت الألف لكثرة الاستعمال. وقال غيره: الأصل (هل) زيدَتْ عليها (لُمَّ) وقيل: هي على لَفْظِها تدلُّ على معنى هات. وفي كتاب "العيْن" للخليل: أصْلُها: هل أؤُمُّ، أي هل أَقْصِدُك، ثم كَثُر استعمالُهم إيَّاها حتى صار المقصودُ بقولها احْضِر. كما أن: (تعالَ) أصلُها أن يقولها المُتعالي للمتسافل. فكثُر استعمالهم إيَّاها حتى صار المُتسافل يقول للمتعالي: تَعَالَ[1287].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ (الأنفال: 42)؛ وقُرئ بضم العين وكسرِها فعلى الضّم يكون الجمع: عُدًى، وعلى الكسر: عِدًى، مثل لحية ولِحًى، وفِرْية وفِرًى. والدنيا: تأنيث الأدْنَى. والقُصوى: تأنيث الأقْصى. من دنا يَدنُو، وقَصَا يَقصُو. ويقال: القُصْيَا والأصْلُ الوَاو. وهي لغة أهل الحجاز: قُصْوى. فالدُّنيا كانت مما يلي المدينة، والقُصوى مما يلي مكة؛ أي: إذ أنتمْ نُزولٌ بشفير الوادي بالجانِب الأدْنَى إلى المدينة، وعدوُّكم بالجانب الأقصى.

﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة: 123)؛ أي: شدَّة وقوَّة وحَمِيَّة. وروى الفضَّل عن الأعمش و عاصم: (غَلْظة) بفتح الغين وإسكان اللام. قال الفرّاء: لغةُ أهل الحجاز وبني أسد بكسر الغين ولغة بني تميم: (غُلظة) بضمّ الغين.[1288] قال الجندي:« (و عزيت (غلظة) بالفتح لغة الحجاز، و بالضم لغة تميم، و بهذا قرأت بالفتح - الأعمش و المفضل عن عاصم، و عزاها أبو حيان للحجاز، كما قرأ السلمي و ابن أبي عبلة بضمها، وعزاها أبو حيان لتميم)»[1289].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ (هود:113)، الرُّكُون حقيقته: الاستنادُ والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به، قال قَتادة: معناه: لا تَوَدُّوهم ولا تُطيعوهُم. ابن جريج: لا

[1286] النحاس، معاني القرآن، ج2، ص105.
[1287] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص104-105.
[1288] الجامع لأحكام القرآن، ج10،ص435 ص436.
[1289] الجندي،اللهجات العربية في التراث، ج1، ص261.

تَميلوا إليهم. أبو العالية: لا تَرضَوْا أعمالَهم. وكلُّه متقارب. وقال ابن زيد: الرُّكون هنا: الإدْهَان، وذلك ألَّا يُنْكر عليهم كفرهم. الثانية: قرأ الجمهور: (تَرْكَنُوا) بفتح الكاف، قال أبو عمرو: هي لغةُ أهلِ الحجاز. وقرأ طلحة بن مُصرف وقتادة وغيرهما: (تركُنوا) بضم الكاف. قال الفرَّاء: وهي لغة تميم وقيس. وجوَّز قومٌ ركَن يركَن، مثل مَنَعَ يَمنَع.[1290] قال الجندي:« قراءة أبي عمرو بكسر التاء على لغة تميم، و الماضي منه فعل بكسر العين »[1291].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ (يوسف: 92)؛ أي: قال يوسف - وكان حليمًا موفَّقًا - : (لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) وتمَّ الكلام. ومعنى (اليوم): الوقت. والتثريب: التَّعيير والتوبيخ؛ أي: لا تعييرَ ولا توبيخَ ولا لَوْمَ عليكم اليوم، قاله سفيان الثوريُّ وغيره، ومنه قوله ﷺ : « إذَا زَنَتْ أَمَةُ أحدِكم فليجلِدها الحدَّ ولا يُثَرِّب عليها»[1292] ؛ أي :لاَ يعيّرها، وقال بشر:

فَعَفَوتُ عنهم عَفْوَ غَيْر مُثَرِّبِ*** وتركتُهم لعِقابِ يومٍ سَرْمَدِ[1293].

وقال الأصمعيُّ: ثَرَّبْتُ عليه وعَرَّبْتُ عليه بمعنًى، إذا قبَّحتَ عليه فِعْله. وقال الزجَّاج: المعنى لا إفسادَ لما بيني وبينكم من الحرمة، وحقَّ الإخوَّة، ولكم عندي العفو والصفحُ؛ وأصلُ التثريبِ: الإفسادُ، وهي لغةُ أهْل الحجاز[1294].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ (الحجر،2)، (رب) لا تدخل على الفعل فإذا لحقتها (ما) هيأتها للدخول على الفعل تقول: ربما قام زيد وربما يقوم زيد

[1290] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص225 ص226.

[1291] الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1، ص 389.

[1292] صحيح البخاري، ج 3 ص83 رقم 2234. و الحديث بتمامه (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، قال: أخبرني الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «إذا زنت أمة أحدكم، فتبين زناها، فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها، ثم إن زنت فليجلدها الحد، ولا يثرب، ثم إن زنت الثالثة، فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر»)

[1293] ديوان بشر بن أبي خازم،شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 1415هـ/1994م، ص 156. والبيت هو ما نسب لبشر وهو في ملحقه.

[1294] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص446.

ويجوز أن تكون (ما) نكرة بمعنى شيء و (يود) صفة له أي رب شيء يود الكافر وقرأ نافع وعاصم (ربما) مخفف الباء الباقون مشددة وهما لغتان قال أبو حاتم: أهل الحجاز يخففون ربما قال الشاعر:

ربما ضربة بسيف صقيل ... بين بصرى وطعنة نجلاء [1295].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ (النحل: 9)؛ (قَصْدُ السبيل) مسيركم ورجوعكم. والسبيل واحدة بمعنى الجمع، ولذلك أنَّث الكناية فقال: (ومنها) والسبيل مؤنثة في لغة أهل الحجاز[1296].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ (النحل: 68)، وقرأ يحيى بن وثَّاب: (إلى النَّحَلِ) بفتح الحاء. وسُمّي نحلاً؛ لأنَّ الله ﷻ نَحَله العسلَ الذي يَخرجُ منه؛ قاله الزجاج الجوهري: والنحلُ والنحلةُ: الدَّبْرُ يقع على الذكر والأنثى، حتى يقال: يَعْسُوب. والنحلُ يؤنث في لغة أهل الحجاز، وكلُّ جمع ليس بينه وبينَ واحِده إلا الهاء[1297].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ ﴾(مريم: 55)، قال الحسن: يعني أمته وفي حرف ابن مسعود وكان يأمر أهله جرهم وولده بالصلاة والزكاة ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ (مريم: 55)؛ أي: رضيا زاكيا صالحا قال الكسائي و الفرَّاء: من قال مرضي بناه على رضيت قالا: وأهل الحجاز يقولون:« مرضو» [1298] و« قال الكسائي : من العرب من يقول رضوان ورضيان فرضوان على مرضو ورضيان على مرضي ولا يجيز البصريون أن يقولوا إلا رضوان وربوان قال أبو جعفر

[1295] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص174ص175. محسن عبد المعطي محمد عبد ربه، ديوان ابن الرعلاء -عدي الغساني - العصر الجاهلي، مقال منشور على الموقع https://pulpit.alwatanvoice.com/، تاريخ التصفح 2018/07/22، الساعة 12:38 قبل الظهر.

[1296] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص290-291.

[1297] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص365.

[1298] معاني القرآن، الفراء، ج2، ص170.

النحاس» [1299]، و سمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: يخطئون في الخط فيكتبون ربا بالياء ثم يخطئون فيما هو أشد من هذا فيقولون ربيان ولا يجوز إلا ربوان ورضوان قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ (الروم: 39) [1300].

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ (طه: 61)؛ أي: قال لفرعون والسحرة ﴿وَيۡلَكُم﴾ (طه:61)، دعاء عليهم بالويل وهو بمعنى المصدر وقال أبو إسحاق الزجاج : هو منصوب بمعنى ألزمهم الله ويلا قال : ويجوز أن يكون نداء كقوله تعالى :﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا﴾ (يس: 52) ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ (طه: 61)؛ أي: لا تختلقوا عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا للمعجزات إنها سحر ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ من عنده؛ أي: يستأصلكم بالإهلاك يقال فيه : سحت وأسحت بمعنى وأصله من استقصاء الشعر وقرأ الكوفيون ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ من أسحت الباقون ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ من سحت وهذه لغة أهل الحجاز والأولى لغة بني تميم وانتصب على جواب النهي وقال الفرزدق :

وَعَض زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ *** مِنَ المال إلا مسحتا أو مجلف [1301]

الزمخشري: وهذا بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ (طه: 84)، قال أبو حاتم قال عيسى: بنو تميم يقولون : ﴿هُمَّ أَوۡلَىٰ﴾ (مريم: 70) مقصورة مرسلة وأهل الحجاز يقولون

[1299] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص14.

[1300] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص465-466.

[1301] ديوان الفرزدق، ص 386 وجاءت قافية البيت في الديوان (مجرف)، وجاءت في الجامع (مجلف)، و كذا الطبري، ج16،ص93. وابن عطية، ج4، ص50. والنيسابوري في تفسيره البسيط، ج14،ص435. وابن منظور في لسان العرب، ج2، ص41. أما الشوكاني في الفتح القدير فقد جاءت بلفظ (محلق).

﴿أُوْلَآء﴾ممدودة وحكى الفرَّاء :« وقد قرأ بعض القراء (هم أولاي على أثري) بترك الهمز» [1302] قال النحاس: « وزعم أبو إسحاق الزجاج: أن هذا لا وجه له »[1303] وهو كما قال لأن هذا ليس مما يضاف فيكون مثل هداي ولا يخلو من إحدى جهتين: إما أن يكون اسما مبهما فإضافته محال وإما أن يكون بمعنى الذين فلا يضاف أيضا لأن ما بعده من تمامه وهو معرفة وقرأ ابن أبي إسحاق ونصر ورويس عن يعقوب على إثري بكسر الهمزة وإسكان الثاء وهو بمعنى أثر لغتان .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ﴾ (الأحزاب: 33). قرأ الجمهور (وَقِرْنَ) بكسر القاف وقرأ عاصم و نافع بفتحها فأما القراءة الأولى فتحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من الوَقَارُ تقول: وَقَرَ يَقِرُ وَقَارًا؛ أي: سَكَنَ والأمر: قِرْ، وللنساء قِرْنَ، مثل عُدْنَ وزِنَّ، والوجه الثاني: وهو قول المبرد: أن يكون من القَرار تقول: قَرَرْتُ بالمكان (بفتح الراء) أَقِرُّ والأصل أقْرِرْنَ بكسر الراء فحذفت الراء الأولى تخفيفا كما قالوا في ظَلِلْتُ: ظِلْتُ ومَسِسْتُ: مِسْت ونقلوا حركتها إلى القاف واستغنى عن ألف الوصل لتحرك القاف قال أبو علي: بل على أن أبدلت الراء ياء كراهة التضعيف كما أبدلت في قيراط ودينار ويصير للياء حركة الحرف المبدل منه فالتقدير: إقْيِرْنَ ثم تُلقى حركة الياء على القاف كراهة تحرك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل لتحرُّكِ ما بعدها فيصير (قِرْنَ) وأما قراءة أهل المدينة و عاصم فعلى لغة العرب: قَرِرْتُ في المكان إذا أقمت فيه -بكسر الراء- أَقَرُّ - بفتح القاف- من باب حَمِدَ يَحْمَدُ وهي لغة أهل الحجاز ذكرها أبو عبيد في (الغريب المصنف) عن الكسائي [1304].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً﴾ (الدخان: 23)؛ أي: فأجبنا دعاءه وأوحينا إليه أن أسر بعبادي أي بمن آمن بالله من بني إسرائيل ﴿لَيْلا﴾؛ أي: قبل الصباح﴿ إِنَّكُم

(1302) معاني القرآن، الفراء، ج2، ص188-189

(1303) النحاس، إعراب القرآن، 3، ص37.

(1304) الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص 139-140.

مُّتَّبَعُونَ﴾ (الدخان: 23) وقرأ أهل الحجاز (فاسر) بوصل الألف وكذلك ابن كثير من سرى الباقون (فاسر) بالقطع من أسرى وقد تقدم وتقدم خروج فرعون وراء موسى في البقرة والأعراف وطه والشعراء ويونس وإغراقه وإنجاء موسى فلا معنى للإعادة[1305].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ (النجم: 9)؛ أي: قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة أزد شنوءة أيضا وقال الكسائي قوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم: 9)، أراد قوسا واحدا كقول الشاعر:

ومهمهين قذفين مرتين *** قطعته بالسمت لا بالسمتين.[1306]

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ﴾ (المجادلة: 2)؛ أي: مانساؤهم بأمهاتهم قراءة العامة ﴿أُمَّهَـٰتِهِم﴾ بخفض التاء على لغة أهل الحجاز ،قوله تعالى: ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ (يوسف: 31)، وقال الفراء:« (مَا هُنَّ «8» أُمَّهاتِهِمْ) وأمّا أهلُ نَجدٍ فيتكلمونَ بالباء وغير الباء فإذا أسقطوها رفعوا. وهو أقوى الوجهين فِي العربية. »[1307] أنشدني بعضهم:

لَشتَّانَ ما أَنْوِي وينوي بنو أبى *** جميعا فما هذان مستويان[1308]

مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ، الأمهات فِي موضع نصب لما ألقيت منها الباء نصبت، كما قال في سورة يوسف: «ما هذا بَشَراً» « إنما كانت في كلام أهل الحجاز: ما هَذَا ببشر فلما ألقيت الباء ترك فيها أثر سقوط الباء وهي فِي قراءة عَبْد اللَّه «ما هن بأمهاتهم»، وأهل نجد إذَا ألقوا الباء رفعوا، فقالوا «ما هَذَا

[1305] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص113ص114.

[1306] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص17، وابن منظور في لسان العرب ح2 ص46.والزبيدي في تاج العروس، ج 4، ص56. و الجوهري في الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ج1ص266.واختلف في قائله فنسبه سيبويه للراجز همیان بن قحافة، والفراء لخطام المجاشعي.

[1307] معاني القرآن،الفراء، ج2، ص42.

[1308] ذكره الطبري في تفسيره، ج 16، ص 85. و الثعلبي في الكشف و البيان عن تفسير القرآن، ج5،ص219 .و البغدادي في خزانة الأدب ولب لباب، لسان العرب، ج 6، ص 283.

بشر»، «ما هن أمهاتهم»[1309] . وقرأ أبو معمر و السلمي وغيرهما أمهاتهم بالرفع على لغة تميم [1310].

ومثلُ ذلك قوله عزّ وجلّ: " ما هذا بشرا " في لغة أهل الحجاز. وبنو تميم يَرْفعونها إلاَّ من دَرى كيف هي في المُصحَفِ. فإذا قلت: ما منطلقٌ عبدُ الله، أو ما مُسِيءٌ مَنْ أعْتَبَ، رفعتَ. ولا يجوز أن يكونَ مقدّما مثلَه مؤخَّرا، كما أنَّه لا يجوز أن تقول: إنَّ أخوك عبدَ الله على حدّ قولك: إنَّ عبدَ اللهِ أخوك، لأنَّها ليست بفعل، وإنَّما جُعلتْ بمنزلته فكما لم تتصرَّف إنّ كالفعل كذلك لم يَجُزْ فيها كلُّ ما يجوز فيه ولم تَقْوَ قوّتَه فكذلك ما [1311].

وعندما تذكر هذه القضية النحوية فإنه بالضرورة يُذكر حديث عيسى بن عمر الثقفي مع أبي عمرو بن العلاء في إعراب ليس الطيب إلا المسك، «قال القالي في أماليه: حدثنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو حاتم قال: سمعت الأصمعي يقول: جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه قال: وما هو قال: بلغني أنك تجيز ليس الطِّيبُ إلا المسكُ بالرفع، قال أبو عمرو: ذهب بك يا أبا عمرو نِمت وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تِميمي إلا وهو يرفع.

ثم قال أبو عمرو: قم يا يحيى - يعني اليزيدي، وأنت يا خلف - يعني خَلفاً الأحمر، فاذهبا إلى أبي المَهْدي فلقِّناه الرفع فإنه لا يرفع، واذهبا إلى أبي المُنتَجع فلقِّناه النصب فإنه لا ينصب.

قال: فذهبا فأتيا أبا المهدي فإذا هو يصلي فلما قضى صلاته، التفت إلينا وقال: ما خطبكما قلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب، قال: هاتيا، فقلنا: كيف تقول ليس الطِّيبُ إلا المسكُ فقال أتأمراني بالكذب على كَبْرةِ سني فقال له خَلف: ليس الشرابُ إلا العسلِ، قال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه قلت له: ليس مِلاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعمل بها، فقال: هذا كلام لا دَخَل فيه، ليس ملاكُ الأمر إلا طاعةَ الله، فقال اليزيدي: ليس ملاك الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها، فقال: ليس هذا لحني ولا لحْن قومي.

[1309] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص139.

[1310] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص293.

[1311] سيبويه، الكتاب، ج1،ص59.

فكتبنا ما سمعنا منه.

ثم أتينا أبا المنتجع فقال له خَلف: ليس الطيبُ إلا المسكَ، فَلقّناه النصب وجهدنا به فلم ينصب وأبى إلا الرفع، فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح، فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال: ولك الخاتَم بهذا، والله فُقت الناس» [1312].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ (الحشر:23)؛ أي: المنزل عن كل يقص والطاهر عن كل عيب والقدس (بالتحريك): السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الأواني التي يستخرج بها الماء من البئر بالسانية وكان سيبويه يقول: قدُّوس وسبُّوح بفتح أولهما وحكى أبو حاتم عن يعقوب أنه سمع عند الكسائي أعرابيا فصيحا يكنى أبا الدينار وقرأ القدوس بفتح القاف قال ثعلب: كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور وشبوط إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان [1313].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ (الإنسان: 14)، ويقال المذلل الذي قد ذللّه الماء أي أراه ويقال المذلل الذي يفيئه أدنى ريح لنعمته ويقال المذلل المسوى لأن أهل الحجاز يقولون: ذلل نخلك أي سوه ويقال المذلل القريب المتناول من قولهم: حائط ذليل أي قصير قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي حكيناها ذكرها أهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس:

(وساق كأنبوب السقي المذلل) [1314].

[1312] السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ) المزهر في علوم اللغة وأنواعه،تح، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1418هـ 1998م، ج2،ص 241.

[1313] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص390.

[1314] ديوان امرئ القيس، ص 116، وهو الشطر الثاني لتمام البيت (وكشح لطيف كالجديل محضر... وساق كأنبوب السقي المذلل).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين:3)؛ أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدى الفعل فنصب ومثله نصحتك ونصحت لك وأمرتك به وأمرتكه قاله الأخفش والفراء قال الفراء:« وسمعت أعرابية تقول إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين إلى الموسم المقبل وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس»[1315] .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ (الفجر: 3)، الكسائي وحمزة وخلف (والوتر) بكسر الواو والباقون (بفتح الواو) وهما لغتان بمعنى واحد وفي الصحاح: الوتر (بالكسر): الفرد والوتر (بفتح الواو): هذه لغة أهل العالية فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم فأما تميم فبالكسر فيهما[1316] .

يظهر من كل ما ورد في كتب اللغة والنحو والتفسير والأدب أن لهجة الحجاز تقابل لهجة تميم، ولقد فطن إلى ذلك القدماء، فلكل لهجة خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية التي تخالف خصائص الأخرى، وان كانت جميع هذه الخصائص تقع ضمن الإطار العام لخصائص العربية الفصحى، بل إننا في حالة دراسة أية لهجة منها لا بد لنا من معرفة الأخرى ذلك أن هذه المعرفة ستحدد لنا الحدود اللهجية لكل منها ومن ثم موقع كل منهما في العربية الفصحى.

كما أن سيبويه ويونس بن حبيب ويحي بن المبارك اليزيدي فطنوا إلى هذا التقابل بين اللهجتين، وأورد السيوطي من كتاب نوادر يونس وكتاب نوادر اليزيدي طائفة من الألفاظ التي وردت فيها لهجة تميم تقابل لهجة الحجاز.

[1315] الفراء، معاني القرآن،ج3، ص246.

[1316] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص261.

ويعلل الباحثون المحدثون هذا التقابل بين اللهجتين باختلاف البيئة، فقد نشأت لهجة تميم في ارض البادية ونشأت لهجة الحجاز في الحاضرة، ثم باختلاف المجتمعين بتأثير من ذلك الاختلاف في البيئة، وفي الحياة الاقتصادية[1317].

ذكر السيوطي ألفاظا اختلف فيها لغة الحجاز ولغة تميم

قال يونس في نوادره: أهل الحجاز يقولون خمس عشْرة خفيفة لا يحرِّكون الشين، وتميم تثقِّل وتكسر الشين ومنهم من يفتحها.

أهل الحجاز يبطِش، وتميم يبطُش.

تميم هَيْهات، وأهل الحجاز أَيهات.

أهل الحجاز مِرية وتميم مُرية.

أهل الحجاز الحِجّ، وتميم الحَج[1318].

وفي الجدول الآتي عينة من لغتي تميم والحجاز ليتضح لنا بعض مظاهر الإتفاق والإختلاف بين هاتين اللغتين الكبيرتين اللتين كثر ورودها في الجامع، علما أنه يصعب إيراد جميع الشواهد التي ذكرها القرطبي لكثرتها.

(1317) غالب فاضل المطلب، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (دط)، الجمهورية العراقية، 1398هـ/1978م، ص48-49.

(1318) ينظر: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ 1998م، ج2،ص239 -240.

القراءة	لغة أهل الحجاز	لغة تميم	لغات أخرى
ضَلَلْتُ	ضلَلْت بفتح اللام	ضَلِلْت	ضلَلْتُ لغة نجد وهي الفصيحة
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ	قِنْوان والمفرد قِنْوٌ	قُنيان والمفرد قِنْوٌ	لغة قيس قُنْوان
قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ (الأنعام: 150). هَلُمَّ إِلَيْنَا (الأحزاب: 18)	هَلُمَّ يشترك فيه الواحد والجماعة والذكر والأنثى	هلموا للجماعة هلمي للمرأة	في لغة نجد هَلُمَّا علمُّوا هلُمِّي
بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ	القُصْوَى	لم يذكر لها مقابل	لم يذكر لها مقابل من العرب
وَلَا تَرْكَنُوٓاْ	تركَنُوا بفتح الكاف	تركُنوا بضم الكاف	قيس تركَنُوا بضم الكاف
غِلْظَةً	غِلظَة بكسر الغين	غُلظة بضم الغين	بني أسد وافقت لغة الحجاز بكسر الغين غِلظة
رُّبَمَا يَوَدُّ	يخّففون ربَما	لم يبينها	التثقيل قراءة مشهورة
قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ	السبيل مؤنثة	لم يبينها	في لغة العرب مذكر
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ	النحل مؤنث بفتح النون	لم يبين القرطبي ذلك عند تميم	في لغة العرب يذكر
ٱلْمَثُلَٰتُ	لم يبينها	مثُلة مثل صدُقة	قرأ الأعمش (المَثْلاتُ) بفتح الميم وإسكان الثاء فهذا جمع مثْلة.

بَارِيكُمْ	برِأْتُ بَرْءًا بالفتح	لم يبينها	غيرهم بَرِئْتُ بُرْءًا
وَعِصِيُّهُمْ		عُصِيِّهم	قراءة الحسن والباقون عصيّهم إتباع حركة الصاد
ٱلْخَبْءَ	يقولون الخَبُؤ يضمون الساكن اذا كانت الهمزة مضمومة ويثبتون الهمزة ويكسرون الساكن اذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن اذا كانت الهمزة مفتوحة.	تميم يقولون الخبُو	
ضَعْفٍ	الضم لغة قريش ضُعف	الفتح لغة تميم ضَعْف	
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا		تميم عشرة بالتثقيل	أهل الحجاز يثقلونها
وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ	أملَّ	أمليْتُ	بنو أسد (أملَّ) وافقوا الحجاز
وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا	لا يوجد لها تخصيص	فاجنح بفتح النون	فاجْنح بضم النون لغة قيس وهي القياس، وهناك لغة فاجْنِح بكسر النون
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا	لا يوجد لها تخصيص	كِلمة بكسر الكاف	فيها ثلاث لغات قالها الفراء: كِلمة- كَلِمة- كَلْمة
لَا تَأْمَنَّا	لا يوجد لها تخصيص	لا تيمنا بكسر التاء	وقرأ سائر الناس بالإدغام تأمَنَّا، وقرأ طلحة بن

			مصرف لا تأمننا بنونين ظاهرتين.
نَسْتَعِينُ	قريش وكنانة يفتحونها نَستعين	نستعين	أسد وقيس وربيعة يكسرون نِستعين.
يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ		إسرائين	قرأ الحسن والزهري بغير همز ولا مد وإسرائل بغير ياء بهمزة مكسورة.
وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ	يذكر السبيل	تذكر السبيل	
مِنَ ٱلۡهَدۡيِ ۖ	يخففون الهدي	يثقلون الهدي	بني أسد يخففون، وسفلى قيس يثقلون
وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا	المُذَلَّلُ: المسوَّي ذبل نخلك فسَوِّهِ		يقال المذلل القريب المتناول، و حائط ذليل أي قصير
وَإِذَا كَالُوهُمۡ	يكيلنا المُد والمدُين		يكيل من قيس
وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ	الوِتْر	الوِتِر	الوَتْر لغة أهل العالية
فَيُسۡحِتَكُم	سحت	أَسْحَت	
قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى	أولاءِ ممدودة	أولَى مقصورة مرسلة	قرأ بعض القراء أولايْ بترك الهمز.
مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمۡ ۖ	ما عاملة أمهاتهم بشرًا	ما غير عاملة ما هن أمهاتُهم ما هذا بشرٌ	أهل نجد يتكلمون بالباء فإذا أسقطوها رفعوا

مِمَّا هَـٰذَا بَشَرًا			
ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ	القدس بالتحريك السطل القُدُّوس السُّبُّوح		بعض العرب القَدوس بفتح القاف، كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول.

هذا الجدول يرسم لنا نموذجا عن علاقة لغة تميم بلغة الحجاز وبلغات العرب الأخرى ممثلة في نماذج من القراءات.

وقد عرض القرطبي للغة تميم في مواطن ولم يذكر للغة أهل الحجاز، ولا يستطيع دارس العربية أن يُخمِّن أن ما شاع في العربية المقابل للمذكور هو لغة الحجاز، والعكس فاللغة تحتاج إلى نص منقول لإثباتها، لأنه علم لا يخضع للتخمين والاجتهاد، أن علم اللهجات علم نقليٌّ بحت الإدارة الوحيدة فيه هي النص والناقل. والعربية على اتساعها مبنية على طريقين؛ طريق النقل وطريق العقل، فاللهجات العربية لا تقبل طريق العقل ولا يمكن أن يكون دليلا على ورود اللفظة عند قبيلة ما بالاستدلال العقلي، وقد اشتركت لغة تميم ولغة الحجاز في بعض الاداءات اللغوية مثل مرادف "قِنوان" فهو قِنْوٌ في كلتا اللغتين، وإن اختلفوا في استعمال الجمع فأهل الحجاز يجعلونها هَلُمَّ للكل ، وأما تميم فيخصصون لكل لفظة هلم هلمي هلما هلموا.

اختلفت أداءات الألفاظ فأهل الحجاز يقولون "غِلظة" بكسر الغين وتميم يقولون "غُلظة" بضم الغين، أهل الحجاز يخففون "عشرةً" فيسكنون الشين وتميم يثقلونها فيكسرون شين عشرة.

والأمثلة كلها مبنية في المتن للدلالة على الاختلاف، وهذا يبين بالضرورة قضية مهمة جدا وهي أن لهجات العربية كانت تمثل تنوعا في وجوه الأداء وليس بينها تناقض أو تنافر.

ولذلك لا يمكن أن تكون في العربية ما يسمى اللهجات المنفصلة التي لها قوانينها الخاصة التي تحكمها في عمومها وإنما اللهجة العربية عبارة عن نمط خاص له هيئات خاصة في بعض جوانب الأداء فقط، فاللهجات العربية منصهرة كلها ومنضوية تحت اللسان العربي. والمدونات العربية نقلت مادة

لهجية تبين أن القرآن جعل لقبائل العرب شان بذكر ألفاظ تخصها، فهي مذكورة بذكر اللفظة، فإذا ما استعملنا (ما) استعمال العاملة فغن لغة الحجاز تمثل، وإذا ما فقدت عملها فإن لغة تميم تذكر وهكذا وقد انطبعت أداءات لغوية بلهجاتها فلا تذكر إلا واللهجة لصيقة بها.

واشتركت قبائل عربية أخرى مع تميم وأهل الحجاز في بعض الوجوه اللغوية، فمثلا تفردت لغة تميم بكلمة (حَوْبًا) بفتح الحاء وإسكان الواو وباقي العرب كانت توافق لغة أهل الحجاز، ووافقت لغة بني أسد لغة أهل الحجاز في (الثُلثْ) برفع (اللام) وتميم تسكنها وتفردت لغة أهل الحجاز بت (فتنْتُ) وربيعة وقيس وأسد ونجد يقولون (افْتنْتُ) وهذا التغاير المبين في الجدول يرسم للعربية لآلئها المشعة التي بها انمازت على لغات العالم باتساعها.

المبحث الثاني: لغة هذيل و لغة قيس و لغة أسد.

المطلب الأول: لغة هذيل

وهُذَيْل: اسْمُ رَجُلٍ. وهُذَيْل: قَبِيلَةٌ النِّسْبَةُ إِليها هُذَيْلِيّ وهُذَلِيٌّ قِيَاسٌ وَنَادِرٌ، وَالنَّادِرُ فِيهِ أَكثر عَلَى أَلسِنتهم. وهُذَيْل: حَيٌّ مِنَ مُضَر، وَهُوَ هُذيْل بْنِ مُدْرِكَة بنِ إِلياسَ بنِ مُضَرَ، وَقِيلَ: هُذَيْل قَبِيلَةٌ مِنْ خِنْدِف أَعْرَقَتْ فِي الشِّعْر [1319].

وأما "هذيل"، فمواطنهم "جبال هذيل"، وهم جيران "سعد بن بكر" وجيران "كنانة"، و"هوازن"، وهي كلها من القبائل التي أثنى العلماء على لغتها. وهذيل من قبائل مضر، ومن القبائل التي أعرقت في الشعر، وقد استشهد العلماء بشعر شعرائها في اللغة وفي القواعد، ومن هنا عدت في القبائل التي أخذ علماء العربية اللغة منها. وأما "سعد بن بكر"، و"كنانة"، و"هوازن" فهي مثل "قريش" و"هذيل" من مجموعة "خندف" من "مضر" [1320].

[1319] ابن منظور لسان، ج 11، ص694 .

[1320] جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 16، ص223.

وهذيل من القبائل التي عرفت بجودة لهجتها، في تدوين القرآن الكريم. ولذلك رأى الخليفة عثمان أن يكون المملي من هذيل والكاتب من ثقيف. وقد ذكرت لهجتها في جملة اللهجات التي نص عليها في الحديث المذكور على نحو ما أشرت إليه، كما أخرجت عددًا من الشعراء جمع بعض العلماء أشعارهم في ديوان، وقد طبع في القاهرة ديوان شعراء هذيل. ويفيدنا شعر هؤلاء الشعراء بالطبع في الوقوف على لهجة هذه القبيلة [1321].

هذيل تقول: اللذون في الرفع ومن العرب من يقول: اللذو ومنهم من يقول: الذي [1322].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ (البقرة: 18)؛أي: إلى الحق لسابق علم الله تعالى فيهم يقال: رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره وهذيل تقول: أرجعه غيره وقوله تعالى: ﴿يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ (سبأ: 31)؛ أي: يتلاومون فيما بينهم حسب ما بينه التنزيل في سورة سبأ [1323]. هي صيغة ذكرها القرطبي لهذيل تقول: أرجعَه غيره.

« وقرأ الجحدري هدي وهو لغة هذيل يقولون: هدي وعصي ومحي وأنشد النحويون لأبي ذؤيب يرثي بنيه:

سبقوا هوي واعنقوا لهواهم *** فتخرموا ولكل جنب مصرع [1324]

قال النحاس: وعلة هذه اللغة عند الخليل و سيبويه أن سبيل ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها فلما لم يجز أن تتحرك الألف» [1325] « أبدلت ياء وأدغمت» [1326]. أكثر ما عرفت به هذيل: عصيَّ، هويَّ) تشديد ياء النسبة.

[1321] جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج16، ص251.
[1322] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 193.
[1323] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 325.
[1324] ديوان أبي ذؤيب الهذلي، ص 49.
[1325] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص 48.
[1326] سيبويه الكتاب، ج2، ص 223.

حتى يقولا نصب بحتى فلذلك حذفت منه النون ولغة هذيل وثقيف عتى بالعين غير المعجمة [1327].

رُوي عن عمر أنه سمع رجلًا يقرأ: "عَتَّى حِينٍ" ، فقال: مَن أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيًّا، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام [1328].

وهي قراءة من القراءات الشاذة وقد مر هذا في الرسالة في ابدال العين من الحاء .

قال أبو الفتح: العرب تُبْدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج، كقولهم: بُخْثِر ما في القبور؛ أي: بعثر، وضبعت الخيل؛ أي: ضبحت، وهو يُحنْظِي ويُعَنْظِي: إذا جاء بالكلام الفاحش، فعلى هذا يكون عتَّى وحتَّى؛ لكن الأخذ بالأكثر استعمالًا، وهذا الآخر جائز وغير خطأ [1329].

وقد ذكر القرطبي الحادثة التي فتحت باب الدرس الغوي عند العرب، ومنه توالت علوم اللغة قال سعيد بن المسيب: بينما عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال: يا أيها الناس ما تقولون في قول الله ﷻ: (أو يأخذهم على تخوف) فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين التخوف التنقص فخرج رجل فقال: يا فلان ما فعل دينك ؟ قال: تخوفته أي تنقصه فرجع فأخبر عمر فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم ؟ قال نعم قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه:

تخوف الرحل منها تامكا قردا *** كما تخوف عند النبعة السفن [1330]

[1327] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص 288.

[1328] ابن جني المحتسب، ج1، ص343.

[1329] ابن جني المحتسب، ج1،ص343.

[1330] نسبه القرطبي، والأزهري في تهذيب اللغة، ج7، ص594، لابن مقبل وهو في ديوانه تح: عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت لبنان، ط1416،1ه1995م، ص273، ونسبه الجوهري في الصحاح لذي الرمة جاءت بلفظ (السير عوض الرحل- ظهر عود عوض) تخوَّف السيرُ منها تامِكاً قَرِدًا *** كما تَخَوَّفَ ظهر النَّبْعة السَّفَنُ، ص284.

وقرا ابن أبي إسحاق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري و محيي، وقرأ الحسن ﴿عَصَایَ﴾ بكسر الياء لالتقاء الساكنين ومثل هذا قراءة حمزة بمصرخي﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ (إبراهيم: 22).[1331] «قرأ حمزة بكسر الياء، و وافقه الأعمش كما أجازها الفراء و أبو عمرو بن العلاء، و هي لغة بني يربوع، إذ الكسر عندهم مطرد في الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم في حالة الوصل، و قد قال القاسم بن ممن عن هذه القراءة (إنها صواب)»[1332].

لقد تفوقت لغة هذيل على باقي لغات القبائل أنها كانت أول من اعتمد في بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم (تخوّف، عزين، أبًّا...).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ (القصص:32)، والرهان اليد والعصا وقرأ ابن كثير: بتشديد النون وخففها الباقون وروى أبو عمارة عن أبي الفضل عن أبي بكر عن ابن كثير (فذانيك) بالتخفيف والياء وعن أبي عمرو أيضا قال لغة هذيل:(فذانيك) بالتخفيف والياء ولغة قريش (فذانك) كما قرأ أبو عمرو و ابن كثير[1333].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الرحمن: 33)، والأرجاء النواحي والأقطار بلغة هذيل وأحدها رجا مقصور وتثنيه رجوان مثل عصا وعصوان[1334].

قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة (لما) بتشديد الميم أي ما كل نفس إلا عليها حافظ وهي لغة هذيل يقول قائلهم : نشدتك لما قمت الباقون بالتخفيف على أنها زائدة مؤكدة[1335].

[1331] الجامع لأحكام القرآن، 14، ص 42.
[1332] الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1، ص 187.
[1333] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص 279.
[1334] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص 231.
[1335] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص 205.

وقد مرّت (لما) بين التخفيف والتثقيل وهذيل تثقّلها (لمَّا).

إن للغة هذيل حضور قوي في القراءات، وخاصة أن "عبد الله بن مسعود" هذلي، وكان النبيﷺ يمدح قراءته.

فلغة هذيل من اللهجات القوية التي أولاها علماء اللغة أهمية خاصة.

المطلب الثاني: لغة قيس:

قيس قبيلة كبيرة من بطونها: عبس، وذبيان، وعطفان، وعدوان، وهوازن، وسليم، وثقيف، وعامر بن صعصعة، ونمير، وجعدة، وقشير، وعقيل. وكانت هذه القبائل في نجد وأعالي الحجاز، وقد نبغ فيها جماعة من فحول الشعراء، منهم النابغتان، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن زهير ابنه، ولبيد، والحطيئة، والشماخ، وأخوه "مزرد"، وخداش بن زهير، وعنترة العبسي وغيرهم. وعندهم أن أشعر قيس الملقبون من بني عامر والمنسوبون على أمهاتهم من غطفان. وقد جعل "زيدان" عدد شعراء الجاهلية بالنظر إلى القبائل، كانت قيس أكثرها شعراء، تلبها اليمن فربيعة، فمضر فقريش فقضاعة فإياد [1336]. إن لغة قيس المراد بها غالبا القبائل القيسية المقيمة في العالية بين نجد والحجاز ، لأنها كانت موضع اهتمام اللغويين دون سائر القيسية [1337].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (الأنعام: 79) ، قال القرطبي: اسم (ما) وخبرُها. وإذا وقفتَ قلت: (أنا) زدتَ الألفَ لبيان الحركة، وهي اللُّغة الفصيحةُ. وقال الأخفشُ:« ومِن العرب مَن يقول: (أنَ)» [1338]. وقال الكسائي: ومن العرب مَن يقول: (أنَهْ) ثلاثُ لغات. وفي الوصل أيضًا

[1336] جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 17،ص434.

[1337] مختار الغوث، لغة قريش، ص19.

[1338] مكي، الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص306.

ثلاث لغاتٍ: أن تُحذَف الألف في الإدراج، لأنَّها زائدة لبيان الحركة في الوقف. ومن العرب من يُثبِت الألفَ في الوصل[1339]، كما قال الشاعر:

أَنَا سَيْفُ العشِيرةِ فاعرِفوني.[1340]

وهي لغةُ بعض بني قيس وربيعةَ،«عن الفرَّاء: ومن العرب من يقول في الوصل: آن فعلت، مثل: عان فعلت. حكاه الكسائيُّ عن بعض قُضاعة» [1341].

وفي (أنا) ذكر القرطبي وجوها للغات كثيرة منها ما فيه الإبدال (آن) تصبح (عان)عند قضاعة، ومن العرب من يحذف الألف فيقول (انَ) وذكر الكسائي أن قيس وربيعة يثبتون الألف في الوصل (أنا).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ (الأنفال: 61)، وقرأ الجمهور: (فاجنَح) بفتح النون وهي لغة تميم. وقرأ الأشهب و العقيلي: (فاجنُح) بضم النون، وهي لغة قيس. قال ابن جني: وهذه اللغةُ هي القياس [1342].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴾ (مريم: 88) ما لغتان مثل:العرب والعرب والعجم

﴿وَوَلَدًا﴾ بضم الواو والباقون بفتحها واختلف في الضم والفتح على وجهين: أحدهما:

أنهما لغتان معناهما واحد يقال ولد وولد كما يقال عدم وعدم وقال الحارث بن حلزة:

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا ... قَدْ ثَمَّرُوا مَالًا وَوُلْدًا [1343]

[1339] ابن جني، المنصف، ج1،ص9.

[1340] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 442. والطبري في تفسيره، ج 18، ص24. و ابن منظور، في لسان العرب، ج 13،ص37. والزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص287.

[1341] الأزهري، تهذيب اللغة، ج15، ص569.

[1342] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص 63.

[1343] ديوان الحارث بن حلزة، جمعه وحققه إميل وديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 1411هـ1991م، ص46.

وَقَالَ آخَرُ:

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ... وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وُلْدَ حِمَار [1344]

والثاني: أن قيسا تجعل الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا قال الماوردي : وفي قوله تعالى: ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ (مريم: 77) وقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي وعاصم وخلف: " وُلْدًا" بضم الواو وإسكان اللام، والباقون في الكل بالفتح في الواو واللام .

وَقَالَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ النَّابِغَةُ:

مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ... وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ [1345]

ففتح، وقيس يجعلون الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا[1346].

فكل العرب لغتها في (ولد) فتح الواو واللام، وأما قيس فلغتهم بضم الواو وإسكان اللام (وُلْد)، وهنا يظهر التنوع في الاداءات، وقد بقيت هذه اللغة في صعيد مصر، يقولون : اعز من الوُلْد ولدْ الوُلدْ.

المطلب الثالث: لغة أسد:

أسد: بطن من عنز، لهم طلعان، وهو واد كثير المزارع، أسد بن الحارث:فخذ من الأزد من القحطانية، وهو أسد بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء ... من غسان من الأزد [1347].

[1344] ذكره الطبري في تفسيره،ج18،ص247. وابن كثير في تفسيره، ج5 ص230 .و ابن منظور في لسان العرب، ج 3، ص468 . والأزهري في تهذيب اللغة، ج14، ص126. ونسبه شارح كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت (محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423 هـ، 2002 م، إلى النافع بن الصفار الأسلمي يهجو فيه الأخطل، لكن لم نقف عليه فيما أتيح لنا من مراجع بين أيدينا.

[1345] ديوان النابغة الذبياني، ص 16.

[1346] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 519-520.

[1347] كحالة عمر بن رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج 1، ص21.

وَفِي مَذْحِج قَبائلُ بني أَسَد، منهمْ أَسَد بن مُسلِيةَ بن عَامر بن عَمْرو. وأَسَد بن عَبْد مناةَ بن عَائِذِ الله بن سَعدِ العَشِيرَةِ. وأَسَد بنُ مرّيْن صدَاءٍ. وَفِي قُريش أَسدُ بن عبد العُزَّى. وَفِي الأَزْد أَسدُ بن الحارِث بن العَتِيك. وأَسَدُ بن شَرِيك بن مَالك بن عَمْرو [1348].

أسَد بن خُزيمة بطن كبير متسع ذو بطون، وبلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طيّئ: قبيلة عظيمة من العدنانية، تنتسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وهي ذات بطون كثيرة، منها بنو كاهل، بنو غنم بن دودان بن أسد، بنو ثعلبة بن دودان بن أسد، بنو عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وفي بني أسد بطون يطول ذكرها [1349].

«وأسد قبيلة لها بطون كثيرة أشهرهم بنو غنم بن دروان وبنو العيداء بن عمرو بن قعين، وبنو فقمس بن طريف بن عمرو بن قعيس، وبنو دبير بن مالك بن عمرو بن تعين ابن الحارث بن ثعلبة بن رودان بن أسد بن خزيمة وبنو مالك بن ثعلبة بن رودان بن أسد بن خزيمة» [1350].

بنو - أسد - بطن من شنؤة من أزد من القحطانية [1351]، وهم بنو أسد بن عايد بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك ابن نضر وهو شنؤة. بنو أسد - بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو أسد بن وبرة ابن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة» [1352].

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)، عطف جملة على جملة وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش: نستعين بكسر النون وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة، قال الفرّاء: « تميم وقيس وأسد وربيعة

[1348] الزبيدي، تاج العروس،ج7، ص 388.

[1349] ابن خلدون، المقدمة(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دت)،(دط). ج2، ص 382.

[1350] كحالة عمر رضا، معجم القبائل العربية، ج4، ص174.

[1351] القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،ج1، ص39.

[1352] علي ناصر غالب، اللهجات العربية، لهجة قبيلة أسد، ص17، معلقا على انفراد القلقشندي بذكر نسبها قضاعة من القحطانية .

يكسرون علامات المستقبل إلّا الياء، فيقولون إستعين ونستعين ونحوها، ويفتحون الياء لأنها أخت الكسرة. وقريش وكنانة يفتحونها كلّها وهي الأفصح والأشهر» [1353].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ (البقرة: 24) جواب فإن لم تفعلوا، أي: اتقوا النار بتصديق النبي ﷺ وطاعة الله تعالى...ويقال: إن لغة تميم وأسد فتقوا النار [1354] وحكى سيبويه :« تقى يتقي مثل قضى يقضي» [1355].برزت لغة أسد في قراءة (نِسْتعين) ممثلة الجانب البدوي في اللهجات العربية، وكلمة (فتَّقوْا) مثال جيد للأداء الصوتي للقبيلة البدوية.

قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾(الأعراف:59) الكسائي و الفرَّاء أجَازا نصب (غير) في كل موضع يحسن فيه (إلاّ)؛ تَمَّ الكلام أو لم يتمَّ. فأجازا: ما جاءني غيرَك. قال الفرَّاء:«هي لغةُ بعض بني أَسَد وقُضَاعَة » [1356]وأنشد:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غيْرَ أنْ هَتَفَتْ *** حمامَةٌ في سَحُوقٍ ذاتِ أوْقَالِ [1357].

قال الجندي« نسب ابن خلويه القراءة بالنصب لتميم، بينما نسب الفراء هذه القراءة إلى بعض بني أسد و قضاعة. و قد نقل رأي الفراء صاحب التصريح أيضا. كما نسبها الجوهري إلى شهل وقضاعة، و بعض بني أسد عندما ذكر أن هذه القبائل تنصب (غير) إذا كان بمعنى (إلا) سواء تم الكلام قبله أم لا. و شهل و قضاعة قبائل قحطانية. غربية كما أن تميما و بعض أسد قبائل شرقية» [1358].

[1353] الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 427هـ) ،الكشف والبيان عن تفسير القرآن تح: الإمام أبي محمد بن عاشور،دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1 ،1422، هـ - 2002 م ج1ص118.

[1354] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص353.

[1355] سيبويه، الكتاب، ج4، ص56.

[1356] معاني القرآن، الفراء، ج1، ص282.

[1357] ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي، دراسة وجمع وتح: حسن محمد باجورة، دار التراث القاهرة مصر، (د ت)، ص85.

[1358] الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1، ص 65، 66.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: 2) ومن قال: (يِيْجَل) بكسر الياء فهي على لغة بني، أسد فإنّهم يقولون: أنَا إِيْجَلُ، ونَحن نِيْجل، وأنت تِيْجل؛ كلُّها بالكسر. ومن قال: (يَيْجَلُ) بناهُ على هذه اللغة، ولكنّه فَتحَ الياء كما فتحوها في يَعلم، ولم تُكسر الياء في يَعلم لاستثقالهم الكسرَ على الياء. وكُسِرت في (يِيْجل) لِتقوّى إحدى الياءَين بالأخْرَى. والأمرُ منه (إِيجَلْ) صارت الواو ياءً لكسرة ما قَبلها وتقول: إِنّي منه لأَوْجَل. ولا يقال في المؤنَّث: وَجْلاء: ولكن وَجِلة. وروى سفيان عن السُّدي في قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال:2)، قال: اذا أراد أن يظلم مَظْلَمَة قِيل له: اتَّقِ الله، كَفَّ ووَجِل قَلبُه [1359].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ (الأنبياء: 81)، عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصفا وعصوف وفي لغة بني أسد [1360]. قال الفراء وقوله: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ، منصوبة عَلَى: وسخرنا لسليمان الريح. وهي منصوبة في الأنبياء (وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ عاصِفَةً) أضمر: وسَخَّرنا- والله أعلم- وقد رفع عَاصِم - فيما أعلم- (وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ) لَما لَمْ يظهر التسخير أنشدني بعضُ العرب:

ورأيتم لِمُجاشعٍ نَعَمًا *** وبني أبيه جَامِلٌ رُغُب [1361]

يريد:« ورأيتم لبني أبيه، فلما لَمْ يظهر الفعل رُفع باللام» [1362].

[1359] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص449.

[1360] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص255.

[1361] ذكره أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت 350هـ) معجم ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1424 هـ - 2003 م ج1 ص 358. و النيسابوري في التفسير البسيط ج18، ص329.

[1362] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص356.

تصبح (ولسليمان الريحُ عاصفةً) على الابتداء قال أبو حيان: والرفع على الابتداء وعاصِفَةً حَالٌ الْعَامِلُ فِيهَا سَخَّرْنَا فِي قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ الرِّيحَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْجَارُّ فِي قِرَاءَةِ مَنْ رَفَعَ ... وَلُغَةُ أَسَدٍ أَعْصَفَتْ فَهِيَ مُعْصِفٌ وَمُعْصِفَةٌ» [1363].

القرطبي أضاف لبني أسد (عصوف) وأبو حيان أضاف لها (أعصفت) تكون أعصفت الريح فهي عصوف .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ (العاديات:9)؛ أي ابن آدم ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أي أثير وقلب وبحث فأخرج ما فيها قال أبو عبيدة بعثرت المتاع: جعلت أسفله أعلاه وعن محمد بن كعب قال: ذلك حين يبعثون الفرَّاء:« وسمعت بعض أعراب بني أسد، وقرأها فَقَالَ:«بحثر»وهما لغتان: بحثر،وبعثر»[1364]وحكاه الماوردي عن ابن مسعود وهما بمعنى ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (العاديات: 10) [1365].

المبحث الثالث: لغة طيء و لغة ربيعة و لغة هوازن

المطلب الأول: لغة طيء

طيء«قبيلة عظيمة من كهلان، من القحطانية، تنتسب إلى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. بطونهم: تتفرع من بني طي بطون وأفخاذ عديدة، منها: بنو جديلة، وهي أمهم، وهم جندب، وحور يعرفون بأمهم، بنو رومان، بنو جدعاء بن رومان، الثعالب، بنو قسيم الذين يقال لهم: مصابيح الظلام، بنو علوة، بنو زنمة بن عمرو، بنو لام بن عمرو بن ظريف، بنو أشنع بن عمرو، بنو مصاد، بنو حجيّة، بنو قرواش، ثعلب، سلامان، جزول، بنو بختر، بنو عنين، بنو عتود،

(1363) أبو حيان ، البحر المحيط ،ج7، ص457
(1364) معاني القرآن الفراء ج3 ص286
(1365) الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص441.

بنو فرير، بنو سلسلة، بنو دغش، بنو هذمة بن عنّاب، بنو شمّر (الذين ذكرهم امرؤ القيس)، بنو سنبس، بنو شمجى، بنو نبهان بن عمرو، بنو نابل، بنو المشر، بنو الصامت، بنو بولان، وبنو صيفي.

كانت منازلهم باليمن، فخرجوا منه على أثر خروج الأزد منه على أثر خروج الأزد منه، ونزلوا سميراء وفيد، في جوار بني أسد، ثم غلبوهم على أجأ وسلمى، وهما جبلان من بلادهم، فاستقروا بهما، ثم ورثت من بلاد أسد بلادهم، فيما وراء الكرخ، من أرض غفر، ثم ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة، والكوفة، واليمامة، وورثوا غطفان ببطن مما يلي وادي

ومن منازل طيء وبلدانهم: القريّات وهي: دومة، وسكاكة، والقارة، وظريب، ومحضر، وتيماء.

وبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب سنة تسع، ومعه ماية وخمسون من الأنصار، ليهدم صنم الفلس، وكان بنجد، تعبده طيء، فهدمه، وغنم سبيا ونعما وشاه .

وقدم على الرسول (ص) وفد من طيء فيه زيد الخيل بن مهلهل سنة تسع، وهو سيدهم فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا، وحسن إسلامهم، وقال عليه الصلاة والسلام: ما ذكرني رجل من العرب بفضل، ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه سما زيد الخير. ولما ارتدت العرب تمسكت طيء بالإسلام»[1366].

« وأما "بعض الطائيين" الذين أخذ عنهم علماء العربيةِ العربيةَ، فقد نص العلماء على أسمائهم حين استشهدوا بشعر شعرائها. وطيئ، من القبائل اليمانية في عرف النسابين. وهم من القبائل القديمة التي كان لها شأن يذكر قبل الإسلام، بدليل أن "بني إرم" والفرس، أطلقوا على العرب عمومًا كلمة "طيايه" "طيايو" من أصل "طيء" اسم هذه القبيلة. وأن العبرانيين أطلقوا "طبعًا" "ط ي ي ع ا"، "طيايا" "طياية" في مرادف "عرب" مما يدل على أنها كانت أقوى قبائل العرب قبل الإسلام بزمن طويل، وربما كان هذا شأنهم قبل الميلاد »[1367].

(1366) كحالة عمر بن رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج2، ص301.
(1367) جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام،ج 16، ص223.

جاء ذكر لغة طيء في مواقع من القراءات كثيرة .قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: 275) القراءات قرأ الجمهور: (مَا بَقِيَ) بتحريك الياء، وسكَّنها الحسن؛ ومثلُه قولُ جرير:

هو الخَليفَةُ فَارْضَوْا مَا رَضِيْ لَكُمُ *** مَاضِي الْعزِيمَةِ مَا في حُكْمِه جَنَفُ [1368].

وقال عمر بن أبي ربيعة:

كَمْ قَد ذَكَرتُكِ لَوْ أُجْزَى بِذكرِكُمُ *** يا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بالقَمَرِ

إنِّي لأجْذَلُ أنْ أَمْشِي مُقَابِلَهُ *** حُبًّا لرُؤيَة مَن أَشْبَهْتِ في الصُّوَرِ [1369].

أصلهُ (مَا رضِيَ) و (أنْ أَمشِيَ) فأسْكنها وهو في الشعر كثيرٌ. ووجهُه أنّه شبّه الياء بالألف فكما لا تَصلُ الحركة إلى الألف، فكذلك لا تصلْ هنا إلى الياء. ومن هذه اللغة: أحِبُّ أن أدْعُوْك، وأشْتهِي أن أقْضِيْكَ، بإسكان الواو والياء. وقرأ الحسن: (مَا بَقَى) بالألف وهي لغة طَيِّي يقولون للجارية: جاراة، وللناصية: ناصاة؛ وقال الشاعر:

لَعمرُكَ لاَ أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَا بَقَىْ *** عَلى الأَرْضِ قَيْسِيٌّ يَسُوقُ الأَبَاعِرَا [1370].

ولعل هذه اللغة في طي فقط إذ يقولون(بقى) بالألف ويجعلون الياء ألفا في جارية (جاراة) وناصية (ناصاة).

(يس) أمير على سائر السور مشتمل على جميع القرآن ثم اختلفوا فيه أيضا فقال سعيد بن جبير و عكرمة: هو بلغة الحبشة وقال الشعبي : هو بلغة طي، الحسن: بلغة كلب الكلبي: هو بالسريانية [1371].

[1368] شرح ديوان جرير، ص390.

[1369] شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي،محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط1371،1ه1952م، ص116.

[1370] أبو زيد الأنصاري، كتاب النوادر، تح: محمد عبد القادر أحمد، ص 279.

[1371] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص408 -409.

الآية وقال: ﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ﴾ (القمر: 12) والالتقاء إنما يكون في اثنين فصاعدا لأن الماء يكون جمعا وواحدا وقيل لأنهما لما اجتمعا صارا ماء واحدا وقرأ الجحدري (فالتقى الماءان) وقرأ الحسن فالتقى الماوان وهما خلاف المرسوم القشيري وفي بعض المصاحف فالتقى الماوان وهي لغة طيء [1372].

قال ربنا : ﴿ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾ (الإنسان: 13) وقال ثعلب : الزمهرير القمر بلغة طيء قال شاعرهم:

وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر [1373].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى: 3) أي ما أبغضك ربك منذ أحبك وترك الكاف لأنه رأس آية والقلى : البغض فإن فتحت القاف مددت تقول قلاه يقليه قلى وقلاء كما تقوله قريت الضيف أقريه قرى وقراء ويقلاه لغة طيء وأنشد ثعلب:

أَيَّامَ أُمِّ الغَمْرِ لا نَقْلاها [1374]

أي لانبغضها ونقلي أي نبغض قال:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة *** لدينا ولا مقلية إن تقلت [1375].

[1372] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص82.

[1373] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص471.وذكره أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (ت 390هـ)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م، ص727.

[1374] ديوان أبي النجم العجلي، ص 450، والشطر الثاني من البيت (أَيَّامَ أُمِّ الغَمْرِ لا نَقْلاها*** وَلَوْ تَشاءُ قُتِلَتْ عَيْناها)

[1375] ديوان كثير عزة، جمعه و حققه إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت لبنان، ط1، 1391هـ-1971م، ص101.

المطلب الثاني: لغة ربيعة:

«نسبة إلى ربيعة ابن نزار بن سعد بن عدنان، وقد سكنت ربيعة بين اليمامة والبحرين والعراق، وقد سكنت بين اليمامة والبحرين والعراق، فكانت منازلهم من بلاد نجد وتهامة، إلا أن الحروب اجتاحت بني ربيعة ،فتفرقت وسكنت البحرين وهجر ونجد والحجاز»[1376].

تحظى قبائل ربيعة بمكانة بارزة بين القبائل العربية، فهم الفرع الثاني لقبائل عدنان إذ ينقسم الفرع العدناني إلى قسمين؛ ربيعة ومضر فقد نصت كتب الأنساب على أنهم بنو ربيعة بن نزار بن معد بن أد بن أدد[1377].

ذكرت المعاجم العربية أن لفظة(ربيعة) تأتي لعدة معان منها:(الروضة والمزادة والعتيدة وبيضة السلاح)[1378].

« قبيلة كبيرة كانت منتشرة في المنتفق بلواء العمارة وفي ألوية أخرى كالبصرة والحويزة، ولواء الكوت وفي الجهة الشرقية من بغداد وفي الجهة الغربية منها.

ومن عشائر ربيعة: المياح، السراي، (السراج) الكريش (القريش)، المقاصيص، جنانة (كنانة)، الدفافعة، ربيعة، بنو ويس، والأنباريون.

وإمارة ربيعة بالعراق تعد من أفضل الأمارات العربية في قدرتها ومنعتها وكفاءة أمرائها. »[1379].

حكى الخليل عن قوم: الساعقة (بالسين) وقال أبو بكر النقاش : يقال صاعقة وصعقة وصاعقة بمعنى واحد وقرأ الحسن: من الصواقع (بتقديم القاف) ومنه قول أبي النجم :

[1376] كحالة عمر رضا، قبائل العرب القديمة والحديثة، ج2، ص 224.

[1377] مثنى فؤاد الخالدي، لهجة ربيعة وأثرها في الدراسات اللغوية والقرآنية، دار المؤمون للنشر والتوزيع. (د ت)، (د ط)، ص 10.

[1378] لسان العرب، مادة ربع، وينظر: لهجة ربيعة، ص12.

[1379] كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج4،ص205.

يحكون بالمصقولة القواطع *** تشقق البرق عن الصواقع [1380].

قال النحاس:« وهي لغة تميم وبعض بني ربيعة ويقال: صعقتهم السماء إذا ألقت عليهم الصاعقة» [1381]، والصاعقة أيضا صيحة العذاب [1382].قال الله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ (فصلت: 17) .قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ (القصص: 63) لفظ مبني على الكسر ولغة تميم وبعض قيس وأسد فيه القصر قال الأعشى:

هؤلاء ثم هؤلاء كل أعطيـ ... ت نعالا محذوة بمثال [1383]

﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (النساء: 164) قراءة الجماعة وقرأ الأعمش كلم الله على جمع كلمة قال سيبويه:« وأعلم أن ناسا من ربيعة يقولون منهم بكسر الهاء إتباعا لسر الميم ولم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم كلام الله مفعول بـ يسمعون والمراد السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره» [1384].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ (الأنعام: 79)؛ أي: قصدتُ بِعبَادَتِي وتَوْحِيدِي لله ﷻ وحدَه. وذَكَر الوجه؛ لأنَّه أظهرُ ما يُعرفُ به الإنسان صاحبُه ﴿حَنِيفًا﴾ (الأنعام: 161)، مائلاً إلى الحق. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ اسم (ما) وخبرُها. وإذا وقفتَ قلت: (أنا) زدتَ الألفَ لبيان الحركة، وهي اللُّغة الفصيحةُ. وقال الأخفشُ: ومِن العرب مَن يقول:« (أنَ) » [1385]. وقال الكسائي: ومن العرب مَن يقول: (أنَهْ) ثلاثُ لغات. وفي الوصل أيضًا ثلاث

[1380] الفضل بن قدامة (ت 130هـ)، ديوان أبي النجم العجلي، ص 268.

[1381] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص34.

[1382] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص501.

[1383] ديوان الأعشى الكبير- ميمون بن قيس، ص11، جاءت بلفظ : هؤلى ثم هؤلى كلا اعـ....طيت نعالا مجذوة بمثال

[1384] سيبويه، الكتاب، ج4، ص196.

[1385] ابن جني، المنصف، ج1، ص9.

لغاتٍ: أن تُحذَف الألف في الإدراج، لأنَّها زائدة لبيان الحركة في الوقف. ومن العرب من يُثبِت الألفَ في الوصل، كما قال الشاعر:

أَنَا سَيْفُ العشِيرةِ فاعرِفوني.[1386]

وهي لغةُ بعض بني قيس وربيعةَ.[1387]

قال القرطبي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾ (العاديات: 6) وقد روي عن ابن عباس أيضا أنه قال : الكنود بلسان كندة وحضرموت : العاصي وبلسان ربيعة ومضر: الكفور وبلسانه كنانة: البخيل السيء الملكة وقاله مقاتل وقال الشاعر:

كنود لنعماء الرجال ومن يكن *** كنودا لنعماء الرجل يبعد [1388].

المطلب الثالث: لغة هوازن:

«وهَوازِنُ: قَبِيلَةٍ مَنْ قِيسٍ وَهُوَ هَوَازِنُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ عِكرمة بْنِ حَفْصَةَ بْنِ قَيْسِ عَيْلانَ» [1389].

وهَوْزَن: اسْم طَائِر، وَالْجمع هَوازن. وَقَالَ فِي الْإِمْلَاء: وَبِه سُمِّي هَوازن أَبُو هَذِه الْقَبِيلَة من قيس.

وَبَنُو هَوْزَن: بطن من الْعَرَب من ذِي الكَلاع وهوازن: قَبيلَة عَظِيمَة »[1390].

[1386] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 442. والطبري في تفسيره، ج 18، ص24. و ابن منظور في لسان العرب، ج 13، ص37. و الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص287.

[1387] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 441-442.

[1388] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص437.و الشوكاني في الفتح القدير،ج 5،ص589. و أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، ج 10، ص527.

[1389] ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص 436.

[1390] بن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987م، ج2، ص1177.

« وذكر أهل الأخبار أن "خالد بن جعفر بن كلاب"، و"عروة الرحال بن عتيبة بن جعفر" و"الأحوص بن جعفر"، و"عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب"، هم أربعة اجتمعت عليهم "هوازن" ولم تجتمع "هوازن" كلها في الجاهلية إلا على هؤلاء الأربعة، وهم كلهم من "بني جعفر بن كلاب، مما يدل على صعوبة انقياد عشائر "هوازن" لزعامة رجل واحد» [1391].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (الرعد: 31)؛ قال الفرَّاء:(قلى

قال الكلبيّ:« (ييئس) بمعنى يعلم، لغة النَّخَع» [1392]. وحكاه القُشيريّ عن ابن عباس؛ أي: أفَلَم يعلمُوا، وقاله الجوهريُّ في الصحاح. وقيل: هو لغة هَوَازِن؛ أي: أفلم يعْلم [1393].هما كلمتان (ثُلُث ويبأس) آداءان صوتيان تشترك معها فيهما النخع وهذيل .

المبحث الرابع: لغة أزد و لغة حمير

المطلب الأول: لغة أزد

«وأَزدُ شَنُوءَةَ، قَبِيلَةٌ مِن اليَمن» [1394] « فأمّا الأزد فبطن عظيم متّسع وشعوب كثيرة، فمنهم بنو دوس من بني نصر بن الأزد وهو دوس بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد بطن كبير، ومنهم كان جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وديارهم بنواحي عمان، وكان بعد دوس وجذيمة ملك بعمّان في إخوانهم بني نصر بن زهران بن كعب » [1395].

[1391] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص346

[1392] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص64

[1393] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص72.

[1394] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص102.

[1395] ابن خلدون، المقدمة، ج20، ص303.

«أزد شنوءة، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نضر بن الأزد»[1396].

« بنو شنؤة - ويقال لهم شنؤة باسم أبيهم، بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو نصر بن الأزد، والأزد قد تقدم نسبه عند ذكره في حرف الألف فيما يقال فيه بنو فلان في الألف واللام مع الزاي، وبنو شنؤة هم الذين يقال لهم أزد شنؤة. بنو شنؤة - بطن من بني راشد من لخم من القحطانية، مساكنهم بالبر الشرقي من صعيد مصر بين ترعة شريف إلى مصرة بوش» [1397].

« ويصنف النَّسَّابون قبائل الأزد جميعها في أربعة أصناف من الأزد، هي: أزد عمان وأزد السراة وهم الذين أقاموا في سراة اليمن، وأزد شنوءة أبناء كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وهم من سكنة السراة كذلك، وأزد غسان وهم من شرب من ماء غسان3. ويلاحظ أن هذا التصنيف مبني على أسماء مواضع نزلت فيها قبائل الأزد» [1398].

اشتهر الأزد، ولا سيما أزد السراة، بالفصاحة والبيان، حتى عدهم بعض العلماء من أفصح القبائل العربية. قال الخليل بن أحمد: "أفصح الناس أزد السراة".

وقال أبو عمرو بن العلاء: "كنا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح الناس تميم وقيس وأزد السراة وبنو عذرة".

وقال أيضاً: "أفصح الناس أهل السروات، وهي ثلاث: وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن، أولها هذيل، وهي التي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة، وهي السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد أزد شنوءة، وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد") [1399].

[1396] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 17، ص430.

[1397] نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكُتَّاب اللبنانين، بيروت، ط2، 1400 هـ - 1980 م، ج1،ص308.

[1398] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 8، ص 33.

[1399] قشاش أحمد بن سعيد، الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم كتب اللغة، العدد (117)، 1422هـ - 2002م، ص428.

قال القرطبي في قوله ﷻ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة: 82) قال ابن عباس تجعلون شكركم تكذيب. وذكر الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان ما شكره [1400].

وقرأ طلحة بن مصرف وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهما دمت بكسر الدال وهما لغتان والكسر لغة أزد السراة من دمت تدام مثل خفت تخاف وحكى الأخفش دمت تدوم شاذا [1401].

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ (يوسف: 31)، أي: هيَّأت لهنَّ مجالسَ يتَّكِئْنَ عليها. قال ابن جبير: في كلِّ مجلس جَامٌ فيه عسل وأُتْرُجٌّ وسكِّين حادّ. وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير: (مُتْكًا) مخفَّفًا غيرَ مهموز، والمُتْك هو الأَتْرُجُّ بلغة القبط. وكذلك فسره مجاهد، روى سفيان، عن منصور عن مجاهد قال: المُتَّكأ مثقَّلاً: الطعام، والمُتْك مخفَّفًا: الأتْرُجّ؛ وقال الشاعر:

نَشْربُ الإثْمَ بالصُّواعِ جِهَارًا *** وترَى المُتْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعارَا [1402].

وقد تقول أَزْد شنُوءة : الأُترجَّة: المُتْكَة [1403].

(الأترجة) قبطية لأن القصة حدثت في مصر.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ (النحل: 47)، وقال لبيد: تخونها نزولي وارتحالي؛ أي: تنقص لحمها وشحمها وقال الهيثم بن عدي : التخوف (بالفاء) التنقص لغة لأزد شنوءة وأنشد :

تخوف غدرهم مالي وأهدى *** سلاسل في الحلوق لها صليل [1404].

[1400] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص225.

[1401] الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص114.

[1402] ذكره الشوكاني في الفتح القدير، ج 3، ص26. و الزبيدي، في تاج العروس، ج27، ص328. والماوردي في النكت و العيون، ج3، ص32.

[1403] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص329، 330.

[1404] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص331. تفسير الطبري، ج 17، ص 214. تفسير بن عطية، ج 3، ص396.

قوله تعالى : ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾(ص: 5) مفعولان أي صير الآلهة إلها واحدا ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص: 5) قال الجوهري: العجيب الأمر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه وكذلك الأعجوبة وقال مقاتل: (عجاب) لغة أزد شنوءة [1405].

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (الدخان: 54)؛ أي قرناهم بهن قال يونس بن حبيب تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلام العرب تزوجت بامرأة قال وقول الله ﷻ ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ أي قرناهم بهن من قول الله تعالى ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ (الصفات: 22) أي وقرناءهم وقال الفرَّاء تزوجت بامرأة لغة في أزد شنوءة [1406].

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم: 9)؛ أي قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة أزد شنوءة أيضا . [1407]

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: 82)، قال ابن عباس: تجعلون شكركم التكذيب وذكر الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان ؟ أي ما شكره وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره [1408].

المطلب الثاني: لغة أهل حمير:

« عَرَبُ الْيَمَنِ وَهُمْ حِمْيَرُ فَالْمَشْهُورُ أَنهم من قحطان، واسْمه مهزم» [1409].

[1405] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص132-133.

[1406] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص58.

[1407] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص19-20.

[1408] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص196.

[1409] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1395 هـ - 1976 م، ج1، ص3.

«وقد عرف الحميريون عند أهل الأخبار أكثر من بقية الشعوب العربية الجنوبية الأخرى التي نتحدث عنها، وقد جعلوا "حميرًا"، وهو جد الحميريين »[1410].

« ولَدَ حِمْيَرُ بنُ سَبَإٍ الهَمَيْسَعَ، ومالِكاً، وزَيْداً، وعَرِيباً، وواثِلاً ومَسْرُوحاً، وعَمي كَرِبَ، ودَوْماً، وأَوْسَاً ومُرَّةَ، رَهْطَ مَعْدِ يَكرَبَ بنِ النُّعْمَانِ، وهُمْ بحَضْرَ مَوْتَ، انْتَهَى، قلتُ: وَفِي المُقَدِّمَةِ الفاضِلِيَّةِ: فولَدَ حِمْيَرُ بنُ سَبَإٍ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطَانَ مالِكاً: بَطْنٌ وعامِراً بَطْنٌ، وعَوْفاً أَبْطُنٌ، وسَعْداً) بَطْنٌ، وواثِلَةَ وهَيْسَعاً: قَبِيلَةٌ، وعَمْراً وفيهِ البَيْتُ والعَدَد، وأَعْقَبَ هَمَيْسَعٍ من ولَدِه: أَيْمَنَ بنَ هَمَيْسَعٍ، وهُوَ جَدُّ ذِي رُعَيْنٍ، وعَلَيْهِ أَكْثَرُ العُلَمَاءِ والعَمَلُ، وَكَذَا التَّبابِعَةُ يُنْسَبُونَ إِلَى أَيْمَنَ بنِ هَمَيْسَعٍ، وفيهِ خِلافٌ» [1411].

وحمير معناها اليمن حيث الحضارة والتفوق، فألفاظ حمير في القراءات القرآنية لا تشبه ألفاظ اللغات الأخرى.

قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ (النساء: 3)، عال الأمر اشتد وتفاقم حكاه الجوهري وقال الهروي[1412] في غريبة: وقال أبو بكر : يقال عال الرجل في الأرض يعيل فيها أي ضرب فيها وقال الأحمر[1413]: يقال عالني الشيء يعيلني عيلا ومعيلا إذا أزعجك و أما عال كثر عياله فذكره الكسائي و أبو عمر الدوري و ابن الأعرابي [1414] قال الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة

[1410] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص164.

[1411] الزَّبيدي، تاج العروس، ج22، ص409.

[1412] الْهَرَوِيّ هو أَحْمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابْن أبي عبيد أَبُو عبيد الْعَبْدي الْمُؤَدب الْهَرَوِيّ الفاشاني بِالْفَاءِ صَاحب كتاب الغريبين وَرَوَاهُ عَنهُ أَبُو عَمْرو عبد الرَّحْمَن بن أَحْمد المليحي، كَانَ من الْعلمَاء الْأَكَابر ذكره ابْن الصّلاح فِي طَبَقَات الشَّافِعِيَّة وَله كتاب وُلَاة هراة وَتُوفِّي سنة إِحْدَى وَأَرْبَعمِائَة، الوافي بالوفيات، ج8، ص76.

[1413] الأحمر سليمان بن حيان الأزدي أبو خالد الأحمر الكوفي الجعفري روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وداود بن أبي هند وغيرهم . وروى عنه أحمد وإسحاق وابنا أبي شيبة وآدم بن أبي إياس. قال ابن أبي مريم عن ابن معين ثقة وقال أبو حاتم صدوق، مات سنة تسع وثمانين ومائة. ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب، ج4، ص182.

[1414] أبو واقد ابن الإعرابي الليثي، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر، وتوفي سنة (68هـ)، تهذيب التهذيب، ج12، ص270.

[1415]: العرب تقول عال يعول وأعال يعيل أي كثر عياله وقال أبو حاتم: كان الشافعي أعلم بلغة العرب منا ولعله لغة قال الثعلبي المفسر: قال أستاذنا أبو القاسم بن حبيب: سألت أبا عمر الدوري عن هذا وكان إماما في اللغة غير مدافع فقال : هي لغة حمير وأنشد:

وإن الموت يأخذ كل حي *** لا شك وإن أمشى وعالا [1416].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ (هود: 91)، قال النّحاس:« وحكى أهلُ اللُّغة أنَّ حِمْيَر تقول للأعمى: ضعيفا؛ أي: قد ضعف بذهاب بصره، كما يقال له: ضرير؛ أي: قد ضُرَّ بذهاب بصره، كما يقال له: مكفوفٌ؛ أي: قد كُفَّ عن النظر بذهاب بصره » [1417].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ قيل: إنما كان يكال به لعزة الطعام والصاع يذكر ويؤنث فمن أنثه قال: أصوع مثل أدور ومن ذكره قال أصوع مثل أثواب وقال مجاهد وأبو صالح : الصاع الطرجهالة بلغة حمير وفيه قراءات: « (صواع) قراءة العامة و(صوغ) بالغين المعجمة وهي قراءة يحيى بن يعمر قال : وكان إناء أصيغ من ذهب (وصوع) بالعين غير المعجمة قراءة أبي رجاء العطاردي (وصوع) بصاد مضمومة وواو ساكنة وعين غير معجمة قراءة أبي (وصياع) بياء بين الصاد والألف قراءة سعيد بن جبير(وصاع) بألف بين الصاد والعين وهي قراءة أبي هريرة » [1418].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (يوسف: 81)؛ أي لم نعلم وقتَ أخَذْناه منكَ أنَّه يَسْرق فلا نأخذه. وقال مجاهد وقتادة: ما كنَّا نَعلم أنَّ ابنكَ يُسترقُّ ويَصير أمرُنا إلى هذا، وإنَّما قلنا: نَحفظُ أخانا فيما نُطيق. وقال ابن عباس: يَعنون أنّه سَرَق ليلاً وهم نيام. والغيبُ هو

[1415] علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي ولاء، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، أخذ عن حمزة وغيره من قراء الكوفة والبصرة توفي سنة (189هـ)، غاية النهاية، ج1، ص535/540.

[1416] الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص41.

[1417] النحاس، معاني القرآن، ج3، ص376.

[1418] الفراء، معاني القرآن، ج2،ص51

الليلُ بلغة حِمْيَر؛ وعنه: ما كنَّا نَعلم ما يَصنع في ليلِه ونهارِه وذهابِه وإيابِه. وقيل: ما دام بمرأًى منَّا، لم يَجْرِ خَلَلٌ، فَلَمَّا غاب عنَّا خفيت عنَّا حالاته. وقيل معناه: قد أُخِذت السَّرِقةُ مِن رَحْله، ونحن أَخرجناه وننظرُ إليها، ولا عِلْمَ لنا بالغيب، فلعلهم سَرَّقوه ولم يَسرِقْ [1419].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ (النحل: 66) (نُّسْقِيكُمْ) قراءة أهل المدينة وابن عامر، وعاصمٍ في رواية أبي بكر: بفتح النون، مِنْ سَقَى يَسْقى. وقرأَ الباقُونَ وحفصٌ عن عاصم بضم النونِ، من أَسْقَى يُسْقِي وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة قيل: هما لغتان وقال لبيد:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقَى*** نَمَيْرًا والقَبَائلَ مِن هِلالِ [1420]

وقيل: يُقال لما كان من يدكَ إلى فيه: سَقيتُه، فإذا جعلت له شُرْبًا، أو عَرَّضتَه لأَن يَشْرَبَ بفِيهِ، أو بزرعه، قلت: أَسقيتُه، وقرأت فرقةٌ: (تسقِيكم) بالتاء، وهي ضعيفة، يعني: الأنعامَ، وقُرِئَ باليَاء؛ أي: يَسقِيكم الله ﷻ. والقُراء على القراءتين المتقدِّمتين، ففتحُ النونِ لغة قريش، وضمُّها لغة حِمير [1421]. قوله : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ﴾ (الأنبياء: 37) قال أبو عبيدة وكثير من أهل المعاني : العجل الطين بلغة حمير

وأنشدوا : والنخل ينبت بين الماء والعجل [1422].

[1419] الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص426.

[1420] ديوان لبيد ابن ربيعة، ص168.

[1421] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص350.

[1422] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص204.وذكره أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت 150هـ)- مقاتل - في تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط1، - 1423 هـ ج3 ص 98. والشوكاني في الفتح القدير،ج3 ص481. والشطر الأول من البيت (وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ مُنْبِتَةٌ... وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الماءِ وَالْعَجَل).

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ (القصص: 32) الآية تقوم القول فيه ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ قال بعض أهل المعاني: الرهب الكم بلغة حمير وبني حنيفة قال مقاتل: سألتني أعرابية شيئا وأنا آكل فملأت الكف وأومأت إليها فقالت: هاهنا في رهبي تريد في كمي وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول لآخر أعطني رهبك فسألته عن الرهب فقال: الكم فعلى هذا يكون معناه اضمم إليك وأخرجها من الكم لأنه تناول العصا ويدته في كمه، قال الزَّمَخْشَرِيُّ: «وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ الرَّهْبَ الْكُمُّ بِلُغَةِ حِمْيَرَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَعْطِنِي مِمَّا فِي رَهْبِكَ، وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ صِحَّتُهُ فِي اللُّغَةِ! وَهَلْ سُمِعَ مِنَ الْأَثْبَاتِ الثِّقَاتِ الَّذِينَ تُرْتَضَى عَرَبِيَّتُهُمْ، ثُمَّ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَوْقِعُهُ فِي الْآيَةِ، وَكَيْفَ تَطْبِيقُهُ الْمُفَصَّلُ كَسَائِرِ كَلِمَاتِ التَّنْزِيلِ، على أن موسى صلوات عَلَيْهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ لَيْلَةَ الْمُنَاجَاةِ إِلَّا زُرْمَانِقَةً « الزرمانقة: جبة من صوف وهي عجمية معربة. » مِنْ صُوفٍ لَا كُمَّيْنِ لَهَا»[1423].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ (القصص: 82) أي صاروا يتندمون علي ذلك التمني ﴿يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ (القصص: 82)، [وي] حرف تندم قال النحاس:« أحسن ما قيل في هذا قول الخليل و سيبويه و يونس و الكسائي إن القوم تنبهوا أو نبهوا فقالوا وي والمتندم من العرب يقول في خلال تندمه وي »[1424].

قال الجوهري:« وي كلمة تعجب ويكأن الله قال الخليل: هي مفصولة تقول: (وي) ثم تبتدئ فتقول:(كأن) »[1425] قال الثعلبي: وقال الفرَّاء وقوله:« وَيْكَأَنَّ اللَّهَ فِي كلام العرب تقرير. كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله.

[1423] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص278.
[1424] النحاس إعراب القرآن، ج3، ص167.
[1425] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، ص2532.

وأنشدني:

ويكأن من يكن له نشب يح *** بب ومن يفتقر يعش عيش ضُرّ [1426]

قَالَ الفراء: وأخبرني شيخ من أهل البصرة قَالَ: سمعت أعرابية تَقُولُ لزوجها: أين ابنك ويلك؟ فقال: ويكأنه وراء البيت. معناهُ: أما ترينه وراء البيت. وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان يريد وَيْكَ أَنَّهُ، أراد ويلك، فحذف اللام وجعل (أنّ) مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قَالَ: ويلك أعلم أَنَّهُ وراء البيت، فأضمر (أعلم) . ولم نَجد العرب تُعمل الظن والعلم بإضمار مضمر فِي أنّ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يبطل إِذَا كَانَ بين الكلمتين أو فِي آخر الكلمة، فلمّا أضمره جرى مَجْرَى الترك ألا ترى أَنَّهُ لا يَجوز فِي الابتداء أن تَقُولَ: يا هَذَا أنك قائم، ولا يا هَذَا أن قمت تريد: علمت أو أعلم أو ظننت أو أظن. وأمّا حذف اللام من (ويلك) حَتَّى تصير (ويك) فقد تقوله العرب لكثرتها فِي الكلام . وقد قَالَ آخرون: إن معنى (وَيْكَأَنَّ) أنّ (وَيْ) منفصلة من (كأنّ) كقولك للرجل: وَيْ، أمَا ترى ما بين يديك، فقال: وَيْ، ثُمَّ استأنف (كأن) يعني (كأن الله يبسط الرزق) وهى تعجّب، و (كأنّ) فِي مذهب الظن والعلم. فهذا وجه مستقيم. ولم تكتبها العرب منفصلة» [1427].

وقال قطرب: إنما هو ويلك وأسقطت لامه وضمت الكاف التي هي للخطاب إلى وي وقال عنترة :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها *** قول الفوارس ويك عنتر أقدم [1428].

وأنكره النحاس وغيره وقالوا: إن المعنى لا يصح عليه لأن القوم لم يخاطبوا أحدا فيقولوا له ويلك ولو كان كذلك لكان إنه بالكسر وأيضا فإن حذف اللام من ويلك لا يجوز وقال بعضهم: التقدير ويلك

[1426] مقال-زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره، أيهم عباس القيسي كلية الآداب جامعة بغداد، مجلة المورد المجلد التاسع سبتمبر 2013 ص 5 تاريخ الزيارة 2018/07/24 الساعة 02:50صباحا .
https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:saP0r1wa7yoJ:https://archive.org/details/Pdfarabic52+&cd=1&hl=fr&ct=clnk&gl=dz .وذكره الطبري في تفسيره،ج19، ص634. وابن منظور في لسان العرب، ج15، ص 418، وقد نسبه لزيد بن عمرو بن نقيل مرة والى نبيه بن الحجاج مرة أخرى ولكن لم نقف عليه لدى هذا الأخير.

[1427] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص312.

[1428] شرح ديوان عنترة الخطيب التبريزي، شرح مجيد طور، ص 184.

أعلم أنه فأضمر اعلم ابن الأعرابي: (ويكأن الله) أي أعلم وقيل: معناه ألم تر أن الله وقال القتبي: معناه رحمة لك بلغة حمير وقال الكسائي: وي فيه معنى التعجب ويروى عنه أيضا الوقف على وي وقال كلمة تفجع ومن قال: ويك فوقف على الكاف فمعناه أعجب لأن الله يبسط الرزق وأعجب لأنه لا يفلح الكافرون وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب لا اسما لأن وي ليست مما يضاف وإنما كتبت متصلة لأنها لما كثر استعمالها جعلت ما بعدها كشيء واحد [1429].

والمسناة هي التي يسميها أهل مصر الجسر فكانوا يفتحونها إذا شاؤوا فإذا رويت جنتاهم سدوها قال الهروي : المسناة الضفيرة تبنى للسيل ترده سميت مسناة لأن فيها مفاتح الماء وروي أن العرم سد بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام وهو المسناة بلغة حمير بنته بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامة وهي الشدة ومنه: رجل عارم أي شديد وغزمت العظم أعرمه وأعرمه عرما إذا عرقته وكذلك عرمت الإبل الشجر أي نالت منه والغرام بالضم: العراق من العظم والشجر وتعرمت العظم تعرقته وصبي عارم صبين الغرام (بالضم) أي شرس وقد عرم يعرم ويعرم عرامة (بالفتح) والعرم [1430].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (ص: 36) أي أراد قاله مجاهد والعرب تقول: أصاب الصواب وأخطأ الجواب أي أراد الصواب وأخطأ الجواب قاله ابن الأعرابي وقال الشاعر:

أَصَابَ الْكَلَامَ فَلَمْ يستطع *** وفأخطأ الْجَوَابَ لَدَى الْمَفْصِلِ [1431].

وقيل: أصاب أراد بلغة حمير وقال قتادة: هو بلسان هجر وقيل: < حيث أصاب > حينما قصد وهو مأخوذ من إصابة السهم الغرض المقصود [1432].

[1429] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص325. ص327.

[1430] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص293- 294.

[1431] ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان عن تفسير القرآن ج 8 ص 211 .وابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4 ص506.

[1432] الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص208.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ (النجم: 61) أي لاهون معرضون عن ابن عباس رواه الوالبي و العوفي عنه وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة حمير يقال سمد لنا أي عن لنا فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا وقال الضحاك سامدون شامخون متكبرون وفي الصحاح: سمد سمودا رفع رأسه تكبرا وكل رافع رأسه فهو سامد قال:

سوامد الليل خفاف الأزود [1433].

والسامد من حروف الأضداد ذكر ذلك الأنباري في (الأضداد)

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ (الرحمان: 12) الحب الحنطة والشعير ونحوهما والعصف التبن عن الحسن وغيره مجاهد ورق الشجر والزرع ابن عباس : تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح سعيد بن جبير بقل الزرع أي أول ما ينبت منه وقاله الفراء والعرب تقول: «خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه قبل أن يدرك»[1434]. وكذا في الصحاح: وعصفت الزرع أي جززته قبل أن يدرك وعن ابن عباس أيضا العصف ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس نظيره ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ (الفيل: 5) الجوهري: « وقد أعصف الزرع وكان معصف أي كثير الزرع» [1435] قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري :

إذا جمادى منعت قطرها *** زان جنابي عطن معصف والعصف [1436]

[1433] ديوان رؤبة بن العجاج، تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، دار قتيبة للطباعة و النشر، الكويت، دون سنة نشر، ص39.وتمام البيت الشطر الأول(قلص تقليص النعام الوخاد***.....)

[1434] معاني القرآن، الفراء، ج3، ص113.

[1435] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ح4، ص1404.

[1436] ديوان أبي قيس صيفي بن الاسلت الأوسي الجاهلي،تح: و جمع حسن محمد باجورة، ص82.

أيضا الكسب ومنه قول الراجز:

بغير ما عصف ولا اصطراف [1437].

وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل وقال الهروي: والعصف والعصيفة ورق السنبل وحكى الثعلبي وقال ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا *** حَدُورُهَا مِنْ أَتِيِّ الْمَاءِ مَطْمُومُ [1438].

وفي الصحاح: والجل بالكسر قصب الزرع إذا حصد والريحان الرزق عن ابن عباس و مجاهد الضحاك هي لغة حمير [1439].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (الواقعة: 89) وقراءة العامة (فروح) بفتح الراء ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا وقال الحسن: الروح الرحمة الضحاك: الروح الاستراحة القتبي: المعنى له في القبر طيب نسيم وقال أبو العباس بن عطاء: الروح النظر إلى وجه الله والريحان الاستماع لكلامه ووحيه ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (الواقعة: 89) هو ألا يحجب فيها عن الله ﷻ وقرأ الحسن و قتادة و نصر بن عاصم و الجحدري و رويس و زيد عن يعقوب (فروح) بضم الراء ورويت عن ابن عباس قال الحسن : الروح الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم و [قالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبي ﷺ (فروح) بضم الراء ومعناه فبقاء له وحياة في الجنة وهذا هو الرحمة]

[1437] ابن منظور في لسان العرب، ج9، ص190 نسبه للعجاج، و لكن بالمتابعة لديوان العجاج راوية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: عبد الحفيظ السطلي في جزئين، مكتبة الأطلس، دمشق، سوريا، (دت)، لم نقف عليه. وذكره الفارابي في معجم ديوان الأدب،ج2، ص 412. و الطبري في تفسيره، ج8، ص211. و شطر البيت الأول(قَدْ يَكْسِبُ المَالَ الهِدَانُ الجَافِي ... بِغَيْرِ لا عَصْفٍ وَلا اصْطِرَافِ)

[1438] شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل رواية الأعلم الشمنتري، تح: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ1993م، ص35.

[1439] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص120- ص121.

(وريحان) قال مجاهد و سعيد بن جبير: أي رزق قال مقاتل: هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه قال النمر بن تولب:

سلام الإله وريحانه*** ورحمته وسماء درر [1440].

فقال: ﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ﴾ (المطففين: 9)؛ أي مكتوب كالرقم في الثوب لاينسى ولا يمحي وقال قتادة : مرقوم أي مكتوب رقم لهم بشر لا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وقال الضحاك : مرقوم : مختوم بلغة حمير وأصل الرقم: الكتابة، قال :

سأرقم في الماء القراح إليكم ***على بعدكم إن كان للماء راقم [1441].

هي مادة لغوية لهجية دسمة لدراسة لهجات تميم ولهجات الحجاز وإن كانت تميم تُنعت بالبداوة دائما والمظاهر اللهجية التي تميزت بها تُفسر وتعلل دائما بمسألة الانتماء البدوي وأن طبيعة البيئة جعلت منهم يتخيرون هذا المنهج النطقي الموسوم بالبداوة.

والملاحظ على هذا العرض لمواطن اللهجات وبيان لغاتها عند القرطبي أنها لم تكن كلّ لهجة مستقلة بذاتها، وإنما هناك تداخل وتمازج، وهناك أيضا تغاير وتمايز، مثل لغة حمير فهي مميزة بألفاظها على عكس اللغات الأخرى.

(1440) ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح وتح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 64.
(1441) ديوان أوس بن حجر، ص116.

الفصل الثاني:

اللهجات الأقل ورودا في الجامع

المبحث الأول: لغة بكر و لغة كنانة و لغة قضاعة.

المطلب الأول: لغة بكر

المطلب الثاني: لغة كنانة.

المطلب الثالث: لغة قضاعة.

المبحث الثاني: لغة لخم و لغة جذام و لغة اليمن

المطلب الأول: لغة لخم

المطلب الثاني: لغة جذام

المطلب الثالث: لغة اليمن

المبحث الثالث: لغة خزاعة و لغة ثقيف و لغة مضر.

المطلب الأول: لغة خزاعة

المطلب الثاني: لغة ثقيف

المطلب الثالث: لغة مضر.

المبحث الرابع: لغة مذحج و لغة عقيل و لغة حوران و لغة نجد

المطلب الأول: لغة مذحج

المطلب الثاني: لغة عقيل

المطلب الثالث: لغة حوران

المطلب الرابع: لغة نجد

أما اللهجات التي قلّ ذكرها في الجامع فهي لغات لقبائل ذات شأن وعظمة، ولكن ما صعب عليّ في هذا البحث هو جعل اللهجات التي يجمعها أصل واحد؛ فالقبائل بطون وأفخاذ ولذلك تكررت النصوص، لأنها كالأسر في العائلة الواحدة. ولا سبيل إلى جعل الظاهرة اللغوية منتمية بالضرورة إلى لهجة بعينها، لأن طبيعة العربية الواسعة التي تضم تحت جناحيها كلَّ ما نطق به العربي، فيكون اللفظ مثلا مرة حجازيا، ومرّة قرشيا؛ وقريش من الحجاز، وكذلك ثقيف وثقيف من الحجاز، وما عملته أنني جمعت النصوص بالنظر إلى اسم اللهجة ونسبتها إلى قبيلتها فتكررت النصوص، ولا مناص.

المبحث الأول: لغة بكر و لغة كنانة و لغة قضاعة.

إن لغة القرطبي لها من الوضوح ما يجعل نصوصه كافية مكتفية، ولذلك قد وصلت إلى تدوين النصوص وعرضها وتحقيقها.

المطلب الأول: لغة بكر:

«قبيلة من بكر بن وائل، من العدنانية. تنتسب إلى تيم بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد ربيعة بن نزار»[1442].

«قبيلة بكر بن وائل الكبيرة التي كانت تمتد فروعها وبطونها في شرق الجزيرة من وادي الفرات إلى اليمامة. ومن أهم هذه الفروع والبطون شيبان ويشكر وعجل، ثم حنيفة وقيس بن ثعلبة وكانتا تنزلان في اليمامة، وتتشعب قيس شعبًا أهمها مالك بن ضبيعة ومن عشائرهم بنو عبدان وبنو كعب، وربيعة بن ضبيعة ومن بيوتاتهم بنو جَحْدر، وسعد بن ضبيعة»[1443].

اختلف القراء في قراءة ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ فقرأ أهل المدينة وأبو عمرو والأعمش وعبد الله بن أبي إسحاق: آنذرتهم بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية واختارها الخليل وهي لغة قريش وسعد بن بكر، وقال سيبويه: « ومن العرب ناسٌ يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا

[1442] كحالة عمر بن رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج1، ص139.

[1443] شوقي ضيف (ت 1426هـ)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، (دت)، ص333

التقاء همزتين ففصلوا، كما قالوا: اخشينان ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة. قال ذو الرمة:

فيا ظَبْيَةَ الوَعْسَاء بين جلاجلٍ *** وبين النَّقا آأنت أمْ أمُّ سالم[1444]

فهؤلاء أهل التحقيق. وأمَّا أهل الحجاز فمنهم من يقول: آأنّك وآأنت، وهي التي يختار أبو عمرو، وذلك لأنهم يخففون الهمزة والذي كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزتين فكرهوا التقاء الهمزة والذي هو بين بين فأدخلوا الألف كما أدخلته بنو تميم في التحقيق.

ومنهم من يقول: إن بني تميم الذين يدخلون بين الهمزة وألف الاستفهام ألفاً، وأمَّا الذين لا يخففون الهمزة فيحققونها جميعاً ولا يدخلون بينهما ألفاً. وإن جاءت ألف الاستفهام وليس قبلها شيءٌ لم يكن من تحقيقها بدٌّ وخفَّفوا الثانية على لغتهم »[1445] .

وقال آخر:

تطاللت فاستشرفته فعرفته *** فقلت له آنت زيد الأرانب.[1446]

وقد مرّ الحديث عن الهمزة، حيث أن أهل الحجاز يميلون إلى تخفيفها وتسهيلها والتميميون يحققونها، وقد ألّف عبد الصبور شاهين كتابه "القراءات القرآنية من منظور علم اللغة الحديث" وكانت الهمزة أكبر القضايا التي شغلته، لعله يجد تفسيرا لظاهرة اختلاف الهمز وعدم استقرار الظاهرة علة حالة واحدة، فتنوعت القراءات بسبب الهمز، ومردّ ذلك في الأخير إلى طبيعة اللهجات العربية، فلكل قبيلة لحنها الذي ارتضته وسارت عليه وشبّ عليه ناسها في بيئتهم. ولذلك شواهد الاختلاف اللهجي على رأسه الهمز.

[1444] ديوان ذي الرمة أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي،ج2، ص767.

[1445] سيبويه، الكتاب، 3ج، ص551.

[1446] ديوان ذي الرُّمة، والبيت في ملحقه، ج3، ص 1849.

﴿يَسْتَحِي﴾ أصله يستحي عينه ولامه حرفا علة أعلت اللام منه بأن استثقلت الضمة على الياء فسكنت واسم الفاعل على هذا : مستحيي والجمع مستحيون ومستحيين وقرأ ابن محيصن يستحى بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة وروي عن ابن كثير وهي لغة تميم وبكر بن وائل نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت ثم استثقلت الضمة على الثانية فسكنت فحذفت إحداهما للالتقاء [1447].

قال القرطبي في قوله تعالى::﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 75) وقرأ ابن وثاب والأشهب و العقيلي من إن تيمنه على لغة من قرأ نستعين وهي لغة بكر وتميم [1448].

المطلب الثاني: لغة كنانة:

« كنانة نسبة إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن نزار بن معد بن عدنان، ومضاربهم حول مكة المكرمة، ومن بطونها غفار وإليها ينسب أبو ذر الغفاري و نهض قصي بن كلاب فتزعم قريشًا، وجمع شملها ووحد بطونها المتفرقة في قبيلة كنانة »[1449].

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ (البقرة: 57) اختلف في السلوى فقيل : هو السمانى بعينه قاله الضحاك قال ابن عطية : السلوى طير بإجماع المفسرين وقد غلط الهذلي فقال :

وقاسمها بالله جهدا لأنتم*** ألذ من السلوى إذا ما نشورها [1450]

[1447] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص283.

[1448] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص363.

[1449] تاريخ العرب القديم توفيق برو، دار الفكر، ط2، 1422هـ/ 2001م، ص171.

(1450) ديوان الهذليين، الشعراء الهذليون، محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1385 هـ - 1965 م، ج 1، ص 158. و البيت في الديوان الهذليين منسوب لأبي ذؤيب الهذلي،ونسبه ابن منظور في لسان العرب لخالد بن زهير الهذلي،ج 14، ص396.

ظن السلوى العسل.

قلت: ما ادعاه من الإجماع لا يصح وقد قال المؤرخ احد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل واستدل ببيت الهذلي وذكر أنه كذلك بلغة كنانة سمي به لأنه يسلى به ومنه عين السلوان[1451] وأنشد:

لو أشرب السلوان ما سليت*** ما بي غنى عنك وإن غنيت[1452]

وقال الجوهري:« السلوى العسل » وذكر بيت الهذلي :

ألذ من السلوى إذا ما نشورها[1453].

ولا ضير أن (السلوى) يكون معناه العسل، ويكون معناه طير السمّان، فقد عرفت العربية المشترك اللفظي وهو أن يكون في اللفظ الواحد معنيان اثنان أو أكثر كلّ ينتمي إلى قبيلة من القبائل، فهو بلهجتها، فاللهجات العربية هي أكبر روافد المشترك، وما توصّل العلماء إلى دراسة المشترك إلا عندما نظروا في اللهجات العربية، واستخرجوا منها الظواهر الغوية الكثيرة، الترادف، المشترك، التضاد... .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ (العاديات: 6)، هذا جواب القسم أي طبع الإنسان على كفران النعمة قال ابن عباس: ﴿لَكَنُود﴾ جحود لنعم الله وكذلك قال الحسن وقال يذكر المصائب وينسى النعم أخذه الشاعر فنظمه:

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي فِعْلِهِ *** وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى مَنْ ظَلَمْ

[1451] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص120.

[1452] ديوان رؤبة بن العجاج.والبيت الوارد في تفسير القرطبي في أصل الديوان بين البيت تم دمجهم معا، البيت الأول شطره جاء في الصفحة 25 بدايته (عهدك والعهد الذي رضيت *** لَوْ أَشْرَبُ السُّلْوَانَ مَا سَلَيْتُ)، و البيت الثاني شطره جاء في الصفحة 26 تمامه (مَا بِي غِنًى عَنْكِ وإن غنيت***لو أنني صممت أو عميت).

[1453] ديوان الهذليين، الشعراء الهذليون، ج 1ص 158.

إِلَى مَتَى أَنْتَ وَحَتَّى مَتَى*** تَشْكُو الْمُصِيبَاتِ وَتَنْسَى النِّعَمْ! [1454]

وروى أبو أمامة الباهلي: قال : قال رسول الله ﷺ: (الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده) [1455]، و روى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: (من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده) [1456]. أخرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وقد روي عن ابن عباس أيضا أنه قال: الكفور وبلسانه كنانة: البخيل السيء الملكة وقاله مقاتل وقال الشاعر :

كنود لنعماء الرجال ومن يكن *** كنودا لنعماء الرجل يبعد [1457].

المطلب الثالث: لغة قضاعة :

« بنو قضاعة - قبيلة من حمير من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قضاعة، وهم بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير هذا هو المشهور فيه .وذهب بعض النسابين إلى أن قضاعة من العدنانية، ويقولون هو قضاعة ابن معد بن عدنان» [1458].

[1454] ديوان محمود الوراق شاعر الحكمة والموعظة، جمع ودراسة وتح: وليد قصاب، طباعة مؤسسة الفنون عجمان الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1412هـ 1991م، ص 176.

[1455] البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (ت 256هـ)، ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1419 هـ - 1998 م، ص 35، جاء في باب سوء الملكة،[قال الشيخ الألباني] : ضعيف موقوفا وروي عنه مرفوعا بسند واه جدا.

[1456] ذكره الطبري، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1415 هـ - 1994 م، ج10، ص318.

والترميذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ،تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ج3، ص72. و محمد ناصر الدّين الألباني في ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، مكتبَة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421 هـ - 2000 م،ج2، ص221.

[1457] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص437. الشوكاني في الفتح القدير، ج 5، ص589. وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط،ج 10، ص527.

[1458] أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط2، 1400 هـ - 1980 م، ج1، ص400.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ (الأنعام: 79)؛ أي: « قصدتُ بِعبَادَتِي وتَوْحِيدِي لله ﷻ وحدَه».[1459] وذَكَر الوجه؛ لأنَّه أظهرُ ما يُعرفُ به الإنسان صاحبُه ﴿حَنِيفًا﴾ (الأنعام: 161)، مائلاً إلى الحق. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ « اسم (ما) وخبرُها. وإذا وقفتَ قلت: (أنا) زدتَ الألفَ لبيان الحركة »[1460] وهي اللُّغة الفصيحةُ. وقال الأخفشُ: ومِن العرب مَن يقول: (أنَ). وقال الكسائي: ومن العرب مَن يقول: (أنَهْ) ثلاثُ لغات. وفي الوصل أيضًا ثلاث لغاتٍ: أن تُحذَف الألف في الإدراج، لأنَّها زائدة لبيان الحركة في الوقف. ومن العرب من يُثبِت الألفَ في الوصل، كما قال الشاعر:

أَنَا سَيْفُ العشِيرةِ فاعرِفوني.[1461]

عن الفرَّاء: «ومن العرب من يقول في الوصل: آن فعلت، مثل: عان فعلت. حكاه الكسائيُّ عن بعض قُضاعة»[1462] فقضاعة أبدلت الهمزة عينا، وهي ظاهرة لهجية مذكورة في المذموم من اللغات، ولديها بقايا في صعيد مصر، حيث يقولون في سؤال، سُعال.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ (الأعراف: 59) برفع غيره قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم وحمزة أي ما لكم إليه غيره نعت على الموضع وقيل : غير بمعنى إلا أي ما لكم من إله إلا الله قال أبو عمرو : ما أعرف الجر ولا النصب وقرأ الكسائي بالخفض على الموضع ويجوز النصب على الاستثناء وليس بكثير غير أن الكسائي و الفراء أجازا نصب غير في كل موضع يحسن فيه إلا تم الكلام أو لم يتم فأجازا : ما جاءني غيرك قال الفرَّاء:«هي لغة بعض بني أسد وقضاعة »[1463]. وأنشد :

[1459] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 1، ص 268.

[1460] النحاس، إعراب القرآن، ج 2، ص 18.

[1461] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 442. والطبري في تفسيره، ج 18، ص24. و ابن منظور في لسان العرب، ج 13، ص37. و الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص287.

[1462] الأزهري، تهذيب اللغة، ج15، ص569.

[1463] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص382.

لم يمنع الشرب منها غير أن هتفت *** حمامة في سحوق ذات أوقال [1464]

المبحث الثاني: لغة لخم و لغة جذام و لغة اليمن

المطلب الأول: لغة لخم

« "لخم" وهي قبائل بعضها عدنانية وبعضها قحطانية في اصطلاح أهل النسب، و"لخم" أبناء "عدي بن الحارث بن مرة بن كهلان" » [1465].

قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾ (الأنعام: 151)، الإملاق: الفقرُ؛ أي: لا تَئِدُوا - من الموؤودة - بناتِكم خشيةَ العَيْلَة، فإنِّي رازقُكم وإيَّاهم. وقد كان منهم من يفعلُ ذلك بالإنَاث والذكورِ خشية الفقر، كما هو ظاهرُ الآية. أَمْلقَ؛ أي: افتقر. وأملَقه؛ أي: أفقره؛ فهو لازمٌ ومتعدّ. وحكى النقَّاش عن مُؤَرِّج (ابن عمرو أبو فيد السدوسي) أنه قال: الإملاقُ: الجوعُ بلغة لَخْم. وذكر منذر بنُ سعيد أنّ الإملاقَ: الإنفاقُ يقال: أملَقَ ماله بمعنى أنفقَه. وذُكر أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال لامرأته: أَمْلقِي من مالك ما شئت. « ورجلٌ مَلِقٌ: يُعطِي بلسانه ما ليس في قلبه» [1466].

فالمَلَق لفظٌ مشتركٌ [1467]، ففي لغة لخم الإملاق هو الجوع، على ما قاله القرطبي.

المطلب الثاني: لغة جذام:

«اسم "جذام" الحقيقي في رأيهم "عمرو". وتقع أرض جذام في الأقسام الجنوبية من بلاد الشام، وتصل إلى "أيلة" ثم تمتد مع الساحل حتى تبلغ "ينبع"ويرجع بعض النسابين نسب جذام إلى اليمن، ويرجعها بعض آخر إلى مضر، وعُدوا في القحطانيين.» [1468].

[1464] ديوان أبي قيس صيفي بن الاسلت الأوسي الجاهلي، ص85.
[1465] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج2، ص120.
[1466] ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص347.
[1467] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص107.
[1468] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج7، ص 245.

«ومساكن جذام بين مدين وتبوك، فإلى أذرح، وقال الهمذاني ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن» [1469].

«بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مرّة ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. منهم بنو حرام، وبنو حشم، ومنهما تفرعت جذام. كانت تنزل جذام بجبال حسمى، ومساكنها بين مدين إلى تبوك، فالي أذرح، ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن، إلى اللّجون واليامون، إلى ناحية عكا.

وجذام أول من سكن مصر من العرب، حين جاءوا في الفتح مع عمرو بن العاص» [1470]

« ومن بطون جذام: "بنو ضبيب، وبنو مخرمة، وبنو بعجة، وبنو نفاثة، وديارهم حوالي أيلة من أول أعمال الحجاز إلى ينبع من أطراف يثرب. » [1471]

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ﴾ (القصص: 11)؛ أي بعُد قالَه مجاهد، ومنه الأجنبي، قال الشاعر :

فلا تحرمني نائلا عن جنابة *** فإني امرؤ وسط القباب غريب [1472]

وأصله عن مكان جنب وقال ابن عباس:(عن جنب) أي عن جانب وقرأ النعمان بن سالم: (عن جانب) أي عن ناحية وقيل:عن شوق وحكى أبو عمرو بن العلاء أنها لغة لجذام يقولون:جنبت إليك أي اشتقت [1473]، ذكر القرطبي أن الجنب هو الشوق في لغة جذام.

[1469] علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1، ص42

[1470] كحالة عمر بن رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،ج1، ص174.

[1471] المصدرالسابق، ج8، ص 53.

[1472] ديوان علقمة بن عبدة الفحل، ص 31.

[1473] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص242.

المطلب الثالث: لغة اليمن:

قال الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قُدُومُ الْأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ الْيَمَنِ ثُمَّ رَوَى مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ[1474]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ " رواه البخاري[1475] وَمُسْلِمٌ[1476] مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ.

«وتنتسب قبائل كثيرة من اليمن إلى كهلان بن سبأ، وبقيت بطون كهلان في حكمهم في اليمن. نجد النَّسَّابين يقسمون أبناء سبأ إلى قسمين: حضر، وهم في رأيهم أبناء حمير، وأهل وبر أو متزعمون لأهل الوبر وهم من نسل كهلان »[1477].

قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ (الأنبياء: 98) لما أنزلت شق على كفار قريش وقالوا: شتم آلهتنا وأتوا ابن الزبعري[1478] وأخبروه فقال: لو حضرته لرددت عليه قالوا: وما كنت تقول ؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد عزيرا أفهما من حصب جهنم ؟ فعجبت قريش من مقالته ورأوا أن محمدا قد خصم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 101) وفيه نزل

[1474] أَبُو صَالِح: ذَكْوَان السمان، مولى جويرية بنت الْحَارِث الْغَطَفَانِي الْمَدِينِيّ. سمع: أَبَا هُرَيْرَة، وَأَبَا سعيد. روى عَنهُ: عَطاء بن أبي رَبَاح، وَعَمْرو بن دِينَار، وَالزهْرِيّ،وغيرهم. قال محمد بن سعد: سنة ثلاث ومائة. وقال الهيثم: سنة أربعة ومائة.(فتح الباب في الكنى والألقاب أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت 395هـ)تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر - السعودية - الرياض، ط1، 1417هـ - 1996م، ص429.

[1475] صحيح البخاري رقم 3499، ج4، ص 179.

[1476] لا يوجد الحديث من طريق شعبة بل من طريق سعيد بن المسيب في صحيح مسلم، رقم 52، ج 1، ص 73.

[1477] جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص 23.

[1478] عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَيِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَيِّ هُوَ الشَّاعِرُ الَّذِي كَانَ يَهْجُو أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُحَرِّضُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي شَعْرِهِ وَيُهَاجِي حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَغَيْرَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَسِيرُ مَعَ قُرَيْشٍ حَيْثُ سَارَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ)، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك] تح: ودراسة: عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1416 هـ،ص391.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا﴾ (الزخرف : 57) يعني ابن الزبعري ﴿ إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف: 57) بكسر الصاد أي يضجون، الثانية : هذه الآية أصل في القول بالعموم وأن له صيغا مخصوصة خلافا لمن قال : ليست له صيغة موضوعة للدلالة عليه وهو باطل بما دلت عليه هذه الآية وغيرها فهذا عبد الله بن الزبعري قد فهم﴿ مَّا ﴾ في جاهليته جميع من عبد ووافقه على ذلك قريش وهم العرب الفصحاء واللسن البلغاء ولو لم تكن للعموم لما صح أن يستثنى منها وقد وجد ذلك فهي للعموم وهذا واضح.

الثالثة : قراءة العامة بالصاد المهملة أي إنكم يا معشر الكفار والأوثان التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم قاله ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة و قتادة: حطبها وقرأ علي بن أبي طالب وعائشة رضوان الله عليهما حطب جهنم بالطاء وقرأ ابن عباس حضب بالضاد المعجمة قال الفرَّاء:«يريد الحصب قال: وذكر لنا أن الحضب في لغة أهل اليمن الحطب وكل ما هيجت به النار وأوقدتها به فهو حضب ذكره الجوهري والموقد محضب» [1479].

أهل اليمن هم أهل العربية، وما كان إسماعيل عربيا إلا لأنه تربى في قبيلة جرهم اليمنية التي استوطنت البيت بعد أن نبع ماء زمزم، ولها في القرآن شواهد بيّن بعضا منها القرطبي.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ (النمل: 87) أي واذكر يوم أو ذكرهم في ينفخ في الصور ومذهب الفرَّاء أن المعنى : وذلكم يوم ينفخ في الصور وأجاز فيه الحذف والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل وقال مجاهد: كهيئة البوق وقيل: هو البوق بلغة أهل اليمن [1480].

قال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ (الصافات:125).

[1479] معاني القرآن، الفراء ج2، ص212.

[1480] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص216.

قال ثعلب: اختلف الناس في قوله ﷻ ها هنا (بعلا) فقالت طائفة : البعل ها هنا الصنم وقال طائفة : البعل ها هنا ملك وقال ابن إسحاق: امرأة كانوا يعبدونها والأول أكثر وروى« الحكم عن عكرمة عن ابن عباس: (أتدعون بعلا) قال: ربا النحاس: والقولان صحيحان أي تدعون صنما عملتموه ربا» [1481]، يقال: هذا بعل الدار أي ربها فالمعنى أتدعون ربا اختلقتموه و (أتدعون) بمعنى أتسمون حكى ذلك سيبويه وقال مجاهد و عكرمة و قتادة و السدي: البعل الرب بلغه اليمن وسمع ابن عباس رجلا من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال: من بعله هذه ؟ أي من ربها ومنه سمي الزوج بعلا قال أبو دؤاد:

ورأيت بعلك في الوغى *** متقلدا سيفا ورمحا [1482].

فقد نزل القرآن الكريم بلغة اليمن ونقل القرطبي في تفسير الآيات المذكورة أن :

- حصب بلغة اليمن حطب.
- الصور بلغة اليمن البوق.
- البعل بلغة اليمن الرّب.

المبحث الثالث: لغة خزاعة و لغة ثقيف و لغة مضر.

المطلب الأول: لغة خزاعة

« وخُزاعَةُ سُمِّيَتْ خُزَاعَةَ لأَنهم كَانُوا مِنْ سُكَّانِ الْحَرَمِ فَخُزِعُوا عَنْهُ أَي أُخْرجوا» [1483].

«ومن بطون خزاعة: "بنو سلول"، و"بنو حُبْشية بن كعب"، و"بنو حليل"، و"بنو ضاطر"، وكان "حُلَيْل" سادن الكعبة "وكنانة" هي من القبائل العدنانية في عرف أهل الأنساب» [1484].

[1481] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص294.
[1482] ديوان عبد الله بن الزبعري، ص 32.
[1483] ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص58.
[1484] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام .جواد علي، ج7، ص 15.

قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (نوح: 13) قيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة أي عذر لكم في ترك الخوف من الله وقال سعيد بن جبير و أبو العالية و عطاء بن أبي رباح: ما لكم لا ترجعون لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: ما لكم لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي و العوفي عنه: ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقال ابن عباس أيضا و مجاهد: ما لكم لا ترون لله عظمة وعن مجاهد و الضحاك: ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب : هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون: لم أرج: لم أبال والوقار: العظمة والتوقير: التعظيم [1485].

المطلب الثاني: لغة ثقيف:

« ثقيفا هو قسيّ بن منبّه بن بكر بن هوازن » [1486].

«بنو ثقيف حزبان: الأحلاف ومنهم: "غيلان بن سلمة" و"كنانة بن عبد ياليل" و"الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب"، و"ربيعة بن عبد ياليل" و"شرحبيل بن غيلان بن سلمة" و"عثمان بن أبي العاص" و"أوس بن عوف" و"نمير بن خرشة بن ربيعة »"[1487].

«ومن بطون ثقيف: "بنو الحطيط" و"بنو غاضرة"، ومن بني الحطيط "مالك بن حطيط"، وكان من ساداتهم في الجاهلية » [1488].

وقد سكنت الطائف [1489] « قبيلة ثقيف الوثنية، وهناك قصة تزعم أنها من بقايا ثمود، ولم تكن حياة الثقفيين تختلف عن حياة القبائل البدوية النجدية في شيء سوى ما أتاحته لهم زروعهم وثمارهم من الاستقرار على نحو ما استقرت قريش في مكة » [1490].

[1485] الجامع لأحكام القرآن، 21، ص255-256.

[1486] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 404.

[1487] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 193.

[1488] المصدر نفسه، ج7، ص 156.

[1489] توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ج2، ص288.

[1490] أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت 1426هـ)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، (د ت). ص53.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ (البقرة: 102) من زائدة للتوكيد والتقدير: وما يعلمان أحدا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ حتى يقولا نصب بحتى فلذلك حذفت منه النون ولغة هذيل وثقيف عتى بالعين غير المعجمة [1491].

المطلب الثالث: لغة مضر:

«وعّن بعضُهم -فيما حكاه- ابن عبد البرّ السبع من مضر، أنهم هذيل، وكنانة، وقيس، وضبّة، وتيم الباب، وأسد بن خزيمة، وقريش.فهذه قبائل مضر، تستوعب سبع لغات» [1492].

«انقسمت مضر إلى خندف وقيس عيلان. فأمّا قيس فتشعّبت إلى ثلاث بطون من كعب وعمرو وسعد بنيه الثلاثة، فمن عمرو بنو فهم وبنو عدوان ابني عمرو بن قيس، وعدوان بطن متّسع وكانت منازلهم الطائف من أرض نجد نزلها بعد أيام العمالقة» [1493].

«نسبة إلى مضر بن نزار بن عدنان ومن أبناء مضر، إلياس وقيس عيلان، وتضم مضر: قيس وخندف، وأشهر قبائلها:

- مدركة ومن بطونها هذيل وأسد وكنانة وقريش.

- تميم ومن بطونها مازن ومالك وسعد ودارم يربوع وكعب ومجاشع وزرارة.

قيس عيلان: ومن بطونها عبس وذبيان وسليم وغطفان، وسعد وكلاب وجعده وعقيل وعنيزة وهوازن، وعامر بن صعصعة» [1494].

[1491] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص288.

[1492] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج16، ص 236.

[1493] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص364.

[1494] سالم نادر عطية أبو زيد، أثر تعدد اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 26.

جواب الجزاء محذوف استُغْنى عنه بجواب القسم في قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ (آل عمران: 157) وكان الاستغناء بجواب القسم أولى، لأنّ له صدرَ الكلام، ومعناه: لَيغفِرنَّ لَكُم. وأهل الحجاز يقولون: مِتُّم، بكسر الميم، مثل: نِمتم، من ماتَ يَمات، مثل: خِفتُ يَخاف. وسُفْلى مُضر يقولون: مُتّم، بضمّ الميم، مثل: صُمْتُم، من ماتَ يَموت، كقولك: كان يكون، وقال يقول. هذا قولُ الكوفيين، وهو حسن [1495].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام: 162)، قد تقدَّم اشتقاقُ لفظ الصلاة. وقِيل: المرادُ بها هنا صلاة الليل. وقيل: صلاة العِيد. والنُّسُك جمع نَسِيكة، وهي الذَّبيحة وكذلك قال مجاهد و الضحَّاك و سعيد بن جُبير وغيرهم. والمعنى: ذَبْحي في الحجّ والعُمرة. وقال الحسن: نُسُكي: دِيني. وقال الزجَّاج: عبادتي، ومنه: الناسك الذي يتقرَّب إلى الله بالعبادة. وقال قوم: النُّسك في هذه الآية جميع أعمال البر والطاعات؛ من قولك نَسَكَ فلان فهو ناسك إذا تعبد. ﴿وَمَحۡيَايَ﴾؛ أي: ما أعملُه في حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾؛ أي: ما أُوصِي به بعد وفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: أُفرده بالتقرُّب بها إليه. وقيل: ﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لله﴾ أي: حياتي وموتي له. وقرأ الحسن: (نُسْكي) بإسكان السين وأهل المدينة: (وَمَحْيَايَ) بسكون الياء في الإدراج. والعامَّة بفتحها؛ لأنَّه يجتمع ساكنان. قال النحاس:« لم يُجِزْهُ أحدٌ من النحويين إلا يونس، وإنَّما أجَازَهُ لأنَّ قَبْلَه ألفًا، والألفُ المَدَّة التي فيها تقوم مقامَ الحركة. وأجاز يونس: اضرِبانْ زيدًا. وإنَّما منعَ النحويُون هذا لأنَّه جمع بين ساكنين. وليس في الثاني إدغامٌ. ومن قرأ بقراءة أهل المدينة وأراد أن يَسْلَم من اللَّحن وقفَ على (مَحْيَايَ)، فيكون غيرَ لاحِنٍ عند جميع النحويين. وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وعاصم الجَحْدري: (وَمَحْيَيَّ) بتشديد اليَاء الثانية من غير ألف، وهي لغَةَ عُليا مَضَر يقولون: قَفَيَّ وعَصَيَّ» [1496].

[1495] الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص377.

[1496] النحاس، إعراب القرآن، ج2، ص42.

وأنشد أهلُ اللغة :

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعَنَقُوا لهواهُم [1497].

قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ (يس: 49) قال النحاس:« والجمع بين الساكنين لا يقدر أحد أن ينطق به قال محمد بن يزيد: لا بد لمن رام مثل هذا أن يحرك حركة خفيفة إلى الكسر و سيبويه يسمي هذا اختلاس الحركة»[1498].

الثانية - قرأ أبو عمرو وقالون في رواية بين الفتح والإسكان على مذهبه في الإخفاء والاختلاس.

قرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال قال النحاس:«هذه القراءة بينة في العربية والأصل فيها يهتدي أدغمت التاء في الدال وقلبت حركتها على الهاء» [1499].

قرأ حفص ويعقوب و الأعمش عن أبي بكر مثل قراءة ابن كثير إلا أنهم كسروا الهاء قالوا: لأن الجزم إذا اضطر إلى حركته حرك إلى الكسر قال أبو حاتم : هي لغة سفلى مضر [1500].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح: 13) قيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة أي عذر لكم في ترك الخوف من الله وقال سعيد بن جبير و أبو العالية و عطاء بن أبي رباح: ما لكم لا ترجعون لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: ما لكم لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي و العوفي عنه: ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقال ابن عباس أيضا و مجاهد : ما لكم لا ترون لله عظمة

[1497] ديوان أبي ذؤيب الهذلي، ص 49 و تمام البيت شطره الثاني (سبقوا هوي واعنقوا لهواهم *** فتخرموا ولكل جنب مصرع)

[1498] النحاس، إعراب القرآن، ج3، ص270.

[1499] المصدر نفسه، ج2، ص147.

[1500] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص35.

وعن مجاهد و الضحاك: ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب: هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون: لم أرج: لم أبال والوقار: العظمة والتوقير: التعظيم [1501].

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ (العاديات :6)

هذا جواب القسم أي طبع الإنسان على كفران النعمة قال ابن عباس : (لكنود } لكفور بجود لنعم الله وكذلك قال الحسن وقال يذكر المصائب وينسى النعم أخذه الشاعر فنظمه :

يا أيها الظالم في فعله *** والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى *** تشكو المصيبات وتنسى النعم ! [1502].

وروى أبو أمامة الباهلي: قال: قال رسول الله ﷺ:(الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده) [1503]. و روى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : (من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده) [1504]. أخرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وقد روي عن ابن عباس أيضا أنه قال: الكنود بلسان ربيعة ومضر : الكفور، قاله مقاتل وقال الشاعر :

[1501] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص255-256.

[1502] ديوان محمود الوراق شاعر الحكمة والموعظة، جمع ودراسة وتح: وليد قصاب، ص 176.

[1503] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ)، ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1419 هـ - 1998 م، ص 35، جاء في باب سوء الملكة، قال الشيخ الألباني: ضعيف موقوفا وروي عنه مرفوعا بسند واه جدا.

[1504] ذكره الطبري، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي،دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة،ط2، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا تح: الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1415 هـ - 1994 م،ج10، ص318. والترميذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ج3، ص72. و محمد ناصر الدّين الألباني في ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، مكتبَة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1421 هـ - 2000 م،ج2، ص221.

كنود لنعماء الرجال ومن يكن *** كنودا لنعماء الرجل يبعد [1505].

المبحث الرابع: لغة مذحج و لغة عقيل و لغة حوران و لغة نجد

المطلب الأول: لغة مذحج

لها ذكر في الأحاديث الموضوعة؛ عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((دخلت الجنة، فوجدت أكثر أهلها أهل اليمن، ووجدت أكثر أهل اليمن مذحجٌ)) [1506].

«مذحج وكافة بطونها من عبس ومراد وزبيد والنّخع والأشعريّين وبني الحرث بن كعب [1507].

﴿كُبِتُواْ﴾ (المجادلة: 5) قال أبو عبيدة و الأخفش : أهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم وقال ابن زيد: عذبوا وقال السدي: لعنوا وقال الفرّاء:« غيظوا وأحزِنُوا يوم الخندق «كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يريد: من قاتل الأنبياء من قبلهم »[1508]. ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (المجادلة: 5)، وقيل: كبتوا أي سيكون وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر وأخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل: هي بلغة مذحج ﴿ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍۚ ﴾ (المجادلة: 5) فيمن حاد الله ورسوله من الذين قبلهم فيما فعلناه بهم ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (المجادلة: 5) [1509].

[1505] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص437. و الشوكاني في الفتح القدير، ج 5، ص589. وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط،ج 10، ص527.

[1506] ذكره معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر، أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الأصبهاني (ت 564هـ)، موجبات الجنة، تح: ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي، مكتبة عباد الرحمن، ط1، 1423 هـ - 2002 م، ج 182،ص265، تحت رقم 265. وذكره الشيخ ناصر الدين الالباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني) (ت 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، المكلة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ / 1992 م، ج 8،ص88، تحت رقم 3593.

[1507] ابن خلدون المقدمة، ج6، ص4.

[1508] معاني القرآن الفراء، ج3، ص139.

[1509] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص305.

المطلب الثاني: لغة عقبل:

«وينحدر بنو عُقيل نسبهُ إلى عَدْنان جدّ العرب العدنانية، ونسبهم يبدأ بـ عُـقَيْـل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نِزار بن مَعد بن عَدنان. وعرب عقيل وبطونها من عامر والمنتفق وغيرهما معبَّراً عنهما بعرب البحرين »[1510]. وعقيل من قبائل هوازن[1511].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ (يونس: 16)؛ أي: لو شاء الله ما أرسلني إليكم فتلوتُ عليكم القرآن، ولا أَعْلَمَكم اللهُ ولا أخبركم به؛ يقال: دَرَيْتُ الشيءَ وأدرانِي اللهُ به، ودَريتُه ودريْتُ به. وفي الدِّراية معنى الخَتْل؛ ومنه: داريت الرجل؛ أي: ختلته، ولهذا لا يُطْلَق الداري في حقِّ الله تعالى، وأيضًا عُدم فيه التوقيف. وقرأ ابن كثير : (ولأدراكم به) بغير ألفٍ بين اللام والهمزة؛ والمعنى: لو شَاء لَأعْلَمكم به من غير أن أتلوَه عليكم، فهي لام التأكيد دخلت على ألف أفعل. وقرأ ابن عباس و الحسن: (ولا أدرأتُكم به) بتحويل الياءِ ألفًا على لغة بني عقيل؛ قال الشاعر :

لَعَمْرُك مَا أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَا بقَى *** على الأَرضِ قَيْسيٌّ يسُوقُ الأَبَاعِرَا [1512].

وقال آخر :

ألاَ آذَنتُ أَهْلَ اليَمَامةِ طيِّئٌ *** بحَربٍ كنَاصَات الأغرِّ المُشهَّرِ [1513].

[1510] القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح إبراهيم الإبياري دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ط2، 1402هـ - 1982 م ص221.

[1511] فهد معجب مرذب العتيبي، لغة عقيل ،مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 37 ، العدد1، قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية، 2010، ص154.

[1512] أبو زيد الانصاري، النوادر، ص 279.

[1513] قائله حريث بن عناب الطائي، وهو في النوادر لأبي زيد، ص381، والمعاني الكبير لابن قتيبة، ج2، ص1048، وفيه الحصان، بدل: الأغر، وموضع الشاهد فيه قوله: كناصاة، أي "كناصية.

الأولى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ (الجمعة: 9) قرأ عبد الله بن الزبير و الأعمش وغيرهما الجمعة بإسكان الميم على التخفيف وهما لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفرَّاء:« خفضها الْأَعْمَش فَقَالَ: الجمعة، وثقلها عاصم وأهل الحجاز، وفيها لغة : جَمَعَة، وهي لغة لبني عقيل لو قرئ بها كَانَ صوابًا. والذين قَالُوا: الجمعة: ذهبوا بها إلى صفة اليوم أَنَّهُ يوم جُمَعَة كما تَقُولُ: رَجُل ضُحَكة للذي يُكثر الضحك »[1514].

يقال الجمعة (بسكون الميم) والجمعة (بضم الميم) والجمعة (بفتح الميم) وقال ابن عباس: نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم فاقرؤوها جمعة - يعني بضم الميم - وقال الفرَّاء و أبو عبيد: والتخفيف أقيس وأحسن نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر، وقيل: إنها لغة النبي ﷺ[1515].

لغداة أو عشيتها وآتيك العشية أو غداتها فتكون العشية في معنى آخر النهار والغداة في معنى أول النهار قال: وأنشدني بعض بني عقيل:

نحن صبحنا عامرا في دارها *** جردا تعادى طرفي نهارها[1516].

(عشية الهلال أو سرارها)

أراد : عشية الهلال أو سرار العشية فهو أشد من آتيك الغداة أو عشيتها[1517].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾ (التكوير: 26) قال قتادة: فإلى أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته كذا روى معمر عن قتادة أي أين تذهبون عن كتابي وطاعتي وقال الزجاج: فأي طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم ويقال: أين تذهب ؟ وإلى أين تذهب ؟

[1514] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص156.

[1515] الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص460.

[1516] ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج 2، ص503. والجوهري في تاج العروس، ج6، ص517 . والشوكاني في الفتح القدير، ج 5، ص460.

[1517] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص183.

وحكى الفرَّاء عن العرب: ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق: أي إليها قال سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة[1518]. وأنشد بعض بني عقيل:

تصيح بنا حنيفة إذ رأتنا*** وأي الأرض تذهب بالصياح [1519].

وقال الأزهري :وعقيل تهمز الفأرة، والجؤنة، والمؤسى،والحؤت(1520) ، والأصل في الفأر الهمز، وأما الجونة وهي جونة العطار، والموسى، والحوت، فالأصل ترك الهمزة(1521)

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (يونس: 16) قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْراكُمْ بِهِ) « وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ:" وَلَأَدْرَاكُمْ بِهِ" بِغَيْرِ أَلِفٍ بَيْنَ اللَّامِ وَالْهَمْزَةِ، وَالْمَعْنَى: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْلَمَكُمْ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَتْلُوَهُ عَلَيْكُمْ، فَهِيَ لَامُ التَّأْكِيدِ دَخَلَتْ عَلَى أَلِفِ أَفْعَلَ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ" وَلَا أَدْرَاتُكُمْ بِهِ" بِتَحْوِيلِ الْيَاءِ ألفا ، على لغة بني عقيل»[1522]. قال أبو حيان : «وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَالْحَسَنُ، وَأَبُو رَجَاءٍ: وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ، وَخَرَجَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْأَصْلَ أَدْرَيْتُكُمْ بِالْيَاءِ فَقَلَبَهَا هَمْزَةً عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ: لَبَّأْتُ بِالْحَجِّ، وَرَثَأْتُ زَوْجِي بِأَبْيَاتٍ، يُرِيدُ: لَبَّيْتُ وَرَثَيْتُ. وَجَازَ هَذَا الْبَدَلُ لِأَنَّ الْأَلِفَ وَالْهَمْزَةَ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ، وَلِذَلِكَ إِذَا حُرِّكَتِ الْأَلِفُ انْقَلَبَتْ هَمْزَةً كَمَا قَالُوا فِي الْعَالِمِ الْعَأْلَمُ، وَفِي الْمُشْتَاقِ الْمُشْتَأْقُ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْهَمْزَةَ أَصْلٌ وَهُوَ مِنَ الدَّرْءِ، وَهُوَ الدَّفْعُ يُقَالُ: دَرَأْتُهُ دَفَعْتُهُ، كَمَا قال: وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ وَدَرَأْتُهُ جَعَلْتُهُ دَارِئًا، وَالْمَعْنَى:

[1518] معاني القرآن، الفراء، ج3، ص243.

[1519] شعراء بني عقيل و شعرهم في الجاهلية والاسلام حتى اخر العصر الاموي، جمع وتح: ودراسة عبد العزيز بن محمد الفيصل، شركة العكبيان للطباعة والنشر، ط1، (1408 هـ 1987م)، ص 96، والبيت للشاعر عثي بن مالك العقيلي.

[1520] الأزهري،تهذيب اللغة ، ج15، ص179.

[1521] فهد معجب مرذب العتيبي ، لغة عقيل ،مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 37 ، العدد1،2010 ص 156وقد نسب صاحب المقال هذا النص للقرطبي ولكنني لم أجده عنده .

[1522] الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص468، ص469.

وَلَأَجْعَلَنَّكُمْ بِتِلَاوَتِهِ خصماء تدرؤونني بِالْجِدَالِ وَتُكَذِّبُونَنِي. وَزَعَمَ أَبُو الْفَتْحِ إِنَّمَا هِيَ أَدْرَيْتُكُمْ، فقلب الياء ألفا لانفتاح مَا قَبْلَهَا، وَهِيَ لُغَةٌ لِعَقِيلٍ حَكَاهَا قُطْرُبٌ يَقُولُونَ فِي أَعْطَيْتُكَ: أَعْطَأْتُكَ».[1523]

قال الفراء: «فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت فلعلّ الْحَسَن ذهب إليها. وأمّا أن تصلح من دريت أو أدريت فلا لأن الياء والواو إِذَا انفتح ما قبلهما وسكنتا صحَّتا ولم تنقلبا إلى ألف مثل قضيت ودعوت.ولعل الْحَسَن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها لأنها تضارع درأت الحد وشبهه.

وربما غلطت العرب فِي الحرف إِذَا ضارعه آخر من الْهَمْز فيهمزونَ غير المهموز.قال الفراء سمعت امرأة من طيئ تَقُولُ: رثأت زوجي بأبياتٍ. ويقولون لبَّأْت بالحج وحَلات السَويق فيغلطون لأن حَلات قد يُقال فِي دفع العِطاش من الإبل، ولبَّأت ذهب إلى اللبأ الَّذِي يؤكل، ورثأت زوجي ذهبت إلى رثيئة اللبن وَذَلِكَ إِذَا حلبت الحليب عَلَى الرائب» [1524].

المطلب الثالث: لغة أهل حوران:

وردت حوران في تفسير القرطبي مرة واحدة وتسمية حوران« فيعتقد أنها جاءت من اللغة الآرامية (حوريم: بلد الكهوف، أو من اللغة السبئية بمعنى البلد الأسود) أما الأشوريون فسموها (حورانو: أي النقرة) في حين سماها اليونان والرومان " اورانتيس "، وقد ورد ذكرها في التوراة باسم " باشان، باثان: بلد العجول السمينة" كما سميت بلاد العمالقة، أما العرب في الجاهلية فسموها حوران بمعنى الملجأ أو الكهف.

قال أبو عمرو:« (هئْتُ)[باطل] جعلها قُلْتُ من تهيأت فهذا الخندق. [1525]، واستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن هل يعرف أحد هئت [لك]كان خندق كسرى إلى هيت[1526] حين بلغه

[1523] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير ،ج6،ص25

[1524] معاني القرآن، الفراء، ج1، ص459.

[1525] و «الخندق» : هو خندق سابور فى برية الكوفة حفره سابور بينه وبين العرب خوفا من شرهم. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت 209هـ)، مجاز القرآن،تح: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى - القاهرة ،(دط) 1381 هـ ـ ج1 ص306 ،هامش رقم (1).

[1526] «هيت» : هى بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهى مجاورة للبرية ،المصدر نفسه والصفحة نفسها، هامش رقم (2)

أن النبي صلى الله عليه يخرج وخاف العرب فوضع عليه المراصد وصوامع وحرسا ودون ذلك مناظر ثم لمّا كانت فتنة ابن الأشعث حفره»[1527].

قال ابن عباس والحسن: (هيت) كلمة بالسريانية تدعوه إلى نفسها وقال السدي: معناها بالقبطية هلم لك قال أبو عبيد: كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز معناه تعال قال أبو عبيد: فسألت شيخا عالما من حوران فذكر أنها لغتهم [1528]. قال عكرمة وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها وهي كلمة حث وإقبال على الأشياء [1529]. قال الجوهري: يقال هوت به وهيت به إذا صاح به ودعاه [1530]

المطلب الرابع: لغة نجد:

«نجد في الكتب العربية "اسم للأرض العريقة التي أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام وحدها ذات عرق من ناحية الحجاز، وما ارتفع عن بطن الرمة، فهو نجد إلى أطراف العراق وبادية السماوة. ويقسم علماء العرب نجدًا إلى قسمين: نجد العالية، ونجد السافلة. أما العالية فما ولي الحجاز وتهامة وأما السافلة، فما ولي العراق»[1531].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة: 5) قال النحاس[1532]. أهل نجد يقولون: ألاك وبعضهم يقول: ألالك والكاف للخطاب قال الكسائي: من قال أولئك فواحده ذلك ومن قال ألاك فواحده ذاك وألالك مثل أولئك وانشد ابن السكيت:

[1527] أبو عبيدة مجاز القرآن ج1 ص306

[1528] الطبري في تفسير جامع البيان، ج 16 ص28

[1529] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص140.

[1530] الجوهري، الصحاح تاج اللغة واللغة العربية،ج 1، ص271.

[1531] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج1، ص181-182.

[1532] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص25.

ألالك قومي لم يكونوا أشابة *** وهل يعظ الضليل إلا ألالكا [1533].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة: 29) ابتداء وخبر ما في موضع نصب ﴿جَمِيعًا﴾ عند سيبويه نصب على الحال ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أهل نجد يميلون ليدلوا على أنه من ذوات الياء وأهل الحجاز يفخمون ﴿سَبْعَ﴾ منصوب على البدل من الهاء والنون أي فسوى سبع سموات ويجوز أن يكون مفعولا على تقدير يسوي بينهن سبع سموات كما قال الله جل وعز: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ (الأعراف: 155) [1534].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران: 37)؛ أي: ضمَّها إليه. أبو عبيدة: ضَمِن القيام بها. وقرأ الكوفيون: (وكفَّلها) بالتشديد، فهو يتعدّى إلى مفعولين ؛والتقدير: وكفَّلَها ربُّها زكريا؛ أي: ألزمه كفالتها، وقدَّر ذلك عليه. ويَسَّره له. وفي مصحف أبيّ: (وأَكْفَلَهَا)، والهمزة كالتشديد في التعدِّي. وأيضًا فإن قَبْله: (فَتَقبَّلها، وأنبتها) فأخْبر تعالى عن نفسه بما فعل بها، فجاء (كَفَّلها) بالتشديد على ذلك. وخفَّفه الباقون على إسناد الفعل إلى زكريا، فأخبر الله تعالى أنَّه هو الذي تولَّى كفالتَها والقيامَ بها، بدلالة قوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: 44)، قال مكيّ: وهو الاختيار؛ لأنّ التشديد يرجع إلى التخفيف، لأنّ الله تعالى إذا كفَّلها زكريا كفَلها بأمر الله؛ ولأنَّ زكريا إذا كفَلها فعل مشيئة الله وقدرته، فعلى ذلك فالقراءتان متداخلتان. وروى هارون بن موسى عن عبد الله بن كثير وأبي عبد الله المزني: (وَكفِلها) بكسر الفاء. قال الأخفش:« يقال كَفَلَ يَكْفُلُ، وكَفِلَ يَكْفَلُ، ولم أسمع: كَفُلَ، وقد ذُكرت» [1535]. وقرأ مجاهد: (فتقبَّلَها) بإسكان اللام على المسألة والطلب، (رَبَّها) بالنصب نداء

[1533] الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص277.و ذكره ابن منظور في لسان العرب ج15، ص437. وابن السكيت في اصلاح المنطق، ص269. أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت 328 هـ)، المذكر والمؤنث،تح: محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة: رمضان عبد التواب جمهورية مصر العربية - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، 1401 هـ - 1981 م، ج 2، ص337.

[1534] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص389.

[1535] الاخفش، معاني القرآن، ج1، ص216.

مضاف، (وأَنْبِتْهَا) بإسكان التَّاء، (وكَفِّلْها) بإسكان اللام، (زكرياءَ) بالمد والنصب. وقرأ حفص وحمزة والكسائيُّ: (زكريا) بغير مدّ ولا همز. ومدَّه الباقون وهمزُوه، وقال الفَرَّاء:« من شدد جعل زكرياء فِي موضع نصب كقولك: ضمنها زكرياء، ومن خفف الفاء جعل زكرياء فِي موضع رفع. وفي زكريا ثلاث لغات: القصر في ألفه، فلا يستبين فيها رفع ولا نصب ولا خفض، وتمد ألفه فتنصب وترفع بلا نون لأنه لا يجرى، وكثير من كلام العرب أن تحذف المدة والياء الساكنة فيقال: هذا زكرى قد حاء فيجرى لأنه يشبه المنسوب من أسماء العرب» [1536].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ (النساء: 101) قال الفراء:« أهل الحجاز يقولون فتنت الرجل وربيعة وقيس وأسد وجميع أهل نجد يقولون أفتنت الرجل»[1537]. وفرق الخليل سيبويه بينها فقالا :« فتنته جعلت فيه فتنة مثل أكحلته وأفتنته جعلته مفتتنا»[1538]. وزعم الأصمعي أنه لا يعرف أفتنته ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (النساء: 101) ﴿عَدُوًّا﴾ ههنا بمعنى أعداء [1539].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ (المائدة: 3)، يُريد كلَّ ما افترَسَه ذو نابٍ وأظْفارٍ من الحيَوان، كالأسْد والنّمر والثَّعلب والذِّئب والضَّبع ونحوها، هذه كلُّها سِباع. يقال: سَبَع فلانٌ فلانًا؛ أي: عَضَّة بسِنّة، وسَبَعه؛ أي: عابَه ووقع فيه. وفي الكلام إضمارٌ؛ أي: ومَا أكَل مه السَّبُع؛ لأنَّ ما أكَله السَّبُع فقد فَنِي. ومن العرب من يُوقِف اسم السَّبُع على الأسد، وكانَت العربُ إذَا أخذ السَّبُع شاةً، ثم خَلَصت منه أكلوها، وكذلك إنْ أكَل بعضَها. قاله قتادة وغيره. وقرأ الحسن وأبُو حَيْوة: (السَّبْع) بسكون الباء، وهي لغة لأهل نَجْد. وقال حسان في عُتْبة بن أبي لَهَب :

[1536] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص208.
[1537] المصدر نفسه، ج2، ص394.
[1538] سيبويه، الكتاب، ج4،ص56.
[1539] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص94.

مَن يَرجِعِ العَامَ إلى أهْلِهِ *** فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ [1540].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾ (الأنعام: 56)؛ أي: قد ضللت إن اتبعت أهواءكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام: 56)؛ أي: على طريق رُشد وهدًى. وقُرئ: (ضَلِلْتُ) بفتح اللام وكسرها، وهما لغتان قال أبو عمرو بنُ العلاء: ظَلِلْتُ بكسر اللام لغةُ تميم، وهي قراءة يحيى بن وثّاب وطلحة بن مصرّف. والأولى هي الأصح والأفصح، لأنّها لغة أهل الحجاز، وهي قراءةُ الجمهور. وقال الجوهري:« والضَّلال والضَّلالة ضدُّ الرَّشاد وقد ضَلَلْتُ أَضِلُّ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾(سبأ:50) فهذه لغةُ نَجْدٍ، وهي الفصيحة »[1541]. وأهلُ العالية يقولون: ضَلِلْتُ – بالكسر- أَضِلّ[1542].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ (الأنعام: 99،) قرأ محمد بن السَّميقع: (وَيَانِعِه)، و ابن مُحيصن و ابن أبي إسحاق: (وَيُنِعِه)؛ بضم الياء، قال الفرَّاء: هي لغة بعض أهل نجد. يقال:« يَنَعَ الثمر يَيْنَعِ، والثمر يانع. وأينع يُونِع، والثمرُ مُونِع. والمعنى: ونُضْجِه. يَنَع وأيْنَع: إذَا نَضِجَ وأدرك »[1543]. وقال الحجَّاج في خطبته: أرَى رُؤوسا قد أيْنَعَتْ وحَان قِطافُها[1544].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ (الأنعام: 150)؛ أي: قُل لهؤلاء المشركين: أَحْضِرُوا شُهداءَكم على أنَّ الله حَرَّم ما حرَّمْتُم. و ﴿هَلُمَّ ﴾ كلمة دعوة إلى شيءٍ، ويَستوي فيه الواحدُ

[1540] ديوان حسان بن ثابت، ج1، ص429.

[1541] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ص1748.

[1542] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص397.

[1543] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، ص1310.

[1544] خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولى العراق خلفا بشر بن مروان أخو عبد الملك بعد وفاته سنة 74 ه .دراسات قصيرة في الادب و التاريخ و الفلسفة -الحجاج بن يوسف الثقفي ترجمته شخصيته السياسية و الادارية و الحربية ومختارات من خطبه،عمر فروخ، مكتبة منيمنة بيروت لبنان، ط1، (1360ه1941م)، ص 9.

والجماعة والذَّكر والأُنثى عند أهل الحجاز، إلا في لغة نَجْد، فإنَّهم يقُولُون: هَلمَّا، هَلُمُّوا، هَلُمِّي، يأتون بالعلامة كما تكون في سائر الأفعال. وعلى لغة أهل الحجاز جاء القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَا﴾ (الأحزاب: 18)، يقول: هَلُمَّ، أي: أُحْضُرْ أو أُدْنُ. وَهَلُمَّ الطعامَ؛ أي: هاتِ الطَّعامَ. والمعنى هاهنا: هاتوا شُهداءَكم، وفُتحت الميم لالتقاء الساكنين، كما تقول: رُدَّ يا هذا، ولا يجوز ضَمُّها ولا كسرُها. والأصل عند الخليل (ها)؛ ضُمَّت إليها (لُمَّ) ثم حُذفت الألف لكثرة الاستعمال. وقال غيره: الأصل (هل) زِيدَتْ عليها (لُمَّ). وقيل: هي على لَفْظِها تدلُّ على معنى: هات. وفي كتاب (العيْن) للخليل: أَصْلُها: هل أُؤُمُّ؛ أي: هل أَقْصِدُك، ثمَّ كَثُر استعمالُهم إيَّاها حتى صار المقصودُ بقولها: احْضِرْ، كَما أن (تَعَالَ) أصلُها أن يقُولها المُتعالي للمُتُسافل، فَكَثُر استعمالُهم إيَّاهَا حتَّى صَار المُتسافل يقول للمُتعالي: تعالَ [1545]. وقد ورد بيان(لهلُّم) ونسبها القرطبي إلى أهل الحجاز في موضع آخر من الجامع في الآية: ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَا﴾ (الأحزاب: 18) على لغة أهل الحجاز وغيرهم يقولن:هلموا للجماعة وهلمي للمرأة لأن الأصل: ها التي للتنبيه ضمت إليها لم ثم حذفت الألف استخفافا وبنيت على الفتح ولم يجز فيها الكسر ولا الضم لأنها لا تنصرف ومعنى هلم أقبل [1546].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ (الأنعام:150)؛ أي: شَهِدَ بَعضُهم لبعض ﴿فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡ﴾؛ أي: فَلا تُصَدِّق أداءَ الشَّهادة إلاّ من كتاب، أو على لِسان نبيّ، وليس معهم شيءٌ من ذلك [1547].

وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ (مريم: 26)؛ أي فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا برؤية الولد النبي وقرئ بفتح القاف وهي قراءة الجمهور وقال الطبري:« قراءة

[1545] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص103-104.نقلا عن: النحاس، إعراب القرآن، ج 2، ص 39.

[1546] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص102.

[1547] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص104.

﴿وَقَرِّى﴾ وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله (وقرّي) فأما أهل المدينة فقرءوه (وَقَرِّي) بفتح القاف على لغة من قال: قَرِرت بالمكان أَقَرّ به، وقَرِرت عينا، أقرّ به قُرورا، وهي لغة قريش فيما ذكر لي وعليها القراءة. وأما أهل نجد فإنها تقول قررت به عينا أقر به قرارا وقررت بالمكان أقر به، فالقراءة على لغتهم: (وَقِري عَيْنا) بكسر القاف، والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف» [1548].

يقال : قر عينا يقر ويقر بضم القاف وكسرها وأقر الله عينه فقرت وهو مأخوذ من القر والقرة وهما البرد ودمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ضعفت فرقة هذا وقالت: الدمع كله حار فمعنى أقر الله عينه أي سكن الله عينه بالنظر إلى من يحبه حتى تقر وتسكن [1549].

قال القرطبي في قول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِى﴾ (سبأ : 50)

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام :56)

قال الجوهري: « والضلال و الضلالة ضد الرشاد، وقد ضللت أضل قال تعالى ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِى﴾ (سبأ: 50) فهذه لغة نجد وهي الفصيحة » [1550] . وأهل العالية يقولون ضللت بالكسر أضل [1551].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِى﴾ (سبأ: 50) وذلك أن الكفار قالوا تركت دين آبائك فضللت فقال له: قل يا محمد إن ضللت كما تزعمون فإنما أضل على نفسي وقراءة العامة ضللت بفتح اللام وقرأ يحيى بن وثاب وغيره: قل إن ضللت بكسر اللام وفتح الضاد

[1548] الطبري، جامع البيان، ج18، ص182.
[1549] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص438.
[1550] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ص1748.
[1551] الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص397.

من أضل والضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت (بفتح اللام) أضل (بكسر الضاد) وهي الضلالة والتلالة وأضله أي أضاعه وأهلكه يقال: أضل الميت إذا دفن قال: فآب مضلوه البيت [1552].

قال الفراء وقوله:« مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ الأمهات في موضع نصب لما ألقيت منها الباء نصبت، كما قال فى سورة يوسف: «ما هذا بَشَراً» إنما كانت فى كلام أهل الحجاز: ما هَذَا ببشر فلما ألقيت الباء ترك فيها أثر سقوط الباء وهي في قراءة عَبْد اللَّه «ما هن بأمهاتهم»، وأهل نجد إذَا ألقوا الباء رفعوا، فقالوا «ما هَذَا بشر»، «ما هن أمهاتهم» [1553].

أنشدني بعض العرب:

رِكابُ حُسَيْلٍ آخرَ الصيفِ بُدَّن *** ونَاقةُ عَمْرو ما يُحَلُّ لَهَا رَحْلُ

ويزعمُ حِسْلٌ أَنَّهُ فَرْع قومِهِ *** وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل [1554].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح:23).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ﴾ الود بالفتح الويد في لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء وأدغموها في الدال والود في قول امرئ القيس :

تظهر الود إذا ما أشجدت *** وتواريه إذا ما تعتكر [1555].

وفي الأخير ففي هذين الفصلين الأخيرين مادة واسعة للهجات العربية وهي مادة غنية جدا وأنا اكتفيت فقط بتحقيق النصوص وهذه المادة لغزارتها ووضوحها بينت أن اللهجات العربية لم تكن بمعزل عن بعضها. وقد ساق القرطبي المادة اللهجية على طريقة الفراء وابن جني وعرضها من خلال دراسته

[1552] الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص331-332.

[1553] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص193.

[1554] ذكره جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ) في زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1422 هـ، ج 4، ص 243، و الفراء، معاني القرآن، ج2، ص 43.

[1555] ديوان امرئ القيس، ص 79. وفي الديوان تشتكر بدلا من تعتكر التى اوردها القرطبي في الجامع.

لوجوه القراءات وهو في كل ذلك يجعل الأداءات في مقابل بعضها البعض فالدراسة قامت على المقابلة والمثال بضده يُعرف، والقرطبي عرض التنوع الموجود في القراءات وبالتالي يكون قد كشف عن مادة لغوية نستطيع من خلالها أن نبني تصورا جديدا عن العربية ونفند المقولة التي تدعي بوجود عربية مشتركة أدبية، وهي في الحقيقة مسألة جوهرية تناولها العلامة عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه "السماع "وأطاح بما يُسمى اللغة المشتركة . وبالتالي فقد كشف عن كثير من المصطلحات التي أعيت الدارسين مثل كلمة (لغة) وكلمة (لهجة) «فاللغة هي نطق وأداء خاص بوحدة لغوية خاصة أو طريقة الكلام عموما . أما اللهجة فهي نظام لغوي بأجمعه » ثم قال «فليس في لفظة(لهجة) في الاستعمال الحديث ما تدل عليه كلمة (لغة) في القديم » [1556].

[1556] عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب، ص156.

الفصل الثالث:
لغة القرآن الكريم

المبحث الأول: لغات القرآن الكريم في تفسير القرطبي

المطلب الأول: عربية القرآن وأهمية دراسة لغاته

المطلب الثاني: حكم القرطبي على اللغات

المبحث الثاني: لغة قريش

المطلب الأول: قريش لغتهاونسبها

المطلب الثاني: الأحرف السبعة ولغة قريش

المبحث الأول: لغات القرآن الكريم:

المطلب الأول: عربية القرآن وأهمية دراسة لغاته

لقد أنزل القرآن على سبعة أحرف وبين العلماء أنها لغات العرب. وقد أقر القران الكريم في مواضع كثيرة أن القرآن (عربي) ولم يكن قرشيا ولا هذليا ولا قيسيا، قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ (الزخرف: 3). وقال في سورة يوسف: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ (يوسف:1-2)، وقال﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ تُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣﴾ (طه:113). وقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ (الزمر: 28). وفي المواطن التي ذكر فيها الله تعالى لغة القرآن لم يسمها لغة، ولكنه سماها (اللسان)، قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ (النحل: 103). وفي هاتين الآيتين المقصود ا باللسان هو اللغة.

وقد عبر القرطبي عن علماء اللغة ب (علماء اللسان) [1557] و(رؤساء اللسان) [1558]

لقد كانت معجزة النبي، القرآن، وكان إعجازه فيما برع فيه العرب قومه، فإنهم ما برعوا في شيء مثل إجادتهم البيان، فجعل الله معجزة نبيه من جنس ما برع فيه قومه.

([1557]) الجامع ج2، ص92 و ج6، ص173

([1558]) الجامع ج1، ص227

وما نقله العلماء في مسألة لغته أن العرب تلقت القرآن الكريم، وهي منبهرة بأدائه وما قال أحد من العلماء أن العرب استصعبته أو استغلقت عليهم معانيه، ولكن القرآن أدهشهم، والكل متفق أن لغته استرعت انتباههم، وأن اللغة التي نزل بها كانت لغة قريش.

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ (إبراهيم: 4).

أما اللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش، فهي لغة بني سعد بن بكر الذين كان النبي ﷺ مُسترضعا فيهم قال الرسول ﷺ «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» [1559]، وهي إحدى لغات العجُز، من هوازن، ثم سائر هذه اللغات وهي جشم بن بكر، ونصرُ بن معاوية وثقيف، وتلك هي أفصح لغات العرب جملة، ثم خزاعة، وهذيل، وكنانة، وأسد، وضبَّة، وكانوا على قرب من مكة يكثرون التردُّد إليها ومن بعدهم قيس وألفافُها التي في وسط الجزيرة.

قال بعض العلماء: وقد كانت في القرآن ألفاظ من لغات أخرى كقوله: (لا يَلِتْكم من أعمالكُم) أي لا ينقصكم بلغة بني عبس، وقال أبو بكر الواسطي[1560] في كتابه: الإرشاد في القراءات العشر: (فِي القرآن مِنَ اللُّغَاتِ خَمْسُونَ لُغَةً: لُغَةُ قُرَيْشٍ وَهُذَيْلٍ وَكِنَانَةَ وَخَثْعَمَ وَالْخَزْرَجِ وَأَشْعَرَ وَنُمَيْرٍ وَقَيْسِ وعيلان وجرهم واليمن وأزد شنوءة وَكِنْدَةَ وَتَمِيمٍ وَحِمْيَرٍ وَمَدْيَنَ وَلَخْمٍ وَسَعْدِ الْعَشِيرَةِ وَحَضْرَمَوْتَ وَسَدُوسٍ وَالْعَمَالِقَةِ وَأَنْمَارٍ وَغَسَّانَ وَمَذْحِجٍ وَخُزَاعَةَ وَغَطَفَانَ وسبأ وعمان وبنو حَنِيفَةَ وَثَعْلَبَةَ وَطَيِّئٍ وَعَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَوْسٍ وَمُزَيْنَةَ وَثَقِيفٍ وَجُذَامٍ وَبَلِيٍّ وَعُذْرَةَ وَهَوَازِنَ وَالنَّمِرِ وَالْيَمَامَةِ.

[1559] البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ)، شرح السنة، تح: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م، ج 4، ص 202. وجاء بلفظ (فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ).

[1560] الواسطي القلانسي محمد بن الحسين بن بندار أبو العز الواسطي القلانسي، شيخ العراق ومقرئ القراء بواسط، صاحب التصانيف في القراءات، ولد سنة خمس وثلاثين وأربعمائة بواسط، وقرأ بما قرأ به أبو علي غلام الهراس من الروايات عليه، فقرأ على عاصم على محمد بن العباس الأواني، قرأ عليه أبو الفتح وسبط الخياط و أبو العلاء الهمذاني الحافظ وكان بصيرا بالقراءات وعللها وغوامضها عارفا بطرقها عالي الإسناد، وألف كتاب الإرشاد في العشر، وكتاب كفاية المبتدي وتذكرة المنتهي أكبر من كتاب الإرشاد، وقال خميس الحوزي عن أبي العز : هو أحد الأئمة الأعيان في علوم القرآن، برع في القراءات مات سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء،ج2، ص129.

وَمِنْ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ: الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَالنَّبَطِ وَالْحَبَشَةِ وَالْبَرْبَرِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ وَالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْقِبْطِ. ثُمَّ ذَكَرَ فِي أَمْثِلَةِ ذَلِكَ غَالِبَ مَا تَقَدَّمَ عَنْ أبي القاسم، وزاد عليها ألفاظا.[1561]

وإنه « لا سبيل إلى تحقيق ذلك؛ لدروس هذه اللغات وتداخلها وتقطع أسباب المقارنة بينها وبين لغة قريش التي مضوا على استعمالها بعد القرآن وأطبقوا عليها، والعلماء إنما يذكرون من أكثر هذه اللغات في القرآن الكلمة والكلمتين، إلى الكلمات القليلة: وانظر أين يقع مبلغ ذلك من لغة بجملتها؟

ولقد ائتلفت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرءوه بلحونهم وإن اختلفت وتناقضت؛ ثم بقي مع ذلك على فصاحته وخلوصه [...] فجرت لغة القرآن على أحرف مختلفات في منطق الكلام، كتحقيق الهمز وتخفيفه، والمد والقصر، والفتح والإمالة وما بينهما، والإظهار والإدغام، وضم الهاء وكسرها من عليهم وإليهم، وإلحاق الواو فيهما وفي لفظتي منهمو وعنهمو، وإلحاق الياء في إليه وعليه وفيه، ونحو ذلك، فكان أهل كل لحن يقرأونه بلحنهم» [1562].

وربما استعمل القرآن الكلمة الواحدة على منطق أهل اللغات المختلفة فجاء بها على وجهين لمناسبة في نظمه: كَبَرَاء، وبريء، فان أهل الحجاز يقولون: أنا منك براء، ولا يعدونها، وتميم وسائر العرب يقولون: أنا منك بريء، واللغتان: في القرآن، وكذلك قوله: «فأسر بأهلك»، وقوله: «والليل إذا يسر» فإن الأولى لغة قريش؛ يقولون: أسريت؛ وغيرهم من العرب يقولون: سريت، وهذا باب من اللغة لم يقع ألينا مستقصى؛ ولكن علماء الأدب ربما أشاروا إلى بعض ألفاظه في كتبهم، كما تصيب من ذلك في الكامل للمبرد وغيره.

وإن أهمية دراسة اللهجات تكمن في بيان جانب مهم من علوم القرآن ، حيث كان دارسو القرآن يسمون لهجات القرآن لغات. وقد كانت دراستهم لها على القدر الذي كانوا يريدونه في زمانهم. فلقد ضاع جزء كبير من دراسة اللهجات العربية، واللوم على النقلة الأوائل الذين فوتوا علينا فرصة التعرف على الكثير فيما يخص اللهجات العربية.

[1561] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص123.

[1562] الرافعي، تاريخ الأدب، ج1، ص136.

إنهم كانوا يعرفون القبائل. ولغتهم مألوفة عندهم؛ فإذا ما جمعوا اللغة لم يذكروها منتسبة، لأن ذلك معلوم بداهة لهم.فقد فاتهم أنهم كانوا لا يكتبون لأنفسهم وإنما كانوا يدونون لغة ستصبح علمًا يُدْرَسُ. ولذلك فقد كثرت كلمة(لغة) في مدوناتهم ؛ جاء في العين : «القِثّاء والقُثاء لغتان بالكسر والضم»[1563]. و«رجل عطشان وامرأة عطشى وفي لغة عطشانة»[1564]. وقالوا في "مرية"، وقال بعضهم «مُريةٍ، تكسر وتضم وهما لغتان»[1565] قال الجندي: «لقد عزّ عليّ ضياع الكتب التي تتحدث عن اللغات، وبالتالي ضاعت ثروة من تأريخ كتابنا»[1566]. ولذلك لم تصل إلينا كتب مستقلة تبحث في لغات العرب ولهجاتهم بشكل متخصص سوى كتابين أولهما، رسالة لغات القرّآن لأبي "عبيد القاسم بن سلام" المتوفى سنة 224هـ، وثانيهما، كتاب اللغات في القرآن وقد رواه إسماعيل بن عمر بن رشد المتوفى سنة 429هـ عن عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ المتوفى سنة 386هـ. ويعدّ كتاب " الجمهرة في اللغة" لابن دريد أهم مرجع ذكرت فيه اللغات واللهجات فقد ذكر حوالي ثلاث وعشرين لهجة معظمها من أهل اليمن.

بيد أن كثيرا من الصعوبات يعترضالباحثين في هذا المجال، ومن هذه الصعوبات:[1567]

أ- انصراف العلماء القدماء عن تسجيل اللهجات القديمة وأصواتها، فلم يردنا منهم في هذا المجال سوى ملاحظات عامة، وإشارات عابرة في كتب اللغة والأدب والتفسير والقراءات.

ب- عدم ذكر اللغويين في كثير من الأحيان للقبائل التي تنتمي إليها هذه اللهجات، واكتفاؤهم بذكر المفردة وتقريرهم بأنها "لغة" أي لهجة

ت- عدم وجود رموز خطية كافية لتسجيل دقيق لبعض الظواهر الصوتية كالكشكشة والكسكسة والإمالة والإشمام.

[1563] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج5، ص203 (قثأ).

[1564] نفسه، ج1، ص243 (عطش).

[1565] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص351، 339.

[1566] الجندي علم الدين، اللهجات العربية في التراث، ج1،ص141.

[1567] غالب فاضل المطلب، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، ص32.

ث- خلط اللغويين في المادة اللغوية التي جمعوها في أثناء جمعهم المعجم العربي بين ما هو فصيح "أي ما هو من العربية الأدبية" وبين ما هو من اللهجات، فلا يتيسر للباحث استخراج مادة اللهجات من مادة المعجم إلا في حالة عزو اللغويين هذه المادة إلى لهجات بعينها.

غير أن هذه الصعوبات لا تقف حائلا أمام دراسة الحد الأدنى من مميزات اللهجات العربية القديمة، إذ يبقى لدينا كثير من الخصائص المعزوة إلى لهجة بعينها يستطاع من خلال تحليلها ودراسة ظواهرها استخلاص طبيعة تلك اللهجة، مما ييسر الأمر أن اللهجات العربية القديمة كانت متقاربة فيما بينها .

وهناك كتب ذكرها الرواة لكنها لم تصل ولا يُعرف عنها شيئا، دلّت فقط على أن العرب قد عرفوا نوعا من هذه الدراسة، أطلقوا على مؤلفاتهم (كتب اللغات) [1568].وهناك كتب في اللغات مطبوعة منها مثلا (كتاب اللغات لابن حسنون)وهو كتيب صغير في سبع وخمسين صفحة [1569]

قال"مصطفى صادق الرافعي": «إن اللغويين الأوائل لم يهتموا باللهجات إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم، لأنهم يعتبروها اعتبارا تاريخيا فقد عاصروا أهلها، واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تاريخها لمن بعدهم»[1570].

ويبرر "إبراهيم أنيس" عدم اهتمام اللغويين باللهجات بعد اتساع الدولة العربية برغبتهم في التقليل من التعصب القبلي، ولذلك أهمل أمر اللهجات «ولم يرد عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ بل إن ما روي عنها جاء مبتورا ناقصا في معظم الأحيان»[1571].

وإن هذا المبرر الذي ذكره إبراهيم أنيس واهٍ، لأن الرواة قد تجردوا لجمع اللغة خدمة لكتاب الله، لما علموا أن كلام العرب مصدر أساس لتفسير كلام الله. فكانوا يُسارعون الخطى حتى لا يفوتهم

[1568] السيوطي، بغية الوعاة، ص236.

[1569] ابن حسنون عبد الله بن الحسين أبو أحمد السامري (المتوفى: 386هـ)، اللغات في القرآن بإسناده: إلى ابن عباس حققه ونشره: صلاح الدين المنجد مطبعة الرسالة، القاهرة ،ط1، 1365 هـ.

[1570] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص137

[1571] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 47.

زمن الفصاحة لجمع كل القدر المتاح لهم، ولا يوجد هذا الاعتبار عند علماء اللغة. وإنه وُجد العكس؛ العمل على رفع شأن بعض القبائل قليلة الشعراء بحشد من الشعر نسبها لها رواة الشعر تعصبا لها وهو ما يُعرف في تاريخ الأدب بالانتحال.والقضية معروفة؛ قَالَ ابْن سَلام:(فَلَمَّا راجعت الْعَرَب رِوَايَة الشّعْر وَذكر أَيَّامهَا ومآثرها اسْتَقل بعض العشائر شعر شعرائهم وَمَا ذهب من ذكر وقائعهم

وَكَانَ قوم قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أَن يلْحقُوا بِمن لَهُ الوقائع والأشعار فَقَالُوا على أَلْسِنَة شعرائهم ثمَّ كَانَت الروَاة بعد فزادوا فى الْأَشْعَار التي قيلت) [1572]

أما "عبده الراجحي" فيرى أن العرب لم يتوافروا على دراسة اللهجات كما يتوافر على درسها المحدثون لان عملهم كان مرتبطا بفهم النص القرآني وما يتصل به من نصوص دينية «أي إنه كان مرتبطا بالغة الموحدة التي نزل بها القرآن الكريم، ومن ثم كان من العبث أن يوجهوا جهودهم إلى دراسة اللهجات» [1573]

قال الجندي :(إن أرض اللهجات لازالت بكرا لم تُجهد بعد، وروضها مابرح غفلا لم تشذ به تواليف العلماء وأقلام الدارسين، مع أن جزءا كبيرا من رصيدنا اللغوي وقدرا وافرا من ميراث أمتنا يكمن وراء دراسة لهجات القبائل العربية، لما لها من اتصال وثيق بعلوم القرآن، وقراءاته، وبلهجاتنا الحديثة في جميع البلاد العربية) [1574].

وكل ذلك لم يمنع الدارسين الغيورين على العلوم اللغوية أن ينهضوا بهذا الجانب موضفين لذلك كل التراث العربي، ليستخرجوا منه درر اللهجات العربية ؛وكان منهم إبراهيم أنيس في كتابه القيم (في اللهجات العربية) وعلم الدين الجندي وكتابه(اللهجات العربية في التراث)ولأستاذي المشرف الدكتور محمد خان كتابه القيم(اللهجات العربية والقراءات القرآنية ـ دراسة في البحر المحيط لأبي حيان ـ)

[1572] ابن سلّام الجمحي محمد بن عبيد الله (ت 232هـ)، طبقات فحول الشعراء،تح: محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة ،ج1، ص46

[1573] الخليل، العين، ج5، ص203 (قنأ).

[1574] علم الدين، اللهجات العربية في التراث، ج1،ص9.

تعدّ دراسة اللهجات المختلفة في اللغة الواحدة من وجهة نظر علم اللغة الحديث مساعدا حسنا لفهم طبيعة تلك اللغة ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها، والكشف عن تأثير البيئة في ذلك كله، ذلك أن علماء اللغة يرون في اللهجات (مبادئ التطور النحوي والصوفي والفقهي وقل أن يعتبروا الشكل الكتابي التاريخي للغة، إذ من الثابت أن تدوين اللغة وتقييدها بقواعد وإحكام لا يخلوان أحيانا من التعسف والتكلف فضلا عن الحد من نشاط اللغة.

ومما ييسر دراسة اللهجات العربية القديمة أيضا القراءات القرآنية، ذلك أن رواياتها تؤلف أوثق الشواهد على ما كانت عليه طبيعة هذه اللهجات في الصوت والصرف والنحو، وما إلى ذلك من ظواهر لغوي، بل يكاد يمكن القول بأن القراءات القرآنية هي أغنى المصادر في دراسة اللهجات العربية القديمة[1575].

كما أن استقصاء مجموعة كبيرة من المعاجم وكتب اللغة، والأدب والتفسير والقراءات والتاريخ والبلدان يستطيع أن يصلنا إلى الحد الأدنى من الظواهر اللهجية القديمة ودراستها وتحليلها وما يتبع ذلك من الوصول إلى نتائج ايجابية في معرفة هذه اللهجات وعلاقتها بتطور العربية الفصحى.

نظرة القدماء إلى اللهجات وعلاقتها بالفصحى:

كانت نظرة القدماء إلى العربية الفصحى نظرة تقديس فهي عندهم اشرف اللغات إذا بها نزل القرآن الكريم، وبها تقام الصلاة وما إلى ذلك من شعائر دينية إسلامية.

فكان أن انطلقوا من هذه النظرة إلى أن كل ما يخالف العربية الفصحى في نطقها للأصوات كان من الصور الغوية الفاسدة، لذا لم تحظ عندهم اللهجات العربية القديمة ببعض ما حظيت به الفصحى من تدوين ودراسة. والفصحى هي الفضلى وهي لغة قريش .

قال بعضهم إن أصل العربية الفصحى لهجة قريش، واعتمدوا في هذا ما ورد من أن القرآن نزل بلهجة قريش التي ارتفعت في رأيهم في الفصاحة عن (عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة

(1575) غالب فاضل المطلب، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (دط)، الجمهورية العراقية، 1398ه/1978م ص33.

هوازن وتضجيع قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء) وما إلى ذلك مما عده اللغويون القدماء عيوبا في تلك اللهجات [1576]. وللوصول إلى هذا الكلام فلابد من استعراض تاريخ اللهجات العربية بكل تفاصيله والنظر في التطور التاريخي للهجة قريش للوصول إلى الحالة التي كانت عليها وقت نزول القرآن ، فكل الدارسين القدامى يؤكدون أن لهجة قريش ما هي إلا انتقاء للأجود من كل اللهجات العربية فكيف تكون هي الأصل أو هي الأولى في لغات العرب . وإن كانت هي الفضلى فإن ذلك لا يبعد من الدرس لهجات العرب الأخرى .وإن دراسة اللهجات العربية التي تكلم بها العربي يبين بالضرورة تفوق لغة قريش لأنها الأجود .

وقد ظهر علم جديد يهتم بالمتون واللهجات والتنوعات الكلامية ،(و ينصب الاهتمام هنا على التنوعات الجغرافية، وهذا فرع واسع من فروع اللسانيات

الاجتماعية، ومثال ذلك متون اللغة الإنجليزية البريطانية، ومتون اللغة الإنجليزية الأمريكية، واللغة المستعملة في نيوزيلندا، والمستعملة في الهند أو غيرها، وهذا النوع

من الدراسات بدأ يأخذ نصيبه من الاهتمام في اللغة الإنجليزية وما الفرق مثلا في لغة المحادثة واستخداماتها ولغة المحاضرة أو اللغة الأكاديمية، كما تُستخدم بعض الظواهر في المنطوق بخلاف المكتوب ولا بد من التأكيد على أن هذا النوع من الدراسات يتقاطع بشكل كبير مع اللسانيات الاجتماعية؛ لكن لأهمية دراسة اللغة الإنجليزية ما بين الأقاليم، ولوفرة بحوثها

وعلومها أُفردت بحديث مستقل؛ بل صار لكل إقليم معاجمه سواء مكتوبه أو منطوقه)[1577]

وبدأت تتكشف لهم أهمية فائدة اللهجات في جوانب متعددة ومنها الفروق بين اللهجة المنطوقة والمسموعة (وتتقاطع الأسلوبية في بعض جوانب دراستها مع دراسة تنوع اللهجات والجنس، وتدرس في العادة العادات الكلامية والكتابية لشخص ما؛ و بعض الأسلوبيين يدرسون التنوع اللغوي لدى كتّاب عدة؛ فلا يشكل المتن ميدانا واسعا لهم؛ إذا المتون عادة تضم كتّابا لا كاتبا واحدا. وتشكل

(1576) غالب فاضل المطلب، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، ، ص34.

(1577) صالح بن فهد العصيمي، لسانيات المتون، قضايا أساسية في التأصيل والتطبيق والمنهج مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية المملكة، العربية السعودية الرياض،،ط 1 ، 1439هـ - 2018 م ،ص42

المتون ميدانا خصبا لدراسة الفروق الأسلوبية بين لغة الكتابة واللغة المنطوقة .بالإضافة إلى دراسات كيف تُسجّل اللغة المنطوقة كتابيا، وما التغيرات التي تحصل خلال عملية التسجيل وذلك لدراسة الاختلافات بينهما)[1578]

لقد ثور القرآن العلوم عند العرب وكانت البداية بلغتهم حيث انصب اهتمامهم بكل ما يتعلق بها

المطلب الثاني: حكمه على اللغات:

وأحاول من يعرض القراءة ويفصل القول في الاداءات التي وردت بها، ثم يبيّن مراتب اللغات من خلال الوجوه المختلفة التي قُرئ بها؛ فهو يرفع اللغة ويسمها بـ "الجيدة"، أو بـ"الفصيحة"، أو يسفلُ باللغة، ويبدي ازدراءه لها فيصفها بـ"رديئة"، "قليلة.وأحاول من خلال هذه النماذج أن أوضح حكمه على اللغات ما استطعت:

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ (البقرة: 20) ويَخْطَفُ ويَخْطِفُ لغتان قرئ بهما وقد خَطِفَه (بالكسر) يَخْطَفُه خَطْفًا وهي اللغة الجيدة واللغة الأخرى حكاها الأخفش: «خَطَفَ يَخْطِفُ، وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف وقد قرأ بها يونس في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ (البقرة: 20) »[1579]، وقد نسبها أبو حيان، إذ قال:« وَالْكَسْرُ فِي طَاءِ الْمَاضِي لُغَةُ قُرَيْشٍ، وَهِيَ أَفْصَحُ»[1580].

قال الكسائي و الأخفش و الفرَّاء: يجوز يِخِطّفُ بكسر الياء والخاء والطاء« وزعم سيبويه و الكسائي أن من قرأ يَخِطّفُ بكسر الخاء والطاء فالأصل عنده يَخْتَطِفُ ثم أدغم التاء في الطاء فالتقى ساكنان فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين» [1581]. ومن فتح الخاء ألقى حركة التاء عليها وقال الكسائي:

(1578) المرجع السابق، ص43.

(1579) الأخفش معانى القرآن، ح 1، ص54.

(1580) أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص146.

(1581) سيبويه، الكتاب، ج4، ص475.

ومن كسر الياء فلأنّ الألف في اختطف مكسورة فأما ما حكاه الفراء عن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام فلا يعرف ولا يجوز لأنه جمع بين ساكنين قاله النحاس وغيره [1582].

هو مثال جيد لتوجيه قراءة «يخطف"، يحسن القول هنا أن الحكم المراد بيانه ليس رأيه في القراءة من ناحية السند أو الرسم. ولكنه النظر في اللغة التي وردت بها القراءة، وفي هذا المثال لم يخرج القرطبي عن بنية الكلمة يخطف، وقد قرأت بوجوه سبعة يهمنا منها وجهان:

-خطِف، يخْطَف، خَطْفًا، قال عنها لغة جيدة.

-خطَف، يخْطِف، قال عنها لغة قليلة رديئة.

وقد علل للقراءات الواردة، وردّ ما حكاه الفرّاء عن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام، لأنه لا يُعرَف ولا يجوز، لأنه جمع بين ساكنين.

فلا يعرف لعلّه يقصد لم تنقل القراءة تواترا، أما لا يجوز فإنه يقصد بها لا تتلاءم مع قواعد العربية.

قال القرطبي في قوله تعالى:﴿ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (البقرة: 271)، قال النحاس:« ولكنه في السواد متصل فلزم الإدغام وحكى النحويون في (نِعْمَ) أربع لغات: نَعِمَ الرجل زيدٌ هذا الأصل، ونَعِمَ الرجل بكسر النون و العين ونَعْمَ الرجل بفتح النون وسكون العين والأصل نَعِمَ حذفت الكسرة لأنها ثقيلة ونِعْمَ الرجلُ وهذا أفصح اللغات» [1583]. والأصل فيها نَعِمَ وهي تقع في كل مدح فخففت وقلبت كسرة العين على النون وأسكنت العين فمن قرأ ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فله تقديران: أحدهما أن يكون جاء به على لغة من يقول نَعِم، والتقدير الآخر: أن يكون على اللغة الجيدة فيكون الأصل نِعْمَ ثم كسرت العين لالتقاء الساكنين قال النحاس:« فأما الذي حكي عن أبي عمرو ونافع من إسكان العين فمحال حكي عن محمد بن يزيد أنه قال: أما إسكان العين والميم مشددة فلا يقدر أحد أن ينطق به وإنما يروم الجميع بين

[1582] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص335-336.
[1583] النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص 132.

ساكنين ويحرك ولا يأبه وقال أبو علي: من قرأ بسكون العين لم يستقم قوله لأنه جمع بين ساكنين الأول منهما ليس بحرف مدّ ولين وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأول حرف مد إذ المدُّ يصير عوضا من الحركة وهذا نحو دَأَبة وضَوَال ونحوه ولعل أبا عمرو أخفى الحركة واختلسها كأخذه بالإخفاء في (بَارِئِكُم) و (يَامُرُكُم) فظنَّ السامع الإخفاء إسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه قال أبو علي: وأما من قرأ (نِعمَّا) بفتح النون وكسر العين فإنما جاء بالكلمة على أصلها»[1584]. ومنه قول الشاعر :

ما أقلَّت قدمَايَ إنَّهُمْ *** نَعِمَ السَّاعُون في الأَمْر المُبِرّ[1585].

لا يوجد ذكر للهجات، في هذا المثال والمثال السابق، فالقرطبي يعمد إلى قول "لغة".

وهو يورد في هذه القراءة "فنِعِمَّا هي" وجوها أربعة: نَعِمَ، نِعِمَ، نَعْمَ، نِعْمَ، ثم يرفع لغة " نِعْمَ" ويسمها بأنها أفصحُ اللغات.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ (القصص:18)؛ أي فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي خلصه بالأمس يقاتل قبطيا آخر أراد أن يسخره والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك لأن المستغيث يصرخ ويصوت في طلب الغوث. قال:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع *** كان الصراخ له قرع الظنابيب[1586].

أمس لليوم الذي قبل يومك وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين فإذا دخله الألف واللام أو الإضافة تمكن فأعرب بالرفع والفتح عند أكثر النحويين ومنهم من يبنيه وفيه الألف واللام وحكى سيبويه:« أنَّ بني تميم يقولون في موضع الرفع: ذهب أمس بما فيه، وما رأيته مذ أمس، فلا يصرفون في الرَّفع»،[1587] قال أبو حيان : «وَهُوَ مُعْرَبٌ، فَحَرَكَةُ سِينِهِ حَرَكَةُ إِعْرَابٍ لِأَنَّهُ دَخَلَتْهُ أَلْ، بِخِلَافِ حَالِهِ إِذَا عري منها، فالحجاز تبنيه إِذَا كَانَ مَعْرِفَةً، وَتَمِيمٌ تَمْنَعُهُ الصَّرْفَ حَالَةَ الرَّفْعِ فَقَطْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُ

[1584] النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص 132.

[1585] ديوان طرفة بن العبد، ص 79. وجاء الشطرالثاني من البيت بلفظ (نعم الساعون في القوم الشطر) .

[1586] ديوان سلامة بن جندل، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط2، 1407هـ1987م، ص123.

[1587] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص252.

الصَّرْفَ مُطْلَقًا، وَقَدْ يُبْنَى مَعَ أَلْ عَلَى سَبِيلِ النُّدُورِ» [1588]. قال القرطبي : وربما اضطر الشاعر ففعل هذا في الخفض والنصب » قال الشاعر:

لقد رأيتُ عَجَباً مُذْ أمْسَا *** عَجائزاً مِثْلَ السَّعالي خَمْسَا[1589].

فخفض بمذ ما مضى واللغة الجيدة الرفع فأجرى أمس في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية [1590]. وإن الكتابة الصحيحة هي (مذ أمسَ) والإعراب يكون مبني على الفتح في محل جر بمذ

والقرطبي يُجوّد البناء في الرفع على لغة تميم. فالقرطبي اختار بين اللغتين في إعراب أمس لغة تميم على لغة الحجاز .

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ (آل عمران: 146). قال الزُّهريُّ: صاح الشيطان يوم أُحد: قتِل محمد، فانهزم جماعةٌ من المسلمين. قال كعب بن مالك: فكنتُ أوَّل من عَرَفَ رسول الله ﷺ رأيتُ عَيْنَيْه من تحت المِغْفَر تَزْهَران، فناديتُ بأعْلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ فَأَوْمَأَ إليَّ أن اسكُتْ، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾ (آل عمران:146) [1591]، و (كَأَيِّنَ) بمعنى: كم. قال الخليل وسيبويه: هي (أيّ) دخلت عليها كاف التشبيه وبُنيت معها، فصار في الكلام معنى (كم)، وصُوِّرت في المصحف نُونًا؛ لأنَّها كلمة نُقلت عن أصلها، فَغُيِّر لفظُها لتغيُّر معناها، ثم كَثُر استعمالها، فتلعَّبَت بها العرب. وتصرَّفتْ فيها بالقلب والحذف، فحدثَ فيها لُغاتٌ أربعٌ قرئ بها. وقرأ ابن كثير:

[1588] أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ،ج8،ص294.

[1589] ذكره ابن منظور في لسان العرب، ج6 ص9.و سيبويه، الكتاب، ج3، ص285.والجوهري في الصحاح، ج3،ص904.وابن دريد في جمهرة اللغة، ج 2، ص 841.

[1590] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص252.

[1591] أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت 211هـ)، المصنف، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند يطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403، ج 5، ص 363، رقم 9735.

(وكَائِنْ) مثل: وكَاعِنْ، على وزن فاعل، وأصله: كَيْءٍ، فَقُلبت الياءُ ألفًا، كما قُلبت في يَيْأس، فقيل ياءَسُ، قال الشاعر:

وكَائِنْ رَدَدْنَا عَنْكُمُ مِن مُدَجَّجِ *** يَجِيءُ أَمَامَ الرَّكْبِ يَرْدِي مُقَنَّعَا [1592].

وقال آخر :

وكَائِنْ بالأبَاطِحِ مِنِ صَديقٍ *** يَرَانِي لو أُصِبْتُ هُو المُصَابَا [1593].

وقال آخر:

وكَائِنْ في المَعَاشِرِ مِنْ أُنَاس *** أَخُوهُم فَوْقَهَم وهُمُ كِرامُ [1594].

وقرأ ابن مُحيصن: (وكَئِنْ) مهموزًا مقصورًا، مثل: وكَعِنْ، وهو من كَائِنْ، حُذفت ألفه. وعنه أيضا: (وكَأْيِن) مثل: وكَعْيِنْ، وهو مقلوب كَيْءٍ المُخفَّف، وقرأ الباقون: (كَأَيِّنْ) بالتشديد مثل: كَعَيِّن، وهو الأصل، قال الشاعر:

كَأَيِّنْ من أُناسٍ لمْ يَزَالُوا *** أخُوهُمْ فَوقَهم وهُمُ كرامُ .

وقال آخر:

كأَيِّنْ أَبَدْنا من عدوٍّ بِعِزّنا *** وكائِنْ أَجَرْنا مِن ضَعِيف وخَائِف.

فجمع بين لغتين: كأين وكائن ولغة خامسة كيئن مثل كيعن وكأنه مخفف من كيئ مقلوب كأين ولم يذكر الجوهري«غير لغتين: كائن مثل كاعن وكأين مثل كعين تقول كأين رجلا لقيت بنصب ما بعد

(1592) سيبويه، الكتاب، ج2، ص170. شعر عمرو بن شاس الاسدي، يحي الجبوري، دار القلم الكويت، ط2، 1403ه 1983م، جاء بلفظ (متوّج، بدل مدّجج) .

(1593) ديوان جرير، ص244.

(1594) ديوان الكميت بن زيد الاسدي، ص 385. جاءت في الديوان بلفظ (أخوهم منهم) .

كأين على التمييز وتقول أيضا: كأين من رجل لقيت وإدخال من بعد كأين أكثر من النصب بها وأجود وبكأين تبيع هذا الثوب ؟ أي بكم تبيع »[1595] . قال ذو الرمة:

وكائن ذعرنا من مهاة ورامح ... بلاد العدا ليست له ببلاد [1596].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ (النحل: 66)؛ أي: لذيذًا هيِّنًا لا يَغَصُّ به مَن شَرِبه. يُقال : سَاغَ الشَّرَابُ يسوغُ سوغًا؛ أي: سَهُلَ مدخلُه في الحلقِ، وأَساغه شاربُه، وسُغتُه أنا أسيغُه وأَسُوغه، يتعدَّى ولا يتعدَّى، والأجود: أسغتُه إساغةً. يقال: أسِغْ لي غصَّتِي؛ أي: أَمهلني ولا تُعجلني، وقال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ (إبراهيم: 17) . والسِّواغ (بكسر السين): ما أسغتَ به غصَّتَك. يقال : الماء سِواغُ الغُصَص؛ ومنه قول الكُميْت:

فَكَانَتْ سِوَاغًا أن جَزَرْتُ بغُصَّةٍ [1597].

وروي أنّ اللبن لم يَشْرَقْ به أحدٌ قطُّ، وروي ذلك عن النبي ﷺ [1598].

قال القرطبي رحمه الله: لما نزل القرآن على النبي ﷺ قام هو وأصحابه فصلوا .فقال كفار قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى (طه) يقول: يا رجل ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ (طه: 2) أي لتتعب على ما يأتي. وعلى هذا القول: إن (طه) طاها أي طإ الأرض فتكون الهاء والألف ضمير الأرض. أي طإ الأرض برجليك في صلواتك . وخففت الهمزة فصارت ألفا ساكنة .وقرأت طائفة (طه) وأصله طأ بمعنى طإ الأرض؛ فحذفت الهمزة وأدخلت هاء السكت وقال

[1595] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ح 6، ص2277.

[1596] ديوان ذي الرمة، أحمد حسن بج، ص 70.

[1597] ديوان الكميت بن زيد الاسدي، تح: محمد نبيل الطرفي، دار صادر ، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص66. وتمام البيت شطره الثاني (فَكَانَتْ سِوَاغًا أن جَزَرْتُ بغُصَّةٍ***يَضِيقُ بهَا ذَرْعاً سَوَاهُم طَبِيبُهَا)و جاءت في الديوان كلمة عثرت بدلا لكلمة جزرت التى اوردها القرطبي.

[1598] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص355. و ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 3، ص405.

زر بن حبيش: قرأ رجل على عبد الله بن مسعود﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ (طه: 2) فقال له عبد الله: (طه) فقال: يا أبا عبد الرحمن أليس قد أمر أن يطأ الأرض برجله أو بقدميه فقال (طه) كذلك أقرأنيها رسول الله ﷺ وأمال أبو عمرو وأبو إسحاق الهاء وفتحا الطاء وأمالهما جميعا أبو بكر وحمزة و الكسائي و الأعمش وقرأهما أبو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين واختاره أبو عبيد والباقون بالتفخيم قال الثعلبي: وهي كلها لغات صحيحة فصيحة .قال النحاس: لا وجه للإمالة عند أكثر أهل العربية لعلتين: إحداهما أنه ليس هاهنا ياء ولا كسرة فتكون الإمالة والعلة الأخرى أن الطاء من الحروف الموانع للإمالة فهاتان علتان بينتان [1599].

في هذا المثال القرطبي تبنى رأيين مختلفين ولم يرجح ولم يفصل بينهما وقد بين قبل الحديث عن التفخيم والإنالة معنى الكلمة في اللغات.

عَنِ ابن عَبَّاس وَالحَسَنُ وَابْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٍ وَعَطَاء وَعِكْرِمَةَ: مَعْنَى طه يَا رَجُلُ. فَقِيلَ بِالنَّبطِيةِ. وَقِيلَ بِالْحَبَشِيةِ. وَقِيلَ بِالْعِبْرَانِيةِ. وَقِيلَ لُغَة يَمَنِية فِي عَكٍّ. وَقِيلَ فِي عُكْلٍ. وَقَالَ الكَلْبِيُّ: لَوْ قُلتَ فِي عَكٍّ يَا رَجُلُ لَمْ يُجِبْ حَتَّى تَقُولَ طه. وَقَالَ السُّدِّيُّ مَعْنَى طه يَا فُلَانُ. وَأَنْشَدَ الطبَرِي فِي مَعْنَى يَا رَجُلُ فِي لُغَة عَكٍّ قَوْلَ شَاعِرِهِم:

دَعَوْتُ بِطَهَ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلًا [1600]

﴿ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ (الفرقان: 67) قرأ حمزة و الكسائي و الأعمش و عاصم و يحي بن وثاب على اختلاف عنهما ﴿يَقۡتُرُوا﴾ بفتح الياء وضم التاء وهي قراءة حسنة من قتر يقتر وهذا القياس في اللازم مثل قعد يقعد وقرأ أبو عمرو بن العلاء و ابن كثير بفتح الياء وكسر التاء قال القرطبي: كلها لغات صحيحة قال النحاس: «وتعجب أبو حاتم من قراءة أهل المدينة هذه لأن أهل المدينة عنده لا يقع في

[1599] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص10- ص11.

[1600] المصدر نفسه ص9 و أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ،ج7،ص309.

قراءتهم الشاذ وإنما يقال: أقتر يقتر إذا افتقر كما قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ (البقرة: 236). وتأول أبو حاتم لهم أن المسرف يفتقر سريعا وهذا تأويل بعيد ويكن التأويل لهم أن أبا عمر الجرمي حكى عن الأصمعي أنه يقال للإنسان إذا ضيق: فتر يقتر ويقتر وأقتر يقتر فعلى هذا تصح القراءة وإن كان فتح الياء وأصح وأقرب متناولا وأشهر وأعرف» [1601] قال الفراء وقوله:« وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا بكسر التاء. قرأ أَبُو عبد الرحمن وَعَاصِم (ولم يُقْتِروا) من أقترت. وقرأ الْحَسَن (وَلَمْ يَقْتُرُوا) وهي من قَتَرت كقول من قرأ يَقْتُرُوا بضم الياء. واختلافهما كاختلاف قوله (يَعْرِشُونَ) و (يعرشون) و(يَعْكُفُونَ) و (يعكفون) ومعناهُ (لَمْ يُسْرِفُوا) فيجاوزوا فِي الإنفاق إلى المعصية (وَلَمْ يَقْتُرُوا): لَمْ يقصروا عمّا يَجب عليهم» [1602]. وقرأ أبو عمرو والناس ﴿ قَوَامًا﴾ بفتح القاف ويعني عدلا وقرأ حسان بن عبد الرحمن: ﴿قِوَامًا﴾ بكسر القاف أي مبلغا وسدادا وملاك حال والقوام بكسر القاف: ما يدوم عليه الأمر ويستقر قيل: هما لغتان بمعنى قال الفراء ﴿ قَوَامًا ﴾ خبر كان واسمها مقدر فيها أي كان إنفاق بين الإسراف والقتر قواما وله قول آخر يجعل ﴿ بَيْنَ ﴾ اسم كان وينصبها لأن هذه الألفاظ كثير استعمالها فتركت على حالها في موضع الرفع .

قال النحاس:« ما أدري ما وجه هذا لأن ﴿بَيَّنَّا﴾ إذا كان في موضع رفع رفعت كما يقال: بين عينيه أحمر» [1603]. (وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً) ففي نصب القوام وجهان إن شئت نصبت القوام بضمير اسم فِي كَانَ (يكون ذَلِكَ الاسم من الإنفاق) أي وَكَانَ الإنفاق (قَوَامًا بين ذلك) [1604]. كقولك:عدلًا بين ذَلِكَ أي بين الإسراف والإقتار. وإن شئت جعلت (بين) فِي معنى رفع كما تَقُولُ:

[1601] النحاس، إعراب القرآن، ج 3، ص 116.
[1602] الفراء، معاني القرآن، ج2،ص272.
[1603] النحاس إعراب القرآن، ج 3، ص 116.
[1604] الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص476.

كَانَ دونَ هذا كافيًا لك، تريد: أقلُّ من هَذَا كَانَ كافيًا لك، وتجعل (وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ) كَانَ الوسط من ذَلِكَ قَوَامًا. والقوَام قَوَام الشيء بين الشيئين. ويُقال للمرأة: إنَّها لحسنة الْقَوَام فِي اعتدالها. ويُقال: أنت قِوَام أهلِكَ أي بك يَقوم أمرُهم وشأنهم وقيَام وَقِيِّمٌ وَقَيِّمٌ فِي معنى قِوَامٍ[1605]. قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: 153) (إذ) متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ وقراءة العامة (تصعدون) بضم التاء وكسر العين وقرأ أبو رجاء العطاردي و أبو عبد الرحمن السلمي و الحسن وقتادة بفتح التاء والعين يعني تصعدون الجبل وقرأ ابن محيصن و شبل (إذ يصعدون ولا يلوون) بالياء فيهما وقرأ الحسن (تلون) بواو واحدة وروى أبو بكر بن عياش عن عصام (ولا تلوون) بضم التاء و«هي لغة شاذة»ذكرها النحاس[1606]. وقال أبو حاتم: أصعدت إذا مضيت حيال وجهك وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره فالإصعاد: السير في مستو من الأرض وبطون الأودية والشعاب والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح والسلاليم والدرج فيحتمل أن يكون صعودهم في الجبل بعد إصعادهم في الوادي فيصح المعنى على قراءة (تصعدون) و (تصعدون) قال قتادة و الربيع: أصعدوا يوم أحد في الوادي وقراءة أبي (إذ تصعدون في الوادي) قال ابن عباس: صعدوا في أحد فرارا فكلتا القراءتين صواب: كان يومئذ من المنهزمين مصعد وصاعد والله أعلم قال القتبي و المبرد: أصعد إذا أبعد في الذهاب وأمعن فيه فكأن الإصعاد إبعاد في الأرض كإبعاد الارتفاع قال الشاعر:

ألا أيهذا السائلي أين أصعدت ... فإن لها من بطن يثرب موعدا [1607].

[1605] الفراء، معاني القرآن، ج2، ص273.

[1606] النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص 184.

[1607] ديوان الاعسى الكبير ميمون بن قيس، ص 135.وجاء البيت في الديوان بلفظ (ألا أيهذا السائلي أين يمت *** فإن لها في أهل يثرب موعدا) واوردها القرطبي في الجامع بهذا اللفظ(ألا أيهذا السائلي أين أصعدت***فإن لها من بطن يثرب موعدا)، فبدلا من (يمت) جاءت (اصعدت) و بدلا من (من أهل يثرب) جاءت(من بطن يثرب)

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ (المائدة: 31) ،والأصل في يا ويلتى يا ويلتي ثم أبدل من الياء ألف وقرأ الحسن على الأصل بالياء والأول أفصح لأن حذف الياء في النداء أكثر وهي كلمة تدعو بها العرب عند الهلاك قال سيبويه وقال الأصمعي: ويل بعد وقرأ الحسن أعجزت بكسر الجيم[1608]. قال النحاس: « وهي لغة شاذة إنما يقال عجزت المرأة إذا عظمت عجيزتها وعجزت عن الشيء عجزا ومعجزة ومعجزة »[1609].

أي جعلناها لكم قرارا ومهادا وهيأنا لكم فيها أسباب المعيشة والمعايش جمع معيشة أي ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة يقال: عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشا ومعيشة وعيشة وقال الزجاج: المعيشة ما يتوصل به إلى العيش ومعيشة في قول الأخفش وكثير من النحويين مفعلة وقرأ الأعرج: معائش بالهمز وكذا روى خارجة بن مصعب عن نافع قال النحاس:« والهمز لحن لا يجوز لأن الواحدة معيشة أصلها معيشة فزيدت ألف الوصل وهي ساكنة والياء ساكنة فلا بد من تحريك إذ لا سبيل إلى الحذف والألف لا تحرك فحركت الياء بما كان يجب لها في الواحد ونظيره من الواو منارة ومناور ومقام ومقاوم »[1610]: كما قال الشاعر:

وإني لقوام مقاوم لم يكن ... جرير ولا مولى جرير يقومها[1611].

وكذا مصيبة ومصاوب وهذا الجيد ولغة شاذة مصائب قال الأخفش: إنما جاز مصائب لأن الواحدة معتلة وقال الزجاج:«هذا خطأ يلزمه عليه أن يقول مقائم »[1612]. ولكن القول أنه مثل وسادة

[1608] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص426.ص427

[1609] النحاس، إعراب القرآن، ج 1، ص 266.

[1610] النحاس، إعراب القرآن، ج 2، ص 46.

[1611] ديوان الاخطل، محدي محمد ناصر الدين، ص322.

[1612] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص321.

وإسادة وقيل: لم يجز الهمز في معايش لأن المعيشة مفعلة فالياء أصلية وإنما يهمز إذا كانت الياء زائدة مثل مدينة ومدائن وصحيفة وصحائف وكريمة وكرائم ووظيفة ووظائف وشبهه [1613].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ (الأعراف: 150) وكان ابنَ أمِّه وأبِيه. ولكنَّها كلمةُ لين وعطف. قال الزجاج: قيل: كان هارون أخا موسَى لأمِّه لا لأبِيه. وقُرِئ بفَتْح الميم وكَسْرها؛ فمن فتح جعل (ابنَ أُمَّ) اسمًا واحدًا كخمسةَ عشرَ، فصار كقولك: يا خمسةَ عشرَ أقْبِلُوا. ومن كسر الميم جعلَه مضافًا إلى ضمير المتكلم، ثُمَّ حذفَ ياء الإضَافة؛ لأنَّ مبنى النِّداء على الحذف، وأبقى الكسرة في الميم لتدلّ على الإضافة كقوله:(يَا عِبَادِ) يدلُّ على قراءة ابن السّميقع: (يا ابنَ أمّي) بإثْبات الياء على الأصل. وقال الكسائي و الفرَّاء و أبو عبيد: (يا ابن أمِّ) بالفتح، تقديره: يا ابنَ أُمَّا. وقال البصريون: هذا القول خطأ؛ لأنَّ الألفَ خفيفةٌ لا تُحذف، ولكن جعلَ الاسمين اسمًا واحدًا. وقال الأخفش و أبو حاتم: (يا ابنَ أمِّ) بالكسر كما تقول: يا غلامَ غلامِ أقبل، وهي لغةٌ شاذةٌ والقراءة بها بعيدة. وإنَّما هذا فيما يكون مضافًا إليك؛ فأمَّا المضاف إلى مضاف إليك فالوجه أن تقول: يا غُلام غُلامي، ويابنَ أخي. وجوَّزوا: يا ابنَ أمِّ، يا ابنَ عمِّ، لِكَثْرتها في الكلام. قال الزَّجّاج و النحَّاس:« ولكن لها وجهٌ حسنٌ جيّد، يجعلُ الابنَ مع الأمِّ ومع العَمِّ اسمًا واحدًا؛ بمنزلة قولك: يا خمسةَ عشرِ أقبلوا، فُحذفت الياءُ كما حُذِفت من: يا غلامِ» [1614].﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾ استذلُّوني وعدُّوني ضعيفًا ﴿ وَكَادُواْ ﴾: أي قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِى ﴾ بنونين، لأنّه فعل مستقبل ويجوز الإدغام في غير القرآن [1615].

قال الفراء وقوله تبارك وتعالى: « قالَ ابْنَ أُمَّ يقرأ (ابن أمَّ، وَأُمِّ) بالنصب والْخفض، وَذَلِكَ أنه كثر فِي الكلام فحذفت العرب منه الياء. ولا يكادونَ يحذفونَ الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادِي إلى نفسه، إلا قولهم: يا ابن عمّ ويا ابن أمّ. وذلك أنه يكثر استعمالهما فِي كلامهم. فإذا جاء ما لا

[1613] الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص150.
[1614] النحاس، إعراب القرآن، ج 2، ص 73.
[1615] الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص341-342.

يستعمل أثبتوا الياء فقالوا: يا ابن أبى، ويا ابن أخى، ويا ابن خالتى، فأثبتوا الياء.ولذلك قالوا: يا ابن أمّ، ويا ابن عمَّ فنصبوا كما تنصب المفرد فِي بعض الحالات، فيُقال: حسرتا، ويا ويلتا، فكأنّهم قالوا: يا أمّاه، ويا عمّاه. ولم يقولوا ذَلِكَ فِي أخ، ولو قيل كَانَ صوابًا. وَكَانَ هارون أخاهُ لأبيه وأمّه. وإنّما قَالَ لَهُ (يا ابن أم) ليستعطفه عَلَيْهِ »[1616].

المبحث الثاني: لغة قريش

المطلب الأول: قريش ولغتها ونسبها

إنها اللغة التي نزل بها آخر كتب السماء. وإن كثيرا من الكتب السماوية التي نزلت وسبقت القرآن ،لم يكن للغتها شيء يذكر ! ولكن لغة قريش نوع مختلف ؛ فإن ذلك العربي الذي عاش في الصحراء متلقيا فضاءها الرحب يملأه جمالا بشعرٍ يحاول به أن يجعل لذاته سورا منيعا . فلا يجد في ذلك العراء والامتداد إلا الكلماتِ دارا ومنزلا ؛ فينشد الشعر ويقرض القصيد وتردد لغنائه الفلوات وتتراقص تحت قدميه الرمال متوهجة تكاد أن تتوسله أن لا يكف . وهو بذلك يُبري صوته ليَجهز على كل معنى يخامره. فيرسمه قصيدة ماثلة تشمخ بين العرب كلماتها.

وترى الشاعر لا يخرج عن صبغة قبيلته ؛ فهو منها وهي منه لايفترقان ؛إن كشكشت كشكش وإن كسكست كسكس و إن تلتلت تلتل وإن طمطمت طمطم وإذا عنعنت عنعن وإذا تضجعت تضجع وأذا عجرفت عجرف....أشكال وهيئات نطقية لعربية واسعة اتساع الصحراء.فالعربي لم يُجد شيئا مثلما أجاد صناعة الكلام وكان إذا صوّب نحو عكاظ متأهبا للوجوه يقابلها، تراه ينزع إلى لغة سادة مكة فيُقرش لسانه و يخلع عنه سمات قبيلته وانتمائه ،لأنه رام العُلوّ والسُّمُوّ. فسيقول اللفظ العالي الذي يجعل لقصيده آذانا تُعانقه وقلوبا تُخامر معناه.وإن بقي في عباءة لغة قبيلته فسيهوي به العيب اللهجي إلى واد سحيق لا يعلمه ؛ إنه جفاء عناق المعاني لرداءة أوعيتها فاللفظ وعاء المعنى وقد أكد العلماء أن لغة قريش صفت وارتقت لأنها كانت تتخلى وتتحلى وتتعلى .تتخلى عن حوشي الألفاظ و«الوَحْشِيُّ من الكلام ما نَفر عن السمع» [1617]ومستكرهها ومستغلظها مستعيضة عنه بألطف

[1616] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 394.

[1617] السيوطي، المزهر ، ج1 ، ص185.

الألفاظ وأعذبها وأسهلها فتجريها على ألسنتها فهي بذلك تتحلى بالأجود الآسر الراقي ومابين تخل وتحل هي تتعالى عن اللغات الأخرى تميمها وقيسيها وهذليها طائيها وعن كل لغات العرب. قال أبو نصر الفرابي في أول كتابه المسمى

بـ (الألفاظ والحروف):«كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وإبانة عما في النفس» [1618].

وقال القرطبي :أَما قُرَيْشٌ فَهُمْ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ. فَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ فَهُوَ قُرَشِيٌّ دُونَ بَنِي كِنَانَةَ وَمَنْ فَوْقَهُ. وَرُبَّمَا قَالُوا: قريشي، وهو القياس

وَالتَّقْرِيشُ: الِاكْتِسَابُ، وَتَقَرَّشُوا أَيْ تَجَمَّعُوا. وَقَدْ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ فِي غَيْرِ الْحَرَمِ، فَجَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فِي الْحَرَمِ، حَتَّى اتَّخَذُوهُ مَسْكَنًا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قُرَيْشًا بَنُو فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ. فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَلِدْهُ فِهْرٌ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَثْبَتُ.

قال النبي صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ». قال القرطبي :صَحِيحٌ ثَابِتٌ، خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا [1619].

وَاخْتُلِفَ فِي تَسْمِيَتِهِمْ قُرَيْشًا عَلَى أَقْوَالٍ: أحدها: لِتَجَمُّعِهِمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ، وَالتَّقَرُّشُ: التَّجَمُّعُ وَالِالْتِئَامُ. قَالَ أَبُو جِلْدَةَ الْيَشْكُرِيُّ:

إِخْوَةٌ قَرَّشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا ... فِي حَدِيثٍ مِنْ دَهْرِهِمْ وَقَدِيمِ

[1618] السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) ،الاقتراح في أصول النحو ضبط وتعليق :عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2، 1427 هـ - 2006 م ،ص47.

[1619] الجامع لأحكام القرآن، ج، 20، ص202.

الثَّانِي-: لِأَنَّهُمْ كَانُوا تُجَّارًا يَأْكُلُونَ مِنْ مَكَاسِبِهِمْ. وَالتَّقَرُّشُ: التَّكَسُّبُ. وَقَدْ قَرَشَ يَقْرُشُ قَرْشًا: إِذَا كَسَبَ وَجَمَعَ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَبِهِ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ. الثَّالِثُ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُفَتِّشُونَ الْحَاجَّ مِنْ ذِي الْخَلَّةِ، فَيَسُدُّونَ خَلَّتَهُ. وَالْقَرْشُ: التَّفْتِيشُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُقَرِّشُ عَنَّا ... عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لَهُ إِبْقَاءُ[1620]

وقريش هي القبيلة المتحضرة على خلاف القبائل الأخرى « وإن كانت تُنسب إلى الحجاز دائما ولم تكن المصادر القديمة تسمي لغة قريش باسمها الصريح دوما وغالبا ما كانت تنسبها إلى الأقليم الذي تسكن فيه وقد تنسبها إلى منطقة أصغر من الإقليم أو تنسبها لفرد من القبيلة . وأشهر ما كانت تعرف به لغة قريش ؛ "لغة أهل الحجاز"» [1621] .

ومن ذلك ما ذكره الباحث إبراهيم الغوث«أن ثعلبا نسب (الهَدْي) بالتخفيف إلى أهل الحجاز وبالتشديد إلى تميم. وقال أبو حيان: إن التخفيف لغة قريش، فخصص ما عمم ثعلب » [1622] .

لقد أتيح للغة قريش أن تتبوأ المكانة الأولى بين اللهجات العربية الشمالية، فأصبحت هي الفصحى المقصودة عند الإطلاق، وكان على اللغويين القدامى أن يعنوا بها عناية خاصة، ويفضلوا نطقها ورسمها وإعرابها ووضعها واشتقاقها، فلم تحظ اللهجات العربية الباقية منهم إلّا بالقليل من أبحاثهم. فلندع الحديث عن لهجة قريش جانبًا، فقد أشبعها علماؤنا بحثًا، وقد زادها نزول القرآن بها مكانة ومجدًا؛ ولندرس لهجة تميم بين مجموعة اللهجات النجدية الشرقية؛ لنحاول إلقاء بعض الأضواء عليها، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض خصائصها ومزاياها [1623].

[1620] البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته. وروايته كما في شرح المعلقات:

أيها الناطق المرقش عنا ... عند عمرو وهل لذاك بقاء

قال التبريزي: (المرقش: المزين القول بالباطل ليقبل منه الملك باطله. ويقال إنه يخاطب بها عمرو بن كلثوم. ومعنى (وهل لذاك بقاء): (إن الباطل لا يبقى). وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه.الجامع ج20ص203 هامش رقم 3

[1621] مختار الغوث، لغة قريش ، دار المعارج الدولية للنشر المملكة العربية السعودية الرياض ط1 ،1418هـ 1997م، ص19

[1622] المرجع نفسه، ص19

[1623] صبحي إبراهيم الصالح (ت 1407هـ) دراسات في فقه اللغة دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ - 1960م، ص72.

ونص الفارابي عمدة في تحديد القبائل وبالتالي فهو تحديد للهجات العربية التي لا يخرج عنها النحوي طالب العربية، قال« إن قريشًا كانوا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وأجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ. وروي أن أفصح العرب عُليا هوازن، وسفلى تميم، وروى "الجاحظ" أن "معاوية" قال يومًا: "من أفصح العرب؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفُرات، وتيامنوا عن عنعنة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس لهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير. قال: من هم؟ قال: قريش» [1624].

قال ابن يعيش: «واللخلخانيّةُ: العُجمة في المنطق، يُقال: "رجل لخلخانيٌّ"، إذا كان لا يفصُح. وكشكشةُ بني تميم إلحاق الشين كافَ المؤنّث، وكسكسةُ بكر إلحاقُهم السينَ كافَ المؤنّث، وليستا بالفصيحة. والغمغَمَةُ أن لا يَتبيّن الكلامُ، وأصله أصواتُ الثّيران عند الذعْر، وأصوات الأبطال عند القِتال. وقُضاعةُ أبو حَيّ من اليَمَن، وهو قضاعةُ بن مالك بن سَبَأ. والطُّمطُمانيّةُ أن يكون الكلام مشتبهًا بكلام العَجَم. يقال: "رجلٌ طِمطِمٌ"، أي: في لسانه عجمةٌ لا يفصح. قال عنترة من الكامل:

تأوِي له حِزَقُ النَّعامِ كما أوَت ... حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لأعجَمَ طِمطِمِ »[1625]

قال الطبري: «وَكُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيٍّ، وَرِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَى أُمَّةٍ، فَإِنَّمَا أَنْزَلَهُ لَهُ بِلِسَانِ مَنْ أَنْزَلَهُ أَوْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ. وَاتَّضَحَ بِمَا قُلْنَا وَوَصَفْنَا أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَإِذَا كَانَ لِسَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَرَبِيًّا، فَبَيِّنٌ أَنَّ القرآن عَرَبِيٌّ، وَبِذَلِكَ أَيْضًا نَطَقَ مُحْكَمُ تَنْزِيلِ رَبِّنَا، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: 193) . وَإِذَا كَانَتْ وَاضِحَةً صِحَّةُ مَا قُلْنَا، بِمَا عَلَيْهِ اسْتَشْهَدْنَا مِنَ الشَّوَاهِدِ وَدَلَّلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ مَعَانِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، لِمَعَانِي كَلَامِ الْعَرَبِ مُوَافِقَةً، وَظَاهِرُهُ لِظَاهِرِ كَلَامِهَا مُلَائِمًا، وَإِنْ بَايَنَهُ كِتَابُ اللَّهِ بِالْفَضِيلَةِ الَّتِي فَضَلَ بِهَا سَائِرَ الْكَلَامِ وَالْبَيَانِ بِمَا قَدْ تَقَدَّمَ

[1624] جواد علي (ت 1408هـ)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م، ج 16، ص322.

[1625] ابن يعيش بن علي ، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي (ت 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط1، 1422 هـ - 2001 م،ج5، ص180.

وَصْفُنَا. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَبَيِّنٌ - إِذْ كَانَ مَوْجُودًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْإِيجَازُ وَالِاخْتِصَارُ، وَالِاجْتِزَاءُ بِالْإِخْفَاءِ مِنَ الْإِظْهَارِ، وَبِالْقِلَّةِ مِنَ الْإِكْثَارِ، فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، وَاسْتِعْمَالُ الْإِطَالَةِ وَالْإِكْثَارِ، وَالتَّرْدَادِ وَالتَّكْرَارِ، وَإِظْهَارُ الْمَعَانِي بِالْأَسْمَاءِ دُونَ الْكِنَايَةِ عَنْهَا، وَالْإِسْرَارُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْخَاصِّ فِي الْمُرَادِ بِالْعَامِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ الْعَامِّ فِي الْمُرَادِ بِالْخَاصِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ الْكِنَايَةِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْمُصَرَّحُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: نَزَلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ مَعْنَاهُ عِنْدِي الْأَغْلَبُ لِأَنَّ غَيْرَ لُغَةِ قُرَيْشٍ مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ مِنْ تَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ وَنَحْوِهَا وَقُرَيْشٌ لَا تَهْمِزُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ مَالِكٍ: أَنْزَلَ اللَّهُ القرآن بِلُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ التَّمِيمِيِّينَ كَالْإِدْغَامِ فِي ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾، وفي﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾، فَإِنَّ إِدْغَامَ الْمَجْزُومِ لُغَةُ تَمِيمٍ وَلِهَذَا قَلَّ وَالْفَكُّ لُغَةُ الْحِجَازِ وَلِهَذَا كَثُرَ نَحْوُ: ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾، ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾، ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ .

قَالَ: وَقَدْ أَجْمَعَ الْقُرَّاءُ عَلَى نَصْبِ: ﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ لأن لغة الحجاز بين الْتِزَامُ النَّصْبِ فِي الْمُنْقَطِعِ كَمَا أَجْمَعُوا عَلَى نَصْبِ ﴿مَا هَذَا بَشَراً﴾، لِأَنَّ لُغَتَهُمْ إِعْمَالُ"مَا".

وَزَعَمَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ جَاءَ عَلَى لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ» [1626]. قَالَ الْوَاسِطِيُّ: كلاما غريبا فيه تحامل على اللهجات العربية . قال: « لَيْسَ فِي القرآن حَرْفٌ غَرِيبٌ مِنْ لُغَةِ قُرَيْشٍ غَيْرَ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ لِأَنَّ كَلَامَ قُرَيْشٍ سَهْلٌ لَيِّنٌ وَاضِحٌ. وَكَلَامَ الْعَرَبِ وَحْشِيٌّ غَرِيبٌ فَلَيْسَ فِي القرآن إِلَّا ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ غَرِيبَةٍ: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ : وهو تحريك الرأس، ﴿مُقِيتاً﴾: مقتدرا،﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾: سَمِّعْ » [1627]. والدرس اللغوي معروف أنه بدأ

(1626) الطبري، جامع البيان، ج1، ص 12.

(1627) نقلا عن: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص124.

بسؤال عمر وابن عباس عن بعض الألفاك التي خفي عنهم معناها ولم تكن هذه الألفاظ التي ذكرها الواسطي ولكنها؛ (عزين) و(تخوف) و(أبا) وغيرها ومن ثم بدأت الرحلة للبوادي العربية لجمع اللغة.

المطلب الثاني: الأحرف السبعة ولغة قريش:

لم يرغم الإسلام أن ينحرف العربي بلسانه إلى لسان قريش ليقرأ القرآن، ولكنه يتلقاه بسمعه ليؤديه بلسانه. وَأَبْيَنُ مَا ذُكِرَ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حَتَّى بَلَغَ إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ فَكُلٌّ شَافٍ كَافٍ إِلَّا أَنْ تَخْلِطَ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ، عَلَى نَحْوِ هَلُمَّ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ وَاذْهَبْ وَأَسْرِعْ وَعَجِّلْ. وَرَوَى وَرْقَاءُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أن كان يقرأ" لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا": لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْهِلُونَا، لِلَّذِينَ آمَنُوا أَخِّرُونَا، لِلَّذِينَ آمَنُوا ارْقُبُونَا. وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أُبَيٍّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ" كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ"، مَرُّوا فِيهِ، سَعَوْا فِيهِ [1628].

واختلفوا في المراد بهذه الأحرف السبعة اختلافا كبيرا، فذهب معظمهم إلى أنها لغات، واختلفوا في تعيينها، فقال أبو عبيد قريش وهذيل، وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن، وقال غيره خمس لغات في أكناف هوازن سعد وثقيف وكنانة وهذيل وقريش ولغتان على جميع ألسنة العرب [1629]. وجعلها آخرون أربعين لغة ذكرها السيوطي في الإتقان نقلا عن الواسطي في الهداية .

قال عثمان للصحابة الذين كتبوا القرآن إذا اختلفتم انتم وزيد، فاكتبوه بلغة قريش، فعليهم أنزل، وقد استفاد العلماء من هذا الدستور أن الأحرف السبعة، لم يبق منها إلا حرف واحد جمع لغات العرب، لأن الله وصف القرآن بالعربي ولم يصفه بالقرشي.

[1628] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص42.

[1629] الصفاقسي علي بن محمد بن سالم أبو الحسن النوري (ت 1118هـ)، غيث النفع في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص12.

قال أبو عبيد: وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض، وذكر حديث ابن شهاب عن أنس أن عثمان قال لهم حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش، فإنه نزل بلغتهم. ذكره البخاري وذكر حديث ابن عباس قال: نزل القرآن بلغة الكَعْبَيْن، كعب قريش وكعب خُزاعة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار واحدة. قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم[1630].

قال القاضي أبو الطيب رضي الله عنه: معنى قول عثمان فإنه نزل بلسان قريش، يريد معظمه وأكثره، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ (الزخرف: 3)، ولم يقل قرشيًا، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب، وليس لأحد أن يقول: إنه أراد قريشًا من العرب دون غيرها، كما أن ليس له أن يقول: أراد لغة عَدْنان دون قَحْطان، أو ربيعة دون مُضَر، لأن اسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحد[1631].

وقال ابن عبد البر: قول من قال: إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب والله أعلم، لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها، وقريش لا تهمز، وقال ابن عطية: معنى قول النبي ﷺ.

(أنزل القرآن على سبعة أحرف)؛ أي فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مَرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هُذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظ، ألا ترى أن (فطر) معناه عند غير قريش: ابتدأ خلق الشيء وعلمه فجاءت في القرآن فلم تَتضح لابن عباس،حتى اختصم إليه أعربيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتها، قال ابن عباس: فهمت حينئذ موضع قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر:1). وقال أيضا: ما كنت أدري معنى قوله

[1630] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1، 1379، ج9،ص27. ذكره الطبري في تفسيره، ج1، ص61.

[1631] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 74.

تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ (الأعراف: 89)، حتى سمعت بنت ذي يَزِنٍ تقول لزوجها: تعال أفاتَحْكَ أي أحاكمك. وكذلك قال عمر بن الخطاب، وكان لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ (النحل:47)؛ أي على تنقص لهم. وكذلك اتفق[1632].

لقطبة بن مالك إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ (ق: 10)، يقرأ (باصقات) بالصاد، ذكره الثعلبي. ذكره مسلم[1633] في باب (القراءة في صلاة الفجر) إلى غير ذلك من الأمثلة.

إن هذه اللغات السبع إنما تكون في مُضَر، قاله قوم، واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلغة مُضَر، وقالوا: جائزٌ أن يكون منها لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهُذَيل، ومنها لتَيْم، ومنها لضَبة، ومنها لقَيْس، قالوا: هذه قبائل مُضَر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب، وقد كان ابن مسعود يحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر، وأنكر آخرون أن تكون كلها من مضر، وقالوا: في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها، مثل كَشْكَشة قَيس وتَمْتَمة تميم، فأما كشكة قيس فإنهم يجعلون كاف المؤنث شينا، فيقولون في ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ (مريم: 24): جعل رَبُّشِ تحتشِ سريًا، وأما تمتمة تميم فيقولون في الناس: النات، وفي أكياس: أكيات. قالوا: وهذه لغات يرغب عن القرآن بها، ولا يحفظ عن السلف فيها شيء.

وقال آخرون: أما إبدال الهمزة عينا وإبدال حروف الحَلْق بعضها من بعض فمشهور عن الفصحاء، وقد قرأ به الجِلة، واحتجوا بقراءة ابن مسعود: (لَيَسْجُنُنه عتى حين) ذكرها أبو داود.

ويقول ذي الرُّمَّة:

فعيناكِ عيناها وجيدُك جيدُها *** ولَونُكِ إلا عَنها غيرُ طائلِ[1634]

[1632] الجامع لأحكام القرآن،ج 1، ص 76.

[1633] صحيح مسلم رقم457 ج 1ص336

[1634] ديوان ذي الرمة، شرح الباهلي، ج 2 ،ص 1341 ،و ذكره الطبري في تفسير، ج 24، ص 680 . و البغدادي، خزانة الأدب، ج 11، ص468.

يريد إلا أنها.

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿أَنذَرْتَهُمْ﴾ (البقرة: 6)، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو والأعمش وعبد الله بن أبي إسحاق: (أانذرتهم) بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختارها الخليل وسيبويه، وهي لغة قريش وسعد بن بكر [1635]، وعليها قول الشاعر:

أيَا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بين جُلاجلٍ *** وبَيْن النَّقا آنتِ أَمْ أُمَّ سَالِم [1636]

هجاء (آنت) ألفٌ واحدة. وقال آخر :

تَطَالَلْتُ فَاستَشْرَفْتُهُ فعرفته *** فَقُلْتُ لَه آنتَ زَيْدُ الأَرَانِبِ [1637].

قوله تعالى: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: 38)، قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء : 103) وقرأ أبو جعفر و ابن محيصن: ﴿لَا يَحْزُنُهُمْ﴾ (الأنبياء: 103)؛ «بضم الياء وكسر الزاي» [1638]، الباقون بفتح الياء وضم الزاي قال اليزيدي: حزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقرئ بهما والفزع الأكبر أهوال يوم القيامة والبعث عن ابن عباس [1639]. والحُزْنُ والحَزَن: ضدَّ السُّرور، ولا يكونُ إلا على ماضٍ، وحَزَنَ الرجلُ –بالكسر- فهو حَزِنٌ وحَزِينٌ وأَحْزَنَه غيره وحَزَنَه أيضاً، مثل: أسلَكَه وسلَكَه، ومحزونٌ بُنِيَ عليه. قال اليزيديّ: حَزَنَه لغةُ قريش، وأَحْزَنَه لغةُ تميم، وقد قُرِئَ بهما [1640] قال الجندي:«قرأ أبو جعفر بضم الياء من أحزن و هي في تميم، و بعضهم من حزن، كما أورد ابن خالويه في الحجة عدة قراءات قرآنية جاء الفعل مرة من فعل، و أخرى من أفعل.

[1635] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص282.
[1636] ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي، ج2، ص767.
[1637] ديوان ذي الرُّمة، والبيت في ملحق ديوانه، ج3، ص 1849.
[1638] ابن الجزري، النشر، ج2، ص244، وإعراب القرآن للنحاس، ج3، ص82.
[1639] الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص295.
[1640] الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 489،

و كذلك عثرت على عدة قراءات قرآنية في كتاب شواذ القرآن جاءت كل قراءة على أحد هذين الوزنين) »[1641].

وهذا موطن اتفاق بين لغة التميمين والقرشيين للدلالة على أنه لايوجد ذلك الانفصال الموهوم بين لغات العرب فالأداءات اللغوية في جزئياتها موجودة و الاتفاق بين الحاضرة والبادية حاصل. فكلمة الحزن لغة قرشية كما أنها لغة تميمية.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ (البقرة: 132) أي: بالمِلَّة، وقيل: بالكلمة التي هي قوله: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: 131)، وهو أصوب، «لأَنَّهُ أقربُ مذكور» [1642]؛ أي: قولوا: أسلمْنَا.

ووصَّى وأَوْصى لُغتَان لقريش وغيرهم بمعنًى، مثل: «كَرَّمْنَا وأَكْرمنا» [1643]، وقُرئَ بهما. وفي مصحف عبد الله: (ووَصَّى) وفي مصحف عثمان: (وأَوْصَى)، وهي قراءة أهل المدينة والشام. الباقون: (ووَصَّى)، و«فيه معنى التكثير » [1644]قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ (النساء: 16). اللذان الذي وكان القياس أن يقال: اللذان كَرَحْيان ومصفيان وشجيان قال سيبويه:« حذفت الياء ليفرق بين الأسماء المتمكنة والأسماء المبهمات» [1645] وقال أبو علي: (حذفت الياء تخفيفا إذ قد أمن اللبس في اللذان لأن النون لا تنحذف ونون التثنية في الأسماء المتمكنة قد تنحذف مع الإضافة في رحياك ومصطفيا القوم فلو حذفت الياء لاشتبه المفرد بالاثنين).

[1641] الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج2، ص 622.
[1642] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص213.
[1643] النحاس، إعراب القرآن، ج1، ص227.
[1644] المحرر الوجيز، ج1، ص213، والسبعة، ص171.
[1645] سيبويه، الكتاب، ج3، ص411.

وقرأ ابن كثير اللذان بتشديد النون' وهي لغة قريش وعلته أنه جعل التشديد عوضا من ألف ذا [1646]. قال الجندي:« قرأ الجمهور بسكون الدال، بينما قرأها الحسن و عصمة عن عاصم واللؤلؤي وخارجة عن أبي عمرو - بالتشديد. و مما تجب الإشارة إليه أن التشديد عن أبي عمرو، وأبو عمرو هذا تميمي. و قد وردت هذه القراءات عن ابن خالويه. و من هذا العرض ظهر أن التشديد مالت إليه القبائل البدوية – كتميم و سفلى قيس، بينما لهجة قريش و الحجاز قد آثرت التخفيف» [1647].

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ (الأنفال:57) قال سعيد بن جبير: المعنى أَنْذِرْ بهم مَن خَلْفَهُم. قال أبو عبيد: هي لُغة قُريش: شَرِّدْ بهم: سَمِّعْ بِهم. وقال الضحاك: «نَكِّلْ بِهم » [1648]. الزجاج : «افعل بهم فعلا من القتل تفرق به من خلفهم» [1649]. وفي قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (الكهف: 22) قال القرطبي: هي لغة فصيحة لبعض العرب من شأنهم أن يقولوا إذا عَدُّوا: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة وهكذا هي لغتهم ومتى جاء في كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو قلت: هي لغة قريش [1650]. قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ هُونٍ﴾ (النحل: 59)؛ أي: هَوانٍ، وكذا قرأ عيسى الثقفي: « على هَوانٍ» [1651]. وقال الفرّاء « الهُون: الهَوانُ بلغة قريش؛ قاله اليزيديّ وحكاه أبو عبيد عن الكسائي»: «هو القليل بلغة تميم، وقال الكسائي: هو البلاء والمشقة» [1652].

قوله تعالى: ﴿ نُّسْقِيكُم﴾ (النحل: 66) (نُّسْقِيكُمِ) قراءة أهل المدينة وابن عامر، وعاصمٍ في رواية أبي بكر: بفتح النون، مِنْ سَقَى يَسْقِى. وقرأَ الباقُونَ وحفصٌ عن عاصم بضم النونِ، من أَسْقَى يُسْقِي وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة قيل: «هما لغتان» [1653]، وقال لبيد:

[1646] الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص141.

[1647] الجندي،اللهجات العربية في التراث، ج2، ص 659.

[1648] النحاس، معاني القرآن، ج3، ص164.

[1649] الزّجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م ج2،ص420.

[1650] الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص247.

[1651] النحاس، معاني القرآن، ج4، ص76، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة، ص73 للجحدري.

[1652] معاني القرآن، الفراء،ج2، ص 106-107.

[1653] ابن الجزري، التيسير، ص138، والسبعة ص374.

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقَى*** نَمَيْرًا والقَبَائلَ مِن هِلالِ [1654]

قال القرطبي رحمه الله : يُقال لما كان من يدكَ إلى فيه: سَقيتُه، فإذا جعلت له شُرْبًا، أو عَرَّضتَه لأَن يَشْرَبَ بفِيهِ، أو بزرعه، قلت: أَسقيتُه، قاله ابنُ عزيز وقد تقدم. وقرأت فرقةٌ: (تسقِيكم) بالتاء، وهي ضعيفة، يعني: الأنعامَ، وقُرئ باليَاء؛ أي: يَسقِيكم الله ﷻ. والقُراء على القراءتين المتقدِّمتين، ففتحُ النونِ لغة قريش، وضمُّها لغة حِمير [1655]. وقال في الآية : ﴿فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه﴾، والبرهان اليد والعصا وقرأ ابن كثير: بتشديد النون وخففها الباقون وروى أبو عمارة عن أبي الفضل عن أبي بكر عن ابن كثير (فذانيك) بالتخفيف والياء وعن أبي عمرو أيضا قال لغة هذيل: (فذانيك) بالتخفيف والياء ولغة قريش (فذانك). [1656]قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا ﴾ (الروم: 54) يعني: «الهَرَمُ» [1657].

وقرأ عاصم و حمزة : بفتح الضاد فيهن الباقون بالضم لغتان «والضم لغة النبي ﷺ » [1658]، وقرأ الجحدري: من ضعف ثم جعل من بعد ضعف بالفتح فيهما ضعفا بالضّم خاصة «أراد أن يجمع بين اللغتين» [1659] قال الفرّاء: الضم لغة قريش والفتح لغة تميم [1660] وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ (الجاثية: 28)؛قال القرطبي رحمه الله : والأمة هنا: أهل كل ملة وفي الجاثية. تأويلات خمسة: الأول: قال مجاهد: مستوفزة»، وقال سفيان المستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتَاه وأطراف أنامله. الضحاك: ذلك عند الحساب: الثاني مجتمعة قاله ابن عباس: الفرّاء:«المعنى وترى أهل

[1654] ديوان لبيد ابن ربيعة، ص168.
[1655] الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص350،ص351.
[1656] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص276.
[1657] الطبري، تفسير الطبري، ج18، ص525.
[1658] ابن مجاهد، السبعة، ص508، والداني، التيسير، ص175.
[1659] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4، ص343.
[1660] الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص450.

كل دين مجتمعين. الثالث متميزة قاله عكرمة. الرابع: خاضعة بلغة قريش قاله مؤرج» [1661] ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما [1662]، و«الخامس: باركة على الرّكب» [1663]؛ قاله الحسن. وقال القرطبي في الآية ﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ (الأحقاف: 20)؛ عذاب الخزي والفضيحة، قال مجاهد الهون الهوان قتادة : بلغة قريش [1664].وقال بعض أهل اللغة: دبُر الليل: إذا مضى وأدْبر: أخذ في الإدْبَار وقال مجاهد : سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾ (المدثر: 33) فسكت حتى إذا دَبَر قال : يا مجاهد هذا حين دُبُر الليل.

وقرأ محمد بن السميقع(والليل إذا أدْبر) بألفين وكذلك في مصحف عبد الله وأبي بألفين وقال قطرب من قرأ (دبر) فيعني أقبل من قول العرب دبر فلان: إذا جاء من خلفي قال أبو عمرو: وهي لغة قريش وقال ابن عباس في رواية عنه: الصواب: (أدْبَر) إنَّما يُدْبِرُ ظهر البعير واختار أبو عبيد: (إذَا أدْبَر) قال : قال لأنَّها أكثر موافقة للحروف التي تليه [1665].

روى أبو بكر بن عبد العزيز عن مالك قال: بلغني أن قول الله تعالى: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ (الماعون: 7)، إن الماعون المال بلسان قريش قاله ابن شهاب وسعيد بن المسيب [1666].

قال الفراء: وسمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء .

وأنشدني فيه:

يمج صبيره الماعون صبا

[1661] الفراء،معاني القرآن، ج3، ص 48.
[1662] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص169.
[1663] الفراء،معاني القرآن، ج3، ص48.
[1664] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص205.
[1665] الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص391ص392.
[1666] الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص515.

قال الفراء:

نسيت شطر البيت والصبير السحاب [1667]

قال الفراء :الماعون هو الماء. فقط ولم يقل أنها لغة قريش[1668]

وإن كلمة ماعون قد أخذت مفهوما جديدا في ظل الإسلام، فأصبح من معانيها الطاعة والزكاة [1669] يقول الراعي :

قوم على الإسلام لما يمنعوا....ما عونهم ويضيعوا التهليلا

إن القرطبي في تعرضه للغة قريش ينسبها باسمها فيقول كما مر(لغة قريش) أو يسمها ب(لغة مكة) أو ينسبها إلى الرسول ﷺ.

هي نماذج مما ذكر القرطبي في تفسيره للغة قريش وليست هذه القراءات هي كل ما ذكر .

إنّ اللغة العربية لغة متسعة مستوعبة أكثر من معظم لغات الأرض، مرنة بما لها من خصائص الاشتقاق والنحت والتعريب، فهي وكما أعطت أبناءها في الماضي القدرة على التأليف والترجمة والابتكار في جميع مجالات المعرفة الإنسانية خلال العصور الإسلامية المزهرة، فإن بإمكانها اليوم أن تمدهم بكل ما يحتاجون من مفردات لاستيعاب الحضارة الحديثة بكل ما فيها من مستحدثات علمية ووسائل تقنية متطورة .

والمستعمل اليوم من مفردات اللغة العربية لا يزيد كثيرا عن عشرة آلاف مادة تتسع لحاجات التأليف والتعبير كلها بينما نجد كثيرا من معجمات اللغة تحوي أضعاف هذا العدد[1670].

[1667] والبيت كله في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي أبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت 756 هـ) ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ،ط1، 1417 هـ - 1996 م ،ج4، ص101 إذا نسمٌ من الهيف اعتراه ... يمج صبيره الماعون صبا.

[1668] الفراء ، معاني القرآن ،ج3، ص295

[1669] صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء ـ دراسة نحوية وصرفية ولغوية ـ ،دار الطباعة المحمدية القاهرة ،ط1 ،1406هـ ـ1986م ص397.

[1670] عبد اللطيف الصوفي، الصوفي، ص 31

فمعجم الصحاح للجوهري مثلا يحوي أربعين ألف مادة مشروحة والقاموس المحيط للفيروز أبادي يحوي ستين ألف مادة مشروحة واللسان ثمانين ألفا وتاج العروس وعشرين ومائة ألف مادة من ألفاظ اللغة العربية[1671].

وقال الكسائي: (لقد درس من كلام العرب الكثير)[1672]. قال أبو عمرو بن العلاء: « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير»[1673].

وكتب الجندي في بداية مؤلفه قول كارل بروكلمان :(إن معجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم في ثرائه، إنه نهر تقوم على إرفاده منابع اللهجات التي تنطق بها قبائل العربية)[1674].

وعلى قول ابن جني: وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها، أن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب لكنه كان يكون مخطئا لأجود اللغتين، فأما إن جنح إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعي عليه وكذلك إن يقول على قياس لغته كذا كذا، ويقول على مذهب من قال كذا وكذا، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرا منه[1675].

اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال "ما" يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك؛ لأن لكل واحد من القومين ضربًا من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله. وليس لك أن تردَّ إحدى اللغتين بصاحبتها؛ لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخيّر إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين

[1671] عبد اللطيف الصوفي، الصوفي، ص 32.

[1672] ابن منظور، لسان العرب مادة (درس)، و محمد عاشور، تفسير العدل والاعتدال، ص438.

[1673] القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت، ط1، 1406 هـ - 1982م ج2،ص106. وعبد اللطيف الصوفي، مصادر اللغة في المكتبة العربية ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص32.

[1674] الجندي (علم الدين)، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ج1،ص5.

[1675] ابن جني، الخصائص، ج2، ص12.

أقبل لها وأشد أنسا بها. فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا. أوَلا ترى إلى قول النبي -ﷺ: "نزل القرآن بسبع لغات كلها كافٍ شافٍ".

هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين.فأمَّا أن تَقِلَّ إحداهما جدًّا وتكثر الأخرى جدًّا، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياسًا [1676].

فإذا كان الأمر في اللغة المعوّل عليها هكذا، وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها، وأن يتخير ما هو أقوى "وأشيع" منها، إلّا أن إنسانًا لو استعملها لم يكن مخطئًا لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئًا لأجود اللغتين. فأمَّا إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه، غير منعيّ عليه..فهذا هو القياس، وعليه يجب أن يكون العمل [1677].

هذه اللغة التي وعت كتاب الله الخالد الذي جعله الله للناس كافة، فهو آخر كتبه، فلا يعقل أن يكون للأولين حظ من دراسته وفهمه والوقوف على جوانب الإعجاز فيه، ويُحرم من ذلك جيلٌ أو عصرٌ تقدم أو تأخر. فقد جعل الله في هذه اللغة حياة بعد حياة، فهي تحيا وتتجدد بموروثها الزاخر العميق، والذي بذل الأوائل جهودا مضنية في جمعه وتبويبه ليصل إلى الدارسين، الناهلين من مواطن الجمال في لغة القرآن، إنها لغة واسعة بألفاظها، غنية متينة بنحوها الذي فيه من المرونة ما يشمل سعة العربية، وكل ذلك في ثرائها المبثوث في بطون كتب اللغة على اختلاف تخصصاتها.

إن الإنسان طاقات متجددة وحالات كثيرة وهيئات مختلفة واللغة وسيلته في التعبير، فهي تسايره في كل أحواله فإن غضب احتاج إلى لغة غضبى، وإن حزن احتاج إلى لغة ترسم حزنه، وإن هزل كذلك، اللغة تناسب نفسية الإنسان إذا تكلم وتحتوي أحواله كلها ؛ فقد يكون الإنسان في أحوال ــ لا يكون عليها غالباــ من اليأس والقنوط والإحباط؛ فيحتاج إلى لغة تكسّر كلّ القواعد والقوانين مثلما هي نفسيته في تلك اللحظة. واللغة العربية بمرونتها تخضع للمتكلم فتبيح له إنشاء التراكيب التي تعبّر عن حاله.

[1676] ابن جني، الخصائص، والصفحة نفسها.

[1677] المصدر نفسه، ج2، ص15.

إنّ «اللغة أعظم انجاز بشري على ظهر الأرض، ولولا اللغة ما قامت للإنسان حضارة ولا نشأت مدنية، ولقد وقر في أذهان الناس منذ القديم تقديس اللغة وإعظام شانها، وبلغت القداسة عند الشعوب البدائية أن ارتبطت اللغة عندهم بتأثير اللفظ وسحر الكلمة، واختلط الاسم بالمسمى في عقيدة هذه الأقوال.

وقد أدرك العلماء في العصر الحديث علاقة اللغة بالمجتمع الذي تعيش فيه ومدى تأثرها وتأثيرها عليه كما عرفوا الصلة القائمة بين اللغة والنفس الإنسانية وتلونها بألوان الانفعالات والعواطف الوجدانية لدى بني البشر»[1678].

إن اللغة حية تساير حياة الإنسان وتتفاعل معه وتحتويه ولذلك حسّن كثير من الناقدين قول الفرزدق للحضرمي :علينا أن نقول، وعليكم أن تتأولوا. فمذ قال أبو الأسود نصه الخالد، لم يبعد أي لهجة فكل اللهجات العربية على اختلافها وكثرتها ترفع وتنصب وتجر، هذا الرابط العام الذي تخضع له كل لهجات العرب على اختلافها وتنوعها، هو القلب النابض للعربية عامة.

إن علوم القرآن على اختلافها تتجدد والعربية تابعة للقرآن، لا تخرج عنه بلهجاتها المختلفة التي حافظت عليها القراءات القرآنية فهي قد نقلت زخما كبيرا من مظاهر اللهجات العربية التي تنبهت لها المجامع العلمية[1679]. لدراستها ولعلهم يستطيعوا أن يرسموا المعالم التي تَبني للهجات العربية اكتمالها. على الأقل لينبهوا مخرجي السنما والأفلام التي تتحدث عن تاريخ العرب أن العرب لم يتحدثوا أبدا لغة واحدة، وإنما كانت هناك لهجات مختلفة لكل قبيلة لهجتها قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ (الروم: 22)

لقد عاشت اللغة العربية في أوروبا ثمانية قرون، وكانت جامعات الأندلس منارة أوروبا والغة العربية لغة الحضارة آنذاك، والغرب لا تعترف بهذه اللغة وارتضى أن تكون نشأة اللسانيات عنده منطلقة من لغة من شرق آسيا ممثلة في لغة الكتاب المقدس للهنود "الفيدا"؛ السنسكريتية، ولم يجعل

(1678) رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417ه/1997م، ص03.
(1679) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 3، 2003م، ص7 .

الغرب هذا الفضل وهذه المزية للغة لاتينية من لغاته، ولكنه ارتضاها لهذه اللغة الوافدة والتي رسمت إرهاصات ملامح تغير منهجهم في الدرس اللغوي، باعتماد اللغات الإغريقية واللاتينية والهندوأوروبية كمجال لغوي حركته النظرة اللسانية الجديدة ممثلة في نظريات دي سوسير التي عرفها العالم سنة 1916م. وعن ذكر الغرب العربية فإنما للحط منها ولتشويه حقيقتها، والأمثلة كثيرة منها احد المعاصر ين تشومسكي: «أما اللغة العربية فلا تميز بين البيت والمنزل والمسكن والدار كما تفعل الانجليزية والاسبانية في تمييزها بين البيت والمنزل، فالبيت فيها اعم من المنزل فإذا قلت في الانجليزية هو في البيت He is in the house فقد يكون البيت له أو لغيره، أما إذا قلت هو في المنزل He is at home فيدل على أنه منزله»[1680].

ولذلك فقد بطلت كل مساعي من أرادوا أن يغيبوا لغة القرآن ويُحلوا محلها العاميات من أمثال سلامة موسى ومن هم على شاكلته وقد قيض الله للعربية رجالا دافعوا عنها، قال صبحي الصالح: إلى هذا لفت الدكتور "طه حسين" الأنظار وهو يقرع ناقوس الخطر ويقول: «أحب أن ألفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالالتجاء إلى اللهجات العامية إلى شيء خطير ما أرى أنهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير. هو أن العالم العربي الآن، وكثيرًا من أهل العالم الشرقي كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه وللتواصل الصحيح القوي بين أقطاره المتباعدة، فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية، فيمعن كل قطر في لهجته، وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتدابر، ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسين».

ولنسأل أنفسنا آخر الأمر: أيهما خير؟ أن تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى، يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق، أم أن تكون لهذا العالم لغات بعدد الأقطار التي

(1680) نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ص 1.

تتألف منها، وأن يترجم بعض عن بعض؟ أما أنا فأوثر وحدة اللغة هذه فهي خليقة بأن يجاهد في سبيلها المؤمنون بها وبأن يضحوا في سبيلها بكل ما يملكون [1681].

لقد جعل الله كتابه هو آخر رسالاته للبشر، نهل الأوائل من معين العربية ليتذوقوا الجمال ويعلموا الإعجاز. وقد وسعت العربية كل أذواقهم على اختلاف مشاربهم وقدراتهم، ولقد أحسن نحاة الكوفة إذ بنوا قواعدهم على الشاهد والشاهدين، وإن كان ذلك قد ذمّه كثير من الدارسين، إلا أن الكوفيين قد فتحوا نوافذ وأبوابا أغلقها البصريون بشروطهم الصارمة في تقعيد قواعدهم.

وبقيت العربية فيها من الثراء والاتساع ما يجعل كل أجيال البشرية تقف على إعجاز القرآن من خلال لغة القرآن الكريم.

وما ذلك الاختلاف الذي يعيشه النحاة حول مسائل العربية المختلفة إلا تنوع واتساع يدلان على غنى موارد العربية التي لاتنضب ولا تنتهي، مُسَايِرَةً للقرآن كتابَ الله، فهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد .

إن القرآن والعربية متلازمان ما بقي الملوان

[1681] صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص360.

الخـــاتمـة

وخلصت في الأخير أنّ:

– القرطبي رحمه الله عالم عابد زاهد، آل على نفسه أن يخدم كتاب الله، فاعتكف لتفسيره ، مستعينا بالله متوجها إليه . وهو أندلسي المولد و النشأة ،أنصاري النسب، تتلمذ على جماعة من العلماء الأندلسيين في قرطبة عاصمة العلم والثقافة آنذاك. ولما داهمها الأسبان وسقطت في أيديهم توجه إلى مصر شابا شغوفا بالعلم والعلماء فجلس مُتعلما إلى مشايخه المصريين فأخذ من علمهم ؛ فجُمع له علم المغربيين والمشرقيين .

ــ لم يُعرف للقرطبي تلاميذ وأتباع ،لأنه أمضى عمره معتكفا في بيته في مصر ؛ لتأليف سفره الكبير . وإنه وإن لم يكن له تلاميذ مثل ما كان لأقرانه إلا أن علمه صيّر له أتباعا ومحبين.

- لقد ألف عددا من الكتب معظمها ضاع لم يبق منها إلا ذكرها في تفسيره أو فيما بقى كالتذكرة والتذكار وغيرهما. وكان الجامع أكبر كتاب ألفه وهو كتاب جامع حقا فيه اللغة و النحو والصرف والحديث والعقيدة. والتاريخ ...وكان كالشجرة التي غطت الغابة وبه عرف وقد اشتهر وذاع بين الناس وتلقته الأمة بالقبول .

- لقد ضبط القرطبي منهجه الذي رسمه في كتابه وبينه في مقدمته ذاكرا شرطه ـ وهو إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها .وما حاد عنه على طول مادة كتابه. ولذلك جاء كتابه مُبينا منهج العلماء المسلمين في حرصهم على الأمانة العلمية وسيظل هذا المنهج عنوان الحضارة الإسلامية التي سبقت الأمم زمنيا في التزامها بالأمانة .

وهناك أمم نشأت حديثا تريد أن تنسب لها ما سبقت إليه وتُعري الحضارة العربية الإسلامية من كل فضل . وقد تفوق على منهجية البحث بصرامته التي ضبط بها سفره . فما من كتاب استقى القرطبي منه مادته إلا واسمه مثبت .ولذلك لا يوجد عند القرطبي القائل المجهول، كما أنه لايوجد النص المبتور دون ذكر قائله .فهو يعرض الأقوال وينسبها إلى قائليها في المسألة

الواحدة وعندما يتم العرض بالبيان والشرح، يستقل برأيه مصدرا الكلام ب(قلت) ليصفي كلامه من كلام غيره .

- تفسير القرطبي من التفاسير الموسوعية المقارنة إذ أنه لا يلتزم رأيا واحدا يبني عليه أحكامه، ولكنه يعرض آراء مختلفة من اتجاهات مختلفة، فهو يتخير بعد العرض المحايد وقد يكوّن له رأيا خاصا به وفق شروط وضوابط وحجج. فهو لا ينحاز لرأي لأنه ليس مقلدا ولايتعصب لرأيه . وهذا أظهر في مسائل الفقه . وإن كان القرطبي قد خاض ميادين تصارع الآراء في العقيدة والفقه واللغة وشيء يسير التاريخ .

عندما يلج القرطبي دراسة مسألة من الجامع أجده كأنه في صلاة؛ فيأتي بها كاملة الأركان فالعلم عنده عبادة وهذه العبادة لا تتجزأ لابد أن يأتي بها كاملة على الوجه الأتم ولذلك فهو يتجهز لمسائله مسألة مسألة . وكلما بدأ عله همه تجذه على نسق واحد وعلى أداء وتحد وكل مسألة كأنما درسها وحدها ولم ولن يدرس غيرها فيستفرغ فيها الجهد دون كلل ولا ملل ولا نصب ولا اقتضاب فهو يوفيها حقها دراسة ودراية

ولقد بناه على أساس اللغة والقراءات ولذلك فلا تكاد تخلو آية من النظر اللغوي وبيان وجوه قراءتها فجاءت مباحثه شاملة موسعة.

- أظهر القرطبي براعة وقدرة واسعة في توجيه القراءات وقد وظف لذلك علوما كثيرة حركت مخزونا من علوم القرآن وعلوم اللغة وحركت علمه بعلوم الحديث فهو يستعين بالحديث في توجيهه للقراءات وكان في توجيهه يتوجس خيفة أن لا يبجل القراءة ولكنه كان يسير في موكب النحويين الذين يتهجمون على القراءات وكلن يعرض للغوين المتهجمين أقوالهم ويسكت وهو تبنٍ للرأي ظاهر ولكنه كان يقف أيضا عند الآراء التي تدافع عن القراءة ويعضدها وأحيانا كثيرا يعرض الآراء في القراءة المختلفة دون أن يفصل رأيا محايدا ثالثا خاصا به فقد كان مدافعا مرجحا وكانت له اختيارات ولذلك هذا التفسير يعتبر كتابا من كتب الاحتجاج

- أظهر القرطبي رحمه الله براعة في مجال اللغة استطاع بها أن يدير القضايا اللغوية بمرونة سمحت ببيان الآراء المختلفة في المسألة الواحدة، ثم يجرد وينحو له برأي مستقل .

- القرطبي لا يكرر الشرح والبيان وإنما يكتفي بشرح الظاهرة اللغوية مرة واحدة حيث ابتدأت ثم يحيل إليها إن تكرر ورودها.

- الهمز ظاهرة لغوية تميز العربية بوجودها وعدمها تتمايز اللهجات العربية هذا ما أدى إلى ثراء بارز في اللغة. وهي ظاهرة في تميم وما جاورها وقد جاءت قراءات كثيرة بالهمز عند من يهمزون وهمز حتى ابن كثير وبالغ في الهمز في بعض قراءاته مثل(معائش ونبيء)

لقد عالج القرطبي مسائل الإدغام مبينا مواطنها متبعا في ذلك ما ورد عن سيبويه والأخفش والفراء والنحاس ويكون بذلك أدار ثروة لغوية حركتها القراءات وأظهرت التنوع في الآداء بين لغات العرب إدغاما وإفكاكا وقد تبين في ذلك انقسام القبائل العربية في الإدغام إلى قسمين القسم المدغم قسم يمثل البادية العربية وخشونة أدائها الصوتي لما تمتع به من قوة في جهازها الصوتي فالإدغام فيه جهد إضافي عن التفكيك الذي تمثله القبائل المتحضرة على رأسها قريش إذ أنهم يميلون إلى السهولة واليسر في الأداء ففككوا ولم يدمجوا الأصوات.

- كما أن القرطبي أدار مسائل الإبدال وهو يفصل في الوجوه المتنوعة للقراءة القرآنية على حسب كل لهجة وقد أظهر بذلك مادة لغوية كبيرة تصب في الإبدال اللغوي بين الأصوات العربية وبذلك كشف عن التنوعات المختلفة للفظة الواحدة داخل المجموعة اللغوية، اللسان العربي ممثلا في كل اللهجات العربية، وفصل الإبدال كشف أيضا عن المظاهر المتلفة للتنوع الأدائي عند القبائل وكل قبيلة بما وُسمت.

لقد أكثر القرطبي من ذكر اللهجات العربية فكانت عنده على درجات منها ما كثر ورودها ومنها ما قل ورودها.

- لا يكتفي القرطبي بذكر معاني الألفاظ وإعرابها ووجوه قراءة الآية، وإنما يفصل في اللفظة باحثا عن أصولها، وذاكرا كل قضايا الإعلال والإبدال، والهمز، فهو نحويّ متميز.

- كل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم علم مستقل يمكن أن تدرس أفقيا لايراد معناها في سياقها، أو تدرس عموديا بالبحث عن أصولها، وتدرس دلاليا في تنوع معانيها في فضاء واسع وهو البعد الثالث الذي يجعل اللفظة القرآنية عالما خاصا لا تشاركها فيه لفظة أخرى.

وبالتالي يظهر تميّز العربية على كل اللغات في خصائص ألفاظها.

- للقرطبي رؤية واضحة للقراءات فقد مهد لكتابه بفصل واف؛ أسس فيه لكل ما يتعلق بالقراءة و وبتاريخ القرآن من حيث جمعه ورسمه وترتيبه ورد على الخصوم في تشكيكهم في عمل الصحابة منتصرا لعثمان رضي الله عنه في مسألة جمع الأمة على حرف واحد.

- في أي قضية لغوية من القضايا التي درسها القرطبي، يورد أقوالا مختلفة للفراء والأخفش، فهو دائم المقارنة بين رائديّ المدرسة البصرية والكوفية، ويتفرّد بعد كل ذلك برأي جديد، بنى به مدرسة نحوية خاصة به تستحق الدراسة. فقد صهر مدرستي البصرة والكوفة من خلال عرض مستمر للرأيين معا وتأليف رأي ثالث قد يكون موافقة البصريين أو موافقة الكوفيين أو يبني رأيا ثالثا إلى جوار الرأيين فهو يذكر رأي الفراء فرأي الأخفش:

- لقد وُجد على صفحات تاريخ النحو معارِكَ طاحنة بين النحاة والقراء ثم بين النحاة. وبصنيع النحاة هذا خالفوا المنهج الرباني الذي جعل القراءات توسعة ورحمة على الأمة، فجعلها النحاة شرا مستطيرا؛ نفّر جموعا من المسلمين منه. ويكون النحاة قد أتوا منكرا فاختلفوا في القراءات الصحيحة التي هي قرآن فكانوا بذلك أوجدوا الفتنة التي درأها عثمان رضي الله عنه الذي استنهض الهمم لنسخ القرآن وجمع المسلمين على رسم واحد فأظهر للأمة وأعلم عوامها باختلاف القراءات وأغلق الباب عن الفتنة

- كان القرطبي لا ينتصر لقراءة دون أخرى، ولكن لا يخل بشروط القراءة الصحيحة وهذا ما أوجد لديه المفاضلة والحكم على القراءات، فهو يحكم بالجيد والأجود والحسن، ويحكم على القراءة بالشذوذ مبينا ذلك، ويجعل لها درجة معينة إما شاذة، أو باطلة، أو ضعيفة.

- تناول القرطبي القراءات التي ردها النحاة بباع العالم المستنير، ذاكرا الأقوال التي جاءت فيها مرجحا الرأي الذي يراه.وإن كان يتبنى الرأي بعدم المفاضلة بين القراءات إلا أنه نحا طريق من فاضلوا. ففاضل في الكثير منها وأبدى رأيه في قبول القراءة وردها .

- لقد فصل القرطبي في لغات القرآن الكريم، وجعل تفسيره موردا من موارد اللهجات العربية، وبين مواطن لهجات العرب من خلال سياحته في مخزون القراءات القرآنية.معتمدا في ذلك على الفراء وابن جني خاصة

وزع القرطبي المادة اللهجية من خلال قبيلتين كبيرتين تميم وأهل الحجاز ممثلة تميم البداوة والحجاز التحضر ولو أنه ظهر الامتزاج بينهما من خلال آداءات كثيرة.

- هناك لهجات عديدة كثر ورودها وهي: لغة تميم، لغة أهل الحجاز، لغة أسد، لغة هذيل، لغة قيس، لغة حمير، لغة هوازن، لغة أزد، لغة ربيعة، لغة طيء، فذكرها في مواضع كثيرة من تفسيره وبيّن خصائصها، والفروق الصوتية بينها.

- وهناك لهجات أخرى قليلة لم ترد عنده كثيرا، فاكتفى بذكرها والإشارة إليها في موضع أو في موضعين مثل، لغة لخم، لغة جذام، لغة مذحج، لغة حوران.

-كانت الصيغ والتراكيب تُدار بين العرب وبينهم تمايز وتداخل فالعربية لم تعرف شيء اسمه اللهجة المنعزلة، فلقد كان العرب بينهم من اللقاء والتجاذب ما يجعل لغتهم كلها هي اللسان ولغاتهم هي المكون المتنوع اللغوي للسان فاللهجة لم تكن كيانا مستقلا داخل اللسان العربي وإنما هي أداءات متنوعة منضوية تحت اللسان الجمعي الذي يضم كل اللغات العربية، ولذلك تبين من النظر في اللهجات أن المصطلح الذي يُمرر في الدرس اللغوي(العربية المشتركة)، لا وجود له ؛

لأن اللهجات إلى جوار بعضها بعض، وهي متزاورة؛ بينها من الشراكة والتداخل ما لا يستطيع أن يفكه إنسان، فهي ليست أنظمة قائمة بنفسها؛ لأن مسألة العزلة هذه غير موجودة بتاتا في اللهجات العربية القديمة، وقد تبين من رصد القراءات أن اللهجات العربي أنماط متمايزة داخل النسيج الواحد وهو اللسان العربي.

- هناك تقابل لهجي حتمي بين لغة تميم ولغة أهل الحجاز عند عزو القراءات وبيان وجوهها، فحيث ما ذكرت لفظة معزوة إلى تميم ذكر مقابل لها معزو إلى لغة أهل الحجاز، وهما بذلك يكونان مظهرين لغويين مختلفين، لغة أهل البادية ولغة أهل الحضر.

وحدة المصدر والغاية، عندما نتعمق في الدرس اللغوي نجد الحقيقة أن الله سبحانه أنزل كتابه على نبيه وكان الرسول ﷺ المعلم الذي يعلم أمته كل العلم. فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم احتاجت الأمة إلى علوم تعينها على فهم كتاب الله و ظهرت الحاجة إلى معرفة كلام العرب، لأنه مصدر من مصادر تفسير القرآن فجاءت عملية مسح كل الكلام في زمن فصاحته.فالقرآن قد حرك كل المخزون اللغوي العربي، وكان العلماء في جمعه وتدوينه ودراسته عُبادا لله يرجون الثواب منه ويتوجهون إليه. فهم منطلقون من كلامه ليصلوا إلى رضوانه. والقرطبي عالم من مجموع علماء الأمة وقد قضى عمره لتفسيره معتكفا في محرابه عبادة لله.

التوصيات:

يمكن أن ننتزع من التفسير مادة ثرية في الاحتجاج للقراءات ليكون القرطبي من اللغويين الذين وجهوا القراءات وهي مادة ثرية جدا جمع من خلالها أقوال النحاة قبله والمفسرين وتفرد هو بآراء أثرت علم التوجيه.

يمكن أن ننتزع من التفسير معجما كاملا لألفاظ القرآن الكريم ، فقد كان القرطبي رحمه الله يعمد إلى بيان معاني الألفاظ في الآيات.

ويمكن استخراج مادة غزيرة جدا جمعت النصوص التي حفظت اللهجات العربية أثناء توجيه القراءات القرآنية.

ـ عندما تتبعت آية وجوب الحج (ولله على الناس حج البيت) لم أجد للقرطبي ما يدل أنه وصل لبيت الله ولكن كلامه يوحي أنه لم يحج، ولذلك وإن كنت مازلت بعد لم أحج سأعمل على أن أحج وأحج على القرطبي رحمه الله بإذن الله وتوفيقه وكرمه .

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود.
- **أولا: المصادر والمراجع:**

*إبراهيم أنيس:

1. الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، (د ت). (د ط).
2. في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 3، 2003م.
3. ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوى وآخر، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م.
4. أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الأدب، ط1،(د ب)، 1997م.
5. أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة،(دت)،(دط).

*أحمد مختار عبد الحميد عمر:

6. البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، 2003 م.
7. دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة، 1976م.
8. أحيحة بن الحلاج، الديوان، تح: حسن محمد باجودة، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف، العربية السعودية، ط1، 1979م.
9. الأخطل، الديوان، شرحه مهدي محمد ناصر الديت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1414ه1994م.
10. الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري (ت 215هـ)، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411 هـ - 1990 م

11. إدريس مقبول، منهج سيبويه في الاحتجاج بالقراءات ولها، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، أربد، 2009 م.

12. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

13. أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت 476هـ)، طبقات الفقهاء، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ)، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1970 .

*الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت 430هـ):

14. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ - 1996م.

15. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

16. الأعشى الكبير ميمون بن قيس، الديوان،تح: محمد حسين، المطبعة النموذجية الجماميز، مصر، 1377ه، 1966م.

17. الأفوه الأودي، الديوان، شرح وتح: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م.

*الألباني ناصر الدين أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت 1420هـ):

18. ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، مكتبَة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421 هـ - 2000 م.

19. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ / 1992 م.

20. امرؤ القيس، الديوان، تح: مصطفى عبد الشافي،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط 5، 1425ه-2004م.

21. أمل شفيق العمري، التوجيه النحوي للقراءات الواردة في التفسير الكبير للإمام الطبراني سنة 360 هـ. دراسة تحليلية تأصيلية، المملكة الأردنية الهاشمية وزارة الثقافة عمان، ط1، الأردن، 1431 هـ/ 2010 م.

22. أميّة بن أبي الصلت، الديوان، تح: سيف الدين الكاتب و احمد عصام الكاتب،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، (دت).

*الأنباري أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة (ت 328 هـ):

23. إيضاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ - 1971م.

24. المذكر والمؤنث،تح: محمد عبد الخالق عظيمة، مراجعة: رمضان عبد التواب جمهورية مصر العربية - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، 1401 هـ - 1981 م.

25. الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري كمال الدين (ت 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1405 هـ - 1985 م.

26. أوس بن حجر، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ/1980م.

27. الباز محمد عباس، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، دار الكلمة، القاهرة،ط1، 1425 هـ - 2004 م.

28. بازمول محمد بن عمر بن سالم، القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام، دار الهجرة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط1 1417هـ-1996م.

29. الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر المالكي (ت 403هـ) ، الانتصار للقرآن، تح ،محمد عصام القضاة ،دار الفتح - عَمَّان، ط1، 1422 هـ - 2001 م.

30. بامخرمة أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي ، الهِجراني الحضرمي الشافعي (870 - 947 هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط1، 1428 هـ- 2008 م.

*البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت 256هـ):

31. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1418 هـ - 1997 م.

32. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري تح: محمد زهير بن ناصر الناصر ،دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

33. بشر بن أبي خازم، الديوان، شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1415ه/1994م.

34. ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م.

35. البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، استانبول، 1955م.

*البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت 463هـ):

36. تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002 م.

37. تاريخ بغداد وذيوله، دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1417 هـ.

38. البغدادي عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997 م.

39. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت 516هـ)، شرح السنة، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م.

40. البناء شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ (ت 1117هـ) ،إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح، أنس مهرة،دار الكتب العلمية - لبنان ط3، 2006م - 1427هـ .

41. ابن البيع أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 - 1990.

*البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت: 458هـ):

42. شعب الإيمان حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تح: مختار أحمد الندوي، الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط1، 1423 هـ / 2003 م.

43. دلائل النبوة، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1 - 1408 هـ - 1988 م.

44. التبريزي، شرح مقصورة ابن دريد، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه/1994م .

45. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت 279هـ): سنن الترمذي، تح: وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط2، 1395 هـ - 1975 م.

46. توفيق برو، تاريخ العرب القديم ، دار الفكر،بيروت، ط2، 1422هـ/ 2001م.

47. الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور و مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ /2002.

48. الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ)، كتاب التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت،لبنان، ط1 1403هـ -1983م.

49. جرير، الديوان، تح: وشرح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة، مصر، (دت).

* ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ):

50. تحبير التيسير في القراءات العشر، تح: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط1، 1421هـ - 2000م.

51. شرح طيبة النشر في القراءات، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1420 هـ/2000 م.

52. غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة ج. برجستراسر عام 1351هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1402 هـ-1982 م.

53. النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع (ت 1380 هـ) المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية،(دب)، (دت)،(دط).

54. الجصاص أحمد بن علي بن أبي بكر الرازي الحنفي (ت370ه)، أحكام القرآن، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، 1405ه.

55. أبو جعفر الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

56. أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير(ت 231ه)، الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح: أبو بشر محمد بن خليل الزروق، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، 1423ه/2002م.

57. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1422 هـ.

58. جميل بن عبد الله بن معمر، جميل بثينة، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1، 1402ه/1982م.

59. الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1983.

*ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (ت 392هـ):

60. الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دت).

61. سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1421هـ-2000م.

62. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي ناصف النجدي و عبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط 2، السعودية 1420هـ- 1999م.

63. جواد علي (ت 1408هـ)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م.

64. الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح :أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت، ط4 ،1407 هـ - 1987 م.

*حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت 1067 هـ):

65. سلم الوصول إلى طبقات الفحول،تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، 2010 م.

66. كشف الظنون، مكتبة المثنى، بيروت،لبنان، (دط)، (دت).

67. الحارث بن حلزة، الديوان، جمعه وحققه إميل وديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 1411هـ1991م.

*بن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت 852 هـ):

68. موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1414 هـ - 1993 م.

69. تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، 1326هـ.

*ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري (ت 456هـ):

70. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، (دت).

71. الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر قدم له: إحسان عباس دار الآفاق الجديدة، بيروت، (دط)، (دت).

72. حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1414هـ-1994م.

73. الحسن أبو علي بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل (ت 377هـ)، الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2، 1413 هـ - 1993م.

74. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت: 458هـ)،المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000 م.

75. ابن حسنون عبد الله بن الحسين أبو أحمد السامري (ت 386هـ)، اللغات في القرآن بإسناده: إلى ابن عباس حققه ونشره: صلاح الدين المنجد مطبعة الرسالة، القاهرة ،ط1، 1365 هـ.

76. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ -1998م.

77. حمد عباس الباز، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، دار الكلمة، القاهرة، ط1 1425هـ، 2004م.

78. بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م .

*حيان أبو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ):

79. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، و دار كنوز إشبيليا، (دت).

80. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت 745 هـ) ،ارتشاف الضرب من لسان العرب ،تح ،رجب عثمان محمد مراجعة: رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1، 1418 هـ - 1998 م

81. البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،1420 هـ.

82. تفسير البحر المحيط، دراسة وتح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود و آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1413،1ه1993م.

83. أبو حية النميري، الديوان، تح: يحي الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق سوريا، ط1، (دت).

*خالويه ابن أبو عبد الله الحسين بن أحمد الهمذاني النحوي الشافعي (ت370ه):

84. الحجة، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/1999م.

85. إعراب القراءات السبع وعللها، تح عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 1413،1ه، 1992م.

86. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، (دت).

*الخطيب التبريزي:

87. شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط 1، 1412هـ 1992م.

88. شرح مقصورة بن دريد، تح: فخر الدين فبادة مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط 1، 1414 ه/1994 م.

89. ابن خلدون، المقدمة(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دت)،(دط).

90. ابن خلف الأنصاري أحمد بن علي بن أحمد الغرناطي، أبو جعفر ابن البَاذِش (ت 540هـ) ،الإقناع في القراءات السبع دار الصحابة للتراث، (دت)، (دط).

91. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (دت).

92. الخنساء، الديوان، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط2، 1425ه/2004م.

93. ابن خواستي العبسي أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت 235هـ) ، المصنف في الأحاديث والآثار،تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409ه.

94. الخوئي أبو القاسم ، البيان في تفسير القرآن دار الزهراء للطباعة والنشر بيروت لبنان ط 4 ، 1975م/ 1395هـ.

95. الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت 385هـ)، المؤتَلِف والمختَلِف، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/ 1986م.

96. الدارمي أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي البُستي (ت 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين

علي بن بلبان الفارسي (ت 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 هـ / 1988 م.

97. الدارمي بن عبد الصمد أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام التميمي السمرقندي (ت 255هـ)، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، تح: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر، بيروت، ط1، 1434هـ /2013م.

98. ابو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت 275هـ)، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دت).

*الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت 444هـ):

99. جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 1428 هـ/ 2007 م.

100. الأحرف السبعة للقرآن، تح: عبد المهيمن طحان، دار المنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418 هـ 1997م .

101. درويش محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، ط4، (دت).

102. ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ) ، جمهرة اللغة تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

*الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ):

103. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م.

104. تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.

105. سير أعلام النبلاء تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.

106. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، الطبعة1417، 1 هـ- 1997م.

107. ابن ذؤيب الهذلي، الديوان،تح: احمد خليل الشال، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر، ط1، 1435هـ2014م .

108. الرازي ابن أبي حاتم محمد أبو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت 327هـ)، الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1271 هـ 1952 م.

109. الراعي النميري، الديوان، تح: رانهرت قاييرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، لبنان ،1401هـ 1980م.

110. رشيد حليم، أصول النحو عند ابن جني ـ دراسة لسانية في كتابيه الخصائص والمحتسب ـ، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر ،2010م .

*رمضان عبد التواب:

111. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م.

112. فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999/1420.

113. رؤبة بن العجاج، الديوان، تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، دار قتيبة للطباعة و النشر، الكويت، (دت).

114. الزّجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م .

115. الزَّجَّاجي أبو القاسم (ت 337 هـ)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك دار النفائس، بيروت، ط5، 1406 هـ -1986 م.

116. الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، سوريا، (دت).

*الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت 794هـ):

117. البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1، 1414هـ - 1994م.

118. البرهان في علوم القرآن، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،ط 2،(دت).

119. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ،ط15، (دت).

120. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل دار الكتاب العربي، ط3 ، بيروت، لبنان، 1407 هـ.

121. ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات ، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط5، 1418ه 1997م، مقدمة المحقق.

122. ابو زيد الانصاري، النوادر، تح: محمد عبد القادر أحمد، (دط)، (دت).

123. زيد بن علي بن مهدي مهارش، منهج الإمام الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه [تبيان]، (دت).

124. السبتي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (ت544ه)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (دت).

125. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

126. السجستاني أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي (ت 316هـ)، كتاب المصاحف، تح: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط 1، 1423هـ - 2002م.

*ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت 230هـ):

127. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك] تح: ودراسة: عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1416 هـ.

128. الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410 هـ - 1990 م.

129. ابن السَّلَّار عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، الشافعي (ت 782هـ)، طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تح: أحمد محمد عزوز المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1423 هـ - 2003 م.

130. ابن سلام أبو عبيد القاسم الهروي، غريب الحديث، تح: حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404 هـ - 1984 م.

131. ابن سلّام الجمحي محمد بن عبيد الله (ت 232هـ)، طبقات فحول الشعراء،تح: محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة، (دت).

132. سلامة بن جندل، الديوان، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط2، 1407هـ1987م.

133. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، الإبانة في اللغة العربية، تح: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 1420 هـ - 1999 م.

134. سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420 هـ - 1999 م.

135. السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (دت).

136. السندي أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، ط1، 1415 هـ.

137. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (ت 180هـ) الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3، 1408 هـ - 1988 م.

138. السيد رزق الطويل (ت 1419هـ)، مدخل في علوم القراءات، المكتبة الفيصلية، ط1، 1405هـ - 1985م.

139. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، (دت).

140. السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد (ت 368هـ)، أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، مصر، (دط)، 1373 هـ - 1966 م.

*السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ):

141. الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1394هـ/ 1974.

142. الاقتراح في أصول النحو، ضبطه وعلق عليه عبد الحكيم عطية، دار البيروني، دمشق، ط 2 2006م.

143. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا،ج1، 1326هـ.

144. الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، (دت).

145. طبقات المفسرين العشرين، تح: علي محمد عمر مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1396هـ.

146. المزهر في علوم اللغة وأنواعه،تح، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1418هـ 1998م.

147. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ)، الموافقات، تح : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1 ،1417هـ/ 1997م.

148. الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204هـ)، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: الفرَّان أحمد بن مصطفى، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427 هـ- 2006 م.

* أبو شامة أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665هـ) :

149. إبراز المعاني من حرز الأماني ، دار الكتب العلمية،(دط) ،(دت).

150. المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تح: طيالي ألي قولاج، دار صادر بيروت، 1395ه/1975ه.

151. شعبان صلاح، مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.

152. الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين، تح، محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1385 هـ - 1965 .

153. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، بيروت، (دت).

154. شوقي ضيف أحمد عبد السلام (ت 1426هـ)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، (د ت).

155. الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت 1250هـ)، فتح القدير دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1 ، 1414 هـ.

156. صالح بن فهد العصيمي، لسانيات المتون، قضايا أساسية في التأصيل والتطبيق والمنهج مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية المملكة، العربية السعودية الرياض، ط 1، 1439هـ/ 2018 م .

157. الصالحي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي (ت 744 هـ)، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1417 هـ - 1996 م.

158. صبحي إبراهيم الصالح (ت 1407هـ)، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1379هـ - 1960م.

159. صبيح التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، دار البعث، قسنطينة ، الجزائر، ط2، 1410ه/1990م.

160. الصفاقسي علي بن محمد بن سالم أبو الحسن النوري (ت 1118هـ)، غيث النفع في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت،

161. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ-2000م.

162. الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت 211هـ)، المصنف، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403 هـ.

163. الضبعي جرير بن عبد المسيح، ديوان المتلمس، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تح: حسن كامل الصيرفي، طباعة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية القاهرة، مصر،1390هـ 1970م.

164. ضرار بن الخطاب الفهري، الديوان، جمع وتح: و شرح فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996.

165. أبو طالب عم النبي ﷺ، الديوان، تح: محمد التونجي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 1414هـ 1994م

166. الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1415 هـ - 1994 م.

167. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ /2000 م.

168. طرفة بن العبد، الديوان، شرح الأعلم الشمنتري(476هـ)، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط 2، (2000م.

169. الطيالسي أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصرى (ت 204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1، 1419 هـ - 1999 م.

170. الطيب أبي عبد الواحد بن علي الغوي الحلبي (351ه)، الإبدال، حققه وشرحه ونشر حوةاشيه الاصلية واكمل نواقصه: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م 1380ه.

171. عامر بن طفيل، الديوان، رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري، دار صادر بيروت لبنان،ط1، 1399ه 1979م.

172. أبو العباس ثعلب (ت291هـ)، الفصيح، تحقيق ودراسة صبيح التميمي ، دار الشهاب باتنة الجزائر 1405هـ ،1985م.

173. العباس بن مرداس السلمي، الديوان، تح: يحي الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1412ه.

174. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، مجاز القرآن،تح: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة ،(دط)،1381 ه.

175. عبد الحي الكتاني محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي (ت 1382هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط2، 1982.

176. عبد الرحمن بن حسان الانصاري، الديوان، جمع وتح: سامي مكي العاني، مطبعة بغداد العراق، ط1، 1971.

*عبد الصبور شاهين:

177. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي القاهرة، (دت).

178. تاريخ القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2007م.

179. عبد العال سالم مكرم، الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي، تح: ودراسة، عالم الكتب، 1418هـ/ 1998م، ط1،

180. عبد العزيز بن محمد الفيصل، شعراء بني عقيل و شعرهم في الجاهلية والاسلام حتى اخر العصر الاموي، شركة العكبيان للطباعة والنشر، ط1، 1408 هـ 1987م.

181. عبد العلي المسئول، القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، دار ابن عفان، مصر ودار ابن القيم، السعودية، ط 1، 1429ه، 2008م.

182. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

183. عبد الفتاح القاضي (ت 1403ه)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دت).

184. عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة، الجزائر ، (دت).

185. أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت 395هـ)، فتح الباب في الكنى والألقاب، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية، الرياض، ط1، 1417هـ - 1996م.

186. عبد المجيد الطيب عمر منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة أبحاث الحرمين العالمية 1 ، المملكة العربية السعودية، ط2، 1437ه.

187. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م.

188. ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حبيب ابن حدير بن سالم (ت 328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404 هـ.

189. عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية (موفم للنشر)، الجزائر، 2007.

190. عبيد بن الابرص، الديوان، شرح أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه/1994م.

191. العجاج، الديوان، راوية عبد الملك بن قريب الاصمعي، تح: عبد الحفيظ السطلي في جزئين، مكتبة الاطلس، دمشق، سوريا، (دت).

192. ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، 1415 هـ - 1995 م.

193. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1، 1379هـ.

194. ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي (ت 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ.

195. العكبري ابن بَطَّة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري (ت 387هـ)، الإبانة الكبرى، تح: حققه: رضا بن نعسان معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1415 هـ - 1994 م.

196. علقمة بن عبدة الفحل، الديوان، رواية الاعلم الشمنتري، تح: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ1993م.

197. علي النجدي ناصف، ابن قيس الرقيات شاعر السياسة و الغزل، مطبعة أحمد مخيمر، القاهرة، مصر، ط1، (دت).

198. علي بن الحسن ابن هانئ الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت 309هـ)، المنتخب من غريب كلام العرب،تح: د محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1409هـ - 1989م.

199. علي ناصر غالب، اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، دار الحامد، ط1،عمان، الأردن، 2010م.

200. عمر ابن أبي ربيعة المخزومي، الديوان، شرح:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط1371،1ه1952م.

201. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م .

202. عمر فروخ، خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولى العراق خلفا بشر بن مروان أخو عبد الملك بعد وفاته سنة 74 ه .دراسات قصيرة في الأدب و التاريخ و الفلسفة ، الحجاج بن يوسف الثقفي ترجمته شخصيته السياسية و الإدارية و الحربية ومختارات من خطبه، مكتبة منيمنة، بيروت، لبنان، ط1360،1ه1941م.

203. عمرو بن شاس الاسدي، الديوان، تح: يحي الجبوري، دار القلم الكويت، ط2، 1403ه 1983م.

204. عمرو بن قميئة، الديوان، تح: خليل ابراهيم العطية، دار صادرللطباعة والنشر بيروت لبنان، ط2، 1994م.

205. عمرو بن كلثوم، الديوان-معلقة-، جمع وتح: و شرح: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1411ه-1991م.

206. عمرو ين معد يكرب الزبيدي(ت21ه)، الديوان،جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط 2، 1405ه-1985م.

207. عيسى شحاتة عيسى علي، العربية والنص القرآني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،2001.

208. غالب فاضل المطلب، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (دط)، الجمهورية العراقية، 1398ه/1978م.

209. الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

210. الفارابي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت 350هـ)، معجم ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1424 هـ - 2003 م .

* ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ):

211. مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986 م.

212. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح:محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م .

213. معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399ه / 1979م.

*الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت 207هـ) :

214. معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر ، ط1، (دت).

215. الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت 170هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (دت).

216. الفرت يوسف عبد الرحمن، القرطبي المفسر سيرة ومنهج، دار القلم الكويت ط1، 1402ه/1982م.

217. ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: علي عمر، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423هـ/ 2003 م.

218. فردينا ندي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، الأعظمية، بغداد، 1985م .

219. الفرزدق، الديوان، شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1407ه1987م.

220. الفضل بن قدامة أبي النجم العجلي (ت 130هـ)، الديوان، جمعه وشرحه محمد اديب عبد الواحد حمدان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1427ه 2006 م.

*القاضي عياض أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت 544هـ):

221. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: سعيد أحمد إعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب،1981-1983م.

222. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمان، ط2، 1407 هـ.

223. القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم (280 هـ - 356 هـ)، المقصور والممدود، تح: أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1419 هـ - 1999م.

224. ابن قتيبة ابو محمد عبد الله ابن مسلم الدينوري (ت 276 ه): تأويل مشكل القرآن، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

*القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت 671هـ):

225. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تح: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، (د ط) ، (دت).

226. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، (د ط) ، (دت).

227. الجامع لأحكام القرآن ،تح :أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ،ط2، 1384هـ - 1964 م .

228. الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

229. الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1424ه/2004م.

230. مقدمة التذكرة، دار الحديث القاهرة،تح: عصام الدين الصبابطي، (دط)، (دت).

231. القصبي (محمود زلط)، القرطبي ومنهجه في التفسير، دار الأنصار، القاهرة، 1399هـ/1979م.

232. القطامي، الديوان، تح: إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط1، 1960م.

233. القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406 هـ - 1982م .

*القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ):

234. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الإبياري دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1402هـ - 1982 م

235. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ط2، 1400 هـ - 1980 م.

236. قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم (ت 535هـ)، سير السلف الصالحين، تح: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (دت).

237. أبو قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي، الديوان، دراسة وجمع وتح: حسن محمد باجورة، دار التراث، القاهرة، مصر، (د ت).

238. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ):

239. تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999.

240. مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة، ط 1، 1411هـ - 1991م.

241. السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1395 هـ - 1976 م.

242. كثير عزة، الديوان، جمعه و حققه احسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت لبنان، ط1، 1391هـ-1971م.

243. كحالة عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت 1408هـ)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414 هـ - 1994 م.

244. كرد محمد علي، الإسلام والحضارة العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م، ط3.

245. كعب بن مالك الانصاري، الديوان، تح: مجيد طراد، دار صادر بيروت لبنان ط1، 1997.

246. الكعبي السلمي محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني أبو الأرقم المصري المدني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426 هـ .

247. الكلبي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي المزي (ت 742هـ)،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/ 1980.

248. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

249. الكميت بن زيد الاسدي، الديوان، تح: محمد نبيل الطرفي، دار صادر ، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

250. لبيد بن ربيعة، الديوان، شرح الطوسي، وضع هوامشه حنا نصر الحتى،دار الكتاب العربي بيروت لبنان،ط1، 1414هـ/1994م

251. الماتريدي أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م .

252. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ)، سنن ابن ماجه، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون دار الرسالة العالمية،ط1، 1430 هـ - 2009 م.

253. المارغني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان التونسي المالكي (ت 1349هـ)، دليل الحيران على مورد الظمآن، دار الحديث، القاهرة، ج 1، (دت).

254. المالقي عبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السداد الأموي (ت 705 هـ)، الدر النثير والعذب النمير «في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444 هـ)، تح ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، دار الفنون للطباعة والنشر، جدة، 1411 هـ - 1990 م.

255. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت 179هـ)، موطأ الإمام مالك، تح: بشار عواد معروف، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412 هـ.

256. مالك و متمم ابنا نويرة اليربوعي، الديوان، تح: ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، ط 1، 1968.

257. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450 هـ)، تفسير الماوردي، النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

258. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت285 هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1431هـ/2010م.

259. مثنى فؤاد الخالدي، لهجة ربيعة وأثرها في الدراسات اللغوية والقرآنية، دار المؤمون للنشر والتوزيع، (د ط)، (د ت) .

260. ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر البغدادي (ت 324هـ)، كتاب السَّبْعَة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.

261. أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت 442هـ)، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط2، 1412هـ - 1992م.

262. محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـ ـ1999م

263. محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011.

264. محمد إبراهيم محمد سالم (ت 1430هـ)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، دار البيان العربي، القاهرة، ط1، 1424 هـ - 2003 م.

265. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415 هـ - 1995 م.

266. محمد السيد الجلنيد، حقائق التفسير الجامع لأحكام القرآن، لتفسير الإمام ابن تيمية، نشر دار الأنصار، ط1، مصر، 1398هـ- 1978.

267. محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، (دت).

268. محمد جمال الدين بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني (ت 672هـ)، شرح تسهيل الفوائد، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ - 1990م.

269. محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـ ـ1999م.

270. محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2002 م.

271. محمد سالم محيسن (ت 1422هـ)، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ / 1992 م

272. محمد عباس الباز، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 1425ه 2004م.

273. محمد عمر الحاجي، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، دار المكتبي، دمشق سوريا، ط1، 1427 هـ - 2007 م.

274. محمد مرعب، شرح كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423 هـ، 2002 م.

275. محمد مسالم محيسن (ت 1422هـ)، القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1404 هـ/ 1984 م.

276. أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

277. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997 م.

278. محمود الوراق، شاعر الحكمة والموعظة، الديوان، جمع ودراسة وتح: وليد قصاب، طباعة مؤسسة الفنون عجمان الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1412هـ 1991م.

279. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دط) ، (دت).

280. مختار الغوث ، لغة قريش، دار المعارج الدولية للنشر المملكة العربية السعودية الرياض ،ط1 ،1418هـ 1997م.

281. مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم (ت 1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1424 هـ - 2003 م.

282. المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت 703 هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة حققه وعلق عليه: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012 م.

283. مرتضى الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (دت)، (دط).

284. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط1 ، 1432هـ .

285. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).

286. مشهور حسن محمود سلمان، الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، دار القلم، دمشق، (دت).

287. مصطفى البغا، محي الدين مستو (1998)، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، ط1، دمشق، (دت).

288. المطعني عبد العظيم إبراهيم محمد (ت 1429هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة،القاهرة، ط1، 1413 هـ - 1992 م.

289. معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر، أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الأصبهاني (ت 564هـ)، موجبات الجنة، تح: ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي، مكتبة عباد الرحمن، ط1، 1423 هـ -

290. المغراوي أبو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر و النبلاء للكتاب، مراكش، ط1، المغرب، (دت).

291. المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت نحو 290هـ)، الفاخر، تح: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1380 هـ.

292. مقاتل أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت 150هـ)، في تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1 ،1423 هـ .

293. ابن مقبل، الديوان، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1416ه 1995م.

294. المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/ 1968م.

295. مكي بن أبي طالب القيسي، في الكشف عن وجوه القراءات، مؤسسة الرسالة ط 4 ،1987 م، بيروت، لبنان، (دت).

296. ابن منظور ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

297. المهدوي أحمد بن عمار بن أبي العباس الإمام أبو العباس التميمي التونسي ، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426 هـ.

298. النابغة الجعدي، الديوان، جمعه وحققه و شرحه: واضح عبد الصمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

299. النابغة الذبياني، الديوان، شرح و تقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1416ه1996م.

300. النباهي المالعي، تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، (دط)، 1400هـ.

301. ابن نجاح أبو داود، سليمان بن أبي القاسم الأموي بالولاء، الأندلسي (ت 496هـ)، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1423 هـ ـ 2002 م .

302. النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ .

303. النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 303هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ /2001 م.

304. أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت 231 هـ)، ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر الباهلي، رواية ثعلب، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جدة، ط1، 1982 م - 1402 هـ.

305. نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب ط1 ، 1990م.

306. النمر بن تولب العكلي، الديوان، جمع وشرح وتح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

307. النهرواني أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى (ت 390هـ)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م.

308. أبو نواس الحسن بن هانئ، الديوان، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، مصر،ط1، 1953م.

309. النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دت).

310. النُّوَيْري محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين (ت 857هـ)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، تقديم وتح: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط1، 1424 هـ - 2003 م.

311. الواسطيّ أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (ت 741هـ)، الكنز في القراءات العشر، تح: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1425 هـ - 2004 م.

312. الوَلَّوِي محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ط1،(دب) 1419 هـ - 2000 م.

*ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي:

313. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1414 هـ - 1993 م.

314. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1371هـ.

* يحي الجبوري:

315. شعر عبد الله بن الزبعري، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ/ 1980م.

316. شعر عبدة بن الطيب، دار التربية للطباعة و النشر بغداد العراق، ط1، 1391هـ 1971م.

317. ابن يعيش بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي (ت 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ - 2001 م.

318. يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط2، 1377هـ.

- **المجلات:**

319. أحمد عبد المنعم حالو، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة البعث ،رواية الأدب الجاهلي في مؤلفات الجاحظ-المنهج والأثر -، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 84، الجزء 2،سوريا، (دت).

320. إسراء ياسين حسن، التوجيه اللغوي لقراءات القرآنية في سورتي الرحمن والواقعة، مجلة العلوم الإسلامية، العدد 12،كلية التربية، جامعة السليمانية، قسم اللغة العربية،العراق، ع12، 2016.

321. حاتم الضامن، المخبل السعدي، حياته وما تبقى من شعره، مجلة المورد العراقية، المجلد الثاني، العدد الأول، بغداد، العراق، 1973.

322. رُبى ذَنون يونس، قوله تعالى: إن هذان لساحران [طه: 63] ((قراءة وتوجيه))، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، مجلد 9، العدد1، مديرية تربية نينوى، العراق، 2009.

323. فهد معجب مرذب العتيبي، لغة عقيل ،مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية، المجّلد 37 ، العدد1، 2010 م.

324. قشاش أحمد بن سعيد، الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: (34)، العدد (117) 1422هـ - 2002م .

- **الأطروحات:**

325. جمال أبو سحلوب، القرطبي ومنهجه في القراءات، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة غزة، فلسطين، إشراف الدكتور: أحمد عبد الرحمن الجمل، (دت).

326. القادوسي عبد الرازق بن حمودة، أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم،

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية، 1431هـ / 2010م .

- **المواقع الالكترونية:**

327. التعريف بالكتب الإسلامية ومناهجها وطرق تأليفها0islamicbooks@

328. زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره للأستاذ أيهم عباس القيسي كلية الآداب جامعة بغداد، مجلة المورد المجلد التاسع سبتمبر 2013. https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:saP0r1wa7yoJ:https://archive.org/details/Pdfarabic52+&cd=1&hl=fr&ct=clnk&gl=dz

329. سعيد إبراهيم النمارنة، مصادر علم توجيه القراءات. Ahl : // http . Etafsir.com .

330. محسن عبد المعطي محمد عبد ربه، ديوان ابن الرعلاء -عدي الغساني - العصر الجاهلي، مقال منشور على الموقع https://pulpit.alwatanvoice.com/.

331. من برنامج أضواء القرآن الكريم مدخل إلى علم القراءات ttps://vb.tafsir.net/tafsir30132/

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-و
الفصل التمهيدي: القرطبي وتفسيره	
المبحث الأول: حياة القرطبي	9
المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته وأخلاقه وصفاته	9
المطلب الثاني: شيوخه في الأندلس	14
المطلب الثالث: هجرته إلى مصر وشيوخه فيها	19
المطلب الرابع: فضله وعلمه	27
المطلب الخامس: تلاميذه و مؤلفاته ووفاته	28
المبحث الثاني: تفسيره	37
المطلب الأول: عنوان التفسير وسبب تأليفه.	37
المطلب الثاني: منهج القرطبي في التفسير	39
المطلب الثالث: تدريسه وحفظه	42
المطلب الرابع: مصادره	42
المطلب الخامس: طرائق نقله من المصادر	49
الباب الأول: الأصوات	
تمهيد	53
الفصل الأول: الهمـز	
المبحث الأول: مفهوم الهمز	69
المطلب الأول: الهمز المفرد	71
المطلب الثاني: الهمزتان المتجاورتان في كلمة	77
المطلب الثالث: دخول همزة الإستفهام على همزة الوصل	81
المطلب الرابع: تحقيق همزتين في كلمة	84
المبحث الثاني: الهمز والقراءات	88
المطلب الأول: هـزؤ و أُسَار	88

المطلب الثاني: جبريل وزكريا	90
المطلب الثالث: النسيء ومرجون	92
المطلب الرابع: هيت	94
المبحث الثالث: الهمز واللهجات	98
المطلب الأول: آذانهم، وإسرائيل ورؤوف	98
المطلب الثاني: إدًّا، بئر	100
المطلب الثالث: الخبء وأسوة	102
المطلب الرابع: وقرن، وضيزى، وإيلاف	103
الفص **ل الثاني: الإدغام**	
المبحث الأول: مفهوم الإدغام	109
المطلب الأول: تعريفه لغة واصطلاحا	109
المطلب الأول: الغرض من الإدغام	110
المبحث الثاني: الإدغام والقراءات	112
المطلب الأول: يخطف، تشابه، تحاجوننا	113
المطلب الثاني: اضطر، واثاقلتم	116
المطلب الثالث: أمم، تساقط، ادّارك	119
المبحث الثالث: الإدغام واللهجات	122
المطلب الأول: تضارّ	122
المطلب الثاني: فنعمّ	123
المطلب الثالث: تحبّون	124
المطلب الرابع: تامنّا، وُدًّا	127
المبحث الرابع: رفض القرطبي لبعض الإدغام	129

الفصل الثالث: الإبـدال	
المبحث الأول: مفهوم الإبـدال	133
المطلب الأول: إبدال الهمزة	133
المطلب الثاني: إبدال العين حاء	136
المطلب الثالث: الإبدال بين الشين والصادوالزاي	139
المطلب الرابع: الابدال بين الفاء والثاء	143
المطلب الخامس: الإبدال بين الفاء والثاء	146
المطلب السادس: إبدال الكاف	153
المبحث الثاني: الإبـدال والقراءات	155
المطلب الأول: قيما	156
المطلب الثاني: إلا إناثا	157
المطلب الثالث: يصَالحا	158
المبحث الثالث: الإبـدال واللهجات	160
المطلب الأول: وليملل	160
المطلب الثاني: الثلث	160
المطلب الثالث: ادّارك	161
المطلب الرابع: الخبءَ	162
المطلب الخامس: لازب	163
المبحث الرابع: رفض القرطبي لبعض الإبـدال	164
المطلب الاول: منسأتَه	164
المطلب الثاني: باسقات	165
الباب الثاني: القراءات	

تمهيد	169
الفصل الأول: قضايا القراءات في مقدمة الجامع لأحكام القرآن	
المبحث الأول: الأحرف السبعة في مقدمة الجامع لأحكام القرآن	181
المطلب الأول: الأحرف السبعة تيسيرا	181
المطلب الثاني:الأحرف السبعة وعلاقتها بلغات العرب	189
المطلب الثالث: الأحرف السبعة ووجوه اختلاف القراءة	190
المطلب الرابع: أحاديث نشأة القراءات	193
المبحث الثاني: قضايا جمع القرآن في مقدمة الجامع.	195
المطلب الأول: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه	195
المطلب الثاني: عهد عثمان رضي الله عنه و رضا الجمع الصحابة بصنيعه	199
المطلب الثالث: رد القرطبي على الرافضة	207
المطلب الرابع: ترتيب السور	213
الفصل الثاني: منهج القرطبي في عرض القراءات والحكم عليها	
المبحث الأول: عرض القرطبي للقراءات المتواترة والحكم عليها	219
المطلب الأول: القراءات المتواترة في تفسيره	219
المطلب الثاني: منهجه في عرض القراءات المتواترة	221
المطلب الثالث: حكم القرطبي على القراءات المتواترة	224
المبحث الثاني: عرضه القراءات الشاذة والحكم عليها	246
المطلب الأول: القراءات الشاذة في تفسيره	246
المطلب الثاني: الحكم عليها	259
الفصل الثالث: توجيه القرطبي للقراءات القرآنية	
المبحث الأول: التوجيه و مصطلحاته	267
المطلب الأول: التوجيه	269
المطلب الثاني: التعليل	270
المطلب الثالث: الاحتجاج	272

المطلب الرابع: الترجيح	274
المطلب الخامس: الاختيار	280
المبحث الثاني: توجيه القرطبي للقراءة بالنقل	286
المطلب الأول: التوجيه القراءة بالقرآن الكريم	288
المطلب الثاني: التوجيه بالحديث النبوي الشريف	290
المطلب الثالث: توجيه القراءة بكلام العرب	293
المبحث الثالث: توجيه القرطبي للقراءة بعلوم اللغة	299
المطلب الأول: توجيه القراءة بالصوت	299
المطلب الثاني: توجيه القراءة بالصرف	302
المطلب الثالث: توجيه القراءة بالنحو	307
المطلب الرابع: توجيه القراءة بالدلالة	327
الباب الثالث: اللهجات	
تمهيد	331
الفصل الأول: اللهجات الأكثر ورودا في الجامع.	
المبحث الأول: لغة تميم و لغة أهل الحجاز	339
المطلب الأول: لغة تميم	340
المطلب الثاني: لغة أهل الحجاز	354
المبحث الثاني: لغة هذيل و لغة قيس و لغة أسد.	377
المطلب الأول: لغة هذيل	377
المطلب الثاني: لغة قيس	381
المطلب الأول: لغة أسد.	383
المبحث الثالث: لغة طيء و لغة ربيعة و لغة هوازن	387
المطلب الأول: لغة طيء	387
المطلب الثاني: لغة ربيعة	391

المطلب المطلب الثالث: لغة هوازن	393
المبحث الرابع: لغة أزد و لغة حمير	394
المطلب الاول: لغة أزد	394
المطلب الثاني: لغة حمير	397
الفصل: الثاني اللهجات الأقل ورودا في الجامع:	
المبحث الأول: لغة بكر و لغة كنانة و لغة قضاعة.	408
المطلب الأول: لغة بكر	408
المطلب الثاني: لغة كنانة.	410
المطلب الثالث: لغة قضاعة.	412
المبحث: لغة لخم و لغة جذام و لغة اليمن	414
المطلب الأول: لغة لخم	414
المطلب الثاني: لغة جذام	414
المطلب الثالث: لغة اليمن	416
المبحث: لغة خزاعة و لغة ثقيف و لغة مضر.	418
المطلب أول: لغة خزاعة	418
المطلب الثاني: لغة ثقيف	419
المطلب الثالث: لغة مضر.	420
المبحث الرابع: لغة مذحج و لغة عقيل و لغة حوران و لغة نجد	424
المطلب الأول: لغة مذحج	424
المطلب الثاني: لغة عقيل	425
المطلب الثالث: لغة حوران	428
المطلب الرابع: لغة نجد	429
الفصل الثالث: لغة القرآن الكريم	
المبحث الأول: لغات القرآن الكريم	445
المطلب الأول: عربية القرآن وأهمية دراسة لغته	445
المطلب الثاني: حكمه على اللغات	453

المبحث الثاني: لغة قريش	464
المطلب الأول: قريش ولغتها ونسبها	464
المطلب الثاني: الأحرف السبعة و لغة قريش	469
الخاتمة	484
قائمة المصادر والمراجع	492
فهرس الموضوعات	527